﴿الجزء التاسع﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله﴾

صحيفة	
٢	(سنة سبعين وثلثمائة)
٣	ذكر اقطاع مؤيد الدولة همذان
٣	ذكر قتل أولاد حسنويه سوى بدر
٣	ذكر ملك عضد الدولة قلعة سندة وغيرها
٣	ذكر الحرب بين عسكر العزيز وابن جراح وعزل قسام عن دمشق
٣	ذكر عدة حوادث
٤	(سنة احدى وسبعين وثلثمائة)
٤	ذكر عزل ابن سيمجور عن خراسان
٤	ذكر استيلاء عضد الدولة على جرجان
٤	ذكر مسير حسام الدولة وقابوس الى جرجان
٥	ذكر قتل الامير أبى القاسم أمير صقلية وهزيمة الفرنج
٥	ذكر عدة حوادث
٦	(سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة)
٦	ذكر ولاية بكجور دمشق
٦	ذكر وفاة عضد الدولة
٨	ذكر ولاية صمصام الدولة العراق وملك أخيه شرف الدولة بلاد فارس
٨	ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين
٩	ذكر عود ابن سيمجور الى خراسان
٩	ذكر عدة حوادث
٩	(سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة)
٩	ذكر موت مؤيد الدولة وعود فخر الدولة الى مملكته
٩	ذكر عزل أبى العباس عن خراسان وولاية ابن سيمجور
١٠	ذكر انهزام أبى العباس الى جرجان ووفاته
١٠	ذكر قتل أبى الفرج محمد بن عمران وملك أبى المعالى ابن أخيه الحسن
١١	ذكر استيلاء المظفر على البطيحة
١١	ذكر عصيان محمد بن غانم
١١	ذكر انتقال بعض صنهاجة من افريقية الى الاندلس وما فعلوه
١١	ذكر غزو ابن أبى عامر الى الفرنج بالاندلس
١٢	ذكر وفاة يوسف بلكين وولاية ابنه المنصور
١٢	ذكر أمر باذ الكردى خال بنى مروان وملكه الموصل
١٢	ذكر عدة حوادث
١٣	(سنة أربع وسبعين وثلثمائة)
١٣	ذكر عود الديلم الى الموصل وانهزام باذ
١٤	ذكر عدة حوادث
١٤	(سنة خمس وسبعين وثلثمائة)
١٤	ذكر الفتنة ببغداد
١٤	ذكر أخبار القرامطة
١٥	ذكر الافراج عن ورد الرومى وماصار أمره اليه ودخول الروس فى النصرانية
١٥	ذكر ملك شرف الدولة الاهواز
١٦	ذكر انهزام عساكر المنصور من صاحب سجلماسة
١٦	ذكر عدة حوادث
١٦	(سنة ست وسبعين وثلثمائة)
١٦	ذكر ملك شرف الدولة العراق وقبض صمصام الدولة
١٧	ذكر الفتنة بين الاتراك والديلم
١٧	ذكر ولاية مهذب الدولة البطيحة
١٧	ذكر عدة حوادث
١٨	(سنة سبع وسبعين وثلثمائة)
١٨	ذكر الحرب بين بدر بن حسنويه وعسكر شرف الدولة

صحيفة

١٨ ذكر مسير المنصور بن يوسف لحرب كتامة
١٩ ذكر معاودة باذ القتال
١٩ ذكر عدة حوادث
١٩ (سنة ثمان وسبعين وثلثمائة)
١٩ ذكر القبض على شكر الخادم
١٩ ذكر عزل بكجور عن دمشق
٣٠ ذكر ظفر الاصفر بالقرامطة
٣٠ ذكر نكتة حسنة
٣٠ ذكر عدة حوادث
٣١ (سنة تسع وسبعين وثلثمائة)
٣١ ذكر عمل صمصام الدولة
٣١ ذكر وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة
٣١ ذكر مسير الامير أبي علي بن شرف الدولة الى فارس وما كان منه مع صمصام الدولة
٣٢ ذكر الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم
٣٢ ذكر مسير فخر الدولة الى العراق وما كان منه
٣٢ ذكر هرب القادر بالله الى البطيحة
٣٣ ذكر عود بني حمدان الى الموصل
٣٣ ذكر خلاف كتامة على المنصور
٣٣ ذكر خلاف عم المنصور عليه
٣٤ ذكر عدة حوادث
٣٤ (سنة ثمانين وثلثمائة)
٣٤ ذكر قتل باذ
٣٤ ذكر ابتداء دولة بني مروان
٣٦ ذكر ملك آل المسيب الموصل
٣٦ ذكر مسير بهاء الدولة الى الاهواز وما كان منه ومن صمصام الدولة
٣٦ ذكر عدة حوادث
٣٧ (سنة احدى وثمانين وثلثمائة)
٣٧ ذكر القبض على الطائع لله
٣٧ ذكر خلافة القادر بالله

صحيفة

٣٨ ذكر ملك خلف بن أحمد كرمان
٣٩ ذكر عصيان بكجور على سعد الدولة بن حمدان وقتله
٣٠ ذكر وفاة سعد الدولة بن حمدان
٣١ ذكر عدة حوادث
٣٢ (سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة)
٣٢ ذكر عود الديلم الى الموصل
٣٢ ذكر تسليم الطائع الى القادر وما فعله
٣٢ ذكر عدة حوادث
٣٣ (سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة)
٣٣ ذكر خروج أولاد بختيار
٣٣ ذكر ملك صمصام الدولة خوزستان
٣٣ ذكر ملك الترك بخارا
٣٤ ذكر عود نوح الى بخارا وموت بغرا
٣٤ ذكر عدة حوادث
٣٥ (سنة أربع وثمانين وثلثمائة)
٣٥ ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان واجلاء أبي علي عنها
٣٥ ذكر عود الاهواز الى بهاء الدولة
٣٦ ذكر عدة حوادث
٣٦ (سنة خمس وثمانين وثلثمائة)
٣٦ ذكر عود أبي علي الى خراسان
٣٧ ذكر خلاص أبي علي وقتل خوارزم
٣٧ ذكر قبض أبي علي بن سيمجور ومو
٣٧ ذكر وفاة الصاحب بن عباد
٣٨ ذكر ايقاع صمصام الدولة بالاتراك
٣٨ ذكر وفاة خواشاذه
٣٨ ذكر عود عسكر صمصام الدولا الاهواز
٣٩ ذكر حادثة غريبة بالاندلس
٣٩ ذكر عدة حوادث
٤٠ (سنة ست وثمانين وثلثمائة)
٤٠ ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحا وما كان من الحروب الى ان استقر الأمر

صحيفة	
٤٢	ذكر استيلاء عسكر صمصام الدولة على البصرة
٤٣	ذكر ولاية المقلد الموصل
٤٤	ذكر وفاة المنصور بن يوسف وولاية ابنه باديس
٤٤	ذكر عدة حوادث
٤٤	(سنة سبع وثمانين وثلثمائة)
٤٤	ذكر موت الامير نوح بن منصور وولاية ابنه منصور
٤٥	ذكر موت سبكتكين وملك ولده اسمعيل
٤٥	ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك
٤٥	ذكر وفاة فخر الدولة بن بويه وملك ابنه مجد الدولة
٤٦	ذكر وفاة مأمون بن محمد وولاية ابنه على
٤٦	ذكر وفاة العلاء بن الحسن وما كان بعده
٤٦	ذكر القبض على علي بن المسيب وما كان بعد ذلك
٤٧	ذكر ملك جبرئيل دقوقا
٤٧	ذكر عدة حوادث
٤٧	(سنة ثمان وثمانين وثلثمائة)
٤٧	ذكر عود أبي القاسم السيمجوري الى نيسابور
٤٨	ذكر استيلاء محمود بن سبكتكين على نيسابور وعوده عنها
٤٨	ذكر عود قابوس الى جرجان
٤٩	ذكر مسير بهاء الدولة الى واسط وما كان منه
٤٩	ذكر قتل صمصام الدولة
٤٩	ذكر هرب ابن الوثاب
٥٠	ذكر عدة حوادث
٥٠	(سنة تسع وثمانين وثلثمائة)
٥٠	ذكر القبض على الامير منصور بن نوح

صحيفة	
	وملك أخيه عبد الملك
٥٠	ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان
٥١	ذكر انقراض دولة السامانية وملك الترك ما وراء النهر
٥٢	ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان
٥٠	ذكر مسير باديس الى زناتة
٥٢	ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها الى باديس
٥٤	ذكر عدة حوادث
٥٤	(سنة تسعين وثلثمائة)
٥٤	ذكر خروج اسمعيل بن نوح وما جرى له بخراسان
٥٥	ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان
٥٦	ذكر قتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها
٥٦	ذكر القبض على الموفق أبي علي بن اسمعيل
٥٦	ذكر عدة حوادث
٥٧	(سنة احدى وتسعين وثلثمائة)
٥٧	ذكر قتل المقلد وولاية ابنه قرواش
٥٧	ذكر البيعة لولي العهد
٥٧	ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها
٥٨	ذكر عدة حوادث
٥٨	(سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة)
٥٨	ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند
٥٩	ذكر غزوة اخرى الى الهند أيضا
٥٩	ذكر الحرب بين قرواش وعسكر بهاء الدولة
٥٩	(سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة)
٥٩	ذكر ملك يمين الدولة سجستان
٦٠	ذكر الحرب بين عميد الجيوش أبي علي وبين أبي جعفر الحجاج

صحيفة

٦٠ ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية
٦٠ ذكر وفاة الطائع لله
٦١ ذكر وفاة المنصور بن أبي عامر
٦١ ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه
٦١ ذكر عدة حوادث
٦٢ (سنة أربع وتسعين وثلثمائة)
٦٢ ذكر استيلاء أبي العباس على البطيحة
٦٣ ذكر عدة حوادث
٦٣ (سنة خمس وتسعين وثلثمائة)
٦٣ ذكر عود مهذب الدولة الى البطيحة
٦٤ ذكر غزوة بهاطية
٦٤ ذكر عدة حوادث
٦٤ (سنة ست وتسعين وثلثمائة)
٦٤ ذكر غزوة المولتان
٦٤ ذكر غزوة كواكير
٦٥ ذكر عبور عسكر ايلك الخان الى خراسان
٦٥ ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والاكراد
٦٥ ذكر عدة حوادث
٦٦ (سنة سبع وتسعين وثلثمائة)
٦٦ ذكر هزيمة ايلك الخان
٦٦ ذكر غزوه الى الهند
٦٦ ذكر حصر أبي جعفر الحجاج بغداد
٦٧ ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن
٦٧ ذكر قتل أبي العباس بن واصل
٦٧ ذكر مسير عميد الجيوش الى حرب بدر وصلحه معه
٦٨ ذكر الحرب بين قرواش وابي علي بن ثمال الخفاجي
٦٨ ذكر خروج أبي ركوة على الحاكم بمصر

صحيفة

٧٠ ذكر القبض على مجد الدولة وعوده الى ملكه
٧١ ذكر عدة حوادث
٧١ (سنة ثمان وتسعين وثلثمائة)
٧١ ذكر غزوه بهيم ثغر
٧١ ذكر حال أبي جعفر بن كاكويه
٧١ ذكر عدة حوادث
٧٢ (سنة تسع وتسعين وثلثمائة)
٧٢ ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس
٧٢ ذكر عدة حوادث
٧٣ (سنة أربعمائة)
٧٣ ذكر وقعة نارين بالهند
٧٣ ذكر الخلف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال
٧٤ ذكر عود المؤيد الى امارة الاندلس وما كان منه
٧٥ ذكر عدة حوادث
٧٦ (سنة احدى وأربعمائة)
٧٦ ذكر غزوة يمين الدولة بلاد الغور وغيرها
٧٦ ذكر الحرب بين ايلك الخان وبين أخيه
٧٦ ذكر الخطبة للمصريين العلويين بالكوفة والموصل
٧٧ ذكر الحرب بين بني مزيد وبني دبيس
٧٧ ذكر وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك العراق
٧٧ ذكر عدة حوادث
٧٨ (سنة اثنتين وأربعمائة)
٧٨ ذكر ملك يمين الدولة قصدار
٧٨ ذكر أسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك أولاده
٨١ ذكر قتل جماعة من خفاجة
٨١ ذكر القدح في نسب العلويين المصريين

صحيفة	
٨١	ذكر أخذ بني خفاجة الحجاج
٨٢	ذكر عدة حوادث
٨٢	(سنة ثلاث وأربعمائة)
٨٢	ذكر قتل قابوس
٨٢	ذكر موت ايلك الخان وولاية أخيه طغان خان
٨٣	ذكر وفاة بهاء الدولة وملك سلطان الدولة
٨٢	ذكر ولاية سليمان الاندلس الدولة الثانية
٨٣	ذكر عدة حوادث
٨٣	(سنة أربع وأربعمائة)
٨٣	ذكر فتح يمين الدولة ناردين
٨٤	ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى
٨٤	ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور
٨٤	ذكر عدة حوادث
٨٤	(سنة خمس وأربعمائة)
٨٤	ذكر غزوه تانيشر
٨٥	ذكر قتل بدر بن حسنويه واطلاق ابنه هلال وقتله
٨٥	ذكر الحرب بين علي بن مزيد وبين بني دبيس
٨٦	ذكر ملك شمس الدولة الري وعوده عنها
٨٦	ذكر عدة حوادث
٨٦	(سنة ست وأربعمائة)
٨٦	ذكر الفتنة بين باديس وعمه حماد
٨٧	ذكر وفاة باديس وولاية ابنه المعز
٨٩	ذكر غزوة محمود الى الهند
٨٩	ذكر قتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان
٨٩	ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر
٨٩	ذكر عدة حوادث
٩٠	(سنة سبع وأربعمائة)
٩٠	ذكر قتل خوارزمشاه وملك يمين الدولة

صحيفة	
	خوارزم وتسليمها الى التونتاش
٩١	ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما
٩٢	ذكر حال ابن فولاذ
٩٢	ذكر ابتداء الدولة العلوية بالاندلس وقتل سليمان
٩٣	ذكر ظهور عبد الرحمن الاموي
٩٣	ذكر قتل علي بن حمود العلوي
٩٤	ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوي بقرطبة
٩٤	ذكر دولة يحيى بن علي بن حمود وما كان منه ومن عمه
٩٥	ذكر عود بني أمية الى قرطبة وولاية المستظهر
٩٥	ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن
٩٥	ذكر عود يحيى العلوي الى قرطبة وقتله
٩٦	ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم وقتل ابن عمار
٩٧	ذكر ولاية هشام الاموي قرطبة
٩٨	ذكر تفرق ممالك الاندلس
١٠١	ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس
١٠٢	ذكر قتل الشيعة بافريقية
١٠٢	ذكر عدة حوادث
١٠٢	(سنة ثمان وأربعمائة)
١٠٢	ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان
١٠٢	ذكر ملك أخيه ارسلان خان
١٠٣	ذكر ملك طغفاج خان وولده
١٠٤	ذكر كاشغر وتركستان
١٠٤	ذكر وفاة مهذب الدولة وحال البطيحة بعده
١٠٥	ذكر وفاة علي بن مزيد وامارة ابنه دبيس

صحيفة

١٠٥ ذكر عدة حوادث
١٠٦ (سنة تسع وأربعمائة)
١٠٦ ذكر ولاية ابن سهلان العراق
١٠٦ ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية
١٠٧ ذكر عدة حوادث
١٠٨ (سنة عشرة وأربعمائة)
١٠٨ (سنة احدى عشر وأربعمائة)
١٠٨ ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر
١٠٩ ذكر ملك مشرف الدولة العراق
١١٠ ذكر ولاية الظاهر لاعزاز دين الله
١١٠ ذكر الفتنة بين الاتراك والاكراد بهمذان
١١١ ذكر القبض على أبي القاسم المغربي وابن فهد
١١١ ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن معن
١١١ ذكر عدة حوادث
١١١ (سنة اثنتي عشرة وأربعمائة)
١١١ ذكر الخطبة لمشرف الدولة ببغداد وقتل وزيره أبي غالب
١١٢ ذكر وفاة صدقة صاحب المطيرة
١١٢ ذكر عده حوادث
١١٣ (سنة ثلاث عشرة وأربعمائة)
١١٣ ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرف الدولة
١١٣ ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه
١١٣ ذكر عدة حوادث
١١٤ (سنة أربع عشرة وأربعمائة)
١١٤ ذكر استيلاء علاء الدولة على همذان
١١٤ ذكر وزارة أبي القاسم المغربي لمشرف الدولة
١١٤ ذكر الفتنة بمكة

صحيفة

١١٥ ذكر فتح قلعة من الهند
١١٥ ذكر عدة حوادث
١١٥ (سنة خمس عشرة وأربعمائة)
١١٥ ذكر الخلف بين مشرف الدولة والاتراك وعزل الوزير المغربي
١١٥ ذكر الفتنة بالكوفة ووزارة أبي القاسم المغربي لابن مروان
١١٦ ذكر وفاة سلطان الدولة وملك ولده أبي كاليجار وقتل ابن مكرم
١١٦ ذكر عود أبي الفوارس الى فارس واخراجه عنها
١١٧ ذكر خروج زناتة والظفر بهم
١١٧ ذكر عود الحجاج على الشام وما كان من الظاهر اليهم
١١٧ ذكر عدة حوادث
١١٨ (سنة ست عشرة وأربعمائة)
١١٨ ذكر فتح سومنات
١١٩ ذكر وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة
١٢٠ ذكر ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرها
١٢٠ ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية
١٢٠ ذكر عدة حوادث
١٢١ (سنة سبع عشرة وأربعمائة)
١٢١ ذكر الحرب بين عسكر علاء الدولة والجوزقان
١٢١ ذكر الحرب بين قرواش وبني أسد وخماجة
١٢٢ ذكر الفتنة ببغداد وطمع الاتراك والعيارين
١٢٢ ذكر اصعاد الاتير الى الموصل والحرب الواقعة بين بني عقيل
١٢٢ ذكر احراق خفاجة الانبار وطاعتهم

صحيفة	
	لابى كاليجار
١٢٢	ذكر الصلح بافريقية بين كتامة وزناتة وبين المعز بن باديس
١٢٣	ذكر وفاة حماد بن المنصور وولاية ابنه القائد
١٢٣	ذكر عدة حوادث
١٢٣	(سنة ثمان عشرة وأربعمائة)
١٢٣	ذكر الحرب بين علاء الدولة واصبهبد ومن معه وما تبع ذلك من الفتن
١٢٤	ذكر عصيان البطيحة على أبى كاليجار
١٢٤	ذكر صلح أبى كاليجار مع عمه صاحب كرمان
١٢٤	ذكر الخطبة لجلال الدولة ببغداد واصعاده اليها
١٢٥	ذكر وفاة أبى القاسم بن المغربى وأبى الخطاب
١٢٥	ذكر عدة حوادث
١٢٦	(سنة تسع عشرة وأربعمائة)
١٢٦	ذكر الحرب بين بدران وعسكر نصير الدولة
١٢٦	ذكر شغب الاتراك ببغداد على جلال الدولة
١٢٧	ذكر الاختلاف بين الديلم والاتراك بالبصرة
١٢٧	ذكر استيلاء أبى كاليجار على البصرة
١٢٧	ذكر وفاة صاحب كرمان واستيلاء أبى كاليجار عليها
١٢٧	ذكر استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الدبيسية
١٢٨	ذكر عدة حوادث
١٢٨	(سنة عشرين وأربعمائة)
١٢٨	ذكر ملك عين الدولة الرى وبلد الجبل
١٢٩	ذكر ما فعله السالار ابراهيم بن المرزبان

صحيفة	
	بعد عود عين الدولة عن الرى
١٢٩	ذكر ملك أبى كاليجار مدينة واسط ومسير جلال الدولة الى الاهواز وتهبها وعود واسط اليه
١٣٠	ذكر حال دبيس بن مزيد بعد الهزيمة
١٣٠	ذكر عصيان زناتة ومحاربتهم بافريقية
١٣٠	ذكر ما فعله عين الدولة وولده بعده بالغز
١٣٢	ذكر وصول علاء الدولة الى الرى واتفاقه مع الغز وعودهم الى الخلاف عليه
١٣٢	ذكر ما كان من الغز الذين باذربيجان ومفارقتها
١٣٣	ذكر ملك الغز هذان
١٣٣	ذكر قتل الغز بمدينة تبريز وفراقهم اذربيجان الى الهكارية
١٣٤	ذكر دخول الغز ديار بكر
١٣٤	ذكر ملك الغز مدينة الموصل
١٣٤	ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم
١٣٥	ذكر ظفر قراوش صاحب الموصل بالغز
١٣٦	ذكر عدة حوادث
١٣٧	(سنة احدى وعشرين وأربعمائة)
١٣٧	ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين هذان
١٣٧	ذكر غزوه للمسلمين الى الهند
١٣٧	ذكر ملك بدران بن المقلد نصيبين
١٣٧	ذكر ملك أبى الشوك دقوقا
١٣٨	ذكر وفاة عين الدولة محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد
١٣٨	ذكر ملك مسعود وخلع محمد
١٣٩	ذكر بعض سيرة عين الدولة
١٣٩	ذكر عود علاء الدولة الى اصبهان وغيرها وما كان منه

صحيفة

١٤٠ ذكر الحرب بين عسكر جلال الدولة وأبي كاليجار
١٤٠ ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن صمغن
١٤٠ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزامه
١٤١ ذكر مسير أبي علي بن ماكولا الى البصرة وقتله
١٤١ ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم
١٤٢ ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه
١٤٣ ذكر البيعة لولي العهد
١٤٣ ذكر عدة حوادث
١٤٣ (سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة)
١٤٣ ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين التبز ومكران
١٤٣ ذكر ملك الروم مدينة الرها
١٤٣ ذكر ملك مسعود بن محمود كرمان وعود عسكره عنها
١٤٣ ذكر وفاة القادر بالله وشيء من سيرته
١٤٤ ذكر خلافة القائم بأمر الله
١٤٥ ذكر الفتنة ببغداد
١٤٥ ذكر ملك الروم قلعة اقامية
١٤٥ ذكر الوحشة بين بارسطغان وجلال الدولة
١٤٦ ذكر عدة حوادث
١٤٦ (سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة)
١٤٦ ذكر وثوب الاجناد بجلال الدولة واخراجه من بغداد
١٤٧ ذكر انهزام علاء الدولة بن كاكويه من عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين

صحيفة

١٤٧ ذكر عدة حوادث
١٤٨ (سنة أربع وعشرين وأربعمائة)
١٤٨ ذكر عود مسعود الى غزنة والعتب بالري وبلد الجبل
١٤٨ ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله
١٤٨ ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته
١٤٩ ذكر اخراج جلال الدولة من دار المملكة واعادته اليها
١٤٩ ذكر عدة حوادث
١٤٩ (سنة خمس وعشرين وأربعمائة)
١٥٠ ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلد الهند
١٥٠ ذكر حصر قلعة بالهند أيضا
١٥٠ ذكر الفتنة بنيسابور
١٥٠ ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان
١٥١ ذكر الحرب بين نور الدولة دبيس وأخيه ثابت
١٥١ ذكر ملك الروم قلعة بركوي
١٥١ ذكر عدة حوادث
١٥٢ (سنة ست وعشرين وأربعمائة)
١٥٢ ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد
١٥٢ ذكر اظهار أحمد ينال التكين العصيان وقتله
١٥٣ ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان
١٥٣ ذكر مسير ابن وثاب والروم الى بلد ابن مروان
١٥٣ ذكر عدة حوادث
١٥٤ (سنة سبع وعشرين وأربعمائة)
١٥٤ ذكر وثوب الجند بجلال الدولة
١٥٤ ذكر الحرب بين أبي سهل الحمدوني وعلاء الدولة

صحيفة	
١٥٤	ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر
١٥٥	ذكر فتح السويداء وربضها
١٥٥	ذكر غدر السناسنة وأخذ الحاج واعادة ما أخذوه
١٥٥	ذكر الحرب بين المعز وزناتة
١٥٥	ذكر عدة حوادث
١٥٦	(سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)
١٥٦	ذكر الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان
١٥٧	ذكر الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار والمصاهرة بينهما
١٥٧	ذكر عدة حوادث
١٥٧	(سنة تسع وعشرين وأربعمائة)
١٥٧	ذكر محاصرة الايخاز تغليس وعودهم عنها
١٥٧	ذكر مافعله طغرلبك بخراسان
١٥٨	ذكر مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك
١٥٨	ذكر عدة حوادث
١٥٩	(سنة ثلاثين وأربعمائة)
١٥٩	ذكر وصول الملك مسعود من غزنة الى خراسان واجلاء السلجقية عنها
١٦٠	ذكر ملك أبي الشوك مدينة خوانجان
١٦٠	ذكر الخطبة العباسية بحران والرقة
١٦٠	ذكر عدة حوادث
١٦٠	(سنة احدى وثلاثين وأربعمائة)
١٦١	ذكر ملك الملك أبي كاليجار البصرة
١٦١	ذكر ما جرى بعمان بعد موت أبي القاسم ابن مكرم
١٦٢	ذكر الحرب بين أبي الفتح بن أبي الشوك وبين عمه مهلهل
١٦٢	ذكر شغب الاتراك على جلال الدولة ببغداد
١٦٢	ذكر عدة حوادث
١٦٢	(سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة)

صحيفة	
١٦٢	ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة
١٦٧	ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد
١٦٨	ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمدا
١٦٩	ذكر الخلاف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل
١٦٩	ذكر ملك أبي الشوك دقوقا
١٧٠	ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم
١٧٠	ذكر الخلاف بين المعز وبني حماد
١٧٠	ذكر صلح أبي الشوك وعلاء الدولة
١٧٠	ذكر عدة حوادث
١٧٠	(سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة)
١٧١	ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكويه
١٧١	ذكر ملك طغرلبك جرجان وطبرستان
١٧١	ذكر أحوال ملوك الروم
١٧٣	ذكر فساد حال الدزبري بالشام وما صار الامر اليه بالبلاد
١٧٣	ذكر عدة حوادث
١٧٤	(سنة أربع وثلاثين وأربعمائة)
١٧٤	ذكر ملك طغرلبك مدينة خوارزم
١٧٥	ذكر قصد ابراهيم ينال همذان وما كان منه
١٧٥	ذكر خروج طغرلبك الى الري وملك بلد الجبل
١٧٦	ذكر مسير عساكر طغرلبك الى كرمان
١٧٧	ذكر الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة
١٧٧	ذكر محاصرة شهرزور وغيرها
١٧٧	ذكر خروج سكين بمصر
١٧٧	ذكر عدة حوادث
١٧٧	(سنة خمس وثلاثين وأربعمائة)
١٧٧	ذكر اخراج المسلمين والنصارى الى من القسطنطينية

صحيفة
١٧٨ ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار
١٧٨ ذكر حال أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين
١٧٩ ذكر ملك مودود عدة حصون من بلد الهند
١٧٩ ذكر الخلف بين الملك أبي كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة
١٧٩ ذكر اخبار الترك بما وراء النهر
١٨٠ ذكر اخبار الروم والقسطنطينية
١٨٠ ذكر طاعة المعز بافريقية للقائم بأمر الله
١٨٠ ذكر عدة حوادث
١٨٠ (سنة ست وثلاثين وأربعمائة)
١٨٠ ذكر قتل الاسماعيلية بما وراء النهر
١٨١ ذكر الخطبة للملك أبي كاليجار واصعاده الى بغداد
١٨١ ذكر عدة حوادث
١٨٢ (سنة سبع وثلاثين وأربعمائة)
١٨٢ ذكر وصول ابراهيم ينال الى همذان وبلد الجبل
١٨٢ ذكر عدة حوادث
١٨٣ (سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة)
١٨٣ ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور
١٨٣ ذكر اتصال سعدى بن أبي الشوك بابراهيم ينال وما كان منه
١٨٤ ذكر حصار طغرلبك اصبهان
١٨٤ ذكر عدة حوادث
١٨٤ (سنة تسع وثلاثين وأربعمائة)
١٨٤ ذكر صلح الملك أبي كاليجار والسلطان طغرلبك
١٨٤ ذكر القبض على سرخاب أخي أبي الشوك
١٨٥ ذكر ملك ابراهيم ينال قلعة كنكور وغيرها
١٨٦ ذكر استيلاء أبي كاليجار على البطيحة
١٨٦ ذكر ظهور الاصفر وأسره

صحيفة
١٨٦ ذكر عدة حوادث
١٨٧ (سنة أربعين وأربعمائة)
١٨٧ ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل الى شهرزور
١٨٨ ذكر غزو ابراهيم ينال الروم
١٨٨ ذكر موت الملك أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم
١٨٩ ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب
١٨٩ ذكر الخلف بين قرواش والاكراد الحميدية والهذبانية
١٨٩ ذكر عدة حوادث
١٩٠ (سنة احدى وأربعين وأربعمائة)
١٩٠ ذكر ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبي كامل وصلحهما
١٩١ ذكر مسير الملك الرحيم الى شيراز وعوده عنها
١٩١ ذكر الحرب بين البساسيري وعفيل
١٩٢ ذكر الوحشة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال
١٩٢ ذكر الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط
١٩٢ ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبد الرشيد
١٩٣ ذكر استيلاء البساسيري على الانبار
١٩٣ ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس
١٩٣ ذكر عدة حوادث
١٩٤ (سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة)
١٩٤ ذكر ملك طغرلبك اصبهان
١٩٤ ذكر عود عساكر فارس من الاهواز وعود الرحيم اليها
١٩٤ ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش

صحيفة	
١٩٥	ذكر استيلاء الغز على مدينة فسا
١٩٥	ذكر استيلاء الخوارج على عمان
١٩٥	ذكر دخول العرب الى افريقية
١٩٧	ذكر عدة حوادث
١٩٧	(سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة)
١٩٧	ذكر نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز
١٩٨	ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز
١٩٨	ذكر انهزام الملك الرحيم بالاهواز
١٩٩	ذكر الفتنة بين العامة ببغداد واحراق المشهد على ساكنيه السلام
٢٠٠	ذكر عصيان بني قرة على المستنصر بالله بمصر
٢٠٠	ذكر وفاة زعيم الدولة وامارة قريش بن بدران
٢٠٠	ذكر عدة حوادث
٢٠١	(سنة أربع وأربعين وأربعمائة)
٢٠١	ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخزاد
٢٠٢	ذكر وصول الغز الى فارس وانهزامهم عنها
٢٠٢	ذكر الحرب بين قريش وأخيه المقلد
٢٠٣	ذكر وفاة قرواش
٢٠٣	ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة
٢٠٤	ذكر ورود سعدى العراق
٢٠٤	ذكر عدة حوادث
٢٠٥	(سنة خمس وأربعين وأربعمائة)
٢٠٥	ذكر الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد
٢٠٥	ذكر استيلاء الملك الرحيم على ارجان ونواحيها
٢٠٥	ذكر مرض السلطان طغرلبك
٢٠٦	ذكر عود سعدى بن أبي الشوك الى طاعة الرحيم
٢٠٦	ذكر عود الأمير أبي منصور الى شيراز

صحيفة	
٢٠٦	ذكر ايقاع البساسيري بالاكراد والاعراب
٢٠٦	ذكر عدة حوادث
٢٠٧	(سنة ست وأربعين وأربعمائة)
٢٠٧	ذكر فتنة الاتراك ببغداد
٢٠٧	ذكر استيلاء طغرلبك على اذربيجان وغزو الروم
٢٠٧	ذكر محاربة بني خفاجة وهزيمتهم
٢٠٨	ذكر استيلاء قريش بن بدران على الانبار والخطبة لطغرلبك باعماله
٢٠٨	ذكر وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده
٢٠٨	ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيري والخليفة
٢٠٩	ذكر وصول الغز الى الدسكرة وغيرها
٢٠٩	ذكر عدة حوادث
٢١٠	(سنة سبع وأربعين وأربعمائة)
٢١٠	ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طغرلبك فيها
٢١٠	ذكر قتل أبي حرب بن مروان صاحب الجزيرة
٢١١	ذكر وثوب الاتراك ببغداد بأهل البساسيري والقبض عليه ونهب دوره واملاكه وتأكد الوحشة بينه وبين رئيس الرؤساء
٢١١	ذكر وصول طغرلبك الى بغداد والخطبة له بها
٢١٢	ذكر وثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم
٢١٣	ذكر عدة حوادث
٢١٤	(سنة ثمان وأربعين وأربعمائة)
٢١٤	ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخي طغرلبك
٢١٤	ذكر الحرب بين عبيد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم

صحيفه	
٢١٥	ذكر ابتداء الدولة الملثمين
٢١٦	ذكر ولاية يوسف بن تاشفين
٢١٧	ذكر تبييض أبي الغنائم بن المحلبان
٢١٧	ذكر الوقعة بين البساسيري وقريش
٢١٨	ذكر مسير السلطان طغرلبك الى الموصل
٢١٩	ذكر عود نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران الى طاعة طغرلبك
٢١٩	ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار
٢٢٠	ذكر عدة حوادث
٢٢٠	(سنة تسع وأربعين وأربعمائة)
٢٢٠	ذكر عود السلطان طغرلبك الى بغداد
٢٢١	ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ
٢٢١	ذكر القبض على الوزير اليازوري بمصر
٢٢٢	ذكر عدة حوادث
٢٢٢	(سنة خمسين وأربعمائة)
٢٢٢	ذكر مفارقة ابراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيري عليها وأخذها منه
٢٢٣	ذكر الخطبة بالعراق للعلوي المصري وما كان الى قتل البساسيري
٢٢٦	ذكر عود الخليفة الى بغداد
٢٢٨	ذكر قتل البساسيري
٢٢٩	ذكر عدة حوادث

فهرسة كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام المسعودي الذي بالهامش

صحيفة	
٢	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه
٥٥	ذكر خلافة المعتصم
٥٦	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه
٧٨	ذكر خلافة الواثق
٧٩	ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه
١٠٢	ذكر خلافة المتوكل على الله
١٠٣	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه
١٥٧	ذكر خلافة المنتصر بالله
١٥٨	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه
١٧٥	ذكر خلافة المستعين بالله
١٧٥	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه
٢٠٠	ذكر خلافة المعتز بالله
٢٠١	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه
٢١٦	ذكر خلافة المهتدي بالله
٢١٧	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

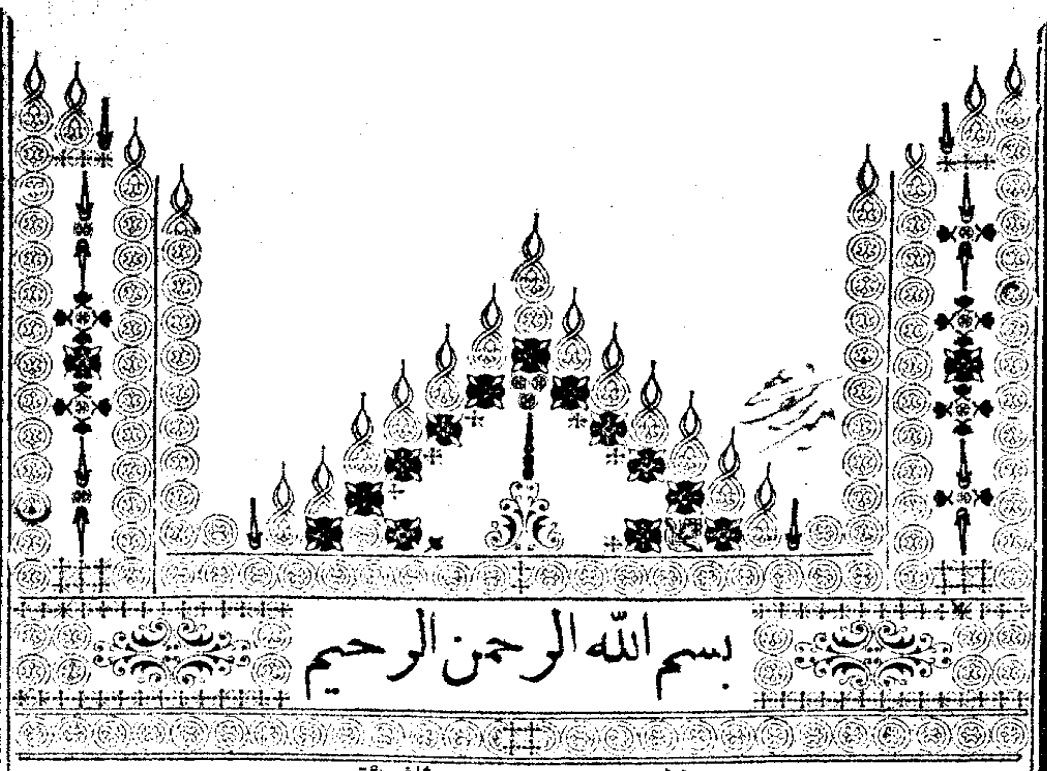

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

وغلب على المأمون الفضل ابن سهل حتى ضايقه في جارية أراد شراءها فقتله وادعى قوم ان المأمون دس عليه من قتله ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك منهم احمد بن خالد الاحول وعمرو بن مسعدة وأبو عبادة وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين فعرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره وغلب على المأمون آخرا الفضل بن مروان ومحمد بن يزداذ في خلافته قبض علي بن موسى الرضا سموما بطوس ودفن هنالك وهجا المأمون ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة عمه وكان المأمون يظهر التشيع وابن شكلة التسنن فقال المأمون

اذا المرجئي سرك ان تراه
يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكري علي
وصل على النبي وآل بيته

فاجابه ابراهيم راد عليه اذا الشيعي جمجم في مقال
فسرك أن يبوح بذات نفسه
فصل على النبي وصاحبيه
وزيريه وجاريه برمسه

﴿ثم دخلت سنة سبعين ومائتين﴾

﴿ذكر اقطاع مؤيد الدولة همذان﴾

في هذه السنة أرسل الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد الى عضد الدولة بهمذان رسولا من عند أخيه مؤيد الدولة يبذل له الطاعة والموافقة فالتقاه عضد الدولة بنفسه واكرمه واقطع أخاه مؤيد الدولة همذان وغيرها وأقام عند عضد الدولة الى ان عاد الى بغداد فرده الى مؤيد الدولة فاقطعه اقطاعا كثيرة وسير معه عسكرا يكون عند مؤيد الدولة في خدمته

﴿ذكر قتل أولاد حسنويه سوى بدر﴾

لما خلع عضد الدولة على بدر وأخويه عاصم وعبد الملك وفضل بدرا عليهما وولاه الاكراد حسده أخواه فشقا العصا وخرجا عن الطاعة واستمال عاصم جماعة الاكراد المخالفين فاجتمعوا عليه فسير اليه عضد الدولة عسكرا فأوقعوا بعاصم ومن معه فانهزموا وأسر عاصم وأدخل همذان على جمل ولم يعرف له خبر بعد ذلك اليوم وقتل أولاد حسنويه الا بدرا فانه ترك على حاله وأقر على عمله وكان عاقلا لبيبا حازما كريما حليما وسيرد من أخباره ما يعلم به ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملك عضد الدولة قلعة سندة وغيرها﴾

وفيها استولى عضد الدولة على قلاع أبي عبد الله المرزباني بنواحي الجبل وكان منزله بسندة وله فيها مساكن نفيسة وكان قديم البيت فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم فبقوا كذلك الى ان اطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد واستخدم ابنه أبا طاهر واستكتبه وكان حسن الخط واللفظ

﴿ذكر الحرب بين عسكر العزيز وابن جراح وعزل قسام عن دمشق﴾

في هذه السنة سيرت العساكر من مصر لقتال المفرج بن جراح وسبب ذلك أن ابن جراح عظم شأنه بأرض فلسطين وكثر جمعه وقويت شوكته وبالغ هو في العيث والفساد وتخريب البلاد فجهز العزيز بالله العساكر وسيرها وجعل عليها القائد بلتكين التركي فسار الى الرملة واجتمع اليه من

العرب من قيس وغيرها جمع كثير وكان مع ابن جراح جمع يرمون بالنشاب ويقاتلون قتال الترك فالتقوا ونشبت الحرب بينهما وجعل يلتكين كمينا فخرج على عسكر ابن جراح من وراء ظهورهم عند اشتداد الحرب فانهزموا وأخذتهم سيوف المضريين ومضى ابن جراح منهزما الى انطاكية فاستجار بصاحبها فاجاره وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية فى عساكر عظيمة يريد بلاد الاسلام فخاف ابن جراح وكاتب بكجور بحمص والتجأ اليه وأما عسكر مصر فانهم نازلوا دمشق مخادعين لقسام لم يظهروا له الا انهم جاؤا لاصلاح البلد وكف الايدى المتطرقة الى الاذى وكان القائد أبو محمود قد مات سنة سبعين وهو والى البلد ولا حكم له وانما الحكم لقسام فلما مات قام بعده فى الولاية جيش بن الصمصامة وهو ابن أخت أبى محمود فخرج الى يلتكين وهو يظن انه يريد اصلاح البلد فأمره ان يخرج هو ومن معه وينزلوا بظاهر البلد ففعلوا وحذر قسام وأمر من معه بمباشرة الحرب فقاتلوا وادفعات عدة فقوى عسكر يلتكين ودخلوا أطراف البلد وملكوا الثغور وأحرقوا ونهبوا فاجتمع مشايخ البلد عند قسام وكلموه فى ان يخرجوا الى يلتكين ويأخذوا أمانا لهم وله فانخذل وذل وخضع بعد تجبره وتكبره وقال افعلوا ما شئتم وعاد أصحاب قسام اليه فوجدوه خائفا ملقيا بيده فاخذ كل لنفسه وخرج شيوخ البلد الى يلتكين فطلبوا منه الامان لهم ولقسام فأجابهم اليه وقال أريد أن تسلم البلد اليوم فقالوا افعل ما تؤمر فأرسل واليا يقال له ابن خطلخ ومعه خيل ورجل وكان مبدأ هذه الحرب والحصر فى المحرم سنة سبعين لعشر بقين منه والدخول الى البلد لثلاث بقين منه ولم يعرض لقسام ولا لاحد من أصحابه وأقام قسام فى البلد يومين ثم استتر وأخذ كل ما فى داره وما حولها من دور أصحابه وغيرهم ثم خرج الى الخيام فقصد حاجب يلتكين وعرفه نفسه وأخذه وحمله الى يلتكين فحمله يلتكين الى مصر فاطلقه العزيز واستراح الناس من تحكمه عليهم وغلبه بمن تبعه من الاحداث من أهل العيث والفساد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها توفى على بن محمد الاحدب المزور وكان يكتب على خط كل واحد فلا يشك المكتوب عنه انه خطه وكان عضد الدولة اذا أراد الايقاع بين الملوك أمره أن يكتب على خط بعضهم اليه فى الموافقة على من يريد فساد الحال بينهما ثم يتوصل ليصل المكتوب اليه فيفسد الحال وكان هذا الاحدب ربما اختفت يده لهذا السبب وفيها زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألوف وغرق كثير من العلات وتمردت الصراه وخربت قناطرها العتيقة والجديدة وأشفى أهل الجانب الغربى من بغداد على الغرق وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت وفيها زفت ابنة عضد الدولة الى الخليفة الطائع ومعها من الجواهر شئ لا يحصى وفيها ورد على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن فيها قطعة واحدة من عنبر وزنها ستة وخمسون رطلا وجيء بالناس أبو الفتح أحمد ابن عمر بن يحيى العلوى وخطب بمكة والمدينة للعزيز بالله صاحب مصر العلوى وفيها توفى أبو بكر أحمد بن على الرازى امام الفقهاء الحنفية فى زمانه وطلب ليلى قضاء القضاة فامتنع وهو من أصحاب الكرخى وفيها توفى الزبير بن عبد الواحد بن موسى أبو يعلى البغدادى سمع البغوى وابن صاعد وسافر الى أصبهان وخراسان واذربيجان وغيرها وسمع فيها الكثير وتوفى بالموصل هذه السنة ومحمد بن جعفر بن الحسين بن محمد أبو بكر المفيد المعروف بغندر توفى بغزاة بخارا وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس وأبو محمد على بن الحسن الاصبهانى والحسن بن بشر الآمدى وفيها توفى القائد أبو محمود ابراهيم بن جعفر والى دمشق للعزيز وقام بعده جيش بن الصمصامة

ابراهيم بن المهدى وغنى

أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى على المأمون فقال له يا قاسم ما أحسن أبياتك فى صفة الحرب ولذاذتك بها وزهدك فى المغنيات قال يا أمير المؤمنين أى أبيات هى قال قولك

لسل السيوف ونقض التراب وضرب القلل

قال ثم ماذا يا قاسم قال ولبس الجحاجة والخاوقات تريك المنايا بروس القلل

وقد كشفت عن سناها هبالك

كأن عليهم شروق الطفل خروس نطوق اذا استنطقت

جهول يطيش على من جهل

اذا خطبت أخذت مهرها

وزير السماط بين القلل

الذ وأشهى من المسمعات وشرب المدامة فى يوم طل انا ابن الحمام وترب الصفاح وترب المنون وترب الاجل

ثم قال يا أمير المؤمنين هذه لذتى مع أعدائك وفوتى مع أوليائك ويدى معك وان استلذ مستلذ شيأ من يد المعاقرة ملت الى المقادمة والمحاربة قال يا قاسم اذا كان هذا النمط من الاشعار شأنك واللذة لذتك فما ذا تركت للوسنان فما خفت واظهرت له من قليل ما ستر قال يا أمير المؤمنين وأى أشعارى قال حيث تقول

أيها الراقد المؤرق عيني ... نم هنيئا لك الرقاد اللذيذ ... علم الله ان قلبي مما * قد جنت وجنتاك فيه وقيذ

قال يا أمير المؤمنين سهرة بعد سهرة غلبت وذلك متقدم وهذا ظن متأخر قال يا قاسم ما أحسن ما قال صاحب هذين البيتين

أدم لك الايام في ذات بيننا ... وما الليالي في الذي بيننا عذر

اذا لم يكن بين المحبين زورة ... سوى ذكر شئ قد مضى درس الذكر

فقال أبو دلف ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين هذا السيد الهاشمي والملك العباسي قال وكيف أدتك الفطنة ولم تداخلك الظنة حتى تحققت اني صاحبهما ولم يدخلك الشك فيهما قال يا أمير المؤمنين انما الشعر بساط صوف فمن خلط الشعر بنقي الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ونارضوه عند التأليف وكان المأمون يقول يغتفر كل شئ الا القدح في الملك وافشاء السر والتعريض للحرم وقال المأمون آخر الحرب ما استطعت فان لم تجد منها بدا فاجعلها في آخر النهار وذكر انه من كلام أنوشروان وكان المأمون يقول أعيت الحيلة في الامر اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر أن يقبل ولما تأتى الملك للمأمون قال هذا جسيم لولا أنه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا أنه غرور وهذا يوم لو كان يوثق بعده وكان المأمون يقول البشر منظر مونق وخلق مشرق بالخير

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عزل ابن سيمجور عن خراسان﴾

في هذه السنة عزل أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان واستعمل عوضه حسام الدولة أبو العباس تاش وكان سبب ذلك ان الامير نوح بن منصور لما ملك خراسان وما وراء النهر وهو صبي استوزر أبا الحسين العتبي فقام في حفظ الدولة القيام المرضي وكان محمد ابن سيمجور قد استوطن خراسان وطالت أيامه فيها فلا يطيع الا فيما يريد فعزله أبو الحسين العتبي عنها واستعمل مكانه حسام الدولة أبا العباس تاش وسيره من بخارا الى نيسابور في هذه السنة فاستقر بها ودبر خراسان ونظر في أمورها واطاعه جندها

﴿ذكر استيلاء عضد الدولة على جرجان﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان وأجلى عنها صاحبها قابوس بن وشمكير وسبب ذلك ان عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة انهزم فخر الدولة فلحق بقابوس كما ذكرناه وبلغ ذلك عضد الدولة فأرسل الى قابوس يبذل له الرغائب من البلاد والاموال والعهود وغير ذلك ليسلم اليه أخاه فخر الدولة فامتنع قابوس من ذلك ولم يجب اليه فجهز عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة وسيره ومعه العساكر والاموال والعدد الى جرجان وبلغ الخبر قابوس فسار اليه فلقيه بنواحي استراباد فاقتتلوا من بكرة الى الظهر فانهزم قابوس وأصحابه في جمادى الاولى وقصد قابوس بعض قلاعه التي فيها دخائره وأمواله فأخذ ما أراد وسار نحو نيسابور فلما وردها لحق به فخر الدولة وانضم اليهما من تفرق من أصحابهما وكان وصولهم اليها عند ولاية حسام الدولة أبي العباس تاش خراسان فكتب حسام الدولة الى الامير أبي القاسم نوح بن منصور يعرفه خبر وصولهما وكتبا أيضا الى نوح يعرفانه حالهما ويستنصرانه على مؤيد الدولة فوردت كتب نوح على حسام الدولة يأمره باجلال محلهما واكرامهما وجمع العساكر والمسير معهما واعادتهما الى ملكهما وكتب وزيره أبو الحسين بذلك أيضا

﴿ذكر مسير حسام الدولة وقابوس الى جرجان﴾

فلما وردت الكتب من الامير نوح على حسام الدولة بالمسير بعساكر خراسان جميعها مع فخر الدولة وقابوس جمع العساكر وحشد فاجتمع بنيسابور عساكر سدت الفضاء وسار نحو جرجان فنازلوها وحصروها وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير الا انهم لا يقاربون عساكر خراسان فحصرهم حسام الدولة شهرين يغاديهم القتال ويراوحهم وضاقت الميرة على أهل جرجان حتى كانوا يأكلون نخالة الشعير مجونة بالطين فلما اشتد عليهم الامر خرجوا من جرجان في شهر رمضان على عزم صدق القتال اما لهم واما عليهم فلما رآهم أهل خراسان ظنوها كما تقدم من الدفعات يكون قتال ثم تحاجز فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فرأوا الامر خلاف ما ظنوه وكان مؤيد الدولة قد كاتب بعض قواد خراسان يسمى فائق الخاصة واطمعه ورغبه فأجابه الى الانهزام عند اللقاء وسير من أخبار فائق هذا ما يعرف به محله من الدولة فلما خرج مؤيد الدولة هذا اليوم حمل عسكره على فائق وأصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعه الناس وثبت فخر الدولة وحسام الدولة في القلب واشتد القتال الى آخر النهار فلما رأوا تلاحق الناس في الهزيمة لحقوا بهم وغنم أصحاب مؤيد الدولة منهم ما لا يعلم الا الله تعالى وأخذوا من الاقوات شيأ كثيرا وعاد حسام الدولة وفخر الدولة وقابوس الى نيسابور وكتبوا الى بخارا

بالخبر فأتاهم الجواب بمنعهم ويعدهم بانفاذ العساكر والعود الى جرجان والرى وأمر الامير نوح سائر العساكر بالمسير الى نيسابور فأتوها من كل حدب ينسلون فاجتمع بظاهر نيسابور من العساكر أكثر من المرة الاولى وحسام الدولة ينتظر تلاحق الامداد ليسيرهم فأتاهم الخبر بقتل الوزير أبى الحسين العتبى فتفرق ذلك الجمع وبطل ذلك التدبير وكان سبب قتله ان أبا الحسن بن سيجور وضع جماعة من المماليك على قتله فوثبوا به فقتلوه فلما قتل كتب الرضى نوح بن منصور الى حسام الدولة يستدعيه الى بخارا ليدبر دولته ويجمع ما انتشر منها بقتل أبى الحسين فسار عن نيسابور اليها وقتل من ظفر به من قتلة أبى الحسين وكان قتله سنة اثنتين وسبعين

﴿ ذكر قتل الامير أبى القاسم أمير صقلية وهزيمة الفرنج ﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار الامير أبو القاسم أمير صقلية من المدينة يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له بردويل خرج فى جموع كثيرة من الفرنج الى صقلية فحصر قلعة مالطة وملكها وأصاب سبايا كثيرة للمسلمين فسار الامير أبو القاسم بعساكره ليرحله عن القلعة فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه أصحابه وقال لهم انى راجع من مكانى هذا فلا تكسروا على رأيى فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يسايرا لمسلمين فى البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى بردويل ملك الروم يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم فانك تظفر بجرد الفرنج عسكره من أثقالهم وسار جريدة ووجد فى السير فأدركهم فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين فتعبأ المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن أميرهم واحتل نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على أم رأسه فقتل وقتل معه جماعة من أعيان الناس وشجعانهم ثم ان المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا أو يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل وأسر من بطارقتهم كثير وتبعوهم الى أن أدركهم الليل وغنموا من أموالهم كثيرا وأقام ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودى كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودى اركب فرسى فان قتلت فأنت لولدى فركبه الملك وقتل اليهودى فنجا الملك الى خيامه وبهاز وجته وأصحابه فأخذهم وعاد الى رومية ولما قتل الامير أبو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام أبيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيرا منها وسأله أصحابه أن يقيم الى ان يجمع السلاح وغيره ويعمر به الخزائن فلم يفعل وكانت ولاية أبى القاسم على صقلية اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام وكان عادلا حسن السيرة كثير الشفقة على رعيته والاحسان اليهم عظيم الصدقة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولا عقارا فانه كان قد وقف جميع أملاكه على الفقراء وأبواب البر

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة وقع حريق بالكرخ ببغداد فاحترق فيها مواضع كثيرة هلك فيها خلق كثير من الناس وبقى الحريق اسبوعا وفيها قبض عضد الدولة على القاضى أبى على الحسن بن على التنوخى وألزمه منزله وعزله عن اعماله التى كان يتولاها وكان حنفى المذهب شديد التعصب على الشافعى يطلق لسانه فيه قابله الله وفيها افرج عضد الدولة عن أبى اسحق ابراهيم بن هلال الصابى الكاتب وكان القبض عليه سنة سبع وستين وكان سبب قبضه انه كان يكتب عن بختيار كتبا فى معنى

وآول الحسنات وذريعة الى الجاه وأحمد للشيم وباب لرضا العامة ومفتاح لمحبة القلوب وكان المأمون يقول سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يسمع منه بمنزلة طعام على هراب النحل لو كان طريقا ما سلكته ولو كان قميصا ما لبسته (وحضر) المأمون املاكا لبعض أهل بيته فسأله من حضر ان يخطب فقال الحمد لله المحمود الله والصلاة على المصطفى رسول الله وخير ما عمل به كتاب الله قال الله تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ولو لم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله وذلك من تأليف البعيد والقريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل النجيب وفلان من قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وبذل من الصداق كذا وكذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (وذكر) ثمامة بن أشرس

قال كنا يوما عند المأمون فدخل يحيى بن أكثم وكان قد ثقل عليه موضعى منه فتذاكرنا شيأ من الفقه فقال يحيى فى مسئلة

الخلف الواقع بينه وبين عضد الدولة فكان ينصح صاحبه فما كتبه عن الخليفة الطائع الى عضد الدولة فى المعنى وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه فتزحزح له عن سنن المساواة فنقم عليه عضد الدولة ذلك وهذا من أعجب الاشياء فانه كان ينبغى ان يعظم فى عينه لنصحه لصاحبه فلما أطلقه أمره بعمل كتاب يتضمن اخبارهم ومحاسنها فعمل التاجى فى دولة الديلم وفيها أرسل عضد الدوله القاضى أبا بكر محمد بن الطيب الاشعرى المعروف بابن الباقلانى الى ملك الروم فى جواب رسالة وردت منه فلما وصل الى الملك قيل له ليقبل الارض بين يديه فلم يفعل فقيل لا سبيل الى الدخول الا مع تقبيل الارض فأصر على الامتناع فعمل الملك بابا صغيرا يدخل منه القاضى منحنيا ليوهم الحاضرين انه قبل الارض فلما رأى القاضى الباب علم ذلك فاستدبره ودخل منه فلما جازه استقبل الملك وهو قائم فعظم عندهم محله وفيها فتح المارستان العضدى غربى بغداد ونقل اليه جميع ما يحتاج اليه من الادوية وفى هذه السنة توفى الامام أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل الاسمعيلى الجرجانى الفقيه الشافعى وكان عالما بالحديث وغيره من العلوم والامام محمد بن أحمد ابن عبد الله بن محمد أبو زيد المروزى الفقيه الشافعى الزاهد يروى صحيح البخارى عن الفربرى وتوفى فى رجب وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى شيخ الصوفية فى وقته صحب الجريرى وابن عطاء وغيرهما وفيها توفى أبو الحسن على بن ابراهيم الصوفى المعروف بالحصرى

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ولاية بكجور دمشق﴾

قد ذكرنا سنة ست وستين ولاية بكجور حمص لابى المعالى بن سيف الدولة بن حمدان فلما وليها عمرها وكان بلد دمشق قد خربه العرب وأهل العيث والفساد مدة تحكم فسام عليها وانتقل أهله الى اعمال حمص فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق فحمل بكجور الاقوات من حمص اليها وتردد الناس فى حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها وكتب العزيز بالله بمصر وتقرب اليه فوعده ولاية دمشق فبقى كذلك الى هذه السنة ووقعت وحشة بين سعد الدوله أبى المعالى بن سيف الدولة وبين بكجور فأرسل سعد الدولة يأمره بان يفارق بلده فأرسل بكجور الى العزيز بالله يطلب نجازما وعده من امارة دمشق وكان الوزير ابن كلس يمنع العزيز من ولايته الى هذه الغاية وكان القائد يلتكين قد ولى دمشق بعد فسام كما ذكرناه وهو مقيم بها فاجتمع المغاربة بمصر على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله فدعته الضرورة الى ان يستحضر يلتكين من دمشق فأمره العزيز باحضاره وتسليم دمشق الى بكجور فقال ان بكجور ان وليها عصى فيها فلم يصغ الى قوله وأرسل الى يلتكين يأمره بقصد مصر وتسليم دمشق الى بكجور ففعل ذلك ودخلها فى رجب من هذه السنة والياعليها فأساء السيرة الى أصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به حتى انه صلب بعضهم وفعل مثل ذلك فى أهل البلد وظلم الناس وكان لا يخلو من أخذ مال وقتل وصلب وعقوبة فبقى كذلك الى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وسنذكره هناك عزله ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة عضد الدوله﴾

فى هذه السنة فى شوال اشتدت علة عضد الدولة وهو ما كان يعتاده من الصرع فضعفت قوته عن دفعه فخنقه فمات منه ثامن شوال ببغداد وحمل الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فدفن به وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفا وولى بعده فى جلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار

دارت هذا قول عمر بن الدلالة فاستعظم منى ذلك وأكبره وقال يا أمير المؤمنين ان هذا يخطئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم فقال المأمون سبحان الله أكذا يا ثمامة قلت يا أمير المؤمنين ان هذا لا يبالى ما قال ولا ما شنع به ثم اقبلت عليه فقلت ألست تزعم أن الحق فى واحد عند الله عز وجل قال نعم قلت فزعمت ان تسعة أخطؤا وأصاب العاشر وقلت انا أخطأ العاشر فما أنكرت قال فنظر المأمون الى وتبسم وقال لم يعلم أبو محمد أنك تجيب هذا الجواب قال يحيى وكيف ذلك قلت ألست تقول ان الحق فى واحد قال بلى قلت فهل يخلى الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قلت أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحق قال نعم قلت وقد دخلت فيما عبت وقلت بما أنكرت وبه شنعت وأنا أوضح دلالة منك لانى خطأتهم فى الظاهر وكل مصيب عند الله الحق وانما خطأتهم عند الخلاف وأدتنى الدلالة الى قول بعضهم فخطأت من خالفنى وأنت خطأت من خالفك فى الظاهر وعند الله عز وجل (وقدم) وفد الكوفة الى

للعزاء فاتاه الطائع لله معزيا وكان عمر عضد الدولة سبعا وأربعين سنة وكان قد سير ولده شرف الدولة أبا الفوارس الى كرمان ما لكها قبل أن يشتد مرضه وقيل انه لما احتضر لم ينطلق لسانه الا بتلاوة ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب الرأي محبا للفضائل وأهلها باذلا في مواضع العطاء مانعا في أماكن المنع ناظرا في عواقب الامور وقيل لما مات عضد الدولة بلغ خبره بعض العلماء وعنده جماعة من أعيان الفضلاء فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الاسكندر وقد ذكرتها في أخبار، فقال بعضهم لو قلتم انتم مثلها لكان ذلك يؤثر عنكم فقال أحدهم لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير متقالها وأعطاها فوق قيمتها وطلب الربح فيها فخسر روحه فيها وقال الثاني من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم فيها فهذا انتباهه وقال الثالث ما رأيت عاقلا في عقله ولا غافلا في غفلته مثله لقد كان ينقض جانبا وهو يظن انه مبرم ويغرم وهو يظن انه غانم وقال الرابع من جد للدنيا هزلت به ومن هزل راغبا عنها جدت له وقال الخامس ترك هذا الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة وقال السادس ان ماء طفأ هذه النار لعظيم وان ريحا عزعت هذا الركن لعصوف وقال السابع اغاسلبك من قدر عليك وقال الثامن اما انه لو كان معتبرا في حياته لما صار عبرة في مماته وقال التاسع الصاعد في درجات الدنيا الى استفال والنازل في دركاتها الى تعال وقال العاشر كيف غفلت عن كيد هذا الامر حتى نفذ فيك وهلا اتخذت دونه جنة تقيك ان في ذلك لعبرة للمعتبرين وانك لآية للمستبصرين وبنى على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم سورا وله شعر حسن فمن شعره لما أرسل اليه أبو تغلب بن حمدان يعتذر من مساعدته بختيار ويطلب الامان فقال عضد الدولة

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه * يبغي الامان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمة عضدية * تاجية تدع الانوف رواغما

وقال أبياتا منها بيت لم يفلح بعده وهي هذه

ليس شرب الكاس الا في المطر * وغناء من جوار في السحر
* غانيات سالبات للنهى * ناغمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

وهذا البيت هو المشار اليه وحكي عنه انه كان في قصره جماعة من الغلمان يحمل اليهم مشاهراتهم من الخزانة فامر أبا نصر خواشاذه ان يتقدم الى الخازن بأن يسلم جامكية الغلمان الى نقيبهم في شهر قد بقي منه ثلاثة أيام قال أبو نصر فانسيت ذلك أربعة أيام فسألني عضد الدولة عن ذلك فقلت انسيته فاغلظ لي فقلت أمس استهل الشهر والساعة تحمل المال وما هنا ما يوجب شغل القلب فقال المصيبة بما لا تعلمه من الغلط أكثر منها في التفريط ألا تعلم انا اذا أطلقنا لهم مالهم قبل محله كان الفضل لنا عليهم فاذا أخرنا ذلك عنهم حتى استهل الشهر الآخر حضروا عند عارضهم وطالبوه فيعدهم فيحضرونه في اليوم الثاني فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثالث ويبسطون ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجراءة ونكون الى الخسارة أقرب منا الى الربح وكان لا يعول في الامور الا على الكفاءة ولا يجعل للشفاعات طريقا الى معارضة من ليس من جنس الشافع ولا فيما يتعلق به حكي عنه ان مقدم جيشه اسفار بن كردويه شفع في بعض أبناء العدول ليتقدم الى

لعلوها في المكارم وبعدها
من المآثم وأنت يوسفي
العفو في قلة التثريب من
أرادك بسوء جعله الله
حصيد سيفك وطريد
خوفك وذليل دولتك فقال
يا عمرو نعم الخطيب خطيبهم
اقض حوائجهم (وذكر
ثمامة) ابن اشرس قال بلغ
المأمون خبر عشرة من
الزنادقة ممن يذهب الى
قول مانى ويقول بالنور
والظلمة من أهل البصرة
فأمر بحملهم اليه بعد ان
سموا واحدا واحدا فلما
جمعوا نظر اليهم طفيلي
فقال ما اجتمع هؤلاء الا
لصنيع فدخل في وسطهم
ومضى معهم ولا يعلم
بشأنهم حتى صاروا بهم
الموكلون الى السفينة فقال
الطفيلي نزهة لا شك فيها
فدخل معهم السفينة فما
كان باسرع من ان جيء
بالقيود فقيد القوم والطفيلي
معهم فقال الطفيلي بلغ من
تطفيلي الى القيود ثم أقبل
على الشيوخ فقال فديتكم
ايش أنتم قالوا بل ايش
أنت ومن أنت من اخواننا
قال والله ما أدري غير
اني رجل طفيلي خرجت
في هذا اليوم من منزلي
فلقيتكم فرأيت منظرا
جميلا وعوارض حسنة
وبزة ونعمة فقلت شيوخ
وكهول وشباب جمعوا
لوليمة فدخلت في وسطكم وحاذيت بعضكم كاني في جملة أجدكم فصرتم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد

القاضي ليسمع تزكيته ويعدله فقال ليس هذا من اشغالك انما الذي يتعلق بك الخطاب في زيادة قائد ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم وأما الشهادة وقبولها فهي الى القاضي وليس لنا ولا لك الكلام فيه ومتى عرف القضاة من انسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة وكان يخرج في ابتداء كل سنة شيأ كثيرا من الاموال للصدقة والبر في سائر بلاده ويأمر بتسليم ذلك الى القضاة ووجوه الناس ليصرفوه الى مستحقيه وكان يوصل الى العمال المتعطلين ما يقوم بهم وبحسابهم به اذا عملوا وكان محبا للعلوم وأهلها مقربا لهم محسنا اليهم وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ومنها الايضاح في النحو والحجة في القراآت والملكي في الطب والناجي في التاريخ الى غير ذلك وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة الا انه أحدث في آخر أيامه رسوما جائرة في المساحة والضرائب على بيع الدواب وغيرها من الامتعة وزاد على ما تقدم ومنع من عمل الثلج والقز وجعلهما متجرا للخاص وكان يتوصل الى اخذ المال بكل طريق ولما توفي عضد الدولة قبض على نائبه ابي الريان من الغد فأخذ من كمه رقعة فيها

أيا واثقا بالدهر عند انصرافه * رويدك اني بالزمان أخو خبر
وياشامتا مهلا فكم ذي شماتة * تكون له عقبى بقاصمة الظهر

﴿ذكر ولاية صمصام الدولة العراق وملك اخيه شرف الدولة بلاد فارس﴾

لما توفي عضد الدولة اجتمع القواد والامراء على ولده ابي كاليجار المرزبان فبايعوه وولوه الامارة ولقبوه صمصام الدولة فلما ولي خلع على أخويه ابي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه وأقطعهما فارس وأمرهما بالجد في السير ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرزيل الى شيراز فلما وصلا الى ارجان أتاهما خبر وصول شرف الدولة الى شيراز فعادا الى الاهواز وكان شرف الدولة بكرمان فلما بلغه خبر وفاة ابيه سار مجدا الى فارس فملكها وقبض على نصر بن هرون النصراني وزير ابيه وقتله لانه كان يسيء صحبته أيام أبيه وأصلح أمر البلاد وأطلق الشريف أبا الحسين محمد ابن عمر العلوي والنقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي والقاضي أبا محمد بن معروف وأبا نصر خواشاذه وكان عضد الدولة حبسهم وأظهر مشافهة أخيه صمصام الدولة وقطع خطبته وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة وفرق الاموال وجمع الرجال وملك البصرة وأقطعها أخاه أبا الحسين فبقي كذلك ثلاث سنين الى ان قبض عليه شرف الدولة على ما نذكره ان شاء الله تعالى فلما سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة سير اليه جيشا واستعمل عليهم الامير أبا الحسن بن دبعش حاجب عضد الدولة فجهز تاج الدولة عسكرا واستعمل عليهم الاميرا با الاعز بيس بن عفيف الاسدي فالتقيا بظاهر قروب واقتتلوا فانهزم عسكر صمصام الدولة وأسر دبعش فاستولى حينئذ أبو الحسين بن عضد الدولة على الاهواز وأخذ ما فيها وفي رامهرمز وطمع في الملك وكانت الوقعة في ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة

﴿ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين﴾

في هذه السنة قتل الحسين بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قتله أخوه ابو الفرج واستولى على البطيحة وكان سبب قتله انه حسده على ولايته ومحبة الناس له فاتفق أن اختالهما مرضت فقال أبو الفرج لاخيه الحسين ان اختنا مشفية فلو عدتها فعل وسار اليها ورتب أبو الفرج في الدار نفرا يساعدونه على قتله فلما دخل الحسين الدار تخلف عنه أصحابه ودخل أبو الفرج معه

وسلالا فقلت نزهة يعضون اليها الى بعض القصور والبساتين ان هذا اليوم

ورأيت سفرا مملوءة وجرابا مباركا فابتهجت سرورا لذلك وقلت ان هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم فورد علي ما قد أزال عقلي فاخبروني ما الخبر فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ثم قالوا الآن قد حصلت في الاحصاء وأوثقت في الحديد وأما نحن فانية نعمز بنا الى المأمون وسندخل اليه ويسائلنا عن أحوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بأنواع المحن منها بضروب من المحن منها اظهار صورة مانى لنا ويأمرنا ان نتفل عليها وتتبرأ منها ويأمرنا بذبح طائر ماء وهو الدرج فمن أجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به وأنت زعمت انك طفيلي والطفيلي يكون معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشيء من الحديث وأيام الناس فلما وصلوا الى بغداد وادخلوا على المأمون جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من مانى وينظر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها

وبيده سيفه فلما خلا به قتله ووقعت الصيحة فصعد الى السطح وأعلم العسكر بقتله ووعدهم الاحسان فسكنوا وبذل لهم المال فأقروه في الامر وكتب الى بغداد يظهر الطاعة ويطلب تقليده الولاية وكان منهوراً جاهلا

﴿ ذكر عود ابن سيمجور الى خراسان ﴾

لما عزل أبو الحسن بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان وواليها أبو العباس سار ابن سيمجور الى سجستان فأقام بها فلما انهزم أبو العباس عن جرجان على ما ذكرناه ورأى الفتنة قد رفعت رأسها سار عن سجستان نحو خراسان واقام بقهستان فلما سار أبو العباس الى بخارا وخلت منه خراسان كاتب ابن سيمجور رافقا يطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان فأجابه الى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على تلك النواحي وبلغ الخبر الى أبي العباس فسار عن بخارا في جمع كثير الى مرو وتردّدت الرسل بينهم فاصطلحوا على ان تكون نيسابور وقيادة الجيوش لابي العباس وتكون بلخ لفائق وتكون هراة لابي علي بن أبي الحسن بن سيمجور وتفرقوا على ذلك وقصد كل واحد منهم ولايته

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة توفي نقيب النقباء أبو تمام الزينبي وولي النقابة بعده ابنه أبو الحسن وتوفي محمد بن جعفر المعروف بزوح الحرة في صفر ببغداد وتوفي في جمادى الاولى منصور بن أحمد بن هرون الزاهد وهو ابن خمس وستين سنة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر صوت مؤيد الدولة وعود فخر الدولة الى مملكته ﴾

في هذه السنة في شعبان توفي مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة بحرجان وكانت علته الخوانيق وقال له الصاحب بن عباد لو عدت الى أحد فقال انا في شغل عن هذا ولم يعهد بالملك الى أحد وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة وجلس صمصام الدولة للعزاء ببغداد وأتاه الطائع لله معزيا فلقيه في طيارة ولما مات مؤيد الدولة تشاور أكابر دولته فيمن يقوم مقامه فأشار الصاحب اسمعيل بن عباد باعادة فخر الدولة الى مملكته اذ هو كبير البيت ومالك ثالث البلاد قبل مؤيد الدولة ولما فيه من آيات الامارة والملك فكتب اليه واستدعاه وهو بنيسابور وأرسل الصاحب اليه واستخلفه لنفسه واقام في الوقت خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس الى قدوم فخر الدولة فلما وصلت الاخبار الى فخر الدولة سار الى جرجان فلقيه العسكر بالطاعة وجلس في دست ملكي في رمضان بغير منة لاحد فسبحان من اذا أراد أمرا كان ولما عاد الى مملكته قال له الصاحب يا مولانا قد بلغك الله وبلغني فيك ما أملته ومن حقوق خدمتي لك اجابتي الى ترك الجندية وملازمة داري والتوفر على أمر الله فقال لا تفعل هذا فما أريد الملك الا لك ولا يستقيم لي أمر الا بك واذا كرهت ملابسة الامور كرهتها انا ايضا وانصرفت فقبل الارض وقال الامر لك نستوزره واكرمه وعظمه وصدر عن رأيه في جليل الامور وصغيرها وسيرت الخلع من الخليفة الى فخر الدولة والعهد واتفق فخر الدولة وصمصام الدولة فصارا يدا واحدة

﴿ ذكر عزل أبي العباس عن خراسان وولاية ابن سيمجور ﴾

لما عاد أبو العباس عن بخارا الى نيسابور كما ذكرناه استوزر الامير نوح عبد الله بن عزيز وكان ضد الابي الحسين العتبي وأبي العباس فلما تولى الوزارة بدأ بعزل أبي العباس عن خراسان واعادة

استوعبوا عدة القوم فقال المأمون للموكلين من هذا قالوا والله ما ندري غيرانا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما خبرك قال يا أمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت اعرف من أقوالهم شيأ وانما انا رجل طفيلي وقص عليه خبره من أوله الى آخره فضحك المأمون ثم أظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال أعطونيها حتى اسلح عليها والله ما أدري ما مانى ايهوديا كان أم مسلما فقال المأمون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه (وكان) ابراهيم بن المهدي قائما بين يدي المأمون فقال يا أمير المؤمنين هب لي ذنبه واحدثك بحديث عجيب في التطفيل عن نفسي قال قل يا ابراهيم قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما فررت في سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع فشممت رائحة أبازير من جناح في دار عالية وقدور قد فاح قتارها فتاقت نفسي اليها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فرفعت طرفي الى الجناح فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرج من الشباك

ومعصم ما رأيت أحسن منهما قط فشغلني يا أمير المؤمنين حسن الكف

أبي الحسن بن سيمجور اليها فكتب من بخراسان من القواد اليه يسألونه ان يقر أبا العباس على عمله فلم يجبهم الى ذلك فكتب أبو العباس الى فخر الدولة بن بويه يستمده فامده بمال كثير وعسكر فاقاموا بنيسابور وأتاهم أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق معاضدا لهم على ابن سيمجور وكان أبو العباس حينئذ بمرو فلما سمع أبو الحسن بن سيمجور وفاتق بوصول عسكر فخر الدولة الى نيسابور قصدوهم فانحاز عسكر فخر الدولة وابن عبد الرزاق وأقاموا ينتظرون أبا العباس ونزل ابن سيمجور ومن معه بظاهر نيسابور ووصل أبو العباس فيمن معه واجتمع بعسكر الديلم ونزل بالجانب الآخر وجرى بينهم حروب عدة أيام وتحصن ابن سيمجور بالبلد ونفذ فخر الدولة الى أبي العباس عسكرا آخر أكثر من ألفي فارس فلما رأى ابن سيمجور قوة أبي العباس انحاز عن نيسابور فسار عنها ليلا وتبعه عسكر أبي العباس فغنموا كثيرا من اموالهم ودوابهم واستولى أبو العباس على نيسابور وراسل الامير نوح بن منصور يستميله ويستعطفه ولج ابن عزير في عزله ووافقه على ذلك والدة الامير نوح وكانت تحكم في دولة ولدها وكانوا يصدرون عن رأيها فقال بعض أهل العصر في ذلك

شيآن يجر ذوا الرياضة عنهما * رأي النساء وامرة الصبيان
أما النساء فيلهين الى الهوى * وأخو الصبا يجري بغير عنان

﴿ ذكر انهزام ابي العباس الى جرجان ووفاته ﴾

لما انهزم ابن سيمجور أقام أبو العباس بنيسابور يستعطف الامير نوحا ووزيره ابن عزير وترك اتباع ابن سيمجور واخراجه من خراسان فتراجع الى ابن سيمجور أصحابه المنهزمون وعادت قوته وأتته الامداد من بخارا وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة وهو بفارس يستمده فأمده بأخي فارس مرافعة لعمه فخر الدولة فلما كثف جمعه قصد أبا العباس فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا الى آخر النهار فانهزم أبو العباس وأصحابه وأسر منهم جماعة كثيرة وقصد أبو العباس جرجان وبها فخر الدولة فاكرمه وعظمه وترك له جرجان ودهستان واستراباذ صافية له ولمن معه وسار عنها الى الري وأرسل اليه من الاموال والآلات ما يجل عن الوصف وأقام أبو العباس بجرجان هو وأصحابه وجمع العساكر وسار نحو خراسان فلم يصل اليها وعاد الى جرجان وأقام بها ثلاث سنين ثم وقع بها وباء شديد ومات فيه كثير من أصحابه ثم مات هو ايضا وكان موته سنة سبع وسبعين وقيل انه مات مسموما وكان اصحابه قد أساؤا السيرة مع اهل جرجان فلما مات ثار بهم اهلها ونهبوهم وجرت بينهم وقعة عظيمة أجلت عن هزيمة الجرجانية وقتل منهم خلق كثير وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم وطلب مشايخهم الامان فكفوا عنهم وتفرق أصحابه فسار أكثرهم الى خراسان واتصلوا بأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور وكان حينئذ صاحب الجيش مكان أبيه وكان والده قد توفي فجأة وهو يجامع بعض حظاياه فمات على صدرها فلما مات قام بالامر بعده ابنه أبو علي واجتمع اخوته على طاعته منهم أخوه أبو القاسم وغيره فنازعه فائق الولاية وسنذكر ذلك سنة ثلاث وثمانين عند ملك الترك بخارا ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر قتل أبي الفرج محمد بن عمران وملك أبي المعالي ابن أخيه الحسن ﴾

في هذه السنة قتل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة وولي أبو المعالي ابن أخيه الحسن وسبب قتله ان أبا الفرج قدم الجماعة الذين ساعدوه على قتل اخيه ووضع من حال مقدمي القواد فجمعهم المظفر بن علي الحاجب وهو أكبر قواد أبيه عمران وأخيه الحسن وحذرهم عاقبة أمرهم فاجتمعوا على قتل أبي الفرج فقتله المظفر وأجلس أبا المعالي مكانه وتولى تدبيره

والمعصم عن رائحة القدور وأحسب ان عنده اليوم دعوة ولا ينادم الا تجارا مثله فانا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لي الخياط هذان منادماه قلت ما اعلماهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتي حتى دخلت بينهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب فتقدماني فدخلت ودخلا فلما رأني صاحب المنزل لم يشك الا أني منهما بسبيل فرحب وأجلسني في أجل موضع فجيء بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها اطيب من رائحتها فقلت في نفسي هذه الالوان قد أكلتها وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ثم صرنا الى مجلس المنادمة فاذا أنبل مجلس وأجل فرش وجمل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل علي بالحديث والرجلان لا يشكان انه مني بسبيل وانما كان ذلك الفعل منه بي لما ظن اني منهما بسبيل حتى اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية تتثنى كانها غصين بان فسلمت غير مختلة وهيئت لها وسادة وأتي بعود فوضع في حجرها فعبثت الخدق في جسها ثم اندفعت تغني

بنفسه وقتل كل من كان يخافه من القواد ولم يترك معه الا من يثق به وكان أبو المعالى صغيرا

﴿ ذكر استيلاء المظفر على البطيحة ﴾

لما طالت أيام على المظفر بن على الحاجب وقوى أمره طمع فى الاستقلال بأمر البطيحة فوضع كتابا عن لسان صمصام الدولة اليه يتضمن التعويل عليه فى ولاية البطيحة وسلمه الى ركابى غريب وأمره ان يأتيه اذا كان القواد والاجناد عنده ففعل ذلك وأتاه وعليه أثر الغبار وسلم اليه الكتاب فقبله ووضعه وقرأه بمحضر من الاجناد وأجاب بالسمع والطاعة وعزل أبا المعالى وجعله مع والدته وأجرى عليهما جراية ثم أخرجهما الى واسط وكان يصلهما بما ينفقانه واستبد بالامر واحسن السيرة وعدل فى الناس مدة ثم انه عهد الى ابن أخته أبى الحسن على بن نصر الملقب بهذب الدولة وكان يلقب حينئذ بالامير المختار وبعده الى أبى الحسن على بن جعفر وهو ابن أخته الاخرى وانقرض بيت عمران بن شاهين وكذلك الدنيا دول وما أشبه حاله بحال باذ فانه ملك وانتقل الملك الى ابن أخته مهذب الدولة ابن مروان

﴿ ذكر عصيان محمد بن غانم ﴾

وفيها عصى محمد بن غانم البرزيكانى بناحية كوردر من أعمال قم على فخر الدولة وأخذ بعض غلات السلطان وامتنع بحصن الهفتجان وجمع البرزيكانى الى نفسه فسارت اليه العساكر فى شوال لقتاله فهزمها وأعيدت اليه مرة أخرى فهزمها فأرسل فخر الدولة الى أبى النجم بدر بن حسنويه ينكر ذلك عليه ويأمره باصلاح الحال معه ففعل وراسله فاصطلحوا أول سنة أربع وسبعين وبقى الى سنة خمس وسبعين فسار اليه جيش لفخر الدولة فقاتله فاصابه طعنة وأخذ أسيرا فمات من طعنته

﴿ ذكر انتقال بعض صنهاجة من افريقية الى الاندلس وما فعلوه ﴾

فى هذه السنة انتقل أولاد زيرى بن مناد وهم زاوى وجلالة وماكسن اخوه باديس الى الاندلس وسبب ذلك انهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال على بلاد بينهم فغلبهم حماد فتوجهوا الى طنجة ومنها الى قرطبة فانزلهم محمد بن ابى عامر وسيرهم وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم وسألهم عن سبب انتقالهم فاخبروه وقالوا له انما اخترناك على غيرك واحببنا ان نكون معك نجاهد فى سبيل الله فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا أياما ثم دخلوا عليه وسألوه الحمام ما وعدهم به من الغزو فقال انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم فقالوا ما يدخل معنا بلاد العدو غير نا الا الذين معنا من بنى عمنا وصنهاجة وموالينا فاعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق ضيقا فأتوا أرض جليقية فدخلوها ليلا وكمنوا فى بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره فلما اصبحوا خرج جماعة عن البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم فرجعوا وتسامع العدو فركبوا فى آثارهم فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا فى ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن أبى عامر ورأى من شجاعتهم ما لم يره من جند الاندلس فاحسن اليهم وجعلهم بطانته

﴿ ذكر غزو ابن أبى عامر الى الفرنج بالاندلس ﴾

لما رأى أهل الاندلس فعل صنهاجة حسدوهم ورغبوا فى الجهاد وقالوا للمنصور بن أبى عامر لقد

فان لمس كفى فى أناملها عفر
ومرت بقلبى خاطرا
فجرحتها
ولم أر شيأ قط يجرحه الفكر
فهيجت والله يا أمير المؤمنين
على بلابلى وطربت لحسن
غنائها وحذقها ثم اندفعت
تغنى
أشرت اليها هل علمت
مودتى
فردت بطرف العين انى
على العهد
فحدث عن الاظهار عمدا
لسرها
وحادت عن الاظهار أيضا
على عمد
فصحت السلاح وجانبى
من الطرب مالا أملك معه
النفس ولا الصبر واندفعت
تغنى
أليس عجيبا أن بيتا يضمنى
وأياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى
بجفونها
وترجمع أحشاء على النار
تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب
وتكسير اجفان وكف
يسلم
فحسدتها والله يا أمير
المؤمنين على حذقها
ومعرفتها بالغناء وأصابتها
معنى الشعر وأنها لم تخرج
من الفن الذى ابتدأته
فقلت بقى عليك يا جارية
شئ فغضبت وضربت
بعودها الارض ثم قالت
متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد تغيروا فقلت أليس ثم عود قالوا بلى يا سيدنا فاتيت

نشطناهؤلاء للغزو فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد وكان رأى فى منامه تلك الليالى كأن رجلا أعطاه الاسبراج فأخذه من يده وأكل منه فعبره على ابن أبى جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فانك ستفتحها فقال من أين أخذت هذا فقال لان الاسبراج يقال له فى المشرق الهليون فلك الرؤيا قال لك هاليون فخرج اليها ونازلها وهى من أعظم مدائنهم واستمد أهلها الفرنج فأمدوهم بجيوش كثيرة واقتتلوا ليلا ونهارا فكثر القتل فيهم وصبرت صنهاجة صبرا عظيما ثم خرج قومص كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه جلالة بن زيرى الصنهاجى فحمل كل واحد منهما على صاحبه فطعنه الفرنجى فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عاتقه فابان عاتقه فسقط الفرنجى الى الارض وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم مالا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبى عامر غنيمة عظيمة لم ير مثلها واجتمع من السبى ثلاثون ألفا وأمر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وأمر مؤذنا فأذن فوق القتلى المغرب وخرب مدينة قامونة ورجع سالما هو وعساكره

﴿ ذكر وفاة يوسف بلكين وولاية ابنه المنصور ﴾

فى هذه السنة لسبع بقين من ذى الحجة توفى يوسف بلكين بن زيرى صاحب افريقية بوارقلين وسبب مضيه اليها ان خزرون الزناتى دخل سجلماسة وطرد عنها نائب يوسف بلكين ونهب ما فيها من الاموال والعدد وتغلب على فارس زيرى بن عطية الزناتى فرحل يوسف اليها فاعتل فى الطريق بقولنج وقيل خرج فى يده بثرة فمات منها فأوصى بولاية ابنه المنصور وكان المنصور بمدينة أشير فجلس للعزاء بابيه وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزونه بأبيه ويهنونه بالولاية فاحسن الى الناس وقال لهم ان أبى يوسف وجدى زيرى كانا يأخذان الناس بالسيف وانا لا آخذهم الا بالاحسان واست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب يعنى ان الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب ثم سار الى القيروان وسكن برقادة وولى الاعمال واستعمل الامراء وأرسل هدية عظيمة الى العزيز بالله بمصر قيل كانت قيمتها ألف ألف دينار ثم عاد الى اشير واستخلف على جباية الاموال بالقيروان والمهدية وجميع افريقية انسانا يقال له عبد الله بن الكاتب

﴿ ذكر امر باذ الكردى خال بنى مروان وملكه الموصل ﴾

فى هذه السنة قوى أمر باذ الكردى واسمه أبو عبد الله الحسين بن دوستك وهو من الاكراد الحميدية وكان ابتداء أمره أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيرا وكان عظيم الخلقة له بأس وشدة فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده فلما رأى عضد الدولة خافه وقال ما أظنه يبقى على فهرب حين خرج من عنده وطلبه عضد الدولة بعد خروجه ليقبض عليه وقال له باس وشدة وفيه شر ولا يجوز الابقاء على مثله فاخبر بهربه فكف عن طلبه وحصل بثغور ديار بكر واقام بها الى ان استفحل أمره وقوى وملك ميافارقين وكثيرا من ديار بكر بعد موت عضد الدولة ووصل بعض أصحابه الى نصيبين فاستولى عليها فجهز صمصام الدولة اليه العساكر مع أبى سعد بهرام بن أردشير فواقعه فانهزم بهرام وأسر جماعة من أصحابه وقوى أمر باذ فأرسل صمصام الدولة اليه أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب فى عسكر كثير فالتقوا بباجلايا على خابور الحسينية من بلد كواشى واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سعد وأصحابه واستولى باذ على كثير من الديلم فقتل وأسر ثم قتل الاسرى صبرا وفى هذه الوقعة يقول أبو الحسين البشنوى

بباجلايا جلونا عنه غمغمة * ونحن فى الروع جلاؤن للكرب

بعود فاصلحت من شأنه راحوا العشية روحة مذكورة ان متن متن وان حيين حيينا فاستمتعته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلى تقبلها وهى تقول المعذرة والله لك ياسيدى فاسمعت من يغنى هذا الصوت مثلك وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسة ثم اندفعت اغنى أبالله هل تمسين لا تذكرينى وقد صممت عيناى من ذكرك الدما الى الله أشكو بخلها وسماحتى لها عسل منى وتبذل علقما فردى مصاب القلب أنت قتلته ولا تتركيه ذا هل العقل مغرما الى الله أشكو أنها أجنبية وانى لها بالود ما عشت مكرما فقام من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت ان يخرجوا من عقولهم فامسكت ساعة حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى الثالثة هذا حبيك مطوى على كمده * له يد تسأل الرحمن راحته * تمابه ويد أخرى على كبده يعنى

يعنى باذا وسنذكر سببه سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ان شاء الله تعالى ولما هزم باذ الديلم وسعدا وفعل بهم ما تقدم ذكره سبقه سعد فدخل الموصل وسار باذ فى أثره فثار العامة بسعد لسوء سيرة الديلم فيهم فنجا منهم بنفسه ودخل باذ الى الموصل واستولى عليها وقويت شوكته وحدثت نفسه بالتغلب على بغداد وازالة الديلم عنها وخرج من حد المنطرفين وصار فى عداد أصحاب الاطراف فخافه صمصام الدولة وأهمه أمره وشغله عن غيره وجمع العساكر ليسيرها اليه فانقضت السنة وقد حدثنى بعض أصدقائنا من الاكراد الحميدية ممن يعتنى باخبار باذ أن باذا كنيته أبو شجاع واسمه باذوان أبا عبد الله هو الحسين بن دوستك هو أخو باذ وكان ابتداء أمره أنه كان يرعى الغنم وكان كريما جوادا وكان يذبح الغنم التى له ويطعم الناس فظهر عنه اسم الجود فاجتمع عليه الناس وصار يقطع الطريق وكلما حصل له شئ أخرجه فكثر جمعه وصار يمر ثم انه دخل أرمينية فملك مدينة ارجيش وهى أول مدينة ملكها فقوى بها وسار منها الى ديار بكر فملك مدينة آمد ثم ملك مدينة ميافارقين وغيرها من ديار بكر وسار الى الموصل فملكها كما ذكرناه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة استعمل العزيز بالله الخليفة العلوى على دمشق وأعمالها بكجور التركى مولى قرعويه احد غلمان سيف الدولة بن حمدان وكان له حمص فسار منها الى دمشق وظلم أهلها وعسفهم وأساء السيرة فيهم وقد ذكرناه سنة اثنتين وسبعين مستقصى وفيها ورد أبو محمد على بن العباس بن فسانجس لشرف الدولة وفيها فى ربيع الاول انقض كوكب عظيم اضاءت له الدنيا وسمع له مثل دوى الرعد الشديد وفيها غلت الاسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد وعدمت الاقوات فمات كثير من الناس جوعا وفيها ورد أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان لصمصام الدولة وفيها ورد القرامطة الى قريب بغداد وطمعوا فى موت عضد الدولة فصولحوا على مال أخذوه وعادوا وفيها فى جمادى الآخرة توفى سعيد بن سلام أبو عثمان المغربى بنيسابور ومولده بالقيروان ودخل الشام فصحب الشيوخ منهم أبو الخير الاقطع وغيره وكان من أرباب الاحوال

﴿ثم دخلت سنة اربع وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود الديلم الى الموصل وانهزام باذ﴾

لما استولى باذ الكردى على الموصل أهم صمصام الدولة ووزيره ابن سعدان بامره فوقع الاختيار على انفاذ زيار بن شهرا كويه وهو أكبر قوادهم وأمره بالمسير الى قتاله وجهزه وبالغ فى أمره وأكثر معه الرجال والعدد والاموال وسار الى باذ فخرج اليهم ولقيهم فى صفر من هذه السنة فاجلت الوقعة عن هزيمة باذ وأصحابه وأسر كثير من عسكره وأهله وحملوا الى بغداد فشهروا بها وملك الديلم الموصل وأرسل زيار عسكرا مع سعد الحاجب فى طلب باذ فسلكوا على جزيرة ابن عمر وأرسل عسكرا آخر الى نصيبين فاختلفوا على مقدميهم فلم يطاوعوهم على المسير اليه وكان باذ بديار بكر قد جمع خلقا كثيرا فكتب وزير صمصام الدولة الى سعد الدولة ابن سيف الدولة بن حمدان وبذل له تسليم ديار بكر اليه فسير اليها جيشا فلم يكن لهم قوة باصحاب باذ فعادوا الى حلب وكانوا قد حصروا ميافارقين فلما شاهد سعد ذلك من عسكره أعمل الحيلة فى قتل باذ فوضع رجلا على ذلك فدخل الرجل خيمة باذ ليلا وضربه بالسيف وهو يظن انه يضرب رأسه فوقعت الضربة على ساقه فصاح وهرب ذلك الرجل فمرض باذ من تلك الضربة وأشفى على الموت وكان قد جمع معه من الرجال خلقا كثيرا فراسل زيارا وسعدا يطلب الصلح فاستقر الحال بينهم واصطلحوا على

جير انهم فاحضروا وجيء ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ثم قال هذه أختى فلانة وأنا أشهدكم انى قد زوجتها من سيدى

المؤمنين تصبح السلاح هذا والله الغناء يا مولاى وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل جيد الشراب وديعا دونه فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وعرفهم الى منازلهم وخلوت معه فشربنا اقداحا ثم قال ياسيدى ذهب والله ما خلا من أيامى باطلا اذ كنت لا اعرفك فمن انت يا مولاى ولم يزل يلح على حتى أخبرته فقبل رأسى وقال ياسيدى وانى اعجب ان يكون هذا الادب الا لملك واذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم وسألنى عن قصتى وكيف حملت نفسى على ما فعلته فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال يا فلانة لجاريته له قولى لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جواريه واحدة واحدة فأنظر الى كفها وأقول ليس هى حتى قال والله ما بقى غير أمى وأختى ولا نزلتهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت له جعلت فداك ابدأ بالاخت قبل الام فعسى ان تكون صاحبتى فقال صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هى هى جعلت فداك فأمر غلمانه من فوره فساروا الى عشرة مشايخ من جملة

ابراهيم بن المهدى وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم فرضيت وقبلت النكاح ودفعت اليها البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وقلت لهم اعذروا بهذا الذى حضر فى الوقت فقبضوها وانصرفوا ثم قال ياسيدى امهدلك بعض البيوت تنام مع أهلك حشمنى والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره فقلت بل أحضر عمارية وأحملها الى منزلى فقال افعل ماشئت فاحضرت عمارية وحملتها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل وأطلق الطفيلى وأجازه بجائزة حسنة وأمر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار بعد من خواص المأمون وأهل مودته ولم يزل معه على أفضل الاحوال السارة فى المنادمة وغيرها (وذكر) المبرد وثعلب قال كان كلثوم العتابى واقفا بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له العتابى ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى قال لست بحاجب قال قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريق قال ان الله قد ألحقك بجاه ونعمة منه فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتقتير ان كفرت وأنا لك اليوم خير منك لنفسك أدعوك لما فيه زيادة

ان تكون ديار بكر لباذ والنصف من طور عبدين أيضا وانحدر زيارا الى بغداد وأقام سعد بالموصل

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قلد أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجى حماية الكوفة وهى أول امارة بنى ثمال وفيها خطب أبو الحسين بن عضد الدولة بالاهواز لفخر الدولة وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة ونقشا اسمه على السكة وفيها خطب لصمصام الدولة بعمان وكانت لشرف الدولة وتائبه بها استاذهرمز فصار مع صمصام الدولة فلما بلغ الخبر الى شرف الدولة أرسل اليه جيشا فانهزم استاذهرمز وأخذ أسيرا وعادت عمان الى شرف الدولة وحبس استاذهرمز فى بعض القلاع وطولب بمال كثير وفيها توفى على بن كامة مقدم عسكر ركن الدولة وفيها افرج شرف الدولة عن أبى منصور بن صالحان واستوزره وقبض على وزيره أبى محمد بن فسانجس وفيها أرسل شرف الدولة رسولا الى القرامطة فلما عاد قال ان القرامطة سألونى عن الملك فاخبرتهم بحسن سيرته فقالوا من ذلك أنه استوزر ثلاثة فى سنة لغير سبب فلم يغير شرف الدولة بعد هذا على وزيره أبى منصور بن صالحان وفى هذه السنة توفى أبو الفتح محمد بن الحسين الازدى الموصلى الحافظ المشهور وقيل فى سنة تسع وستين وكان ضعيفا فى الحديث

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

فى هذه السنة جرت فتنة ببغداد بين الديلم وكان سببها ان أسفار بن كردويه وهو من أكابر القواد استنفر من صمصام الدولة واستمال كثيرا من العسكر الى طاعة شرف الدولة واتفق رأيهم على ان يولوا الامير بهاء الدولة ابا نصر بن عضد الدولة العراق نيابة عن أخيه شرف الدولة وكان صمصام الدولة مريضا فتمكن أسفار من الذى عزم عليه وأظهر ذلك وتأخر عن الدار وراسله صمصام الدولة يستميله و يسكنه فازاده الاتباد فلما رأى ذلك من حاله راسل الطائع يطلب منه الركوب معه وكان صمصام الدولة قد ابل من مرضه فامتنع الطائع من ذلك فشرع صمصام الدولة واستمال فولاذ زماندار وكان موافقا لاسفار الا انه كان يأنف من متابعته لكبر شأنه فلما راسله صمصام الدولة أجابه واستخلفه على ما أراد وخرج من عنده وقاتل اسفار فهزمه فولاذ وأخذ الامير أبو نصر أسيرا واحضر عند أخيه صمصام الدولة فرق له وعلم انه لا ذنب له فاعتقله مكرما وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة وثبت أمر صمصام الدولة وسعى اليه بابن سعدان الذى كان وزيره فعزله وقيل انه كان هواه معهم فقتل ومضى أسفار الى الاهواز واتصل بالامير أبى الحسين بن عضد الدولة وخدمه وسار باقى العسكر الى شرف الدولة

﴿ذكر اخبار القرامطة﴾

فى هذه السنة ورد اسحق وجعفر البحريان وهما من السنة القرامطة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وخطبا لشرف الدولة فانزعج الناس لذلك لما فى النفوس من هيبتهم و باسهم وكان لهم من الهيبة ما ان عضد الدولة و بختيار اقطعاهم الكثير وكان نائبهم ببغداد الذى يعرف بأبى بكر بن شاهويه يتحكم تحكم الوزراء وقبض عليه صمصام الدولة فلما ورد القرامطة الكوفة كتب اليهما صمصام الدولة يلطفهما و يسألهما عن سبب حركتهما فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب فى قصدهم بلاده و بثا أصحابهما وجبيا المال ووصل ابو قيس الحسن بن المنذر الى الجامعين وهو من أكابرهم فارسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات اليه وقاتلوه فانهزم

عنهم وأسر أبو قيس وجماعة من قوادهم فقتلوا فعاد القرامطة وسيروا جيشا آخر فى عدد كثير وعدة فالتقواهم وعساكر صمصام الدولة بالجامعين أيضا فاجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة وقتل مقدمهم وغيره وأسر جماعة ونهب سوادهم فلما بلغ المنهزمون الى الكوفة رحل القرامطة وتبعهم العسكر الى القادسية فلم يدركوهم وزال من حينئذ ناموسهم

﴿ذكر الافراج عن ورد الرومى وما صار أمره اليه ودخول الروس فى النصرانية﴾

فى هذه السنة افرج صمصام الدولة عن ورد الرومى وقد تقدم ذكر حبسه فلما كان الآن افرج عنه وأطلقه وشرط عليه اطلاق عدد كثير من أسارى المسلمين وان يسلم اليه سبعة حصون من بلاد الروم برساتيقها وان لا يقصد بلاد الاسلام لاهو ولا أحد من أصحابه ما عاش وجهزه بما يحتاج اليه من مال وغيره فسار الى بلاد الروم واستمال فى طريقه خلقا كثيرا من البوادى وغيرهم وأطمعهم فى العطاء والغنيمة وسار حتى نزل بطاطية فتسلمها وقوى بها وبما فيها من مال وغيره وقصد وردس بن لاون فتراسلا واستقر الامر بينهما على ان تكون قسطنطينية وما جاورها من شمالى الخليج لوردس وهذا الجانب من الخليج لورد وتحالفا واجتمعا فقبض وردس على ورد وحبسه ثم انه ندم فاطلقه عن قريب وعبر وردس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا رومانوس وهما بسيل وقسطنطين وضيق عليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه بأخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها الى من يخالفها فى الدين فتنصر وكان هذا أول النصرانية بالروس وتزوجها وسار الى لقاء وردس فاقتتلوا وتحاربوا فقتل وردس واستقر الملكان فى ملكهما وراسلا وردا وأقراه على ما بيده فبقى مدة مديدة ومات فيل انه مات مسموما وتقدم بسيل فى الملك وكان شجاعا عادلا حسن الرأى ودام ملكه وحارب البلغار خمسا وثلاثين سنة وظفر بهم واجلى كثيرا منهم من بلادهم واسكنها الروم وكان كثير الاحسان الى المسلمين والميل اليهم

﴿ذكر ملك شرف الدولة الاهواز﴾

فى هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس يطلب الاهواز وأرسل الى أخيه أبى الحسين وهو بها يطيب نفسه ويعده الاحسان وان يقره على ما بيده من الاعمال واعلمه ان مقصده العراق وتخليص أخيه الامير أبى نصر من محبسه فلم يثق أبو الحسين الى قوله وعزم على منعه وتجهز لذلك فاتاه الخبر بوصول شرف الدولة الى ارجان ثم الى رامهرمز فتسلل أجناده الى شرف الدولة ونادوا بشعاره فهرب أبو الحسين نحو الرى الى عمه فخر الدولة فبلغ أصبهان وأقام بها واستنصر عمه فاطلق له مالا ووعده بنصره فلما طال عليه الامر قصد التغلب على أصبهان ونادى بشعار أخيه شرف الدولة فثار به جندها وأخذوه أسيرا وسيروه الى الرى فحبسه عمه وبقى محبوسا الى ان مرض عمه فخر الدولة مرض الموت فلما اشتد مرضه أرسل اليه من قتله وكان يقول شعرا من قوله

هب الدهر أرضانى وأعتب صرفه * وأعقب بالحسنى وفكك من الاسر
فمن لى بأيام الشباب التى مضت * ومن لى بما قد فات فى الحبس من عمرى

وأما شرف الدولة فانه سار الى الاهواز وملكها وأرسل الى البصرة فملكها وقبض على أخيه أبى طاهر وبلغ الخبر الى صمصام الدولة فراسله فى الصلح فاستقر الامر على ان يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكون صمصام الدولة نائبا عنه ويطلق أخاه الامير بهاء الدولة أبا نصر وسيره اليه وصلح الحال واستقام وكان قواد شرف الدولة يحبون الصلح لاجل العود الى أوطانهم

يحيى فأخبر المأمون بالخبر فادخل اليه العتابى وفى المجلس اسحق بن ابراهيم الموصلى فأمره بالجلوس وأقبل يسأله عن أحواله وشأنه فيجيبه بلسان ناطق فاستظرفه المأمون وأخذ فى مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس فاشتبه عليه قوله فنظر الى اسحق ثم قال نعم ألف دينار فاتى بها فوضعت بين يدى العتابى ثم دعا الى المفاوضة وأغرى المأمون اسحق بالعبث به فاقبل اسحق يعارضه فى كل باب يذكره ويزيد عليه فعجب منه وهو لا يعلم أنه اسحق ثم قال ايادن أمير المؤمنين فى مسئلة هذا الرجل عن اسمه ونسبه فقال العتابى من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى أما النسبة فقد عرفت وأما الاسم فنكر وما كل بصل من الاسماء فقال له اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم والبصل اطيب من الثوم فقال العتابى قاتلك الله ما أملحك ما رأيت كالرجل حلاوة افيأذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصانى به فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه بقية يومه وكان العتابى من أرض جند قنسرين والعواصم وسكن الرقة من ديار مضر وكان

وخطب لشرف الدولة بالعراق وسيرت اليه الخلع والالقاب من الطائع لله الى ان عادت الرسل الى شرف الدولة ليحلفوه القت اليه البلاد مقاليدها كواسط وغيرها وكاتبه القواد بالطاعة فعاد عن الصلح وعزم على قصد بغداد والاستيلاء على الملك ولم يحلف لاخيه وكان معه الشريف أبو الحسن محمد بن عمر يشير عليه بقصد العراق ويحثه عليه ويطمعه فيه فوافقه على ذلك وسنذكر باقي خبره سنة ست وسبعين ان شاء الله تعالى

﴿ذكر انهزام عساكر المنصور من صاحب سجلماسة﴾

قد ذكرنا استيلاء خزرون وزيري الزناتيين على سجلماسة وفاس وموت يوسف بلكين لما قصدهما فلما مات عكاشة من تلك البلاد فلما استقر المنصور سير جيشا كثيفا اليهما ليردهما الى طاعته فلما صار الجيش قريب فاس خرج اليهم صاحبها زيري بن عطية الزناتي المعروف بالقرطاس في عساكره فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر المنصور وقتل منهم خلق كثير وأسر جماعة كثيرة وثبت قدمه في ولايته

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خرج بعمان طائر من البحر كبير أكبر من الفيل ووقف على تل هناك وصاح صوت عال ولسان فصيح قد قرب قد قرب ثلاثا ثم غاص في البحر فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ولم ير بعد ذلك وفيها جدد صمصام الدولة ببغداد على الثياب الابريسم والقطن المبيعة ضريبة مقدارها عشر الثمن فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة وكاد البلد يفتن فاعفوا من ذلك وفيها توفي ابن مؤيد الدولة ابن بويه فجلس صمصام الدولة للعزاء فأتاه الطائع لله معزيا وفيها توفي أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي المشهور وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الداركي وكان رئيس أصحاب الشافعي بالعراق وتوفي في شوال وله نيف وسبعون سنة وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الفقيه المالكي ومولده سنة سبع وثمانين ومائتين وسئل ان يلي قضاء القضاة فامتنع والوليد بن أحمد بن محمد بن الوليد أبو العباس الزوزني الصوفي المحدث كان من العلماء في الحقائق وله تصانيف حسنة

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ملك شرف الدولة العراق وقبض صمصام الدولة﴾

في هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من الاهواز الى واسط فملكها وأرسل اليه صمصام الدولة أخاه ابا نصر يستعطفه باطلاقه وكان محبوسا عنده فلم يتعطف له واتسع الخرق على صمصام الدولة وشغب عليه جنده فاستشار أصحابه في قصد أخيه والدخول في طاعته فنهوه عن ذلك وقال بعضهم الرأي أننا نصعد الى عكبرا لنعلم بذلك من هو لنا ممن هو علينا فان رأينا عددا كثيرة قاتلناهم وأخرجنا الاموال وان عجزنا سرنا الى الموصل فهي وسائر بلاد الجبل لنا فيقوى أمرنا ولا بد ان الديلم والاتراك تجري بينهم منافسة ومحاسدة ويحدث اختلال فنبلغ الغرض وقال بعضهم الرأي اننا نسير الى قرميسين تكاتب عمك فخر الدولة وتستنجده وتسير على طريق خراسان وأصبهان الى فارس فتتغلب عليها على خزائن شرف الدولة وذخائره فها هنالك ممانع ولا مدافع فاذا فعلنا ذلك لا يقدر شرف الدولة على المقام بالعراق فيعود حينئذ فيقع الصلح فاعرض صمصام الدولة عن الجميع وسار في طيار الى أخيه شرف الدولة فخواصه فوصل الى أخيه شرف الدولة فلقيه وطيب قلبه فلما خرج من عنده قبض عليه وأرسل الى بغداد من يحتاط

من العلم والقراءة والادب واللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصره مثله وذكر انه قال كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله ونظم في ذلك شعرا فقال

لسان الفتى كاتبه
ووجه الفتى حاجبه
وندمانه كله

وكل له واجبه

وذكر عنه انه قال اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانما يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستكرم واستطرب جليسك ونديمك فانما يؤذن للرجل بمن معه (وقد فاخر) كاتب نديما فقال الكاتب انا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للنقمة وأنا للحظوة وأنت للهنة وتقوم وأجلس وتحتشم وأنا مؤنس تدأب لحاجتي وتشقى بما فيه سعادتي وأنا شريك وأنت معين وأنا نائم وأنت قرين وانما سميت نديما للندم على مفارقتي * وللعتابي أخبار حسان وتصنيفات ملاح في ذكرها خروج عما اليه قصدنا ونحوه على

على دار المملكة وسار فوصل الى بغداد فى شهر رمضان ونزل بالشنيعى وأخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال وكانت امارته بالعراق ثلاث سنين واحد عشر شهرا

﴿ ذكر الفتنة بين الاتراك والديلم ﴾

فى هذه السنة جرت فتنة بين الديلم والاتراك الذين مع شرف الدولة ببغداد وسببها ان الديلم اجتمعوا مع شرف الدولة فى خلق كثير بلغت عدتهم خمسة عشر ألف رجل وكان الاتراك فى ثلاثة آلاف فاستطال عليهم الديلم فجرت منازعة بين بعضهم فى دار واصطبل ثم صارت الى المحاربة فاستظهر الديلم لكثرتهم وارادوا اخراج صمصام الدولة واعادته الى ملكه وبلغ شرف الدولة الخبر فوكل بصمصام الدولة من يقتله ان هم الديلم باخراجه ثم ان الديلم لما استظهروا على الاتراك تبعوهم فتشوشت صفوفهم فعادت الاتراك عليهم من امامهم وخلفهم فانهزموا وقتل منهم زيادة على ثلاثة آلاف ودخل الاتراك البلد فتتبعوا من وجدوه منهم ونهبوا أموالهم وتفرق الديلم فبعضهم اعتصم بشرف الدولة وبعضهم سار عنه فلما كان الغد دخل شرف الدولة بغداد والديلم المعتصمون به معه فخرج الطائع لله والقيه وهنأه بالسلامة وقبل شرف الدولة الارض وأخذ الديلم يذكرون صمصام الدولة وقيل لشرف الدولة اقتله والا ملكوه الامر ثم ان شرف الدولة اصلح بين الطائفتين وحلف بعضهم لبعض وحمل صمصام الدولة الى فارس فاعتقل فى قلعة هناك فرد شرف الدولة على الشريف محمد بن عمر جميع أملاكه وزاده عليها وكان خراج أملاكه كل سنة ألفى ألف وخمسمائة ألف درهم ورد على النقيب أبى أحمد الموسوى املاكه وأقر الناس على مراتبهم ومنع الناس من السعايات ولم يقبلها فامنوا وسكنوا ووزر له أبو منصور بن صالحان

﴿ ذكر ولاية مهذب الدولة البطيحة ﴾

فى هذه السنة توفى المظفر بن على وولى بعده ابن أخته أبو الحسن على بن نصر بالعهد المذكور وكتب الى شرف الدولة يبذل له الطاعة ويطلب التقليد فأجيب الى ذلك ولقب بمهذب الدولة فاحسن السيرة وبذل الخير والاحسان فقصده الناس وأمن عنده الخائف وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها واتخذها الاكابر وطنا وبنوا فيها الدور الحسنة ووسعهم بره واحسانه وكاتب ملوك الاطراف وكاتبوه وزوجه بهاء الدولة ابنته وعظم شأنه الى ان قصده القادر بالله فحماه وبقى عنده الى ان أتته الخلافة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة توفى أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفى المنجم لعضد الدولة وكان مولده بالرى سنة احدى وتسعين ومائتين وفيها كان بالموصل زلزلة شديدة تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس وفيها قتل المنصور بن يوسف صاحب افريقية عبد الله الكاتب وقام على ولاية الاعمال بافريقية عوضه يوسف بن أبى محمد وكان والى قفصة قبل ذلك وفيها كان بالعراق غلاء شديد جلا لشدته أكثر أهله وفيها توفى أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخى الازرق الانبارى الكاتب وأحمد بن الحسين بن على أبو حامد المروزى ويعرف بابن الطبرى الفقيه الحنفى تفقه ببغداد على أبى الحسن الكرخى وولى قضاء القضاة بخراسان ومات فى صفر وكان عابدا محدثا ثقة واسحق بن المقتدر بالله أبو محمد والد القادر ومولده سنة سبع عشرة وثلثمائة وصلى عليه ابنه القادر وهو حينئذ أمير وأبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى النحوى صاحب الايضاح فيل كان معتزليا وقد جاوز تسعين سنة وأبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين بن

(وحكى) الجوهرى عن العتبى عن عياش الزيدى قال رفع رجل قصة الى المأمون وسأله أن يأذن له فى الدخول عليه والاستماع منه فأذن له فدخل فسلم فقال له المأمون تكلم بحاجتك قال أخبر أمير المؤمنين ان مصائب الدهر وأعاجيب الايام قصدتنى فأخذت منى ما كانت الدنيا أعظمنى فلم تبق لى ضيعة الا خربت ولا نهرا الا أبدى ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا وعلى دين كثير ولى عيال اطفال وصبية صغار وأنا شيخ كبير قد قعدت بى المطالب وكبرت عنى المكاسب ولى حاجة الى نظر أمير المؤمنين وعطفه قال فبينما هو فى الكلام اذ ضرط فقال وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ولا والله ما ظهر منى قط الا فى موضعه فقال المأمون لجلسائه ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا ولا أشد نفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم * قال أبو العتاهية وجه الى المأمون يوما فصرت اليه وألفيته مطرقا متفكرا مغموما فأحجمت فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال

يا اسمعيل شأن النفس المال وحب الاستطراف والانس بالوحدة كما تأنس

To: www.al-mostafa.com

بالالف قلت أجل يا أمير المؤمنين ولى من هذا بيت شعر قال وما هو قلت لا تصلح النفس اذ كانت مطرفة الا التنقل من حال الى حال قال أحسنت زدنى فقلت لا أقدر على ذلك وأنسته بقية يومه وأمر لى بمال فانصرفت (وبحكر) أن المأمون أمر بعض خواصه من خدمه أن يخرج فلا يرى أحدا فى الطريق الا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس فأتاه برجل من العامة فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكثم ومحمد بن عمر الرومى وقد طبخ كل واحد منهم قدرا فقال محمد بن ابراهيم الطاهرى هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فاجمعهم عما يسألون فقال المأمون الى أين خرجت فى هذا الوقت وقد بقى عليك من الليل ثلاث ساعات فقال غرنى القمر وسمعت تكبيرا فلم أشك انه أذان فقال له المأمون اجلس فجلس فقال له المأمون قد طبخ كل واحد منا قدرا هؤلاء يقدم اليك من كل واحد منها قدرا فأخبرنى عن فضائلها ومازرى من طيبها فقال هاتوا فقدمت فى طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ولكل واحدة ممن طبخها علامة فيها فذاق قدر طبخها المأمون فقال زه واكل منها ثلاث لقمات وقال أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم نطيف ظريف ملبح ثم ذاق قدر المعتصم فقال هذه والله فكأنها والاولى

الغطريف الحرجانى توفى فى رجب وهو عالى الاسناد فى الحديث

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر الحرب بين بدر بن حسنويه وعسكر شرف الدولة)﴾

فى هذه السنة جهز شرف الدولة عسكرا كثيفا مع قراتكين الجهشيارى وهو مقدم عسكره وكبيرهم وأمرهم بالمسير الى بدر بن حسنويه وقتاله وسبب ذلك ان شرف الدولة كان حنقا على بدر لانحرافه عنه وميله الى عمه بهاء الدولة فلما استقر ملكه ببغداد واطاعه الناس شرع فى أمر بدر وكان قراتكين قد جاوز الحد فى التحكم والادلال وحماية الناس على نواب شرف الدولة فرأى ان يخرجه فى هذا الوجه فان ظفر ببدر شفى غيظه منه وان ظفر به بدر استراح منه فساروا نحو بدر وتجهز بدر وجمع العساكر وتلاقيا على الوادى بقرميسين فلما اقتتلوا انهزم بدر حتى توارى عنه وظن قراتكين وأصحابه انه مضى على وجهه فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا فى خيامهم فلم يلبثوا الا ساعة حتى كر بدر راجعا اليهم وأكب عليهم وأعجلهم عن الركوب وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما فى عسكرهم ونجا قراتكين فى نفر من غلمانه فبلغ جسر النهروان واقام به حتى اجتمع اليه المنهزمون ودخل بغداد واستولى بدر بعد ذلك على اعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته واما قراتكين فانه لما عاد من الهزيمة زاد ادلاله وتجنيه واغرى العسكر بالشغب والتوثب على الوزير أبى منصور بن صالحان فلقوه بما يكره فلاطفهم ودفعهم واصلح شرف الدولة بين الوزير وبين قراتكين وشرع فى اعمال الحيلة على قراتكين فلم تمض غير ايام حتى قبض عليه وعلى جماعة من أصحابه وكتابه وأخذ أموالهم وشغب الجند لاجله فقتله شرف الدولة فسكنوا وقدم عليهم طغان الحاجب فصلحت طاعته

﴿(ذكر مسير المنصور بن يوسف لحرب كتامة)﴾

فى هذه السنة جمع المنصور صاحب افريقية عساكره وسار الى كتامة قاصدا حربها وسبب ذلك ان العزيز بالله العلوى بمصر كان قد أرسل داعيا له الى كتامة يقال له أبو الفهم واسمه حسن بن نصر يدعوهم الى طاعته وغرضه ان يميل كتامة اليه ويرسل اليه جندا يقاتلون المنصور ويأخذون افريقية منه لما رأى من قوته فدعاهم أبو الفهم فكثر تبعه وقاد الجيوش وعظم شأنه وعزم المنصور على قصده فأرسل الى العزيز بمصر يعرفه الحال فأرسل العزيز رسولين الى المنصور ينهاه عن التعرض لابى الفهم وكتامة وأمرهما ان يسيرا الى كتامة بعد الفراغ من رسالة المنصور فلما وصلا الى المنصور وابلغاه رسالة العزيز اغلظ القول لهما وللعزيز أيضا واغلظ له فأمرهما بالمقام عنده بقية شعبان ورمضان ولم يتركهما يمضيان الى كتامة وتجهز لحرب كتامة وأبى الفهم وسار بعد عيد الاضحى فقصد مدينة ميلة واراد قتل أهلها وسبى نسائهم وذراريهم فخرجوا اليه يتضرعون ويبكون فعفا عنهم وخرب سورها وسار منها الى كتامة والرسولان معه فكان لا يمر بقصر ولا منزل الا هدمه حتى بلغ مدينة سطيف وهى كرسى عزهم فاقتتلوا عندها قتالا عظيما فانهزمت كتامة وهرب أبو الفهم الى جبل وعرفيه ناس من كتامة يقال لهم بنو ابراهيم فأرسل اليهم المنصور يتهددهم ان لم يسلموه فقالوا هو ضيفنا ولا نسلمه ولكن ارسل أنت اليه فخذه ونحن لا نمنعه فارسل فأخذه وضربه ضربا شديدا ثم قتله وسلخه وأكلت صناجة وعبيد المنصور لحمه وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة وعاد الى اشير ورد الرسولين الى العزيز فاخبراه بما فعل بأبى الفهم وقالا جئنا من عند شياطين يأكلون الناس فارسل العزيز الى

المنصور يطيب قلبه وأرسل اليه هدية ولم يذكر له أبا الهيثم

﴿ذكر معاودة باذ القتال﴾

في هذه السنة تجدد لباذ الكردي طمع في بلاد الموصل وغيرها وسبب ذلك ان سعدا الحاجب الذي تقدم ذكره توفي بالموصل فسير اليها شرف الدولة أبا نصر حواشاذه وجهز اليه العساكر وكتب يستمد من شرف الدولة العساكر والاموال فتأخرت الاموال عنه فاحصر العرب من بني عقيل وأقطعهم البلاد ليمنعوا عنها وانحدر باذ فاستولى على طور عبدين ولم يقدر على النزول الى الصحراء وأوصل اخاه في عسكر فقاتلوا العرب فقتل أخوه وانهزم عسكره وأقام بعضهم مقابل بعض فبينما هم كذلك اتاهم الخبر بموت شرف الدولة فعاد خواشاذه الى الموصل واطهر موته واقامت العرب بالصحراء تمنع باذا من النزول اليها وباذ بالجبل وكان خواشاذه يصلح امره ليعاود حرب باذ فأتاه ابراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة جلس الطائع لله لشرف الدولة جلوسا عاما وحضره اعيان الدولة وخلع عليه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وفيها ولد لامير أبو علي الحسن بن فخر الدولة في رجب وفيها سار الصاحب ابن عباد الى طبرستان فأصلحها وبقي المتغلبين عليها وفتح عدة حصون منها حصن فريم وعاد في سنته وفيها عصى الامير أبو منصور بن كوركيخ صاحب قزوين على فخر الدولة فلاطفه فخر الدولة وبذل له الامان والاحسان فعاد الى طاعته وفيها في رمضان حدثت فتنة شديدة بين الديلم والعامة بمدينة الموصل قتل فيها مقتلة عظيمة ثم أصلح الحال بين الطائفتين وفيها تأخر المطر حتى انتصف كانون الثاني وغلت الاسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد واستسقى الناس مرتين فلم يسقوا حتى جاء المطر سابع عشر كانون الثاني وزال القحط وتتابعت الامطار

﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر القبض على شكر الخادم﴾

في هذه السنة قبض شرف الدولة على شكر الخادم وكان أحص الناس عند والده عضد الدولة وأقربهم اليه يرجع الى قوله ويعول عليه وكان سبب قبضه انه كان أيام والده يقصد شرف الدولة ويؤديه وهو الذي تولى ابعاده الى كرمان من بغداد وقام بأمر صمصام الدولة فحقد عليه شرف الدولة ذلك فلما ملك شرف الدولة العراق احتفى شكر وطلبه أشد الطلب فلم يوجد وكان له جارية حبشية قد تزوجها وطلبها اليه وأقامت عنده مدة تخدمه وكان قد علق بقلبها غيره فصارت تأخذ المأكول وغيره وتحمله الى حيث شاءت وأحس بها شكر فلم يحتملها فصبرها فخرجت غضبى الى باب دار شرف الدولة فاخبرت بحال شكر وأخذه وأحضر عند شرف الدولة فأراد قتله فشفع فيه تحرير الخادم فوهبه له واستأذنه في الحج فأذن له فسار الى مكة ثم منها الى مصر فمال هناك معه له كبيرة وسيرد خبره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عزل بكجور عن دمشق﴾

في هذه السنة عزل بكجور عن دمشق وسبب ذلك انه أساء السيرة في دمشق وعمل الاعمال الذميمة وكان الوزير يعقوب بن كلس منحرفا عنه يسيء الرأي فيه وانضاف الى ذلك ما فعله بأصحابه بدمشق على ما ذكرناه فلما بلغه فعله بدمشق تحرك في عزله وقبح ذكره عند العزيز بالله فاجابه الى ذلك فجهزت العساكر مع قائد من قواد الخادم فسار والى الشام فجمع بكجور العرب

قدر طباخ ابن طباخ جاد ما احكمه ثم ذاق قدر يحيى ابن أكثم فأعرض بوجهه وقال شه هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خرافا فضحك القوم وذهب بهم الضحك وقعدوا يحادثهم ويطايبهم ويتناهى وطابوا معه فلما برق الصبح قال له المأمون لا يخرجن منك ما كنا فيه وعلم انه علم بهم فوصله باربعة آلاف دينار وقسطه على أصحاب القدور وقال اياك ان تعود الى الخروج في مثل هذا الوقت مرة أخرى فقال لا اعدمكم الله الطبيخ ولا اعدمني الخروج فسألوه عن تجارته وعرفوا منزله وجعل في خدمة المأمون وخدمة الجميع وصار في جملتهم (وحدث) أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمأمون قال قال لي المأمون ما اعياني الا جواب ثلاثة أنفس صرت الى أم ذي الرياستين اعزيها عنه فقلت لا تأسي عليه ولا تحزني لفقده فان الله قد اخلف عليك منه ولدا يقوم لك مقامه فهما كنت تنبسطين اليه فيه فلا تنقبضين عني منه فبكت ثم قالت يا أمير المؤمنين وكيف لا احزن على ولد أكسبني ولدا مثلك واتيت برجل قد تنبأ فقلت له من

آنت قال موسى بن عمران عليه السلام فقلت ويحك ان موسى بن عمران عليه السلام كان له آيات ودلالات بان بها أمره

وغيرها وخرج فلق العسكر المصرى عند داريا وقاتلهم فاشتد القتال بينهم فانهزم بكجور وعسكره وخاف من وصول نزال والى طرابلس وكان قد كوتب من مصر بمضادته منير فلما انهزم بكجور خاف ان يجىء نزال فيؤخذ فأرسل يطلب الامان ليسلم البلد اليهم فأجابوه الى ذلك فجمع ماله جميعه وسار واخفى اثره لئلا يغدر المصريون به وتوجه الى الرقة فاستولى عليها وتسلم منير البلد ففرح أهله وسرهم ولايته وسنذكر سنة احدى وثمانين باقى اخباره وقتله ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ظفر الاصفر بالقرامطة﴾

فى هذه السنة جمع انسان يعرف بالاصفر من بنى المنتفق جمعا كثيرا وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم أصحابه وقتل منهم وأسر كثير وسار الاصفر الى الاحساء فتحصن منه القرامطة فعدل الى القطيف فاخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار بها الى البصرة

﴿ذكر نكتة حسنة﴾

فى هذه السنة اهدى الصاحب ابن عباد أول المحرم الى فخر الدولة دينارا وزنه ألف مثقال وكان على أحد جانبيه مكتوب

وأحمر يحكى الشمس شكلا وصورة * فأوصافه مشتقة من صفاته
فان قيل دينار فقد صدق اسمه * وان قيل ألف كان بعض سماته
بديع ولم يطبع على الدهر مثله * ولا ضربت اضرابه لسراته
فقد برزته دولة فلكية * اقام بها الاقبال صدر قناته
وصار الى شاها نشاه ابتنابه * على انه مستصغر لعطاته
يخبر ان يبقى سنين كوزنه * لتستبشر الدنيا بطول حياته
تأنق فيه عبده وابن عبده * وغرس أياديه وكافى كفاته

وكان على الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطائع لله ولقب فخر الدولة واسم جرجان لانه ضرب بها * قوله دولة فلكية يعنى ان لقب فخر الدولة كان فلك الامة وقوله وكافى كفاته فان الصاحب كان لقبه كافى الكفاة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تتابع الامطار وكثرت البروق والرعود والبرد الكبار وسالت منه الاودية وامتلأت الانهار والآبار ببلاد الجبل وخربت المساكن وامتلأت الافنية طينا وحجارة وانقطعت الطرق وفيها عصا نصر بن الحسن بن الفيرزان بالدامغان على فخر الدولة واجتاز به أحمد بن سعيد الشيبى الخراسانى مقبلا من الرى ومعه عسكر من الديلم لمحاربته فلما رأى الجد فى أمره راسل فخر الدولة وعاود طاعته فأجابه الى قبول ذلك منه اقره على حاله وفيها توفى الامير أبو على ابن فخر الدولة فى رجب وفيها وقع الوباء بالبصرة والبطائح من شدة الحر فمات خلق كثير حتى امتلأت منهم الشوارع وفى شعبان كثرت الرياح العواصف وجاءت وقت العصر خامس شعبان ريح عظيمة بفم الصلح فهدمت قطعة من الجامع واهلكت جماعة من الناس وغرقت كثيرا من السفن الكبار المملوءة واحتملت زورقا منحدرا فيه دواب وعدة من السفر وألقت الجميع على مسافة من موضعها وفيها توفى أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد كان محدثا مكثرا ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين وأبو حامد محمد بن محمد بن أحمد بن اسحق الحاكم

الى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها اخراجه يده من جيبه وهى بيضاء وجعلت اعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة وقلت له لو اتيتنى بشئ واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك والا قتلتك فقال صدقت الا انى اتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الاعلى فان قلت انت كذلك اتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به والثالثة ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وأرتضى سيرته فوجهت اليهم انى اعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم فانا اعلم بكثرة كلامكم فقالوا ما فينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين الا رجل أطروش فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك فوعدتهم الصبر عليه وحضروا من الغد فأمرت بالرجال فدخلوا والاطروش فلما مثل بين يدى امرته بالجلوس ثم قلت له ما تشكو من عاملكم فقال يا أمير المؤمنين هو شر عامل فى الارض أما فى أول سنة ولينا فانا بعنا اثاثنا وعقارنا وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا يا أمير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالامر بصرفه عنا فقلت له كذبت لا امان لك

النيسابوري في ربيع الاول وهو صاحب التصانيف المشهورة

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر عمل صمصام الدولة)﴾

كان نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتل أخيه صمصام الدولة وشرف الدولة يعرض عن كلامه فلما اعتل شرف الدولة واشتدت علته الح عليه نحرير وقال له الدولة معه على خطر فان لم تقتله فاعمله فأرسل في ذلك محمد الشيرازي الفراش فمات شرف الدولة قبل ان يصل الفراش الى صمصام الدولة فلما وصل الفراش الى القلعة التي بها صمصام الدولة لم يقدم على عمله فاستشار أبا القاسم العلاء بن الحسن الناظر هما له فأشار بذلك فعمله وكان صمصام الدولة يقول ما اعماني الا العلاء لانه أمضى في حكم سلطان قدمات

﴿(ذكر وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة)﴾

في هذه السنة مستهل جمادى الآخرة توفي الملك شرف الدولة أبو الموارس شيرزيل بن عضد الدولة مستسقيا وحمل الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدفن به وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر ولما اشتدت علته سير ولده أبا علي الى بلاد فارس واصحبه الخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الاتراك فلما أيس أصحابه منه اجتمع اليه أعيانهم وسألوه ان يملك أحدا فقال انا في شغل عما تدعونني اليه فقالوا له لابد أن تأمر أخاه بهاء الدولة أبا نصر ان ينوب عنه الى ان يعافى ليحفظ الناس لئلا تثور فتنة ففعل ذلك وتوقف بهاء الدولة ثم أجاب اليه فلما مات جاس بهاء الدولة في المملكة وقعد للعزاء وركب الطائع لله أمير المؤمنين الى العزاء في الزبزب فتلقاه بهاء الدولة وقبل الارض بين يديه وانحدر الطائع لله الى داره وخلع على بهاء الدولة خلع السلطنة وأفرد بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته

﴿(ذكر مسير الامير أبي علي بن شرف الدولة الى فارس وما كان منه مع صمصام الدولة)﴾

لما اشتد مرض شرف الدولة جهز ولده الامير أبا علي وسيره الى فارس ومعه والدته وجواريه وسير معه من الاموال والجواهر والسلاح أكثرها فلما بلغ البصرة أتاهم الخبر بموت شرف الدولة فسير ما معه في البحر الى ارجان وسار هو مجدا الى ان وصل اليها واجتمع معه من بها من الاتراك وسار وانحو شيراز وكاتبهم متوليها وهو أبو القاسم العلاء بن الحسن بالوصول اليها ليسلمها اليهم وكان المرتبون في القلعة التي بها صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقوهما ومعهما فولاذ وساروا الى سيراف واجتمع على صمصام الدولة كثير من الديلم وسار الامير أبو علي الى شيراز ووقعت الفتنة بها بين الاتراك والديلم وخرج الامير أبو علي من داره الى معسكر الاتراك فنزل معهم واجتمع الديلم وقصدوا ليأخذوه ويسلموه الى صمصام الدولة فرأوه قد انتقل الى الاتراك فكشفوا القناع ونابذوا الاتراك وجرى بينهم قتال عدة أيام ثم سار أبو علي والاتراك الى فسا فاستولوا عليها وأخذوا ما بها من مال وقتلوا من بها من الديلم وأخذوا أموالهم وسلاحهم فقووا بذلك وسار أبو علي الى أرجان وعاد الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه من الديلم ونهبوا البلد وعادوا الى أبي علي بارجان وأقاموا معه مدة ثم وصل رسول من بهاء الدولة الى أبي علي وأدى الرسالة وطيب قلبه ووعده ثم انه راسل الاتراك سرا واستمالهم الى نفسه ولطفهم فحسنوا لابي علي المسير الى بهاء الدولة فسار اليه فلقيه بواسط منتصف جمادى الآخرة سنة ثمانين وثلثمائة فانزله واكرمه وتركه عدة أيام وقبض عليه ثم قتله بعد ذلك بيسير وتجهز بهاء الدولة

لما عرفني بكثرة سخطكم على عمالكم قال يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ولكن هذا العامل الذي ارتضيت دينه وأمانته وعدله وانصافه كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد حتى يشملهم من انصافه وعدله مثل الذي شملنا فقلت له قم في غير حفظ الله فقد عزلته عنكم * وكان يحيى بن اكثم يقول كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا اخفافكم ثم احضرت الموائد وقيل لهم اصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنون منه ويناظرهم أحسن مناظرة وانصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين فلا يزالون كذلك الى ان تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون قال فانه يوما لجالس اذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مسمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت انه بعض الصوفية فاريت بان اشير ان لا يؤذن له

للمسير الى الاهواز اقصد بلاد فارس

﴿ ذكر الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم ﴾

وفى هذه السنة أيضا وقعت الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم واشتد الامر ودام القتال بينهم خمسة أيام وبهاء الدولة فى داره يراسلهم فى الصلح فلم يسمعوا قوله وقتل بعض رسله ثم انه خرج الى الاتراك وحضر القتال معهم فاشتد حينئذ الامر وعظم الشر ثم انه شرع فى الصلح و رفق بالاتراك وراسل الديلم فاستقر الحال بينهم وحلف بعضهم لبعض وكانت مدة الحرب اثنى عشر يوما ثم ان الديلم تفرقوا فمضى فريق بعد فريق واخرج بعضهم وقبض على البعض فضعف أمرهم وقويت شوكة الاتراك واشتدت حالهم

﴿ ذكر مسير فخر الدولة الى العراق وما كان منه ﴾

وفى هذه السنة سار فخر الدولة بن ركن الدولة من الرى الى همذان عازما على قصد العراق والاستيلاء عليها وكان سبب حركته ان الصاحب ابن عباد كان يحب العراق لاسيما بغداد ويؤثر التقدم بها ويرصد أوقات الفرصة فلما توفى شرف الدولة علم ان الفرصة قد امكنت فوضع على فخر الدولة من يعظم عنده ملك العراق و يسهل أمرها عليه ولم يباشر هو ذلك خوفا من خطر العاقبة لى ان قال له فخر الدولة ما عندك فى هذا الامر وأحال على ان سعادته تسهل كل صعب وعظم البلاد فتجهز وسار الى همذان وأتاه بدر بن حسنويه وقصده دبيس بن عفيف الاسدى فاستقر الامر على ان يسير الصاحب ابن عباد و بدر الى العراق على الجادة و يسير فخر الدولة على خوزستان فلما سار الصاحب حذر فخر الدولة من ناحيته وقيل له ربما استمالة اولاد عضد الدولة فاستعاده اليه وأخذه معه الى الاهواز فملكها وأساء السير مع جنده فاوضيق عليهم ولم يبذل المال فخابت ظنون الناس فيه واستشعر منه أيضا عسكره وقالوا هكذا يفعل بنا اذا تمكن من ارادته فتحاذلوا وكان الصاحب قد أمسك نفسه تأثرا بما قيل عنه من اتهامه فالامور بسكوبه غير مستقيمة فلما سمع بهاء الدولة بوصولهم الى الاهواز سير اليهم العساكر والتقوا هم وعساكر فخر الدولة فاتفق ان دجلة الاهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة وانفجرت البثوق منها فطغا عسكر فخر الدولة مكيدة فانهزموا فتلقى فخر الدولة من ذلك وكان قد استبد برأيه فعاد حينئذ الى رأى الصاحب فأشار ببذل المال واستصلاح الجند وقال له ان الرأى فى مثل هذه الاوقات اخراج المال وترك مضايقة الجند فان أطلقت المال ضمنت لك حصول اضعافه بعد سنة فلم يفعل ذلك وتفرق عنه كثير من عسكر الاهواز واتسع الخرق عليه وضاقت الامور به فعاد الى الرى وقبض فى طريقه على جماعة من القواد الرازيين وملك أصحاب بهاء الدولة الاهواز

﴿ ذكر هرب القادر بالله الى البطيحة ﴾

فى هذه السنة هرب القادر بالله من الطائع لله الى البطيحة فاحتمى فيها وكان سبب ذلك ان اسحق ابن المقتدر والد القادر لما توفى جرى بين القادر و بين أخت له منازعة فى ضيعة وطال الامر بينهما ثم ان الطائع لله مرض مرضا أشفى منه ثم ابل فسعت اليه بأخيه القادر وقال له انه شرع فى طلب الخلافة عند مرضك فتغير رأيه فيه فانتدب أبا الحسن بن النعمان وغيره للقبض عليه وكان بالحريم الطاهرى فاصعدوا فى السلم اليه وكان القادر قد رأى فى منامه كأن رجلا يقرأ عليه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فهو يحكى هذا المنام لاهله و يقول انا خائف من طالب يطلبنى ووصل أصحاب الطائع

فبدأ المأمون فقال ائذن لى فدخل عليه رجل عليه ثياب قد سمرها ونعله فى يده فوقف على طرف البساط فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال له المأمون وعليك السلام فقال اتأذن فى الدنو منك قال ادن فدنا ثم قال اجلس فجلس ثم قال اتأذن فى كلامك فقال تكلم بما تعلم ان لله فيه رضا قال أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلستنيه اباجتماع من المسلمين عليك ورضا منهم أم بالمغالبة لهم بالقوة عليهم بسلطانك قال لم اجلسه باجتماع منهم ولا بغالبة لهم وانما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون اما على رضا واما على كره فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الامر بعده فى اعناق من حضره من المسلمين فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البعيد لى ولآخر معى فاعطوا ذلك اما طائعين واما كارهين فمضى الذى عقد له معى على هذا السبيل التى مضى عليها فلما صار الى علمت انى أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها على الرضا ثم نظرت فرأيت أنى متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام وانتقضت اطرافه وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع فتعطلت احكام الله سبحانه وتعالى ولم يجمع أحد بيته ولم يجاهد فى سبيله ولم يكن له

لله اليه واستدعوه فأراد لبس ثيابه فلم يمكنوه من مفارقتهم فأخذه النساء منهم قهرا وخرج عن داره واستتر ثم سار الى البطيحة فنزل على مهذب الدولة فاكرم نزله ووسع عليه وحفظه وبالغ فى خدمته ولم يزل عنده الى أن أتته الخلافة فلما ولها اجعل علامته حسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ ذكر عود بنى حمدان الى الموصل ﴾

فى هذه السنة ملك أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل وسبب ذلك انهما كانا فى خدمة شرف الدولة ببغداد فلما توفى وملك بهاء الدولة استأذنا فى الاصعاد الى الموصل فأذن لهما فأصعدا ثم علم القواد الغلط فى ذلك فكتب بهاء الدولة الى خواشاذه وهو يتولى الموصل بأمره بدفعهما عنها فأرسل اليهما خواشاذه يأمرهما بالعود عنه فأعادا جوابا جميلا وجدا فى السير حتى نزلا بالدير الاعلى بظاهر المرصل وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك فنهبوهم وخرجوا الى بنى حمدان وحرج الديلم الى قتالهم فهزمهم المواصلة وبنو حمدان وقتل منهم خلق كثير واعتصم الباقون بدار الامارة وعزم أهل الموصل على قتلهم والاستراحة منهم فمنعهم بنو حمدان عن ذلك وسيروا خواشاذه ومن معه الى بغداد وأقاموا بالموصل وكثر العرب عندهم

﴿ ذكر خلاف كتامة على المنصور ﴾

وفى هذه السنة خرج انسان آخر من كتامة يقال له أبو الفرج لا يعرف من أى موضع هو وزعم ان أباه ولد القائم العلوى جد المعز لدين الله فعمل أكثر مما عمله أبو الفهم واجتمعت اليه كتامة واتخذ البنود والطبول وضرب السكة وجرت بينه وبين نائب المنصور وعساكره عدة ميلة وسطيف حروب كثيرة ووقعات متعددة فسار المنصور اليه فى عساكره وزحف هو الى المنصور فى عساكر كتامة فكان بينهما حرب شديدة فانهزم أبو الفرج وكتامة وقتل منهم مقتلة عظيمة واختفى أبو الفرج فى غار فى جبل فوثب عليه غلامان كانا له فأخذاه وأتيا به المنصور فسره ذلك وقتله شر قتلة وشحن المنصور بلاد كتامة بالعساكر وبث عماله فيها ولم يدخلها عامل قبل ذلك فجبوا أموالها وضيقوا على أهلها ورجع المنصور الى مدينة أشير فأتاه سعيد بن خزرون الزناتى وكان أبوه قد تغلب على مجلماسة سنة خمس وستين وثلثمائة وصار فى طاعة المنصور واختص به وعلت منزلته عنده فقال له المنصور يوما يا سعيد هل تعرف أحدا أكرم منى وكان قد وصله بمال كثير فقال نعم أنا أكرم منك فقال المنصور وكيف ذلك قال لانك جدت على بالمال وأنا جدت عليك بنفسى فاستعمله المنصور على طبنة وزوج ابنه ببعض بنات سعيد فلامه على ذلك بعض أهله فقال كان أبى وجدى يستتبعانهم بالسيف وأما أنا فمن رماني برمح رميته بكبس حتى تكون مودتهم طبعا واختيارا ورجع سعيد الى أهله وبقى الى سنة احدى وثمانين ثم عاد الى المنصور زائرا فاعتل سعيد أياما وتوفى أول رجب ثم قدم فلفل بن سعيد على المنصور فاحسن اليه وحمل اليه مالا كثيرا فرده الى طبنة ولاية أبيه

﴿ ذكر خلاف عم المنصور عليه ﴾

وفى هذه السنة أيضا خالف ابو البهار عم المنصور بن يوسف بلكين صاحب افريقية عليه لشئ جرى عليه من المنصور لم يحمله له لعزة نفسه فسار المنصور اليه بتاهرت ففارقها عمه الى الغرب بمن معه من أهلها وأصحابه ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها ثم طلب أهلها الامان فامنهم ثم سار فى طلب عمه حتى جاوز تاهرت سبع عشرة مرحلة ولقى العسكر شدة وقصد عمه زيرى بن عطيه

ويجاهد العدو هم وضابطا لسبلهم وآخذا على أيديهم الى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضا به فاسلم الامر اليه وأكون كرجل من المسلمين وأنت أيها الرجل رسولى الى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت اليه من هذا الامر فقال السلام عليكم ورحمة الله وقام فأمر المأمون على بن صالح بان ينفذ فى طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ثم رجع وقال وجهت يا أمير المؤمنين الى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له لقيت الرجل فقال نعم قالوا فما قال لك قال ما قال لى الا خيرا ذكر أنه ناظر فى أمور المسلمين الى أن تأمن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل الاحكام فاذا رضى المسلمون برجل سلم الامر اليه وخرج اليه منه قالوا ما نرى بهذا باسا وافترقوا فاقبل المأمون على يحيى فقال كفينا مؤنة هؤلاء يا يسر الخطب فقلت الحمد لله الذى الهمك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد فى القول (قال المسعودى) وكان يحيى قد ولى قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون فرفع الى المأمون انه أفسد أولادهم بكثرة لواطه فقال المأمون لوطء نوا عليه فى أحكامه

صاحب فاس فاكرمه واعلى محله وبقى جنده يغيرون على نواحى المنصور وفى سنة احدى وثمانين وثلثمائة قصدوا النواحى المجاورة لفاس فاوقعوا باصحاب المنصور بها واستولوا عليها ثم ندم أبو الهار فسار الى المنصور معتذرا مما جرى منه فقبله المنصور واحسن اليه وأكرمه وحمل اليه كل ما يحتاج اليه من مال وغيره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قبض بهاء الدوله على أبى الحسن محمد بن عمر العلوى الكوفى وكان قد عظم شأنه مع شرف الدولة واتسع جاهه وكثرت أمواله فلما ولى بهاء الدولة سعى به أبو الحسن المعلم اليه واطمعه فى أمواله وملكه وعظم ذلك عنده وقبض عليه وفيها أسقط بهاء الدولة ما كان يؤخذ من المراعى من سائر السواد وفيها ولد الامير أبو طالب رستم بن فخر الدولة وفيها خرج ابن الجراح الطائى على الحجاج بين سميرا وفيد ونازلهم فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم وشئ من الثياب فاخذها وانصرف وفيها بنى جامع القطيعة ببغداد وفيها توفى محمد بن أحمد بن العباس بن أحمد بن حلاد أبو العباس السلمى النقاش كان من متكلمى الاشعرية وعنه أخذ أبو على بن شاذان الكلام وكان ثقة فى الحديث

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلثمائة﴾

﴿ذكر قتل باذ﴾

فى هذه السنة قتل باذ الكردى صاحب ديار بكر وكان سبب قتله ان أبا طاهر والحسين ابنى حمدان لما ملكا بلاد الموصل طمع فيها باذ وجمع الاكراد فاكثر ومن أطاعه الاكراد البشنوية أصحاب قلعة فنك وكانوا كثيرا ففى ذلك يقول الحسين البشنوى الشاعر لبنى مروان يمتدح عليهم بنجدتهم خالهم باذا من قصيدة

البشنوية أنصار لدولتكم * وليس فى ذا خفا فى العجم والعرب
أنصار باد بارجيش وشيعته * بظاهر الموصل الحدباء فى العطب
يا جلا يا جلونا عنه غمغمة * ونحن فى الروع جلاؤن للكرب

وكاتب أهل الموصل فاستمالهم وأجابه بعضهم فسار اليهم ونزل بالجانب الشرقى فضعفا عنه وراسلا أبا الذواد محمد بن المسيب أمير بنى عقيل واستنصراه فطلب منهما جزيرة ابن عمر ونصيبين وبلدا وغير ذلك فأجاباه الى ما طلب واتفقوا وسار اليه أبو عبد الله بن حمدان وأقام أبو طاهر بالموصل يحارب باذا فلما اجتمع أبو عبد الله وأبو الذواد سارا الى بلد وعبرا دجلة وصارا مع باذ على أرض واحدة وهو لا يعلم فأتاه الخبر بعبورهما وقد قاربا ه فأراد الانتقال الى الجبل لئلا يأتيه هؤلاء من خلفه وأبو طاهر من امامه فاختلط أصحابه وأدركه الحدانية فناوشوهم القتال وأراد باذ الانتقال من فرس الى آخر فسقط واندقت ترقوته فاتاه ابن أخته أبو على بن مروان واراده على الركوب فلم يقدر فتركوه وانصرفوا واحتموا بالجبل ووقع باذ بين القتلى فعرفه بعض العرب فقتله وحمل رأسه الى بنى حمدان وأخذ جائزة سنية وصلبت جثته على دار الامارة فثار العامة وقالوا رجل غاز لا يحل فعل هذا به وظهر منهم محبة كثيرة له وأنزلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه

﴿ذكر ابتداء دولة بنى مروان﴾

لما قتل باذ سار ابن أخته أبو على بن مروان فى طائفة من الجيش الى حصن كيفا وهو على دجلة وهو من أحصن المعاقل وكان به امرأة باذ واهله فلما بلغ الحصن قال لزوجة خالد قد انفذنى

قبل ذلك منهم قالوا يا أمير المؤمنين قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه وهو القائل يا أمير المؤمنين فى صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم فى أوصافهم فقال المأمون وما الذى قال فدفعت اليه القصة فيها جمل مما رمى به وحكى عنه فى هذا المعنى وهو قوله

اربعة تتعبن الحاظهم
فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه
منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مقبوحة
من خلفه آخرة وافره
وثالث قد حاز كل يهما
قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم
ليست له دنيا ولا آخره

فانكر المأمون ذلك فى الوقت واستعظمه وقال أيكم سمع هذا منه قالوا هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين وأمر باخراجهم عنه وعزل يحيى عنهم وفى يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبى نعيم

يا ليت يحيى لم يلده أكثم
ولم نطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاض فى العراق نعلمه
أى دواة لم يلقها قلمه
وأى شعب لم يلجه ارقمه
وضرب الدهر ضربانة
فاتصل يحيى بالمأمون ونادمه ورخص له فى أمور كثيرة فقال له يوما يا أبا محمد من الذى يقول قاض يرى الحد فى الزنا ولا * يرى على من يلوط من باس قال ذلك ابن أبى نعيم يا أمير خالى

خالى الملك فى مهم فظنته حقا فلما صعد اليها أعلمها بهلاكه وأطمعها فى التزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره ونزل وقصد حصنا حصنا حتى ملك ما كان لخاله وسار الى ميافارقين وسار اليه أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان طمعا فيه وصعما رأس باذ فوجدا أباعلى قد أحكم أمره فتصافوا واقتتلوا وظفر أبو على واسر أبا عبد الله بن حمدان فاكرمه وأحسن اليه ثم أطلقه فسار الى أخيه أبى طاهر وهو بآمد يحصرها فأشار عليه بمصالحة ابن مروان فلم يفعل واضطر أبو عبد الله الى موافقته وسار الى ابن مروان فوافقاه فهزمهما واسر أبا عبد الله أيضا فاساء اليه وضيق عليه الى ان كاتبه صاحب مصر وشفع اليه فاطلقه ومضى الى مصر وتقلد منها ولاية حلب وأقام بتلك الديار الى ان توفى وأما أبو طاهر فانه لما وصل الى نصيبين قصده أبو الذواد فأسره وعليا ابنه والمزعفر امير بنى غير وقتلهم صبرا وأقام ابن مروان بديار بكر وضبطها وأحسن الى أهلها وألان جانبه لهم فطمع فيه أهل ميافارقين فاستطالوا على أصحابه فامسك عنهم الى يوم العيد وقد خرجوا الى المصلى فلما تكاملوا فى الصحراء وافى البلد وأخذ أبا الصقر شيخ البلد فالقاه من على السور وقبض على من كان معه وأخذ الاكراد ثياب الناس خارج البلد وأغلق أبواب البلد وأمر أهله أن ينصرفوا حيث شاؤا ولم يمكنهم من الدخول فذهبوا كل مذهب وكان قد تزوج ست الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فأتته من حلب فعزم على زفافها بآمد فخاف شيخ البلد وابن عمه عبد البر ان يفعل بهم مثل فعله باهل ميافارقين فاحضر ثقاته وحلفهم على كتمان سره وقال لهم قد صح عزم الامير على ان يفعل بكم مثل فعله بأهل ميافارقين وهو يدخل من باب الماء ويخرج من باب الجهاد فقفوا له فى الدركاه وانثروا عليه هذه الدراهم ثم اعتمدوا بها وجهه فانه سيغطيه بكمه فاضربوه بالسكاكين فى مقتل ففعلوا وجرت الحال كما وصف وتولى قتله انسان يقال له ابن دمنة كان فيه اقدام وجراءة فاختبط الناس وماجوا فرمى برأسه اليهم فأسرعوا السير الى ميافارقين وحدث جماعة من الاكراد نفوسهم بملك البلد فاستراب بهم مستحفظ ميافارقين لاسراعهم وقال ان كان الامير حيا قد خلوا معه وان كان قتل فاخوه مستحق لموضعه فما كان بأسرع من ان وصل مهذب الدولة أبو منصور بن مروان أخو أبى على الى ميافارقين ففتح له باب البلد فدخله وملكه ولم يكن له فيه الا السكة والخطبة لما ذكره وأما عبد البر فاستولى على آمد وزوج ابن دمنة الذى قتل أباعلى ابنته فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله وملك آمد وعمر البلد وبنى لنفسه قصرا عند السور وأصلح أمره مع مهذب الدولة وهادى ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره وأما مهذب الدولة فانه كان معه انسان من أصحابه يسمى شروة حاكما فى مملكته وكان لشروة غلام قد ولاه الشرطة وكان مهذب الدولة يبغضه ويريد قتله ويتركه احتراما لصاحبه فقطن الغلام لذلك فافسد ما بينهما فعمل شروة طعاما بقلعة الهتاخ وهى اقطاعه ودعا اليها مهذب الدولة فلما حضر عنده قتله وذلك سنة اثنتين وأربعمائة وخرج من الدار الى بنى عم مهذب الدولة فقبض عليهم وقيدهم واظهر ان مهذب الدولة أمره بذلك ومضى الى ميافارقين وبين يديه المشاعل ففتحوا له ظنا منهم أنه مهذب الدولة فملكها وكتب الى أصحاب القلاع يستدعيهم وأنفذ انسانا الى أرزن ليحضر متوليها ويعرف بخواجه أبى القاسم فسار خواجه نحو ميافارقين ولم يسلم القلعة الى القاصد اليه فلما توسط الطريق سمع بقتل مهذب الدولة فعاد الى ارزن وأرسل الى اسعرد فاحضر أبا نصر بن مروان أخا مهذب الدولة وكان أخوه قد أبعده عنه وكان يبغضه لمنام رآه وهو انه رأى كأن الشمس سقطت فى حجره فنازعه أبو نصر عليها وأخذها فأبعده لهذا وتركه

يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضى
وعلى ال
أمة وال من آل عباس
فاطرق المأمون ساعة
ثم رفع رأسه وقال ينفى ابن
أبى نعيم الى السند وكان
يحيى اذا ركب مع المأمون
فى سفر ركب معه بمنطقة
وقباء وسيف بحمائل
وساسية واذا كان الشتاء
ركب فى أقبية الخز وقلانس
السمور والسروج المكشوفة
وبلغ من اذاعته ومجاهرته
باللواط ان المأمون أمره
ان يفرض لنفسه فرضا
يركبون بركوبه
ويتصرفون فى أموره
ففرض أربعمائة غلام
مرد اختارهم حسان
الوجوه فاقتضح بهم وقال
فى ذلك راشد بن اسحق
يذكر ما كان من أمر يحيى
فى الفرض
خليلى انظرا متعجبين
لاطرف منظر مقلته عينى
لفرض ليس يقبل فيه الا
أسيل الخد حلو المقلتين
والاكل أشقرا كثمى
قليل نبات شعر العارضين
يقدم دون موقف
صاحبيه
بقدر جماله وبقبح ذين
يقودهم الى الهيجاء قاض
شديد الطعن بالرمح
الرديني

بأسعرد مضيقا عليه فلما استدعاه خواجه قال له دبير تفلح قال نعم وكان شروة قد أنفذ الى أبي نصر فوجدوه قد سار الى أرزن فعلم حينئذ انتقاض أمره وكان مروان والد محمد الدولة قد أضر وهو بأرزن عند قبر ابنه أبي علي فهو وزوجته فأحضر خواجه أبا نصر عندهما وحلفه على القبول منه والعدل وأحضر القاضي الشهود على اليمين وملكه ارزن ثم ملك سائر بلاد ديار بكر فدامت أيامه وأحسن السيرة وكان مقصد العلماء من سائر الآفاق وكثروا ببلاده وممن قصده أبو عبد الله الكازروني وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر وقصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم وبقي كذلك ثمان سنة اثنتين وأربعمائة الى سنة ثلاث وخمسين فتوفي فيها وكان عمره نيفا وثمانين سنة وكانت الثغور معه آمنة وسيرته في رعيته أحسن سيرة فلما مات ملك بلاده ولده

﴿ ذكر ملك آل المسيب الموصل ﴾

لما انهزم أبو طاهر بن حمدان من أبي علي بن مروان كما ذكرناه سار الى نصيبين في قلة من أصحابه وكانوا قد تفرقوا فطمع فيه أبو الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل وكان صاحب نصيبين حينئذ كما ذكرناه فثار ببني طاهر فأسره وأسر ولده وعدة من قوادهم وقتلهم وسار الى الموصل فملكها وأعمالها وكاتب بهاء الدولة يسأله ان ينفذ اليه من يقيم عنده من أصحابه يتولى الامور فسير اليه قائدا من قواده وكان بهاء الدولة قد سار من العراق الى الاهواز على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأقام نائب بهاء الدولة وليس له من الامر شيء ولا يحكم الا فيما يريده أبو الذواد وسير دمن ذكره وذكر عقبه ما نقف عليه ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر مسير بهاء الدولة الى الاهواز وما كان منه ومن صمصام الدولة ﴾

في هذه السنة سار بهاء الدولة عن بغداد الى خوزستان عازما على قصد فارس واستخلف ببغداد ابا نصر خواشاذه ووصل الى البصرة ودخلها وسار عنها الى خوزستان وأتاه بها أخيه أبي طاهر فجلس للعزاء به ودخل ارجان فاستولى عليها وأخذ ما فيها من الاموال فكان ألف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم ومن الثياب والجواهر ما لا يحصى فلما علم الجند بذلك شغبوا شغبا متتابعا فأطلقت تلك الاموال كلها لهم ولم يبق منها الا اليسير ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل الى النوبندجان وبها عساكر صمصام الدولة فهزمهم وبث أصحابه في نواحي فارس فسير اليهم صمصام الدولة عسكرا عليهم فولاذ زماندار فواقعهم فانهزم أبو العلاء وعاد مهزوما وكان سبب الهزيمة انه كان بين العسكرين واد وعليه قنطرة وكان أصحاب أبي العلاء يعبرون القنطرة ويغيرون على ثقال الديلم عسكر صمصام الدولة فوضع فولاذ كمينا عند القنطرة فلما عبر أصحاب بهاء الدولة خرجوا عليهم فقتلوهم جميعهم وراسل فولاذ أبا العلاء وخدعه ثم سار اليه وكبسه فانهزم من بين يديه وعاد الى ارجان مهزوما وغلت الاسعار بها ولما بلغ الخبر الى صمصام الدولة سار عن شيراز الى فولاذ وترددت الرسل في الصلح فتم على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق وأن يكون لكل واحد منهما اقطاع في بلد صاحبه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد بهاء الدولة الى الاهواز ولما سار بهاء الدولة عن بغداد ثار العيارون بجانبي بغداد ووقعت الفتن بين أهل السنة والشيعة وكثر القتل بينهم وزالت الصاعة وأحرق عدة محال ونهبت الاموال وأخربت المساكن ودام ذلك عدة شهور الى ان عاد بهاء الدولة الى بغداد

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على وزيره أبي منصور بن صالحان واستوزر ابا نصر سابور بن

ليوم سلامة لا يوم حين
وكلهم جريح الخصيتين
وفيه يقول راشد أيضا
وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها

وفاتني قضاة المسلمين بلوط وكان يحيى بن أكثم بن عمر ابن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو وكان رجلا من بني تميم وسخط عليه المأمون في سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر وبعث به الى العراق مغضوبا عليه وله مصنفات في الفقه وفي فروعه واصوله وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه وبينه وبين أبي سليمان أحمد بن أبي دواد بن على مناظرات كثيرة وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عبد الله محمد ابن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي في رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر يومئذ كذلك ذكر عكرمة ابن محمد بن بشر عن الربيع ابن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل

آردشير قبل مسيره الى خوزستان وكان المدبر لدولة بهاء الدولة أبا الحسين المعلم واليه الحكم وفيها توفي أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز صاحب مصر وكان كامل الاوصاف متمكنا من صاحبه فلما مرض عاده العزيز صاحب مصر وقال وددت انك تباع فابتاعك بعضي فهل من حاجة توصي بها فبكى وقبل يده ووضعها على عينه وقال أما فيما يخصني فانك أرعى لحقي من أن أوصيك بخلقي ولكن فيما يتعلق بدولتك سالم الحمدانية ماسالموك واقنع منهم بالدعة وان ظفرت بالفرج فلا تبق عليه فلما مات حزن العزيز عليه وحضر جنازته وصلى عليه وألحده بيده في قصره وأغلق الدواوين عدة أيام واستوزر بعده أبا عبد الله الموصلي ثم صرفه وقلد عيسى بن نسطورس النصراني فمال الى النصارى وولاهم واستناب بالشام يهوديا يعرف منشا فعمل مع اليهود مثل ما فعل عيسى بالنصارى وجرى على المسلمين تحامل عظيم وفيها في ربيع الاول قلد الشريف أبو أحمد والد الرضي نقابة العلويين والمظالم والامارة الخ وح بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي نيابة عن النقيب أبي أحمد الموسوي وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفقيه الحنفي ومولده سنة عشر بن وثلثمائة وفيها توفي عبد الله محمد بن عبد البر النمري بالاندلس والد الامام أبي عمر بن عبد البر

﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر القبض على الطائع لله)﴾

في هذه السنة قبض على الطائع لله قبضه بهاء الدولة وهو الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل وكان سبب ذلك أن الامير بهاء الدولة قلت عنده الاموال فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور فلم يغن عنه ذلك شيأ وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطائع واطمعه في ماله وهون عليه ذلك وسهله فاقدم عليه بهاء الدولة وأرسل الى الطائع وسأله الاذن في الحضور في خدمته لتجدد العهد به فأذن له في ذلك وجلس له كما جرت العادة فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير فلما دخل قبل الارض وأجلس على كرسي فدخل بعض الديلم كأنه يريد يقبل يد الخليفة فجذبه فازله عن سريره والخليفة يقول انا لله وانا اليه راجعون وهو يستغيث ولا يلتفت اليه وأخذ ما في دار الخليفة من الذخائر فحشوا به في الحال ونهب الناس بعضهم بعضا وكان من جملتهم الشريف الرضي فبادر بالخروج فسلم وقال ابياتا من جملتها

من بعدما كان رب الملك مبتسما * الى أدنوه في النحوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت اغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني * يا رب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية * قد ضل ولاح أبواب السلاطين

ولما حمل الطائع الى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخلع وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام وحمل الى القادر بالله فولى الخلافة فبقي عنده الى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ليلة الفطر وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وكان مولده سنة سبع عشرة وثلثمائة وكان أبيض مربوعا حسن الجسم وكان أنفه كبيرا جدا وكان شديد القوة كثير الاقدام اسم أمه عتب وعاشت الى ان أدركت أيامه ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته

﴿(ذكر خلافة القادر بالله)﴾

وفي هذه السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة أربع ومائتين مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسي وهو أعظما

قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه في ذلك الحجر هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله وما ذكرنا فشهور بمصر والشافعي يتفق نسبه مع بني هاشم وبني أمية في عبد مناف لانه من ولد المطلب بن عبد مناف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه مضمومتين وقد كانت قريش حاصرت بني المطلب مع بني هاشم في الشعب (وحدثني) فقير مسكين عن المزني بهذا وكان فقير يحدث عن المزني وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة اسوان بصعيد مصر قال قال المزني دخلت على الشافعي غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا وبكاس المنية شاربا ولا أدري الى الجنة تصير روحي فاهنيها أم الى النار فأعزيها وأنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما

لما قبض على الطائع لله ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة فاتفقوا على القادر بالله وهو أبو العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بن المعتضد وأمه أم ولد اسمها دمنة وقيل تمنى وكان بالبطيحة كما ذكرناه فأرسل اليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه الى بغداد ليتولى الخلافة فامتنع وامتنع الديلم ببغداد ومنعوا من الخطبة فقيل على المنبر اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ولم يذكروا اسمه وأرضاهم بهاء الدولة ولما وصل الرسل الى القادر بالله كان تلك الساعة يحكي منامًا رآه تلك الليلة وهو ما حكاه هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة قال كنت احضر عند القادر بالله كل أسبوع مرتين فكان يكرمني فدخلت عليه يومًا فوجدته قد تاهب تاهبًا لم تجر به عادته ولم أر منه ما ألفته من اكرامه واختلفت بي الظنون فسألته عن سبب ذلك فان كان لزلة مني اعتذرت عن نفسي فقال بل رأيت البارحة في منامي كأن نهركم هذا نهر الصليق قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات فسرت على حافته متعجبا منه ورأيت قنطرة عظيمة فقلت من قد حدث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ثم صعدتها وهي محكمة فبينا انا عليها أتعجب منها اذ رأيت شخصا قد تأملني من ذلك الجانب فقال أتريد ان تعبر قلت نعم فمد يده حتى وصلت الي فاخذني وعبرني فهالني وتعاظمني فعلمه قلت من أنت قال علي بن أبي طالب وهذا الامر صائر اليك ويطول عمرك فيه فأحسن الى ولدي وشيعتي فما انتهى القادر الى هذا القول حتى سمعنا صياح الملاحين وغيرهم وسألنا عن ذلك واذا هم الواردون اليه لاصعاده ليتولى الخلافة فخاطبته بامرة المؤمنين وبايعه وقام مهذب الدولة بخدمته أحسن قيام وحمل اليه من المال وغيره ما يحمله كبار الملوك للخاصاه وشيعه فسار القادر بالله الى بغداد فلما دخل جبل انحدر بهاء الدولة وأعيان الناس لاستقباله وساروا في خدمته فدخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان وبايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان وجدد أمر الخلافة وعظم ناموسها وسير من اخباره ان شاء الله تعالى ما يعلم به ذلك وحمل اليه بعض ما نهب من دار الخلافة وكانت مدة مقامه في البطيحة سنتين وأحد عشر شهرا ولم يخطب له في جميع خراسان كانت الخطبة فيها للطائع لله

﴿ ذكر ملك خلف بن أحمد كرمان ﴾

في هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد صاحب سجستان وهو ابن بانو بنت عمرو بن الليث الصفار ابنه عمرا الى كرمان فملكها وكان سبب ذلك انه كان لما قوي أمره وجمع الاموال الكثيرة حدثت نفسه بملك كرمان ولم يتهيأ له ذلك لهدنة كانت بينه وبين عضد الدولة فلما مات عضد الدولة وملك شرف الدولة واستقر أمره وانتظم وأمن ملكه لم يتحرك بشيء من ذلك فلما توفي شرف الدولة واضطرب ملوك بني بويه ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة قوي طامعه وانتهز الفرصة وجهز ولده عمرا وسيره في عسكر كثير الى كرمان وبها قائد يقال له تمرتاش كان قد استعمله شرف الدولة فلم يشعر تمرتاش الا وعمرو قد قاربه فلم يكن له ولا معه حيلة الا الدخول الى بردسير وحملوا ما أمكنهم حمله وغنم عمرو الباقي وملك كرمان ما عدا بردسير وصادر الناس وجبى الاموال فلما وصل الخبر الى صمصام الدولة وهو صاحب فارس جهز العساكر وسيرها الى تمرتاش وقدم عليهم قائدا يقال له أبو جعفر وأمره بالقبض على تمرتاش عند الاجتماع به لانه اتهمه بالميل الى أخيه بهاء الدولة فسار أبو جعفر فلما اجتمع بتمرتاش أنزله عنده بعلة الاجتماع على ما ينفعلانه وقبض عليه وحمله الى شيراز فسار أبو جعفر بالعسكر جميعه يقصد عمرو بن خلف ليحاربه فالتقوا بدارزين واقتتلوا فانهزم أبو جعفر والديلم وعادوا على طريق جيرفت وبلغ الخبر الى صمصام الدولة

لخيل اليه موثقا بالحديد فمثل بين يديه فقال أنت نبي مرسل قال أما الساعة فأنا موثق قال ويلك من غرك قال أبهذا تخاطب الانبياء أما والله لولا أني موثق لأمرت جبريل ان يدمدمها عليكم قال له المأمون والموثق لا يجاب له دعوة قال الانبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها فضحك المأمون وقال من قيدك قال هذا الذي بين يديك قال فنحن نطلقك وتأمر جبريل ان يدمدمها فان اطاعك آمنا بك وصدقناك فقال صدق الله اذ يقول فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ان شئت فافعل فأمر باطلاقه فلما وجد راحة العافية قال ياجبريل ومتى بها صوته ابعثوا من شئتم فليس بيني وبينكم الآن خير غيري يملك الاموال وأنا لا شيء معي ما يذهب لكم الا السجان فأمر باطلاقه والاحسان اليه (وحدث) ثمامة بن اشرس قال شهدت مجلسا للمأمون وقد أتي برجل ادعى أنه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ما سمعت بأجرأ على الله من هذا قالت ان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في كلامه قال شأنك وأياه قلت يا هذا ان ابراهيم عليه السلام كانت له براهين قال وما براهينه قلت اضرمت له النار وألقي فيها فكانت عليه بردا وسلاما

وأصحابه فانزعجوا لذلك ثم اجمعوا أمرهم على انفاذ العباس بن أحمد في عسكر أكثر من الاول فسيروه في عدد كثير وعدة ظاهرة فسار حتى بلغ عمرا فالتقوا بقرب السيرجان واقتتلوا فكانت الهزيمة على عمرو بن خلف وأسر جماعة من قواده وأصحابه وكان هذا في المحرم سنة اثنتين وثمانين وعاد عمرو الى أبيه بسجستان مهزوما فلما دخل عليه لامه ووبخه ثم حبسه أياما ثم قتله وتولى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة فسبحان الله ما كان أقسى قلب هذا الرجل مع علمه ومعرفته ثم ان صمصام الدولة عزل العباس عن كرمان واستعمل عليها استاذهرمز فلما وصل الى كرمان خافه خلف بن أحمد فكاتبه في تجديد الصلح واعتذر عن فعله فاستقر الصلح وانفذ خلف قاضيا كان بسجستان يعرف بأبي يوسف كان له قبول عند العامة والخاصة ووضع عليه انسانا يكون معه وأمره ان يسقيه سما اذا صار عند استاذهرمز ويعود مسرعا ويشيع بان استاذهرمز قتله فسار أبو يوسف الى كرمان فصنع له استاذهرمز طعاما فحضره وأكل منه فلما عاد الى منزله سقاه ذلك الرجل سما فمات منه وركب جمازة وسار مجدا الى خلف فجمع له خلف وجوه الناس ليسمعوا له فذكر ان استاذهرمز قتل القاضي أبا يوسف وبكر خلف واظهر الجزع عليه ونادى في الناس بغزو كرمان وأخذ بثار أبي يوسف فاجتمع الناس واحتشدوا فسيرهم مع ولده طاهر فوصلوا الى نرماسير وبها عسكر الديلم فهزموهم واخذوا البلد منهم ولحق الديلم بجيرفت فاجتمعوا بها وجعلوا يردسير مرتجعها وهي أصل بلاد كرمان مصرها فقصدها طاهر وحصرها ثلاثة أشهر فصاق بأهلها وكتبوا الى استاذهرمز يعلمونه حالهم وانه ان لم يدركهم سلموا البلد فركب الخطر وسار مجدا في مضايق وجبال وعرة حتى أتى بردسير فلما وصل اليها رحل طاهر ومن معه عنها وعادوا الى سجستان واستقرت كرمان للديلم وكان ذلك سنة أربع وثمانين وثلثمائة

﴿ ذكر عصيان بكجور على سعد الدولة بن حمدان وقتله ﴾

لما وصل بكجور الى الرقة منهزما من عساكر مصر بدمشق وأقام على ما ذكرناه واستولى على الرحبة وما يجاورها رفد راسل الملك بهاء الدولة بن بويه بالانضمام اليه وكاتب أيضا باذ الكردي المتغلب على ديار بكر والوصل بالمسير اليه وراسل سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بان يعود الى طاعته على قاعدته الاولة ويقطعه منه مدينة حمص كما كانت له فليس فيهم من اجابه الى شئ مما طلب فبقي في الرقة يراسل جماعة رفقاه من عمالك سعد الدولة ويستميلهم فأجابوه الى الموافقة على قصد بلد سعد الدولة وأخبروه انه مشغول بلذاته وشهواته عن تدبير الملك فأرسل حينئذ بكجور الى العزيز بالله صاحب مصر يطمعه في حلب ويقول له انها دهليز العراق ومتى أخذت كان ما بعدها أسهل منها ويطلب الانجاد بالعساكر فأجابه العزيز الى ذلك وأرسل الى نزال والي طرابلس والي ولاة غيرها من البلاد الشامية يأمرهم بتجهيز العساكر مع نزال الى بكجور والتصرف على ما يأمرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده وكتب عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز الى نزال يأمره بمدافعة بكجور واطماعه في المسير اليه فاذا تورط في قصد سعد الدولة تخلى عنه وكان السبب في فعل عيسى هذا بكجور انه كان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمة وولي الوزارة بعد وفاة ابن كلس فكتب الى نزال ما ذكرناه فلما وصل أمر العزيز الى نزال بانجاد بكجور وكتب اليه يعرفه ما أمر به من نجدته بنفسه وبالعساكر معه وقال له بكجور مسيرك عن الرقة يوم كذا ومسيري أنا عن طرابلس يوم كذا ويكون اجتماعنا على حلب يوم كذا وتابع رسله اليه بذلك فسار مغترا بقوله الى بالس فامتنعت عليه فحصرها خمسة أيام فلم يظفر بها

هات ما هو ألين على من هذا قلت فبراهين موسى عليه السلام قال وما هي قلت ألقى العصا فاذا هي حية تسعى تلقف ما يأفكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء قال هذا أصعب ولكن هات ما هو ألين من هذا قلت فبراهين عيسى عليه السلام قال وما براهينه قلت احياء الموتى فقطع الكلام في براهين عيسى وقال جئت بالطامة الكبرى دعني من براهين هذا قلت فلا بد من براهين قال ما معي من هذا شئ قلت لجبريل انكم توجهوني الى شياطين فاعطوني حجة اذهب بها والا لم اذهب فغضب جبريل عليه السلام علي وقال جئت بالشر من ساعة اذهب أولا فانظر ما يقول لك القوم فضحك المأمون وقال هذا من الانبياء التي تصلح للمخادمة وفي سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المأمون أخاه القاسم بن الرشيد من ولاية العهد وفي سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق واشتد أمره وهو محمد بن ابراهيم بن اسمعيل ابن الحسن بن الحسن

ابن علي بن أبي طالب وهو ابن طباطبا وثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله ووثب

مسار عنها وبلغ الخبر بسير بكجور الى سعد الدولة فسار عن حلب ومعه لؤلؤ الكبير مولى أبيه سيف الدولة وكتب الى بكجور يستميله ويدعوه الى الموافقة ورعاية حق الرق والعبودية ويبذل له ان يقطعه من الرقة الى حمص فلم يقبل منه ذلك وكاتب سعد الدولة قد كاتب الوالي بانطاكية لملك الروم يستنجده فسير اليه جيشا كثيرا من الروم وكاتب أيضا من بكجور من العرب يرغبهم في الاقطاع والعطاء الكثير والعفو عن مساعدتهم بكجور فمالوا اليه ووعدوه الهزيمة بين يديه فلما التقى العسكران اقتتلوا واشتد القتال فلما اختلط الناس في الحرب وشغل بعضهم ببعض عطف العرب على سواد بكجور فهزموه واستأمنوا الى سعد الدولة فلما رأى بكجور ذلك اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل وعزم على ان يقصد موقف سعد الدولة ويلقى نفسه عليه فأما له واما عليه فهرب واحد ممن حضر الحال الى لؤلؤ الكبير وعرفه ذلك فطلب لؤلؤ من سعد الدولة ان يتحرك من موقفه ويقف مكانه فأجابه الى ذلك بعد امتناع فحمل بكجور ومن معه فوصلوا الى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلهم فلما رأى لؤلؤ ألقى نفسه عليه وهو يظنه سعد الدولة وضربه على رأسه فسقط الى الارض فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد الى موقفه فتروح به أصحابه وقويت نفوسهم وأحاطوا ببكجور وصدقوه القتال فمضى منهزما هو وعامة أصحابه وتفرقوا وبقي منهم معه سبعة أنفس وكثر القتل والاسر في الباقين ولما طال الشوط ببكجور ألقى سلاحه وسار فوقف فرسه فنزل عنه وسار راجلا فلحقه نفر من العرب فأخذوا ما عليه وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرفه نفسه وسأله حمل بعير دهما ليوصله الى الرقة فلم يصدقه لبذله المشهور عنه فتركه في بيته وتوجه الى سعد الدولة فعرفه ان بكجور عنده فحكمه سعد الدولة في مطالبه فطلب مائتي فدان ملكا ومائة ألف درهم ومائة حمل تحمل له حنطة وخمسين قطعة ثيابا فأعطاه ذلك أجمع وزيادة وسير معه سرية فتسلموا بكجور وأحضروه عند سعد الدولة فلما رآه أمر بقتله فقتل ولقي عاقبة بغيه وكفره احسان مولاه فلما قتله سعد الدولة سار الى الرقة فنازلها وبها سلامة الرشيقي ومعه أولاد بكجور وأبو الحسن علي ابن الحسين المغربي وزير بكجور فسلموا البلد اليه بامان وعهود أكدوها وأخذوها عليه لاولاد بكجور وأموالهم وللوزير المغربي ولسلامة الرشيقي ولاموالهم فلما خرج أولاد بكجور باموالهم رأى سعد الدولة ما معهم فاستعظمه واستكثره وكان عنده القاضي ابن ابي الحصين فقال سعد الدولة ما كنت أظن ان بكجور يملك هذا جميعه فقال له القاضي لم لا تأخذه فهو لك لانه مملوك لا يملك شيأ ولا حرج عليك ولا حنث فلما سمع هذا أخذ المال جميعه وقبض عليهم وهرب الوزير المغربي الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وكتب أولاد بكجور الى العزيز يسألونه الشفاعة فيهم فأرسل اليه يشفع فيهم ويأمره أن يسيرهم الى مصر ويتهدده ان لم يفعل فاهان الرسول وقال له قل لصاحبك أنا سائر اليه وسير مقدمته الى حمص ليلحقهم

﴿ ذكر وفاة سعد الدولة بن حمدان ﴾

فلما بلغ سعد الدولة ليسير الى دمشق لحقه قولنج فعاد الى حلب ليتداوى فزال ما به وعوفي وعزم على العود الى معسكره وحضر عنده احدى سراريه فواقعها فسقط عنها وقد فلج وبطل نصفه فاستدعى الطبيب فقال له أعطني يدك لآخذ مجسك فأعطاه اليسرى فقال أعطني اليمين فقال لا تركت لي اليمين يمينا يعني نكبه بأولاد بكجور هو الذي أهلكه وقد ذكر ذلك وندم عليه حيث لم تنفعه الندامة وعاش بعد ذلك ثلاثة أيام ومات بعد أن عهد الى ولده أبي الفضائل ووصى الى لؤلؤ

بالبصرة علي بن محمد بن علي البصرة وفي هذه السنة مات أبو طباطبا الذي كان يدعو اليه أبو السرايا وهو محمد بن ابراهيم المقدم ذكره وظهر في هذه السنة باليمن وهي سنة تسع وتسعين ومائة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله وذلك في سنة مائتين ودعا لنفسه واليه دعت السميطية من فرق الشيعة وقالت بامامته وقد افترقوا فرقا فمنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الامامية وقد ذكرنا في كتاب المقالات في أصول الديانات وفي كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبيين وقيل ان محمد بن جعفر دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد ابن ابراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا فلما مات ابن طباطبا وهو محمد ابن ابراهيم بن الحسن ابن الحسن دعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين غير محمد بن جعفر وكان يسمى بالديباجة لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال وكان له بمكة ونواحيها

به و بسائر أهله فلما توفى قام أبو الفضائل وأخذ له لؤلؤ العهد على الاجناد وتراجعت العساكر الى حلب وكان الوزير أبو الحسن المغربى قد سار من مشهد على عليه السلام الى العزيز بمصر وأطمعه فى حلب فسير جيشا وعليهم منجوتكين احد امرائه الى حلب فسار اليها فى جيش كثيف فحصرها وبها أبو الفضائل ولؤلؤ فكتبا الى بسيل ملك الروم يستنجدانه وهو يقاتل البلغار فأرسل بسيل الى نائبه بانطاكية يأمره بانجاد أبى الفضائل فسار فى خمسين ألفا حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصى فلما سمع منجوتكين الخبر سار الى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بأبى الفضائل وعبر اليهم العاصى وأوقعوا بالروم فهزموهم و ولوا الادبار الى انطاكية وكثر القتل فيهم وسار منجوتكين الى انطاكية فنهب بلدها وقراها وأحرقها وانفذ أبو الفضائل الى بلد حلب فقتل ما فيه من الغلال وأحرق الباقى اضرارا بعساكر مصر وعاد منجوتكين الى حلب فحصرها فأرسل لؤلؤ الى أبى الحسن المغربى وغيره و بذل لهم مالا ليردّ وا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلة تعذر الاقوات ففعلوا ذلك وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب فأجابهم اليه وسار الى دمشق ولما بلغ الخبر الى العزيز غضب وكتب بعود العسكر الى حلب وابعاد المغربى وانفذ الاقوات من مصر فى البحر الى طرابلس ومنها الى العسكر فنازل العسكر حلب وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهرا فقلت الاقوات بحلب وعاد الى مراسلة ملك الروم والاعتضاد به فقال له متى أخذت حلب أخذت انطاكية وعظم عليك الخطب وكان قد توسط بلاد البلغار وعاد وجد فى السير وكان الزمان ربيعا وعسكر مصر قد أرسل الى منجوتكين يعرفه الحال وأتته جواسيسه بمثل ذلك فأخرب ما كان بناه من سوق وحمام وغير ذلك وسار كالمنهزم عن حلب ووصل ملك الروم فنزل على باب حلب وخرج اليه أبو الفضائل ولؤلؤ وعاد الى حلب ورحل بسيل الى الشام ففتح حمص وشيزر ونهبها وسار الى طرابلس فنازلها فامتنعت عليه وأقام عليها نيفا وأربعين يوما فلما أيس منها عاد الى بلاد الروم ولما بلغ الخبر الى العزيز عظم عليه وناد فى الناس بالنفير لغزو الروم و برز من القاهرة وحدث به امراض منعته وأدركه الموت على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل المنصور صاحب افريقية نائبه فى البلاد يوسف واستعمل بعده على البلاد أبا عبد الله محمد بن أبى العرب وفيها توفى القائد جوهر بعد عزله وهذا جوهر هو الذى فتح مصر للمعز العلوى وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبى نصر سابور بالاهواز واستوزر أبا القاسم عبد العزيز ابن يوسف وفيها أيضا قبض بهاء الدولة على أبى نصر خواشاذه وأبى عبد الله بن طاهر بعد عوده من خوزستان وكان سبب قبضهما ان أبا نصر كان شحيحا فلم يواصل ابن المعلم بخدمة وهداياه فشرع فى القبض عليه وفيها هرب فولاذ ماندرمن عند صمصام الدولة الى الرى وكان سبب هربه انه تحكم على صمصام الدولة تحكما عظيما أنف منه فأراد القبض عليه فعلم به فهرب منه وفيها كتب أهل الرحبة الى بهاء الدولة يطلبون انفاذ من يسلمون اليه الرحبة فأنفذ خمارتكين الحفصى الى الرحبة فتسلمها وسار منها الى الرقة و بها بدر غلام سعد الدولة بن حمدان فجرت بينهما وقعات فلم يظفر بها و بلغه اختلاف ببغداد فعاد فخرج عليه بعض العرب فأخذوه أسيرا ثم افتدى منهم بمال كثير وفيها حلف بهاء الدولة للقادر بالله على الطاعة والقيام بشروط البيعة وحلف له القادر بالوفاء والخلوص وأشهد عليه انه قلده ما وراء بابه وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد و زالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق فى المحال واستمر الفساد وفيها توفى قاضى القضاة عبيد الله

محمد بن جعفر بها فدفن بها وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبى طالب فى كتابنا حدائق الاذهان فى أخبار آل أبى طالب ومقاتلهم فى بقاع الارض وظهر فى أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسن بن الحسين بن على ابن على بن الحسين بن على وهو المعروف بابن الافطس وقيل انه دعا فى بدء أمره الى ابن طباطبا فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه والتول بامامته وسار الى مكة فأتى الناس وهم بمنى وعلى الحاج داود ابن عيسى بن موسى الهاشمى فهرب داود ومضى الناس الى عرفة ودفعوا الى مزدلفة بغير امام فصلى بالناس ثم مضى الى منى فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة الا القباطى البيض فقط وفى سنة مائتين ظهر حماد المعروف بالكبد عوس بن السرايا فأتى به الحسن ابن سهل فقتله وصلبه على الجسر ببغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار

الزمان على خبر أبى السرايا وخروجه وما كان منه فى خروجه وقتله عبدوس بن أبى خالد وس كان معه من قواد الابناء واستباحة

ابن أحمد بن معروف أبو محمد ومولده سنة ست وثلثمائة وكان فاضلا فيفائزها وكان معتزليا ومحمد ابن ابراهيم بن علي بن عاصم بن زاد ان أبو بكر المعروف بابن المقرى الاصبهاني وله ست وتسعون سنة وهو راوي مسند أبي يعلى الموصلي عنه

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر عود الديلم الى الموصل)﴾

كان بهاء الدولة قد أنفذ أبا جعفر الحاج بن هرمز في عسكر كثير الى الموصل فملكها آخر سنة احدى وعشرين فاجتمعت عقيل وأميرهم أبو الذواد محمد بن المسيب على حربه فجرى بينهم عدة وقائع ظهر في أبي جعفر فيها بأس شديد حتى انه كان يضع له كرسيا بين الصفين ويجلس عليه فهابه العرب واستمد من بهاء الدولة عسكرا فأمده بالوزير أبي القاسم علي بن أحمد وكان مسيره أول هذه السنة فلما وصل الى العسكر كتب بهاء الدولة الى أبي جعفر بالقبض عليه فعلم أبو جعفر انه ان قبض عليه اختلف العسكر وطمعت به العرب فتراجع في أمره وكان سبب ذلك ان ابن المعلم كان عدوا له فسعى به عند بهاء الدولة فأمر بقبضه وكان بهاء الدولة اذا سمع ما يقال له ويفعل به وعلم الوزير الخبر شرع في صلح أبي الذواد واخذ رهائنه والعود الى بغداد فأشار عليه أصحابه باللحاق بأبي الذواد فلم يفعل أنفة وحسن عهد فلما وصل الى بغداد رأى ابن المعلم قد قبض وقتل وكفى شره ولما أتاه خبر قبض ابن المعلم وقتله ظهر عليه الانكسار فقال له خواصه ما هذا الهم وقد كفيت شر عدو لك فقال ان ما كان قرب رجلا كما قرب بهاء الدولة ابن المعلم ثم عمل به هذا الحقيق بأن تخاف ملابسته وكان بهاء الدولة قد أرسل الشريف أبا أحمد الموسوي رسولا الى أبي الذواد فأسره العرب ثم أطلقوه فورد الى الموصل وانحدر الى بغداد

﴿(ذكر تسليم الطائع الى القادر وما فعله معه)﴾

في هذه السنة في رجب سلم بهاء الدولة الطائع لله الى القادر بالله فانزله حجرة من خاص حجره ووكل به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته وأحسن صيانته وكان يطلب الزيادة في الخدمة كما كان أيام الخلافة فيأمر له بذلك حكى عنه أن القادر بالله أرسل اليه طيبا فقال من هذا يتطيب أبو العباس يعني القادر فقالوا نعم فقال قولوا له عني في الموضع الفلاني كندوج فيه مما كنت أستعمله فليرسل الى بعضه ويأخذ الباقي لنفسه ففعل ذلك وأرسل اليه يوما القادر بالله عدسية فقال ما هذا فقالوا عدس وساق فقال أوقد أكل أبو العباس من هذا قالوا نعم قال قولوا له عني لما أردت أن تأكل عدسية لم اختفيت فما كانت العدسية تعوزك ولم تتقلدت هذا الامر فامر حينئذ القادر ان يفرد له جارية من طباخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم فاقام على هذا الى ان توفي

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن بن المعلم وكان قد استولى على الامور كلها وخدمه الناس كلهم حتى الوزراء فأساء السيرة مع الناس فشغب الجند في هذا الوقت وشكوا منه وطلبوا منه تسليمه اليهم فرجعهم بهاء الدولة ووعدهم كف يده عنهم فلم يقبلوا منه فقبض عليه وعلى جميع أصحابه فظن ان الجند يرجعون فلم يرجعوا فسلمه اليهم فسقوه السم مرتين فلم يعمل فيه شيأ فخنقوه ودفنوه وفيها في شوال تجددت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم واشتد الحال وركب أبو الفتح محمد بن الحسن الحاجب فقتل وصلب فسكن البلد وفيها غلت الاسعار ببغداد فبيع الرطل الخبز بأربعين درهما وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي القاسم علي بن أحمد

عسكره (قال المسعودي) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الرضا لاختصاصه فحمل اليه مكرما وفيها أمر المأمون باحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ووصل الى المأمون علي بن موسى الرضا وهو بمدينة مرو فانزله المأمون أحسن انزال وأمر المأمون بجمع خواص الاولياء وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالامر من علي بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام ونهى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فأعظموه اذ علموا أن في ذلك خروج الامر عنهم وصاح بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس على خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة فبويع له يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين وقيل ان ذلك في سنة ثلاث ومائتين وفي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل في حمام غيلة المذكور

المذكور وكان سبب قبضه ان بهاء الدولة اتهمه بمكاتبة الجند فى أمر ابن المعلم واستوزر أبا نصر ابن سابور وأبا منصور بن صالحان جمع بينهما فى الوزارة وفيها قبض صمصام الدولة على وزيره أبى القاسم العلاء بن الحسن بشيراز وكان غالبا على أمره و بقى محبوسا الى سنة ثلاث وثمانين فاخرجه صمصام الدولة واستوزره وكان يدبر الامر مدة حبسه أبو القاسم المذحجى وفيها نزل ملك الروم بأرمينية وحصر خلاط وملازكرد وارجيش فضعفت نفوس الناس عنه ثم هادنه أبو على الحسن بن مروان مدة عشر سنين وعاد ملك الروم وفيها فى شوال ولد الامير أبو الفضل بن القادر بالله وفيها سار بغراخان ايلك ملك الترك بعساكره الى بخارا فسير اليه الامير نوح بن منصور جيشا كثيرا والتقيهم ايلك وهزمهم فعادوا الى بخارا مفلولين وهو فى أثرهم فخرج نوح بنفسه وسائر عسكره ولقيه فاقتتلوا قتالا شديدا أجلت المعركة عن هزيمة ايلك فعاد منهزما الى بلاد ساغون وهى كرسى مملكته وفيها توفى أبو عمرو محمد بن العباس بن حسنويه الخراز ومولده سنة خمس وتسعين ومائتين

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر خروج أولاد بختيار﴾

فى هذه السنة ظهر أولاد بختيار من محبسهم واستولوا على القلعة التى كانوا معتقلين بها وكان سبب حبسهم ان شرف الدولة أحسن اليهم بعد والده وأطلقهم وأنزلهم بشيراز وأقطعهم فلما مات شرف الدولة حبسوا فى قلعة ببلاد فارس فاستمالوا من يحفظها ومن معه من الديلم فافرجوا عنهم وأنفذوا الى أهل تلك النواحى وأكثرهم رجالة فجمعوهم تحت القلعة وعرف صمصام الدولة الحال فسير أبا على بن أستاذهرمز فى عسكر فلما قاربهم تفرق من معهم من الرجالة وتحصن بنو بختيار وكانوا ستة ومن معهم من الديلم بالقلعة وحصرهم أبو على وراسل أحد وجوه الديلم واطمعه فى الاحسان واصعدهم الى القلعة سرا فملكوها وأخذوا أولاد بختيار أسرى فامر صمصام الدولة بقتل اثنين منهم وحبس الباقين ففعل ذلك بهم

﴿ذكر ملك صمصام الدولة خوزستان﴾

فى هذه السنة ملك صمصام الدولة خوزستان وكان سبب نقض الصلح أن بهاء الدولة سير أبا العلاء عبد الله بن الفضل الى الاهواز وتقدم اليه بأن يكون مستعد القصد بلاد فارس وأعلمه انه يسير اليه العساكر متفرقين فاذا اجتمعوا عنده سار بهم الى بلاد فارس بغتة فلا يشعر صمصام الدولة الا وهم معه فى بلاده فسار أبو العلاء ولم يتهيأ لبهاء الدولة امداده بالعساكر وظهر الخبر فجهز صمصام الدولة عسكره وسيرهم الى خوزستان وكتب أبو العلاء الى بهاء الدولة بالخبر و يطلب امداده بالعساكر فسير اليه عسكرا كثيرا ووصلت عساكر فارس فلقيهم أبو العلاء فانهزم هو وأصحابه وأخذ أسيرا وحمل الى صمصام الدولة فألبس ثيابا مصبغة وطيف به وسألت فيه والدة صمصام الدولة فلم يقتله واعتقله ولما سمع بهاء الدولة بذلك أزعجه وأقلقه وكانت خزانته قد خلت من الاموال فأرسل وزيره أبا نصر بن سابور الى واسط ليحصل ما أمكنه واعطاه رهونا من الجواهر والاعلاق النفيسة ليقترض عليها من مهذب الدولة صاحب البطيحة فلما وصل الى واسط تقرب منها الى مهذب الدولة وترك ما معه من الرهون بحاله وأرسل بهاء الدولة ورهنها واقترض عليها

﴿ذكر ملك الترك بخارا﴾

فى هذه السنة ملك مدينة بخارا شهاب الدولة هرون بن سليمان ايلك المعروف بغراخان التركى

وقبض على بن موسى الرضا بطوس لعنب أكلوا اكثر منه وقيل انه كان مسموما وذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين وصلى عليه المأمون وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل سبع وأربعين سنة وسبعة أشهر وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وكان المأمون زوج ابنته أم حبيبة لعلى ابن موسى الرضا فكانت احدى الاختين تحت محمد ابن على بن موسى والاخرى تحت أبيه على بن موسى واضطربت بغداد فى أيام ابراهيم بن المهدى وثارت الرويضة وهم أنفسهم المطوعة وهم رؤساء العامة والتوابع ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى ابراهيم بن المهدى بالناس فى يوم النحر واختفى فى يوم الثانى من النحر وذلك فى سنة ثلاث ومائتين فخلعه أهل بغداد وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ولباسه الخضرة ثم غير ذلك وعاد الى لباس السواد وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة اليه وفى سنة احدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها وفيها كان خروج بابل الحرمى ببلاد اليدين فى أصحاب جاويذان بن شهرك

وقد قدمنا ذكرنا بلاد بابل وهى اليدين من اذربيجان والران والبيلقان فيما سلف

وكان له كاشغر وبلاد ساغون الى حد الصين وكان سبب ذلك ان أبا الحسن بن سيمجور ولى ابنه أبو على خراسان بعده كاتب الامير الرضى نوح بن منصور يطلب ان يقر على ما كان أبوه يتولاه فأجيب الى ذلك وحملت اليه الخلع وهو لا يشك انها له فلما بلغ الرسول طريق هراة عدل اليها وبها فائق فأوصل الخلع والعهد بخراسان اليه فعلم أبو على أنهم مكروا به وان هذا ليل سوء يريدونه به فلبس فائق الخلع وسار عن هراة نحوه أبى على فبلغه الخبر فسار جريدة فى نخبة أصحابه وطوى المنازل حتى سبق خبره فاوقع بفائق فيما بين بوشنج وهراة فهزم فائقا وأصحابه وقصدوا مرو الروذ وكتب أبو على الى الامير نوح يجدد طلب ولاية خراسان فاجابه الى ذلك وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد ان كانت هراة لفائق فعاد أبو على الى نيسابور ظافرا وجبى أموال خراسان فكتب اليه نوح يستنزله عن بعضها ليصرفه فى أرزاق جنده فاعتذر اليه ولم يفعل وخاف عاقبة المنع فكتب الى بغراخان المذكور يدعوه الى ان يقصد بخارا ويملكها على السامانية وأطمعه فيهم واستقر الحال بينهما على ان يملك بغراخان ماوراء النهر كله ويملك أبو على خراسان فطمع بغراخان فى البلاد وتجدد له اليها حركة واما فائق فانه أقام بمرو الروذ حتى انجبر كسره واجتمع اليه أصحابه وسار نحو بخارا من غير اذن فارتاب الامير نوح له فسير اليه الجيوش وأمرهم بغزوه فلما لقوه قاتلوه فانهزم فائق وأصحابه وعاد على تعبيه وقصد ترمذ فكتب الامير نوح الى صاحب الجوزجان من قبله وهو أبو الحرث أحمد بن محمد الفريغونى وأمره بقصد فائق فجمع جمعا كثيرا وسار نحوه فاوقع بهم فائق فهزمهم وغنم أموالهم وكاتب أيضا بغراخان يطمعه فى البلاد فسار نحو بخارا وقصد بلاد السامانية فاستولى عليها شيأ بعد شئ فسير اليه نوح جيشا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من قواده اسمه أيغ فلقيهم بغراخان فهزمهم وأسر أيغ وجماعة من القواد فلما ظفر بهم قوى طمعه فى البلاد وضعف نوح وأصحابه وكاتب الامير نوح أبا على بن سيمجور يستنصره ويأمره بالقدوم اليه بالعساكر فلم يجبه الى ذلك ولا الى دعوته وقوى طمعه فى الاستيلاء على خراسان وسار بغراخان نحو بخارا فالقيه فائق واختص به وصار فى جملته ونازلوا بخارا فاختفى الامير نوح وملكها بغراخان ونزلها وخرج نوح منها مستخفيا فعبر النهر الى آمل الشط وأقام بها ولحق به أصحابه فاجتمع عنده منهم جمع كثير وأقاموا هناك وتابع نوح كتبه الى أبى على ورسله يستنجده ويخضع له فلم يصغ الى ذلك واما فائق فانه استأذن بغراخان فى قصد بلخ والاستيلاء عليها فأمره بذلك فسار نحوها ونزلها

﴿ذكر عود نوح الى بخارا وموت بغراخان﴾

لما نزل بغراخان بخارا وأقام بها استوخمها فلحقه مرض ثقيل فانتقل عنها نحو بلاد الترك فلما فارقها ثار أهلها بساقة عسكره ففتكوا بهم وغنموا أموالهم ووافتهم الاتراك الغزية على النهب والقتل لعسكر بغراخان فلما سار بغراخان عن بخارا أدركه أجله فمات ولما سمع الامير نوح بمسيره عن بخارا بادر اليها فيمن معه من اصحابه فدخلها وعاد الى دار ملكه وملك آبائه وفرح أهلها به وتباشروا بقدومه واما بغراخان فانه لما مات عاد أصحابه الى بلادهم وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة محبا للعلماء وأهل الدين مكرما لهم وكان يحب ان يكتب عنه ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى أمر الترك بعده ايلك أخان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كثر شغب الديلم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير أبى نصر بن سابور واختفى منهم

عيونه فى طلب ابراهيم بن المهدى وقد علم باختفائه فيها فظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين فى زى امرأة ومعه امرأتان أخذه حارس بن أسود فى الدرب المعروف بالطويل ببغداد فادخل الى المأمون فقال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولى الثأر محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دونى فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل العفو يا ابراهيم فكبر ثم خر ساجدا فأمر المأمون فصيرت التى كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التى أخذ عليها ثم أمر به فصير فى دار الحرس أياما ينظر الناس اليه ثم حول الى أحمد بن خالد ثم رضى عنه من بعد أن كان وكل به فقال ابراهيم فى ذلك من كلمة له

ان الذى قسم المكارم حازها
من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أهلها

وجرى وداد كل خير جامع فبذلك أعظم ما يقوم بحمله

واستعفى

واستعفى ابن صالحان من الانفراد بالوزارة فاعفى واستوزر أبا القاسم علي بن أحمد ثم هرب وعاد سابور الى الوزارة بعد ان أصلح الديلم وفيها حلس القادر بالله لاهل خراسان بعد عودهم من الحج وقال لهم في معنى الخطبة له وحملوا رسالة وكتبا الى صاحب خراسان في المعنى وفيها عقد النكاح للقادر على بنت بهاء الدولة بصداق مبلغه مائة ألف دينار وكان العقد بحضرته والولي النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضا وماتت قبل النقلة وفيها كان بالعراق غلاء شديد بيعت الكارة الدقيق بمائتين وستين درهما والكر الحنطة بستة آلاف وستمائة درهم غياثية وفيها بنى أبو نصر سابور بن اردشير ببغداد دار العلم ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد بن سهل العاسر جسي الفقيه الشافعي شيخ أبي الطيب الطبري بنيسابور وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر وأبو طالب عبد السلام بن الحسن المأموني وهو من أولاد المأمون وكان فاضلا حسن الشعر

﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمانمائة﴾

﴿ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان واجلاء أبي علي عنها﴾

في هذه السنة ولى الامير نوح محمود بن سبكتكين خراسان وكان سبب ذلك ان نوحا لما عاد الى بخارا الى ما تقدم ذكره سقط في يد أبي علي وندم على ما فرط فيه من ترك معونته عند حاجته اليه واما فائق فانه لما استقر نوح ببخارا احدث نفسه بالمسير اليه والاستيلاء عليه والحكم في دولته فسار عن الري الى بخارا فلما علم نوح بذلك سير اليه الجيوش لتردّه عن ذلك فلقوه وافتتلوا قتالا شديدا فانهزم فائق وأصحابه ولحقوا بابي علي ففرح بهم وقوى جنانه بقربهم واتفقوا على مكاشفة الامير نوح بالعصيان فلما علموا ذلك كتب الامير نوح الى سبكتكين وهو حينئذ بغزنة يعرفه الحال ويأمره بالمسير اليه ليجده وولاه خراسان وكان سبكتكين في هذه المدة مشغولا بالغزو غير ملتفت الى ما هم فيه فلما أتاه كتاب نوح ورسوله أجابه الى ما أراد وسار نحوه حريدة واجتمع به وقررا بينهما ما يفعلانه وعاد سبكتكين فجمع العساكر وحشد فلما بلغ أبا علي وفائقا الخبر جمعا وراسلا فخر الدولة بن بويه يستمدانه ويطلبان منه عسكرا فأجابهما الى ذلك وسير اليهما عسكرا كثيرا وكان وزيره الصاحب بن عباد هو الذي قرر القاعدة في ذلك وسار سبكتكين من غزنة ومعه ولده محمود نحو خراسان وسار نوح فاجتمع هو وسبكتكين وقصدوا أبا علي وفائقا فالتقوا بنواحي هراة واقتتلوا فانحدر ابن قابوس بن وشمكير من عسكر أبي علي الى نوح ومعه أصحابه فانهزم أصحاب أبي علي وركبهم أصحاب سبكتكين يأسرون ويقتلون ويغنمون وعاد أبو علي وفائق نحو نيسابور وأقام سبكتكين ونوح بظاهر هراة حتى استراحوا وساروا نحو نيسابور فلما علم بهم أبو علي سار هو وفائق نحو جرجان وكتبا الى فخر الدولة يخبرهما ويرسل اليهما الهدايا والتحف والاموال وانزلهما بجرجان واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة فاحسنا السيرة وعاد نوح الى بخارا وسبكتكين الى هراة وأقام محمود بنيسابور

﴿ذكر عود الاهواز الى بهاء الدولة﴾

في هذه السنة ملك بهاء الدولة الاهواز وكان سببه انه انفذ عسكرا اليها عدتهم سبعمائة رجل وقدم عليهم طغان التركي فلما بلغوا السوس رحل عنها أصحاب صمصام الدولة فدخلها عسكر بهاء الدولة وانتشروا في أعمال خوزستان وكان أكثرهم من الترك فعاثت كلتهم على الديلم وتوجه

ولا مما تعتلفه البهائم فلما أراد المأمون ان يصعد في دجلة الى مدينة السلام قال للحسن حوائجك يا أبا محمد قال نعم يا امير المؤمنين

وانحدر المأمون الى فم الصلح في شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التي تسمى بوران ونثر الحسن في ذلك من الاموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في اسلام وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت في يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها فيمضي الى الوكيل الذي نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة لفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المأمون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المكارين والحمالين والملاحين وكل من ضمه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره فلم يكن أحد من الناس يشتري شيأ في عسكر المأمون مما يطعم

صمصام الدولة الى الاهواز ومعه عساكر الديلم وتميم وأسد فلما بلغ تستر رحل ليلا ليكبس الاتراك من عسكر بهاء الدولة فضل الادلاء في الطريق فاصبح على بعد منهم ورآهم طلائع الاتراك فعادوا بالخبر فخندقوا واجتمعوا واصطفوا وجعل مقدمهم واسمه طغان كمينا فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم فكانت الهزيمة وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم وكانوا ألوفا كثيرة واستأمن منهم أكثر من ألفي رجل وغنم الاتراك من أثقالهم شيأ كثيرا وضرب طغان للمستأمنة خيما يسكنونها فلما نزلوا اجتمع الاتراك وتشاوروا وقالوا هؤلاء أكثر من عدتنا ونحن نخاف أن يثوروا بنا واستقر رأيهم على قتلهم فلم يشعر الديلم الا وقد ألقيت الخيام عليهم ووقع الاتراك فيهم بالعمد حتى أتوا عليهم فقتلوا كلهم وورد الخبر على بهاء الدولة وهو بواسط قد اقترض مالا من مهذب الدولة فلما سمع ذلك سار الى الاهواز وكان طغان والاتراك قد ملكوها قبل وصوله اليها وأما صمصام الدولة فانه لبس السواد وسار الى شيراز فدخلها فغيرت والدته ما عليه من السواد وأقام فتجهز للعود الى أخيه بهاء الدولة بخوزستان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عقد النكاح لمهذب الدولة على ابنة بهاء الدولة وللامير أبي منصور بويه بن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة وكان الصداق من كل جانب مائة ألف دينار وفيها قبض بهاء الدولة على أبي نصر خواشاذه رفيها عاد الحجاج من الثعلبية ولم يحج من العراق والشام احد وسبب عودهم ان الاصبغر أمير العرب اعترضهم وقال ان الدراهم التي أرسلها السلطان عام أول كانت نقرة مطلية وأريد العوض فطالت المخاطبة والمراسلة وضاق الوقت على الحجاج فرجعوا وفيها توفي أبو القاسم العقيب الزينبي وولي النقابة بعده ابنه أبو الحسن وفيها ولي نقابة الطالبيين أبو الحسن النهرسابسي وعزل عنها أبو أحمد الموسوي وكان يوب عنه فيها ابناه المرتضى والرضا وفيها توفي عبد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البشتي الزاهد وكان من الصالحين حج من نيسابور ماشيا وبقي سبعين سنة لا يستند الى حائط ولا الى مخدة وعلي بن الحسين ابن حويه بن زيد أبو الحسين الصوفي سمع الحديث وحدث وصحب أبا الخير الاقطع وغيره وعلي ابن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني ومولده سنة ست وتسعين ومائتين روى عن ابن دريد وغيره وله تفسير كبير ومحمد بن العباس بن أحمد بن القزاز أبو الحسن سمع الكثير وكتب الكثير وخطه حجة في صحة النقل وجوده الضبط وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني الكاتب والمحسن بن علي بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو علي التنوخي القاضي ومولده سنة سبع وعشرين وثلثمائة وكان فاضلا وفيها توفي أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب المشهور وكان عمره احدى وتسعين سنة وكان قد زمن وضاقت به الامور وقلت عليه الاموال وفيها اشتد أمر العيارين ببغداد ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة واحترق كثير من المحال ثم اصطلحوا

﴿ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود أبي علي الى خراسان﴾

لما عاد الامير نوح الى بخارا وسكنكين الى هراة وبقي محمود بنيسابور طمع أبو علي وفائق في خراسان فسار محمود عن جرجان الى نيسابور في ربيع الاول فلما بلغ محمودا خبرهما كتب الى أبيه بذلك وبرز هو فنزل بظاهر نيسابور وأقام ينتظر المدد فاجتمعوا وصبروا لهما فقاتلاه وكان في قلة من

أسألك ان تحفظ على مكاني اليمنة فقالت في ذلك الشعراء فاكثرت واطنبت الخطباء في ذلك وتكلمت فيما استطرف مما قيل في ذلك من الشعر قول محمد ابن حازم الباهلي

بارك الله للحسن

ولبوران في الختن

يا ابن هرون قد ظفر

ت ولكن بنيت من

فلماني هذا الشعر الى المأمون قال والله ما ندري خيرا أراد أم شرا ودخل ابراهيم بن المهدي يوما على المأمون بعد مدة من الظفر به فقال ان هذين يحملاني على قتلك يعني المعتصم أخاه والعباس بن المأمون فقال ما أشار اعليك الا بما يشار به على مثلك ولكن تدع ما تخاف لما ترجو وأنشد

رددت مالي ولم تبخل علي به

وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

نبوت منها وما كافيتها بيد

هما الحياتان من موت

ومن عدم

البر وطأمنك العذر عندك لي

فيما أتيت ولم تعذل ولم تلم

وقام عذرك بي فاحتج عندك لي

مقام شاهد عدل غير متهم

ولابراهيم اخبار حسان وأشعار ملاح وما كان من أمره في حال اختفائه في سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع الى موضع بها وخبره في الليلة التي قبض عليه فيها قد

الرجال فانهزم عنهما نحو أبيه وغنم أصحابهما منه شيأ كثيرا وأشار أصحاب أبي علي عليه باتباعه واعجاله ووالده عن الجمع والاحتشاد فلم يفعل وأقام بنيسابور وكاتب الامير نوحا يستميله ويستقيل من عثرته وزلته وكذلك كاتب سبكتكين بمثل ذلك واحال بما جرى على فائق فلم يجيباه الى ما أرادو جمع سبكتكين العساكر فأتوه على كل صعب وذلول وسار نحو أبي علي فالتقوا بطوس في جمادى الآخرة فاقتتلوا عامة يومهم وأتاهم محمود بن سبكتكين في عسكر ضخم من ورائهم فانهزموا وقتل من أصحابهم خلق كثير ونجا أبو علي وفائق فقصدا أبيورد فبعث سبكتكين واستخلف ابنه محمودا بنيسابور فقصد امرو ثم آمل الشط وراسلا الامير نوحا يستعطفانه فأجاب اباعلي الى ماطلب من قبول عذره ان فارق فائقا ونزل بالجرجانية ففعل ذلك لحذره فائق وخوفه من مكيدتهم به ومكرهم فلم يلتفت لامر يريده الله عز وجل ففارق فائقا وسار نحو الجرجانية فنزل بقرية بقرب خوارزم تسمى هزارأسف فأرسل اليه أبو عبد الله خوارزمشاه من اقام له ضيافة ووعده انه يقصده ليجتمع به فسكن الى ذلك فلما كان الليل أرسل اليه خوارزمشاه جمعا من عسكره فأحاطوا به وأخذوه أسيرا في رمضان من هذه السنة فاعتقله في بعض دوره وطلب أصحابه فأسر اعيانهم وتفرق الباقون وأما فائق فانه سار الى ايلاخان عاوراء النهر فاكرمه وعظمه ووعده ان يعيده الى قاعدته وكتب الى نوح يشفع في فائق وان يولي سمرقند فاجابه الى ذلك وأقام بها

﴿ ذكر خلاص أبي علي وقتل خوارزمشاه ﴾

لما أسر أبو علي بلغ خبره الى مأمون بن محمد والى الجرجانية فقلق لذلك وعظم عليه وجمع عساكره وسار نحو خوارزمشاه وعبر الى كاث وهي مدينة خوارزمشاه فحصروها وقاتلوها وفتحوها عنوة وأسروا أبا عبد الله خوارزمشاه واحضروا أبا علي فمكنوا عنه يده وأخذوه وعادوا الى الجرجانية واستخلف مأمون بخوارزم بعض أصحابه وصارت في جملة ما بيده وأحضر خوارزمشاه وقتله بين يدي أبي علي بن سيمجور

﴿ ذكر قبض أبي علي بن سيمجور وموته ﴾

لما حصل أبو علي عند مأمون بن محمد بالجرجانية كتب الى الامير نوح يشفع فيه ويسأل الصفح عنه فأجيب الى ذلك وأمر أبا علي بالمسير الى بخارا فسار اليها فيمن بقي معه من أهله وأصحابه فلما بلغوا بخارا لقيهم الامراء والعساكر فلما دخلوا على الامير نوح أمر بالقبض عليهم وبلغ سبكتكين ان ابن عزيز وزير الامير نوح يسعى في خلاص أبي علي فأرسل اليه يطلب أبا علي اليه فحبسه فمات في حبسه سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان ذلك خاتمة أمره وآخر حال بيت سيمجور وجزاه الكفران احسان مولاهم فتبارك الحي الدائم الباقي الذي لا يزول ملكه وكان ابنه أبو الحسن قد لحق بفخر الدولة بن بويه فاحسن اليه وأكرمه فسار عنه سرا الى خراسان لهوى كان له بها وظن ان أمره يخفى فظهر حاله فأخذ أسيرا وسجن عند والده واما أبو القاسم أخو أبي علي فانه أقام في خدمة سبكتكين مدة يسيرة ثم ظهر منه خلاف الطاعة وقصد نيسابور فلم يتم له ما أراد وعاد محمود بن سبكتكين اليه فهرب منه وقصد فخر الدولة وبقي عنده وسيرد باقي أخباره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر وفاة الصاحب بن عباد ﴾

في هذه السنة مات الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد وزير فخر الدولة بالري وكان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي وكرما عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة وموادها ورسائله مشهورة

صاحب ابراهيم بن المهدي كتبا منها كتابه في أخبار المغنيين مع الملوك في المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم ابن المهدي في أنواع الاخبار وغير ذلك من كتبه ومن أحسن ما اختير من أخبار ابراهيم في حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين وهوان المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من بثه العيون طلبا لابراهيم بن المهدي وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال قال ابراهيم فخرجت في يوم صائف في وقت الظهر لا أدري أين أتوجه فصرت الى زقاق ولا منفذ له فرأيت أسود على باب دار فصرت اليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح بابه فدخلت الى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ثم تركني وأغلق الباب في وجهي ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبينا أنا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآنية وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لي جعلني الله فداك اني حجام وانى أعلم أنك تتقذر ما تولاه فشأنك بما لم تقع عليه يدي وكانت بي

صدوبة وجمع من الكتب مالم يجمعه غيره حتى انه كان يحتاج فى نقلها الى أربعمائة جمل ولما مات وزر بعده لفخر الدولة أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى الملقب بالكافى ولما حضره الموت قال لفخر الدولة قد خدمتك خدمة استفرغت فيها وسعى وسرت سيرة جابت لك حسن الذكر فان اجريت الامور لى ما كانت عليه نسب ذلك الجميل اليك وتركت اتاوان عدلت عنه كنت انا المشكور ونسبت الطريقة الثانية اليك وقدح ذلك فى دولتك وكان هذا نصحه له الى ان مات فلما توفى انفذ فخر الدولة من احتاط على ماله وداره ونقل جميع ما فيها اليه فقبح الله خدمة الملوك هذا فعلهم مع من نصح لهم فكيف مع غيره ونقل الصاحب بعد ذلك الى أصبهان وكثيرا ما بين فعل فخر الدولة مع ابن عباد وبين العزيز بالله العلوى مع وزيره يعقوب بن كلس وقد تقدم وكان الصاحب ابن عباد قد أحسن الى القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى وقدمه وولاه قضاء الرى واعمالها فلما توفى قال عبد الجبار لا أرى الترحم عليه لانه مات عن غير توبة ظهرت منه فنسب عبد الجبار الى قلة الوفاء ثم ان فخر الدولة قبض على عبد الجبار وصادره فباع فى جملة ما باع ألف طيلسان وألف ثوب صوف رفيع فلم لا نظر لنفسه وتاب عن أخذ مثل هذا وادخاره من غير حله ثم ان فخر الدولة قبض على أصحاب ابن عباد وابطل كل مسامحة كانت منه وقرر هو وزراؤه المصادرات فى البلاد فاجتمع له منها شئ كثير ثم تمزق بعد وفاته فى اقرب مدة وحصل بالوزر وسوء الذكر

﴿ ذكر ايقاع صمصام الدولة بالاتراك ﴾

فى هذه السنة أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الاتراك ففتل منهم جماعة وهرب الباقون فعاثوا فى البلاد وانصرفوا الى كرمان ثم منها الى بلاد السند واستأذنوا ملكها فى دخول بلاده فأذن لهم وخرج الى تلقيهم ووافق أصحابه على الايقاع بهم فلما رآهم جعل أصحابه صنفين فلما حصل الاتراك فى وسطهم اطبقوا عليهم وقتلوهم فلم يفلت منهم الا نفر جرحى وقعوا بين القتلى وهربوا تحت الليل

﴿ ذكر وفاة خواشاذه ﴾

فى هذه السنة توفى أبو نصر خواشاذه بالبطائح وكان قد هرب اليها بعد ان قبض وكاتبه بهاء الدولة وفخر الدولة وصمصام الدولة وبدر بن حسنويه كل منهم يستدعيه ويبذل له ما يريده وقال له فخر الدولة لعلك تسىء الظن بما قدمته فى خدمة عضد الدولة وما كنا لنؤاخذك بطاعتك من قدمك ومناصحته وقد علمت ما عملته مع الصاحب ابن عباد وتركنا ما فعله معنا فعزم على قصده فادركه أجله قبل ذلك وتوفى وكان من أعيان قواد عضد الدولة

﴿ ذكر عود عسكر صمصام الدولة الى الاهواز ﴾

فى هذه السنة جهز صمصام الدولة عسكره من الديلم وردهم الى الاهواز مع العلاء بن الحسن واتفق ان طغان نائب بهاء الدولة بالاهواز توفى وعزم من معه من الاتراك على العود الى بغداد وكتب من هناك الى بهاء الدولة بالخبر فاقلقه ذلك وازعجه فسير أبا كاليجار المرزبان بن شهفيروز الى الاهواز نائبا عنه وانفذ أبا محمد الحسن بن مكرم الى الفتكين وهو برامهرمز قد عاد من بين يدى عسكر صمصام الدولة اليها يأمره بالمقام بموضعه فلم يفعل وعاد الى الاهواز فكتب الى أبى محمد ابن مكرم بالنظر فى الاعمال وسار بعدهم بهاء الدولة نحو خوزستان فكاتبه العلاء وسلك طريق اللين والخداع ثم سار على نهر المسرقان الى ان حصل بخان طوق ووقعت الحرب بينه وبين أبى محمد ابن مكرم والفتكين وزحف الديلم بين البساتين حتى دخلوا البلد وانزاح عنه ابن مكرم والفتكين

حاجة شديدة الى الطعام فقمت فطبخت لنفسى قدرا ما أذكرانى أكلت أطيب منها ثم قال لى بعد ذلك هل لك فى النبيذ فقلت ما أكره ذلك ففعل مثل فعله فى الطعام وأتانى بكل شئ نظيف لم يمس شيأ منه يد ثم قال لى بعد ذلك أتأذن لى جعلنى الله فداك أن أقعد ناحية منك فأتى بنبيذ فأشرب منه سرورا بك قال فقلت افعل ذلك فلما شرب ثلاثا دخل خزانة له وأخرج منها عودا وقال ياسيدى ليس من قدرى أن أسألك أن تغنى ولكن قد وجبت عليك حرمتى فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغنيه قال فقلت وكيف توهمت على انى أحسن الغناء فقال متعجبا ياسبحان الله أيت أشهر من أن لا أعرفك أنت ابراهيم ابن المهدى الذى قد جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم قال فلما قال لى ذلك تناولت العود فلما هممت بالغناء قال ياسيدى أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك قلت هات فاقترح ثلاثة أصوات أتقدم فيها كل من غنى قلت هبك عرفتنى هذه الاصوات من اين لك قال أنا أخدم ابراهيم بن اسحق الموصلى وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر المحسنين ومايجدونه ولم أتوهم أنى أسمع ذلك منك فى منزلى فغنيته وانست به واستظرفته فلما كان الليل خرجت من عنده وقد كنت حملت معى خريطة فيها دنانير فقلت له خذها

فاصرفها فى بعض مؤنتك ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى فقال ما أعجب هذا والله عزمت على انى أعرض عليك جملة عندى وأسألك ان تتفضل بقبولها ثم اجللتك عن ذلك فامتنع من قبول شئ ومضى حتى دلنى على الموضع الذى احتجت اليه وانصرف وكان آخر العهد به وفى سنة ست ومائتين وذلك فى خلافة المأمون مات يزيد ابن هارون بن زادان الواسطى وله تسع وثمانون سنة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى بنى سليم وكان أبوه يخدم فى مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف وهذا عمده اهل الحديث فى علمهم وعظيم من عظمائهم وكانت وفاته بواسط العراق وفيها مات حرير بن خريمة بن حازم وشيبة بن سوار المدنى والحجاج بن محمد الاعور الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ المدنى مولى لبنى مخزوم ووهب بن جرير ومؤمل بن اسمعيل وروح بن عبادة وفيها مات الهيثم بن عدى وكان يضمر عليه نسبه وله يقول القائل

اذا نسبت عدبا فى بنى ثعل
فقدم الدال قبل العين فى النسب

وفى سنة تسع ومائتين مات الواقدى وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبنى هاشم وهو صاحب السير والمغازى وقد ضعفت فى الحديث وذكر ابن أبى

وكتبا الى بهاء الدولة يشيران عليه بالعبور اليها فتوقف عن ذلك ووعدهما به وسير اليهما ثمانين غلاما من الاتراك فعبروا وحملوا على الديلم فى خلقهم فافرج لهم الديلم فلما توسطوا بينهم أطبقوا عليهم فقتلوهم فلما عرف بهاء الدولة ذلك ضعفت نفسه وعزم على العود ولم يظهر ذلك وأمر باسراج الخيل وحمل السلاح ففعل ذلك وسار نحو الاهواز يسيرا ثم عاد الى البصرة فنزل بظاهرها فلما عرف ابن مكرم خبر بهاء الدولة عاد الى عسكر مكرم وتبعهم العلاء والديلم فاحلوهم عنها فنزلوا برامهرمز بين عسكر مكرم وتستر وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة وكان يد الاتراك أصحاب بهاء الدولة من تستر الى رامهرمز ومع الديلم منها الى ارجان وأقاموا ستة اشهر ثم رجعوا الى الاهواز ثم عبروا بهم النهر الى الديلم واقتتلوا نحو شهرين ثم رحل الاتراك وتبعهم العلاء فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فكف عنهم وأقام بعسكر مكرم

﴿ذكر حادثة غريبة بالاندلس﴾

فى هذه السنة سير المنصور محمد بن أبى عامر أمير الاندلس لهشام المؤيد عسكرا الى بلاد القرنج للغزاة فقاتلوا منهم وغنموا وأوغلوا فى ديارهم وأسروا غرسية وهو ملك للقرنج ابن ملك من ملوكهم يقال له شانجة وكان من أعظم ملوكهم وأمنعهم وكان من القدر أن شاعر المنصور يقال له ابو العلاء صاعد بن الحسن الربعى قد قصده من بلاد الموصل وأقام عنده وامتدحه قبل هذا التاريخ فلما كان الآن أهدى أبو العلاء الى المنصور ابلا وكتب معه أبياتا منها

يا حرز كل مخوف واما كل مشترد ومعزك مذلل
جدوالك ان تخصص به فلا هله * ونعم بالاحسان كل مؤمل

يقول فيها

مولاى مؤنس غربتى متحطفى * من طمر أيامى بمنع معقلى
عبد رفعت بضبعه وغرسته * فى نعمة أهدى اليك بازل
سميته غرسية وبعثته * فى حمله ليباح فيه تفاؤلى
فلئن قبلت فتلك اسنى نعمة * اسدى بها ذو نعمة وتطول

فسمى هذا الشاعر الابل غرسية تفاؤلا بأسر ذلك غرسية فكان أمره فى اليوم الذى أهدى فيه الابل فانظر الى هذا الاتفاق ما أعجبه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ورد الوزير أبو القاسم على بن أحمد الابرقوهى من البطيحة الى بهاء الدولة بعد عوده من خوزستان وكان قد التجأ الى مهذب الدولة وأرسل بهاء الدولة يطلبه ليستوزره فحصر عنده فلم يتم له ذلك فعاد الى البطيحة وكان الفاضل وزيرا بهاء الدولة معه بواسط فلما علم الحال استأذن فى الاصعاد الى بغداد وأذن له فاصعد فعاد بهاء الدولة وطلبه ليرجع اليه فعاطله ولم يعد وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن شاهين الواعظ مولده فى صفر سنة سبع وتسعين ومائتين وكان مكثرا من الحديث ثقة وفيها فى ذى القعدة توفى الامام أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى المعروف بالدارقطنى الامام المشهور وفيها فى ربيع الاول توفى محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدى بالله وكان منحرفا عن على بن أبى طالب عليه السلام وكان خبيث اللسان يتقى سفهه ومن جيد شعره

فى وجه انسانة كافت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد

الوجه بدر والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وفيها توفي يوسف بن عمر بن مسروق أبو الفتح القواس الزاهد في ربيع الاول وله خمس وخمسون سنة

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحاكم وما كان من الحروب الى ان استقر أمره)﴾

في هذه السنة توفي العزيز أبو منصور نزار بن المعز أبي تميم معد العلوي صاحب مصر للبلتين بقيتا من رمضان وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف بمدينة بلبيس وكان برز اليها لغزو الروم فلحقته عدة امراض منها النقرس والحصى والقولنج فانصلت به الى ان مات وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا ومولده بالمهدية من افريقية وكان اسمر طويلا أصهب الشعر عريض المنكبين عارفا بالخيل والجوهر قيل انه ولى عيسى بن نسطورس النصراني كتابته واستناب بالشام يهوديا اسمه منشا فاعتز بهما النصارى واليهود وآذوا المسلمين فعمد أهل مصر وكتبوا قصة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز والرقعة بيدها فلما رآها أمر بأخذها فلما قرأها فيها ورأى الصورة من قراطيس علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ من عيسى ثلثمائة ألف دينار ومن اليهود شيأ كثيرا وكان يحب العفو ويستعمله فمن حلمه انه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقي وكان كثير الهجاء فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز وكاتب الانشاء من جهته أبا نصر عبد الله الحسين القيرواني فقال

قل لابي نصر صاحب القصر * والمتأتى لنقض ذا الامر
انقض عرا الملك للوزير تفز * منه بحسن الثناء والذكر
وأعط وامنع ولا تخف أحدا * فصاحب القصر ليس في القصر
وليس يدري ماذا يراد به * وهو اذا ما درى فما يدري

فشكاه ابن كلس الى العزيز وأنشده الشعر فقال له هذا شيء اشتركنا فيه في الهجاء فشاركني في العفو عنه ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرض بالفضل القائد

تنصر فالتنصر دين حق * عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا * وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا * عزير ابن وروح القدس فضل

فشكاه أيضا الى العزيز فامتعض منه الا انه قال اعف عنه فعما عنه ثم دخل الوزير على العزيز فقال لم يبق للعفو عن هذا معنى وفيه غض من السياسة ونقض لهيبة الملك فانه قد ذكرك وذكرني وذكر ابن زبارج نديمك وسبك بقوله

زبارجي نديم * وكلسي وزير نعم على قدر الكلب يصلح الساجور

فغضب العزيز وأمر بالقبض عليه فقبض عليه لوقته ثم بدا للعزيز اطلاقه فأرسل اليه يستدعيه وكان للوزير عين في القصر فاخبره بذلك فأمر بقتله فقتل فلما وصل رسول العزيز في طلبه أراه رأسه مقطوعا فعاد اليه فاخبره فاغتم له ولما مات العزيز ولى بعده ابنه أبو علي المنصور ولقب الحاكم بأمر الله بعهد من أبيه فولي وعمره احدى عشرة سنة وستة أشهر وأوصى العزيز الى ارجوان الخادم وكان يتولى امر داره وجعله مدبر دولة ابنه الحاكم فقام بأمره وبايع له وأخذ له

الازهر قال حدثني أبو سهل وكنا كنفس واحدة فنالتنا ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي لما حضر فوجه الى كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم فلما استقر قراري اذ كتب الي الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد فلقيت فيه ليلى مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي أصدقني عما فعلته فيما وجهت اليك فعرفته الخبر على جهته فقال انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه بكيسي بخاتمي قال فتواسينا الالف اثلاثا ثم انا أخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم وغبي الخبر

البيعة على الناس وتقدم الحسن بن عمار شيخ كتامة وسيدها وحكم فى دولته واستولى عليها وتلقب بأمين الدولة وهو أول من تلقب فى دولة العلويين المصريين فأشار عليه ثقاته بقتل الحاكم وقالوا لا حاجة الى من يتعبدنا فلم يفعل احتقارا له واستصغارا لسنه وانبسطت كتامة فى البلاد وحكموا فيها وامدوا أيديهم الى أموال الرعية وحريمهم وأرجوان مقيم مع الحاكم فى القصر يحرسه واتفق معه شكر خادم عضد الدولة وقد ذكرنا قبض شرف الدوله عليه ومسيره الى مصر فلما اتفقا وصارت كلمتهما واحدة وكتب ارجوان الى منجوتكين يشكو ما يتم اليه من ابن عمار فتجهز وسار من دمشق نحو مصر فوصل الخبر الى ابن عمار فاظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم وندب العساكر الى قتاله وسير اليه جيشا كثيرا وجعل عليهم أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامى فساروا اليه فلقوه بعسقلان فانهزم منجوتكين وأصحابه وقتل منهم ألفا رجل وأسر منجوتكين وحمل الى مصر فابقى عليه ابن عمار واطلقه استمالة للشارة بذلك واستعمل ابن عمار على الشام أبا تميم الكتامى واسمه سليمان بن جعفر فسار الى طبرية فاستعمل على دمشق أخاه عليا فامتنع أهلها عليه وكاتبهم أبو تميم يتهددهم فخافوا وأذعنوا بالطاعة واعتذروا اليه فعفا عنهم وأخرجوا الى على فلم يعبأ بهم وركب ودخل البلد فاحرق وقتل وعاد الى معسكره وقدم عليهم أبو تميم فاحسن اليهم وآمنهم واطلق المحبوسين ونظر فى أمر الساحل واستعمل أخاه عليا على طرابلس وعزل عنها جيش ابن الصمصامة الكتامى فمضى الى مصر واجتمع مع ارجوان على الحسن بن عمار فانتهز ارجوان الفرصة ببعد كتامة عن مصر مع ابى تميم فوضع المشارقه على القتك بمن بقى بمصر منهم وبابن عمار معهم فبلغ ذلك ابن عمار فعمل على الايقاع بارجوان وشكر العضدى فاخبرهما عيون لهما على ابن عمار بذلك فاحتاطا ودخلا قصر الحاكم باكيين وثارت الفتنة واجتمعت المشارقه فسرق فيهم المال وواقعوا ابن عمار ومن معه فانهزم واختفى فلما ظفر ارجوان اظهر الحاكم واجلسه وجدد له البيعة وكتب الى وجوه القواد والناس بدمشق بالايقاع بأبى تميم فلم يشعر الا وقد هجموا عليه ونهبوا خزائنه فخرج هاربا وقتلوا من كان عنده من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولى الاحداث ثم ان ارجوان أذن للحسن بن عمار فى الخروج من استتاره وأجراه على اقطاعه وأمره باغلاق بابه وعصى أهل صور وامر واعليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاقة وعصى أيضا المفرج بن دغفل بن الجراح ونزل على الرملة وعاث فى البلاد واتفق ان الدوقس صاحب الروم نزل على حمص اقامية فاخرج ارجوان جيش بن الصمصامة فى عسكر ضخم فسار حتى نزل بالرملة فاطاعه واليها وظفر فيها بابى تميم فقبض عليه وسير عسكرا الى صور وعليهم أبو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان فحاصرها برا وبحرا فأرسل العلاقة الى ملك الروم يستنجده فسير اليه عدة مراكب مشحونة بالرجال فالتقوا بمراكب المسلمين على صور فاقتتلوا وظفر المسلمون وانهزم الروم وقتل منهم جمع فلما انهزموا اتخذل أهل صور وضعفت نفوسهم فملك البلد أبو عبد الله بن حمدان ونهبه وأخذت الاموال وقتل كثير من جنده وكان أول فتح كان على يد ارجوان وأخذ العلاقة أسيرا فسيره الى مصر فسلح وصلب بها واقام بصور وسار جيش بن الصمصامة لقصد المفرج بن دغفل فهرب من بين يديه وأرسل يطلب العفو فامنه وسار جيش أيضا الى عسكر الروم فلما وصل الى دمشق تلقاه اهلها مذعنين فاحسن الى رؤساء الاحداث واطلق المؤن واراح دم كل مغربى يتعرض لاهلها فاطمأنوا اليه وسار الى اقامية فصاف الروم عندها فانهزم هو وأصحابه ما عدا بشارة الاخشيدى فانه ثبت فى خمسمائة فارس ونزل الروم الى سواد المسلمين يغنمون ما فيه والدوقس واقف على رابيه وبين يديه

الكل واحد ألفا دينار وللمرأة ألف دينار وقبض الواقدى وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن على ببغداد وصلى عليه المأمون وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا وفيها مات أزهر السمان وكان صديقا لابى جعفر المنصور فى أيام بنى أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث وكان المنصور يألفه ويأنس اليه ويكبر عنده فلما افضت الخلافة اليه اشخص اليه من البصرة فسأله المنصور عن زوجته وبناته وكان يعرفهن باسمائهن وأطهر بره واكرامه ووصله بأربعة آلاف درهم وأمره أن لا يقدم اليه مستميحا فلما كان بعد حول صار اليه وقال له ألم آمرك أن لا تصير الى مستميحا فقال له ما صرت اليك الا مسلما ومجددا بك عهدا قال ما أرى الامر كما ذكرت فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمره أن لا يصير اليه مسلما ولا مستميحا فلما كان بعد سنة صار اليه فقال انى لم أقدم عليك للامرين اللذين نهيتنى عنهما وانما بلغنى أن علة عرضت لامير

ولده وعدة غلمان فقصده كردي يعرف بأحمد بن الضحاك من أصحاب بشاره ومعه خشت فظنه الدوقس مستأمنا فلم يحترز منه فلما دنا منه حمل عليه وضربه بالخشت فقتله فصاح المسلمون قتل عدو الله وعادوا ونزل النصر عليهم فانهزمت الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وصار جيش الى باب انطاكية يغنم ويسبي ويحرق وعاد الى دمشق فنزل بظاهرها وكان الزمان شتاء فسأله أهل دمشق ليدخل البلد فلم يفعل ونزل ببيت لهيا واحسن السيرة في أهل دمشق واستخص رؤساء الاحداث واستحجب جماعة منهم وجعل يبسط الطعام كل يوم لهم ولمن يجيء معهم من أصحابهم فكان يحضر كل انسان منهم في جمع من أصحابه وأشياعه وأمرهم اذا فرغوا من الطعام ان يحضروا الى حجرة له يغسلون أيديهم فيها فغير على ذلك برهة من الزمان فأمر أصحابه ان رؤساء الاحداث اذا دخلوا الحجرة لغسل أيديهم ان يغلقوا باب الحجرة عليهم ويضعوا السيف في أصحابهم فلما كان الغد حضروا الطعام وقام الرؤساء الى الحجرة فأغلقت الابواب عليهم وقتل من أصحابهم نحو ثلاثة آلاف رجل ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسألوه العفو عنهم وأحضر اشراف اهلها وقتل رؤساء الاحداث بين أيديهم وسير الاشراف الى مصر وأخذ أموالهم ونعمهم ثم مرض بالبواسير وشدة الضربان فمات وولي بعده ابنه محمد وكانت ولايته هذه تسعة أشهر ثم ان ارجوان بعد هذه الحادثة راسل بسيل ملك الروم وهادنه عشر سنين واستقامت الامور على يد ارجوان وسير ايضا جيشا الى برقة وطرابلس الغرب فتحها واستعمل عليها أنسا الصقلبي ونصح الحاكم وبالغ في ذلك ولازم خدمته فثقل مكانه على الحاكم فقتله سنة تسع وثمانين وكان خصيا أبيض وكان لارجوان وزير نصراني اسمه فهد بن ابراهيم فاستوزره الحاكم ثم ان الحاكم رتب الحسين بن جوهر موضع ارجوان ولقبه قائد القواد ثم قتل الحسين بن عمار المتقدم ذكره ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يزل يقيم الوزير بعد الوزير ويقتلهم ثم جهز بارختكين للسير الى حلب وحصرها وسير معه العساكر الكثيرة فسار عنها لخافه حسان بن المفرج الطائي فلما رحل من غزة الى عسقلان كمن له حسان ووالده واوقعا به وبمن معه وأسراه وقتلاه وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وحصر الرملة ونهبوا النواحي وكثر جمعهم وملكوا الرملة وما والاها فعظم ذلك على الحاكم وارسل يعاتبهما وسبق السيف العذل فارسلا الى الشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي الحسني أمير مكة وخاطباه بأمير المؤمنين وطلباه اليهما ليعاله بالخلافة فحضر واستتاب بمكة وخوطب بالخلافة ثم ان الحاكم راسل حسانا وأباه وضمن لهما الاقطاع الكثيرة والعطاء الجزيل واستمالهما فعدلا عن أبي الفتوح ورداه الى مكة وعادا الى طاعة الحاكم ثم ان الحاكم جهز عسكرا الى الشام واستعمل عليهم علي بن جعفر بن فلاح فلما وصل الى الرملة راح حسان بن المفرج وعشيرته عن تلك الارض وأخذ ما كان له من الحصون بجبل الشراة واستولى على أمواله وذخائره وسار الى دمشق والياً عليها فوصل اليها في شوال سنة تسعين وثلثمائة واما حسان فانه بقي شريدا نحو سنتين ثم ارسل والده الى الحاكم فأمنه واقطعه فسار حسان اليه بمصر فاكرمه واحسن اليه وكان المفرج والد حسان قد توفي مسموما وضع الحاكم عليه من سمه فبموته ضعف أمر حسان على ما ذكرناه

﴿ذكر استيلاء عسكر صمصام الدولة على البصرة﴾

في هذه السنة سار قائد كبير من قواد صمصام الدولة اسمه لشكرستان الى البصرة فأجلى عنها نواب بهاء الدولة وسبب ذلك ان الاتراك لما عادوا عن العلاء كما ذكرناه كان هذا الشكرستان مع

درهم فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته وقلن له أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه فقال ويحكن ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستسلما ومسلما وعائدا فماذا أقول في هذه المرة ولم أحتج فأبوا على الشيخ الا الالحاح فخرج فأتى المنصور وقال لم آتك مسترفدا ولا زائرا ولا عائدا وانما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماه الله تعالى من سأل الله به لم يرده ولم يخيب دعوته فقال له المنصور لا ترده فاني قد جربته فليس هو بمستجاب وذلك اني مذ جئتني أسأل الله به أن لا يرد اليك روحها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائدا أو زائرا ووصله بأربعة آلاف درهم وقال له قد أعييتني فيك الحيلة فصر الي متى شئت وفي سنة تسع وثمانين ركب المأمون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام أخي أبي العباس والمنصور وقتل معه محمد بن ابراهيم الافريقي وغيره وابن عائشة هذا أول عباسي صلب في الاسلام وقتل المأمون حين قتله بقول الشاعر

اذا النار في أحجارها مستكنة * حرى ما بها فاقدح تتضرم

العلاء فأتاهم من الديلم الذين مع بهاء الدوله أربعمائة رجل مستأمنين فأخذهم لشكرستان وسار بهم وبمن معه الى البصرة وكثر جمعه فنزلوا قريب البصرة بين البساتين يقاتلون أصحاب بهاء الدولة ومال اليهم بعض أهل البصرة وقدمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوي وكانوا يحملون اليهم الميرة وعلم بهاء الدوله بذلك فانفذ من يقبض عليهم فهرب كثير منهم الى لشكرستان وقوى بهم وحموا السفن وحملوه فيها وساروا الى البصرة فقاتلوا أصحاب بهاء الدولة بها وأخرجوهم عنها وملك لشكرستان البصرة وقتل من أهلها كثيرا وهرب كثير منهم وأخذ كثيرا من أموالهم فكتب بهاء الدوله الى مهذب الدولة صاحب البطيحة يقول أنت أحق بالبصرة فسير اليها جيشا مع عبد الله بن مرزوق فاجلى لشكرستان عن البصرة وقيل انه سار من البصرة يعبر حرب ودخلها ابن مرزوق وقيل انما فارقها بعد ان حارب فيها وصعف عن المقام بين يديه وصفت البصرة لمهذب الدوله ثم ان لشكرستان عمل على العود الى البصرة فهجم عليها في السفن ونزل أصحابه بسوق الطعام واقتتلوا فاستظهر لشكرستان وكاتب بهاء الدوله يطلب المصالحة ويبذل الطاعة ويخطب له بالبصرة فأجابه مهذب الدوله الى ذلك وأخذ ابنه رهينة وكان لشكرستان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدوله ومهذب الدوله وعسف أهل البصرة مدة فتمرقوا ثم انه أحسن اليهم وعدل فيهم فعادوا

﴿ ذكر ولاية المقلد الموصل ﴾

في هذه السنة ملك المقلد بن المسيب مدينة الموصل وكان سبب ذلك ان أخاه أبا الذواد توفي في هذه السنة فطمع المقلد في الامارة فلم يساعده عقيل على ذلك وقلدوا أخاه علي الا انه أكبر منه فشرع المقلد واعمال الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر الحجاج بالموصل فمال اليه بعضهم وكتب الى بهاء الدولة يضمن منه البلد بالفي ألف درهم كل سنة ثم حصر عند أخيه علي وأظهر له ان بهاء الدوله قد ولاه الموصل وسأله مساعدته على أبي جعفر لانه قد منعه عنها فساروا وبرزوا الى الموصل فخرج اليهم كل من استماله المقلد من الديلم وصعف الحجاج وطلب منهم الامان فامنوه وواعدهم يوما يحرج اليهم فيه ثم انه انحدر في السفن قبل ذلك اليوم فلم يشعروا به الا بعد انحداره فتبعوه فلم ينالوا منه شيا وحصر عياله منهم وسار الى بهاء الدوله ودخل المقلد البلد واستقر الامر بينه وبين أخيه على ان يخطب لهما ويقدم على لكبره ويكون له سمه نائب يجبي المال واشتركا في البلد والولاية وسار علي الى البر وأقام المقلد وجرى الامر على ذلك مدة ثم تشاجروا واختصموا وكان ما ذكره ان شاء الله تعالى وكان المقلد يتولى حمايه غربي الفرات من أرض العراق وكان له ببغداد نائب فيه تهوّر فجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة وكتب الى المقلد يشكو فانحدر من الموصل في عساكره وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدوله حرب انهزموا فيها وكتب الى بهاء الدوله يعتذر وطلب انفاذ من يعقد عليه لضمان القصر وغيره وكان بهاء الدولة مشغولا بمن يقاتله من عسكر أخيه فاضطر الى المعالطة ومد المقلد يده لاخذ الاموال وبرز نائب بهاء الدوله ببغداد وهو حينئذ أبو علي بن اسمعيل وسرح الى حرب المقلد فبلغ الخبر اليه فانفذ أصحابه ليلا فاقتتلوا وعادوا الى المقلد فلما بلغ الخبر الى بهاء الدولة بجبى أصحاب المقلد الى بغداد أنفذ أبا جعفر الحجاج الى بغداد وأمره بمصالحة المقلد والقبض على أبي علي بن اسمعيل فسار الى بغداد في آخر ذي الحجه فلما وصل اليها راسله المقلد في الصلح فاصطلحا على ان يحمل الى بهاء الدوله عشرة آلاف دينار ولا يأخذ من البلاد الا رسم الحماية ويخطب لابي جعفر بعد بهاء الدوله وان يجلع على المقلد الخلع السلطانيه

ابن العباس العلوي بمدينة السلام وكان المعتصم يشنأه لحال كانت بينهما فعلق في نفس المأمون أنه شانئ لدولته ماقت لاوليائه فلما كان في تلك الليلة لحق العباس المأمون على الجسر فقال له المأمون مازلت تنتظرها حتى وقعت فقال أعيذك بالله يا امير المؤمنين ولكني ذكرت قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يساويه حتى بلغ الطبق فلما قتل ابن عائشة قال يأذن أمير المؤمنين في الكلام قال تكلم قال الله الله في الدماء فان الملك اذا ضرى بها لم يصبر عنها ولم يبق على أحد قال لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ما ركبت ولا سفكت دما وأمر له بثلثمائة ألف درهم وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا وما أراد من الايقاع بالمأمون وما كان من أمره في كتابنا في أخبار الزمان وفي سنه احدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمري معمر بن المثنى وكان يرى رأي الخوارج وبلغ نحوا من مائة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكترى لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه

يذكر فيه العرب وفسادها ويرميهم بمايبى الناس ذكره ولا يحسن وصفه وكان أبو نواس كثير العبث به وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة الى سارية من سواريه فكتب أبو نواس عليها فى غيبته صلى الاله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا فلما جاء أبو عبيدة الى تلك السارية رأى ذلك فقال هذا فعل الماجن اللواط أبى نواس حكوه وان كان فيه صلاة على نبى وفى هذه السنة وهى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو العتاهية اسمعيل ابن القاسم متنسكا لابسا للصوف وكان له مع الرشيد أخبار من ذلك ماقد مناذكره فيما سلف من هذا الكتاب ومنها أن الرشيد أمر ذات يوم بحمله وأمر أن لا يكلم فى طريقه ولا يعلم مايراد منه فلما صار فى بعض الطريق كتب بعض من معه فى الطريق انما يراد قتلك فقال أبو العتاهية

ولعل ما تخشاه ليس بكائن
ولعل ما ترجوه سوف يكون
ولعل ما هو نت ليس بهين
ولعل ما شددت سوف يهون

وحج فى بعض الحجج مع الرشيد فنزل الرشيد يوما عن راحلته ومشى ساعة ثم أعيا فقال هل لك يا أبا العباس أن تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال له يا أبا

ويلقب بحسام الدولة ويقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين واستقر الامر على ذلك وجلس القادر بالله ولم يف المقلد من ذلك بشئ الا بحمل المال واستولى على البلاد ومد يده فى المال وقصده المتصرفون والاماثل وعظم قدره وقبض أبو جعفر على أبى على ثم هرب أبو على نائب بهاء الدولة واستتر وسار الى البطيحة مستترا ملتجئا الى مهذب الدولة

﴿ذكر وفاة المنصور بن يوسف وولاية ابنه باديس﴾

فى هذه السنة توفى المنصور بن يوسف بلكين أمير افريقية أوائل ربيع الاول خارج صبرة ودفن بقصره وكان ملكا كريما شجاعا حازما ولم يزل مظفرا منصورا حسن السيرة محبا للعدل والرعية أوسعهم عدلا وأسقط البقايا عن أهل افريقية وكانت مالا جليلا ولما توفى ولى بعده ابنه باديس ويكنى أبا مناد فلما استقر فى الامر سار الى سردانية وأتاه الناس من كل ناحية للتعزية والتهنئة وأراد بنو زيرى أعمام أبيه ان يخالفوا عليه فمنعهم أصحاب أبيه وأصحابه وكان مولد باديس سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأتته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر الله من مصر فقرئ العهد وبايع للحاكم هو وجماعة بنى عمه والاعيان من القواد وفيها ثار على باديس رجل صنهاجى اسمه خليفة بن مبارك فأخذ وحمل الى باديس فأركب حمارا وجعل خلفه رجل أسود يصفعه وطيف به ولم يقتل احتقارا به وسجن وفيها استعمل باديس عمه حماد بن يوسف بلكين على اشير واقطعه اياها وأعطاه من الخيل والسلاح والعدد شيأ كثيرا فخرج اليها وهذا حماد هو جد بنى حماد الذين كانوا ملوك افريقية والقلعة المنسوبة اليهم مشهورة بافريقية ومنهم أخذها عبد المؤمن بن على

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قبض بهاء الدولة على الفاضل وزيره وأخذ ماله واستوزر بهاء الدولة سابور بن اردشير فاقام نحو شهرين وفرق الاموال ووقع بها للقواد قصد اليضعف بهاء الدولة ثم هرب الى البطيحة وبقى منصب الوزارة فارغا واستوزر أبو العباس بن سرجس وفيها استكتب القادر بالله أبا الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان وفيها توفى أحمد بن ابراهيم بن محمد بن اسحق أبو حامد بن أبى اسحق المزكى النيسابورى فى شعبان وكان اماما ومولده سنة ثلاث وعشرين وفيها توفى على بن عمر بن محمد بن الحسن أبو اسحق الحبرى المعروف بالسكرى وبالحربى وبالخيال ومولده سنة ست وتسعين ومائتين وفيها توفى أبو الاغر دبيس بن عقيف الاسدى بخوزستان وأبو طالب محمد بن على بن عطية المكى صاحب قوت القلوب روى أنه صنف قوت القلوب وكان قوته عروق البردى

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر موت الامير نوح بن منصور وولاية ابنه منصور﴾

فى هذه السنة توفى الامير الرضا نوح بن منصور السامانى فى رجب واختل بموته ملك آل سامان وضعف أمرهم ضعفا ظاهرا وطمع فيهم أصحاب الاطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة ولما توفى قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور بن نوح وبايعه الامراء والقواد وسائر الناس وفرق فيهم بقايا الاموال فاتفقوا على طاعته وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون ولما بلغ خبر موته الى ايلك خان سار الى سمرقند وانضم اليه فائق الخاصة فسير جريدة الى بخارا فلما سمع بسيره الامير منصور تحير فى أمره واعجله عن التجهز فسار عن بخارا وقطع النهر ودخل فائق بخارا وأظهر انه انما قصد المقام بخدمة الامير منصور رعاية لحق اسلافه عليه اذ هو مولاهم وأرسل اليه مشايخ

بحارا ومقدمهم في العود الى بلده وملكه واعطاه من نفسه ما يطمئن اليه من العهود والمواثيق فعاد اليها ودخلها وولي فائق أمره وحكم في دولته وولى بكتوزون امرة الجيوش بخراسان وكان محمود بن سبكتكين حينئذ مشغولا بحاربة أخيه اسمعيل على ما ذكره ان شاء الله تعالى وسار بكتوزون الى خراسان فولها واستقرت القواعد بها

﴿ ذكر موت سبكتكين وملك ولده اسمعيل ﴾

وفي هذه السنة توفي ناصر الدولة سبكتكين في شعبان وكان مقامه ببلخ وقد ابتنى بها دورا ومساكن فمرض وطال مرضه واراح الى هراة غرنة فسار من بلخ الهاشفات في الطريق فنقل ميتا الى غرنة ودفن بها وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة وكان عادلا خيرا كثير الجهاد حسن الاعتقاد امره وأته تامة وحسن عهد ووفاه لاخرم بارك الله في بيته ودام ملكهم مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم وكان ابنه محمود أول من لقب بالسلطان ولم يلقب به أحد قبله ولما حضرته الوفاة عهد الى ولده اسمعيل بالملك بعده فلما مات بايع الجند لاسمعيل وحلفوا له واطلق لهم الاموال وكان اصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا في الطلب حتى أفنى الخزائن التي خلفها أبوه

﴿ ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك ﴾

لما توفي سبكتكين وبلغ الخبر الى ولده بنيسابور جلس للعزاء ثم أرسل الى أخيه اسمعيل يعزيه بأبيه ويعرفه ان أباه انما عهد اليه ليبعده عنه ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير ويطلب منه الوفاق واتعاد ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة فسار محمود عن نيسابور الى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة واجتمع بعمه بغراجق بهراة فساعده على أخيه اسمعيل وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه الى غرنة وبلغ الخبر الى اسمعيل وهو ببلخ فسار عنها مجدا فسبق أخاه محمود اليها وكان الامراء الذين مع اسمعيل كاتبوا أخاه محمودا يستدعونه ووعدوه المثل اليه فجد في المسير والتقى هو واسمعيل بظاهر غرنة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اسمعيل وصعد الى قلعة غرنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بامان فلما نزل اليه أكرمه وأحسن اليه وأعلى مرتبته وشركه في ملكه وعاد الى بلخ واستقامت الممالك له وكانت مدة ملك اسمعيل سبعة أشهر وهو فاضل حسن المعرفة له نظم ونثر وخطب في بعض الجمعات فكان يقول بعد الخطبة للخليفة رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين

﴿ ذكر وفاة فخر الدولة بن بويه وملك ابنه مجد الدولة ﴾

في هذه السنة توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بقلعة طرق في شعبان وكان سبب ذلك أنه أكل لحما مشويا وأكل بعده عنبا وأخذه المعس ثم اشتد مرضه فلما مات كانت مفاتيح الخزائن بالري عند أم ولده مجد الدولة فطلبوا له كفنا فلم يجدوه وبعد النزول الى البلد لشدة شغب الديلم فاشتروا له من قيم الجامع ثوبا كفنوه فيه وزاد شغب الجند فلم يمكنهم دفنه فبقي حتى أتتهم دفنوه وحين توفي قام بملكه بعده ولده مجد الدولة أبو طالب رستم وعمره أربع سنين اجلسه الامراء في الملك وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقرميسين الى حدود العراق وكان المرجع الى والدته أبي طالب في تدبير الملك وعن رأيها يصدرون وبين يديها في مباشرة الاعمال أبو طاهر صاحب فخر الدولة وأبو العباس الضبي الكافي

ولابي العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جملا مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه وكذلك قدمنا من ذلك لمعا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار بني العباس ومما استحسن من ذلك قوله

أحمد قال لي ولم يدر ما بي
أتعب الغداة عتبة حقا
فتنفست ثم قلت نعم حبا
جرى في العروق عرقا فعرقا
ليتني مت فاسترحت فاني
أبدا ما حييت منها لاقي
لا أراني أبقى ومن يلق مالا
قيت من لوعة الهوى ليس يبقى
فاحتسب صحتي وقل رحمه الله
على صاحب لها مات عشيا
أنا عبد لها وان كنت لا أر
رف منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضا قوله

يا عتب مالي ولك
يا ليتني لم أرك
ملكتني فاتهمكي
ما شئت أن تتهمكي
أبيت ليلي ساهرا
أرعى نجوم الفلك
مفترشا جمر العصى
ملتحفا بالحسك

ومن قوافيه الغريبة واستعاراته المستحسنة قوله

اخلاي لي شجو وليس بكم
شجو * وكل امرئ عن شجو صاحبه خلو
رأيت الهوى جمر العصى غير أنه
على جمره في صدر صاحبه حلو

﴿ ذكر وفاة مأمون بن محمد وولاية ابنه علي ﴾

وفيها توفي مأمون بن محمد صاحب خوارزم والجرجانية فلما توفي اجتمع أصحابه على ولده علي وبايعوه واستقر له ما كان لابيه وراسل يمين الدولة محمود بن سبكتكين وخطب اليه أخته فزوجه واتفقت كلمتهما وصارا يدا واحدة الى ان مات علي وقام بعده أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون واستقر في الملك فارسل الى يمين الدولة يخطب أخته أيضا فاجابه الى ذلك وزوجه فداما أيضا على الاتفاق والاتحاد مدة وسيرد من أخباره معه سنة سبع وأربعمائة ان شاء الله تعالى ما اتفق عليه

﴿ ذكر وفاة العلاء بن الحسن وما كان بعده ﴾

في هذه السنة توفي أبو القاسم العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخوزستان وكان موته بعسكر مكرم وكان شهما شجاعا حسن التدبير ونفذ صمصام الدولة أبا علي بن أستاذ هرمز ومعه المال ففرقه في الديلم وسار الى جندي سابور فدفع أصحاب بهاء الدولة عنها وحرت له معهم وقائع كثيرة كان الظفر فيها له وآراح الاتراك عن خوزستان وعادوا الى واسط وخلت لابي علي البلاد ورتب العمال وجبى الاموال وكاتب أتراك بهاء الدولة واستمالهم فأتاه بعضهم فاحسن اليهم واستمر حال أبي علي في اعمال خوزستان ثم ان أبا محمد بن مكرم والاتراك عادوا من واسط واستعد أبو علي للحرب وجرى بينهم وقائع ولم يكن للاتراك قوة على الديلم فعزموا على العود الى واسط ثانية واتفق مسير بهاء الدولة من البصرة الى القنطرة البيضاء وكان ما نذكره ان شاء الله

﴿ ذكر القبض على علي بن المسيب وما كان بعد ذلك ﴾

في هذه السنة قبض المقلد على أخيه علي وكان سبب ذلك ما ذكرناه من الاختلاف الواقع بين أصحابهما بالموصل واشتغل المقلد بما ذكرناه بالعراق فلما خلا وجهه وعاد الى الموصل عزم على الانتقام من أصحاب أخيه ثم خافه وعمل الحيلة في قبض أخيه فاحضر عسكره من الديلم والاكراد واعلمهم انه يريد قصد قوفا وحلفهم على الطاعة وكانت داره ملاصقة دار أخيه فنقب في الحائط ودخل اليه وهو سكران فاخذه وأدخله الخزانة وقبض عليه وأرسل الى زوجته يأمرها بأخذ ولديه قرواش وبدران واللحاق بعسكريت قبل ان يسمع أخوه الحسن الخبر ففعلت ذلك وخلصت وكانت في الحلة التي له على أربعة فراسخ من تكريت وسمع الحسن الخبر فبادر الى الحلة ليقبض أولاد أخيه فلم يجدهم وأقام المقلد بالموصل يستدعي رؤساء العرب ويخلع عليهم واجتمع عنده زهاء ألفي فارس وصار الحسن في حلل أخيه ومعه أولاد أخيه على وجهه ويستنفرهم على المقلد واجتمع معهم نحو عشرة آلاف وراسل المقلد يؤذنه بالحرب فسار عن الموصل وبقي بينهم منزل واحد ونزل بازاء العلث فحضره وجوه العرب واختلفوا عليه فمنهم من أشار بالحرب منهم رافع بن محمد بن مقن ومنهم من أشار بالكف عن القتال وصلة الرحم منهم غريب بن محمد بن مقن وتنازع هو وأخوه فبينما هم في ذلك قيل للمقلد ان أختك رهيلة بنت المسيب تريد لقاءك وقد جاءتك فركب وخرج اليها فلم تزل معه حتى أطلق أخاه عليا ورد اليه ماله ومثله معه وأنزله في خيم ضربها له فسر الناس بذلك ونحالفوا وعاد على الى حلته وعاد المقلد الى الموصل وتجهز للمسير الى أبي الحسن علي بن مزيد الاسدي لانه تعصب لاخيه علي وقصد ولاية المقلد بالاذى فسار اليه ولما خرج على من محبسه اجتمع العرب اليه وأشاروا عليه بقصد أخيه المقلد فسار الى الموصل وبها أصحاب المقلد وامتنعوا عليه فافتتحها فسمع المقلد بذلك فعاد اليه واجتاز في طريقه بحلة أخيه الحسن فخرج اليه ورأى كثرة عسكره فخاف على أخيه على منه

اداب الهوى جسمي هوى صادقا الا يداخله زهو
واني لنائي الطرف من غير خاتي
ومالي سواها من حديث ولا لهو
لها دون اخواني وأهلي مودتي
من الود مني فضلة ولها العفو
ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله
يا لهف نفسي على الذي اجتنبت
بأي جرم ترونها عتبت
تبارك الله بئس ما صنعت بي في هواها وبئس ما ارتكبت
أتيتها زائرا فانصرفت على اذ جئتها وما احتسبت
كم من ديون والله يعلمها لنا عليها لم تقض اذ وجبت
ما وهبت لي من فضلها عدة الا استردت جميع ما وهبت
فأي خير وأي منفعة لذات دل تريق ما حلبت
الله بيني وبين ظالمتي طلبت منها وصالها فأبت
ماذا عليها لو انها بعثت منها رسولا الي أو كتبت
رغبت في وصلها وقد زهدت عتبة في وصلنا وما رغبت
وكان أبو العتاهية قبيح الوجه ملبح الحركات حلو الانشاد شديد الطرب
ومن مليح شعره قوله
من لم يذق لصبابة طعما ❁ فلقد أحطت بطعمها علما ❁ اني منحت مودتي سكنا ❁ فرأيته قد عدها جرما ❁ فاشار

فاشار عليه بالوقوف ليصلح الامر وسار الى أخيه علي وقال له ان الاعور يعني المقلد قد أتاك بعدده وحديده وأنت غافل وأمره بافساد عسكر المقلد فكتب اليهم فظفر المقلد بالكتب فاخذها وسار مجدا الى الموصل فخرج اليه أخواه علي والحسن وصالحاه ودخل الموصل وهما معه ثم خاف علي فهرب من الموصل ليلا وتبعه الحسن وترددت الرسل بينهم فاصطلحوا على ان يدخل أحدهما البلد في غيبة الآخر وبقوا كذلك الى سنة تسع وثمانين ومات علي سنة تسعين وقام الحسن مقامه فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة فهرب الحسن الى العراق وتبعه المقلد فلم يدركه فعاد ولما استقر أمر المقلد بعد أخيه علي سار الى بلد علي بن مزيد الاسدي فدخله ثانية والتجأ ابن مزيد الى مهذب الدولة فتوسط ما بينه وبين المقلد واصلح الامر معه وسار المقلد الى دقوقا فملكها

﴿ذكر ملك جبرئيل دقوقا﴾

في هذه السنة ملك جبرئيل بن محمد دقوقا وهذا جبرئيل كان من الرجالة الفرس ببغداد وخدم مهذب الدولة بالبطيحة فهم بالعزو وجمع جمعا كثيرا واشترا السلاح وسار فاجتاز في طريقه بدقوقا فوجد المقلد بن المسيب يحاصرها فاستغاث أهلها بجبرئيل فحماهم ومنع عنهم وكان بدقوقا رجلان نصرانيان قد تمكنا في البلد وحكما فيه واستعبدا أهله فاجتمع جماعة من المسلمين الى جبرئيل وقالوا له انك تريد العزو ولست تدري اتبلغ غرضا أم لا وعندنا من هذين النصرانيين من قد تعبدنا وحكم علينا فلو أقمت عندنا وكفيتنا أمرهما ساعدناك على ذلك فأقام وقبض عليهما وأخذ مالهما وقوى أمره فذلك البلد في شهر ربيع الاول وطاب قلبه واحسن معاملة أهل البلد وعدل فيهم وبقي مدة على اختلاف الاحوال ثم ملكها المقلد وملكها بعده محمد بن عناز ثم أخذها بعده قراوش ثم انتقلت الى فخر الدولة أبي طالب فعاد هذا جبرئيل حينئذ الى دقوقا واجتمع مع أمير من الاكراد يقال له موصلك بن جكويه ودفعا عمال فخر الدولة عنها وأخذاها وقصدها بدران بن المقلد وغلبهما وأخذها منهما

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خرج أبو الحسن علي بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة فسير اليه عسكرا فهرب من بين أيديهم الى مكان لا يقدرون على الوصول اليه فيه ثم أرسل بهاء الدولة وأصلح حاله معه وعاد الى طاعته وفيها توفي أبو الوفاء محمد بن المهندس الحاسب وفيها في المحرم توفي عبيد الله بن محمد ابن حمران أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة الحنبلي وكان مولده في شوال سنة أربع وثلثمائة وكان زاهدا عابدا عالما ضعيفا في الرواية وفيها في ذي القعدة توفي أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل المعروف بابن سمعون الواعظ الزاهد له كرامات وكان مولده سنة ثلثمائة وفيها تاسع ذي الحجة توفي الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد العسكري الراوية العلامة صاحب التصانيف الكثيرة في الادب واللغة والامثال وغيرها

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود أبي القاسم السيمجوري الى نيسابور﴾

قد ذكرنا مسير أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي علي الى جرجان ومقامه بها فلما مات فخر الدولة أقام عند ولده مجد الدولة واجتمع عنده جماعة كثيرة من أصحاب أخيه وكان قد أرسل الى شمس المعالي يستدعيه من نيسابور ليسلمها اليه فسار اليه حتى وافى جرجان فلما بلغها رأى أبا القاسم قد سار عنها فعاد شمس المعالي الى نيسابور فكتب فائق من بخارا الى أبي القاسم يغريه

ياعتب ما ابقيت من جسدي * لحاولا ابقيت لي عظما ياعتب ما انا من صنيعك بي
اعمى ولكن الهوى اعمى

ان الذي لم يدر ما كافي
ايري علي وجهي به وسما

وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله

هم القاضي بيت يطرب

قال القاضي لما عوتب ما في الدنيا الا مذنب
هذا عذر القاضي واقلب وزنه فعلى أربع مرات وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزنه شعرا ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين (قال المسعودي) وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد في العروض من ذلك المديد وهو ثلاثة اعاريض وستة ضروب عند الخليل وفيه عروض رابع وضربان محدثان فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

من لعين لا تنام
دمعها سح سجام

والضرب الثاني من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

يا بكر لا تنوا

ليس هذا حين ونا

وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه وذكروا في هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره في كتابنا في أخبار الزمان وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الكاتب الانباري عن الخليل بن أحمد عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع

بيكتوزون ويأمره بقصد خراسان واحراج بكتوزون عنها لعداوة بينهما فسار أبو القاسم عن جرجان نحو نيسابور وسير سرية الى اسفراين وبها عسكر ابكتوزون فقاتلوهم واجلوهم عن اسفراين واستولى أصحاب أبي القاسم عليها وسار أبو القاسم الى نيسابور فالتقى هو وبكتوزون بظاهرها في ربيع الاول واقتتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم أبو القاسم وقتل من أصحابه وأسر خلق كثير وسار أبو القاسم الى قهستان وأقام بها حتى اجتمع اليه أصحابه وسار الى بوشنج واحتوى عليها وتصرف فيها فسار اليه بكتوزون وترددت الرسل بينهما حتى اصطلحا وتصاهرا وعاد بكتوزون الى نيسابور

﴿ذكر استيلاء محمود بن سبكتكين على نيسابور وعودهم عنها﴾

لما فرغ محمود من أمر أخيه وملك غزنة وعاد الى بلخ رأى بكتوزون قد ولى خراسان على ما ذكرناه فأرسل الى الامير منصور بن نوح يذكر طاعته والحماية عن دولته ويطلب خراسان فأعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره بأخذ ترمذ وبلخ وما وراءها من أعمال بست وهراة فلم يقنع بذلك وأعاد الطلب فلم يجبه الى ذلك فلما تيقن المنع سار الى نيسابور وبها بكتوزون فلما بلغه خبر مسيره نحوه رحل عنها فدخلها محمود وملكها فلما سمع الامير منصور بن نوح سار عن بخارا نحو نيسابور فلما علم محمود بذلك سار عن نيسابور الى مرو الروذ ونزل عند قنطرة راعول ينتظر ما يكون منهم

﴿ذكر عود قابوس الى جرجان﴾

في هذه السنة عاد شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى جرجان وملكها وأما ملك فخر الدولة بن بويه جرجان والري اراد أن يسلم جرجان الى قابوس فرده عن ذلك الصاحب بن عباد وعظمها في عينه فاعرض عن الذي اراده ونسي ما كان بينهما من الصحبة بخراسان وانه بسببه خرجت البلاد عن يد قابوس والملك عقيم وقد ذكرنا كيف أخذت منه ومقامه بخراسان وانفاذ ملوك السامانية الجيوش في نصرته مرة بعد أخرى فلم يقدر الله تعالى عوده ملك اليه وأما ولى سبكتكين خراسان اجتمع به ووعده أن يسير معه الجيوش ليرده الى مملكته فمضى الى بلخ ومرض ومات فلما كانت هذه السنة بعد موت فخر الدولة سير شمس المعالي قابوس الاصبهبد شهريار بن شروين الى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة فاقتتلا فانهزم رستم واستولى اصبهبد على الجبل وخطب لشمس المعالي وكان يأتي ابن سعيد بناحية الاستنداريه وله ميل الى شمس المعالي فسار الى آمل وبها عسكر لمجد الدولة فطردهم عنها واستولى عليها وخطب لقابوس وكتب اليه بذلك ثم ان أهل جرجان كتبوا الى قابوس يستدعونه فسار اليهم من نيسابور وسار اصبهبد وبات ابن سعيد الى جرجان وبها عسكر لمجد الدولة فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر مجد الدولة الى جرجان فلما بلغوها اصادفوا متقدمة قابوس قد بلغتها فايقنوا بالهلاك وانهزموا من أصحاب قابوس هزيمة ثانية وكانت قرحا على قرح ودخل شمس المعالي جرجان في شعبان من هذه السنة وبلغ المنهزمون الري فجهزت العساكر من الري نحو جرجان فساروا وحصروها فغلت الاسعار بالبلد وضاقت الامور بالعسكر أيضا وتوالت عليهم الامطار والرياح فاضطروا الى الرحيل فتبعهم شمس المعالي فلحقهم وواقعهم فاقتتلوا وانهزم عسكر الري وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة وقتل أكثرهم فاطلق شمس المعالي الاسرى واستولى على تلك الاعمال ما بين جرجان واستراباذ ثم ان الاصبهبد حدثته نفسه بالاستقلال والتفرد عن قابوس واغتر بما اجتمع عنده من الاموال والذخائر فسارت اليه العساكر من الري وعليها المرزبان خال مجد الدولة فهزموا أصبهبد وأسروه ونادوا

الجدل كان ذلك له لازما

أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل واشعارا كثيرة ومصنفات واسعة في أنواع من العلوم فمما جوى فيه قوله حين سار من العراق الى مصر وبها كانت وفاته وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمناذ كره

يا ديار الاحباب هل من مجيب
عنك يشفي غليل نائي المزار
ما أجابت ولكن الصمت منها
فيه للسائلين طول اعتبار
ان تكن أوحشت فبعد أنيس
أوخلت منهم فبعد قرار
قد لهونا بها زمانا وحينا
ووصلنا الاسحار بالاسحار
واغتبقنا على صبوح ولهو
وحنين النايات والاوتار
بين ورد ونرجس وخزامى
وبنفس وسوسن وبهار
وأقاح وكل صنف من النو
ر والشهي الجنى والجلنار
فرمتنا الايام أحسن ما كنا
على حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع
ونأينا بعد اقتراب الديار
وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المأمون برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم في أشياء من التلاوة انها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس بشعار

بشعار شمس المعالي لوحشة كانت عند المرزبان من مجد الدولة وكتب الى شمس المعالي بذلك وانضافت مملكة الجبل جميعها الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالي ولده منوجهر ففتح الرويان وسالوس وراسل قابوس يمين الدولة محمود اراهاه وصالحه واتفقا على ذلك

﴿ ذكر مسير بهاء الدولة الى واسط وما كان منه ﴾

في هذه السنة عاد أبو علي بن اسمعيل الى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط فوزر له ودبر أمره وأشار عليه بالمسير الى أبي محمد بن مكرم ومن معه من الجند ومساعدتهم ففعل ذلك وسار على كره وضيق فنزل بالقنطرة البيضاء وثبت أبو علي بن استاذهرمز وعسكره وجرى لهم معه وقائع كثيرة وضاق الامر ببهاء الدولة وتعذرت عليه الاقوات فاستمد بدر بن حسنويه فانفذ اليه شيأ أقام ببعض ما يريده وأشرف بهاء الدولة على الخطر وسعى اعداؤه أبي علي بن اسمعيل به حتى كاد يبطش به فتجدد من أمر ابني بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتي ذكره وأتاه الفرج من حيث لم يحتسب وصلح امر أبي علي عنده واجتمعت الكلمة عليه وسيأتي شرح ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر قتل صمصام الدولة ﴾

في هذه السنة في ذي الحجة قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة وسبب ذلك ان جماعة كثيرة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لانه أمر بعرضهم واسقاط من ليس بصحيح النسب فاسقط منهم مقدار ألف رجل فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون واتفق ان أبا القاسم وأبا نصر ابني عز الدولة بختيار كانا مقبوضين فخدعا الموكلين بهما في القلعة فافرجوا عنهما فجمعا لفيفا من الاكراد واتصل خبرهما بالذين استوطنوا من الديلم فأتوهم وقصدوا الى ارجان فاجتمعت عليها العساكر وتحير صمصام الدولة ولم يكن عنده من يدبره وكان أبو جعفر استاذهرمز مقيما بفسا فأشار عليه بعض من عنده بتفريق ما عنده من المال في الرجال والمسير الى صمصام الدولة وأخذه الى عسكره بالاهواز وخوف ان لم يفعل ذلك فشح بالمال فشار به الجند ونهبوا داره وهربوا فاختفى فأخذ وأتي به الى ابني بختيار فحبس ثم احتال فنجا واما صمصام الدولة فانه اشار عليه أصحابه بالصعود الى القلعة التي لي باب شيراز والامتناع بها الى ان يأتي عسكره ومن يمنعه فأراد الصعود اليها فلم يمكنه المستحفظ بها وكان معه ثلثمائة رجل فقالوا له الرأي ان نأخذك ووالدتك ونسير الى أبي علي بن استاذهرمز وأشار بعضهم بقصد الاكراد وأخذهم والتقوى بهم ففعل ذلك وخرج معهم بخزائنه وأمواله فنهبوه وأرادوا أخذه فهرب وسار الى الدودمان على مرحلتين من شيراز وعرف أبو نصر بن بختيار الخبر فبادر الى شيراز ووثب رئيس الدودمان واسمه طاهر بصمصام الدولة وأخذه وأتاه أبو نصر بن بختيار وأخذ منه فقتله في ذي الحجة فلما حمل رأسه اليه قال هذه سنة سنها أبوك يعني ما كان من قتل عضد الدولة بختيار وكان عمر صمصام الدولة خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر ومدة امارته بفارس تسع سنين وثمانية أيام وكان كريما حليما وأما والدته فسلمت الى بعض قواد الديلم فقتلها وبنى عليها دكة في داره فلما ملك بهاء الدولة فارس أخرجها ودفنها في تربة بني بويه

﴿ ذكر هرب ابن الوثاب ﴾

في هذه السنة هرب أبو عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال في دار الخلافة وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع فلما خلع الطائع هرب هذا وصار عند مهذب الدولة وأرسل القادر بالله في أمره فاخرجه فسار الى المدائن وأتى خبره الى القادر فأخذه وحبسه فهرب هذه

ان بعض شعاره حدث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار في كتابه في الاخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها للموفق وهو ابن الزبير قال سمعت المدائني يقول قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع أبي المغيرة الى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت انه لشيء حدث فينا أو في عملنا فقلت له مالي أراك مغتما منذ الليلة قال يابني اني جئت من عند أخبث الناس قلت له وماذاك قال قلت له وقد خلوت به انك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين فلو أطهرت عدلا وبسطت خيرا فانك قد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه فقال لي هيهات هيهات هلك اخوتي فعدل وفعل ما فعل فوالله ما غدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل أبو بكر ثم هلك أخو عدي فاجتهد وشمر

لسنة ومضى الى كيلان وادعى انه هو الطائع لله وذكر من أمور الخلافة ما كان يعرفه وزوجه محمد بن العباس مقدم كيلان وشد منه وأقام له الدعوة واطاعه أهل نواح أخر وأدوا اليه العشر على عادتهم ووردس هؤلاء القوم جماعة يحجون فاحضرهم القادر وكشف لهم حاله وكتب على أيديهم كتبا في المعنى فلم يقدح ذلك فيه وكان أهل كيلان يرجعون الى القاضي ابي القاسم بن كج فكوتب من بغداد في المعنى فكشف لهم الامر فاخرجوا أبا عبد الله عنهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة عظم أمر بدر بن حسنويه وعلا شأنه ولقب من ديوان الخليفة ناصر الدين والدولة وكان كثير الصدقات بالحرمين ويكثر الخرج على العرب بطريق مكة ليكفوا عن أذى الحجاج ومنع أصحابه من الفساد وقطع الطريق فعظم محله وسار ذكره وفيها نظر أبو علي بن أبي الرياش في الوزارة بواسط وفيها مات أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الجكار

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر القبض على الامير منصور بن نوح وملك أخيه عبد الملك ﴾

في هذه السنة قبض الامير منصور بن نوح بن منصور الساماني صاحب بخارا وماوراء النهر وملك أخوه عبد الملك وسبب قبضه ما ذكرناه من قصد محمود بن سبكتكين بكتوزون بخراسان وعوده عن نيسابور الى مرو الروذ فلما زالها سار بكتوزون الى الامير منصور وهو بسرخس فاجتمع به فلم يرمن اكرامه وبره ما كان يؤمله فشكا ذلك الى فائق فقابله فائق بأضعاف شكواه فاتفقا على خلعه من الملك واقامة أخيه مقامه وأجابهما الى ذلك جماعة من أعيان العسكر فاستحضره بكتوزون بعلة الاجتماع لتدبير ما هم بصدده من أمر محمود فلما اجتمعوا به قبضوا عليه وأمر بكتوزون من سمله فاعماه ولم يراقب الله ولا احسان موليه واقاموا أخاه عبد الملك مقامه في الملك وهو صبي صغير وكانت مدة ولاية منصور سنة وسبعة أشهر وماج الناس بعضهم في بعض وأرسل محمود الى فائق وبكتوزون يلومهما ويقبح فعلهما وقويت نفسه على لقائهما وطمع في الاستقلال بالملك فسار عنهما عازما على القتال

﴿ ذكر استيلاء بني الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان ﴾

لما قبض الامير منصور سار محمود نحو فائق وبكتوزون ومعهما عبد الملك بن نوح فلما سمعوا بمسيره ساروا اليه فالتقوا في آخر جمادى الاولى واقتتلوا أشد قتال رآه الناس الى الليل فانهزم بكتوزون وفائق ومن معهما فأما عبد الملك وفائق فانهما لحقا ببخارا وقصد بكتوزون نيسابور وقصد أبو القاسم بن سيمجور قهستان فرأى محمود ان يقصد بكتوزون وأبا القاسم ويمهلهما عن الاجتماع والاحتشاد فسار الى طوس فهرب منه بكتوزون الى نواحي جرجان فأرسل محمود خلفه أكبر قواده وأمرائه وهو ارسلان الجاذب في عسكر جرار فاتبعه حتى ألحقه بجرجان وعاد فاستخلفه محمود على طوس وسار الى هراة فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد اليها فملكها فقصده محمود فاجفل من بين يديه اجفال الطليم واجتاز بمرو فنهبها وسار عنها الى بخارا واستقر ملك محمود بخراسان فأزال عنها اسم السامانية وخطب فيها للقادر بالله وكان الى هذا الوقت لا يخطب له فيها انما كان يخطب للطائع لله واستقل بملكها منفردا وتلك سنة الله تعالى في تولي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وولى محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصرا وجعله بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانية وسار هو الى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك

أخونا عثمان ذلك رجل وذكره وذكر ما فعل وان أحاها شم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فاي عمل يبقى مع هذا لا أم لك والله الا دفادفنا وان المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ان أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وانشئت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر اعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامة فاشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان هم به وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عاصم النبيل وهو الضحاك ابن مخلد بن سنان الشيباني وذلك في سنة اثنتي عشرة ومائتين وفيها مات محمد بن يوسف الفاريابي وفي سنة خمس عشرة ومائتين وذلك في خلافة المأمون مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبي بكر ويكنى بابي الاشهب ببغداد وهو ابن سبعين سنة ودفن بباب البردان في الجانب الشرقي وفيها مات محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس ابن مالك الانصاري وفيها مات اسحق بن الطباع بأذنة من الثغر الشامي ومعاوية بن عمرو ويكنى بأبي عمرو وقبض ابن عقبة ويكنى بأبي عامر مرني عامر بن صعصعة وفي سنة سبع عشرة ومائتين دخل المأمون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب واتفق

علیها وفی سنة ثمان عشرة ومائتین غزا المأمون أرض الروم وقد کان شرع

واتفق أصحاب الاطراف بخراسان علی طاعته کما تقدم فریغون أصحاب الجورجان ونحن نذکرهم ان شاء الله تعالی وکالشار الشاه صاحب غرشستان ونحن نذکرهم هنا اخبارهذا الشار فاعلم ان هذا اللقب وهو الشار لقب کل من یملك بلاد غرشستان ککسری للفرس وقیصر للروم والنجاشی للحبشة وکان الشار أبو نصر قد اعتزل الملك وسلمه الی ولده الشاه وفیه لوثة وهوج واشتغل والده أبو نصر بالعلوم ومجالسة العلماء ولما عصا أبو علی بن سیمجور علی الامیر نوح أرسل الی غرشستان من حصرها واجلی عنها الشاه الشار ووالده أبا نصر فقصدا حصنا منیعا فی آخر لایتهما فحصنا به الی ان جاء سبکتکین الی نصرة الامیر نوح فنزلا الیه واعاناه علی أبی علی وعاد الی ملکهما فلما ملك الامیر یمین الدولة محمود خراسان اطاعاه وخطبا له ثم ان یمین الدولة بعد هذا أراد الغزوة الی الهند فجمع لها وتجهز وکتب الی الشاه الشار یستدعیه لیشهد معه غزوته فامتنع وعصی فلما فرغ من غزوته سیر الیه الجیوش لیملکوا بلاده فلما دخلوا البلاد طلب والده أبو نصر الامان فأجیب الی ذلك وحمل الی یمین الدولة فاکرمه واعتذر أبو نصر بعقوق ولده وخلافه علیه فامره بالمقام بهراة متوسما علیه الی ان مات سنة اثنتین واربعمائة وأما ولده الشاه فانه قصد ذلك الحصن الذی احتمی به علی ابی علی فأقام به ومعه أمواله وأصحابه فحصره عسکر یمین الدولة فی حصنه ونصبوا علیه المجانیق وألحوا علیه بالقتال لیلا ونهارا فانهدمت اسوار حصنه وتسلق العسکر الیه فلما أیقن بالعطب طلب الامان والعسکر یقاتله فلم یزل کذلك حتی أخذ أسیرا وحمل الی یمین الدولة فضرب تأدیبا له ثم أودع السجن الی أن مات وکان موته قبل موت والده ورأیت عدة مجلدات من کتاب التهذیب للازهری فی اللغة بخطه وعلیه ما هذه نسخته یقول محمد بن أحمد بن الازهری قرأ علی الشار أبو نصر هذا الجزء من أوله الی آخره وکتبه بیده صح فهذا یدل علی اشتغاله وعلمه بالعربیة فان من یصحب مثل الازهری ویقرأ کتابه التهذیب یکون فاضلا

﴿ذکر انقراض دولة السامانیة وملك الترك ماوراء النهر﴾

فی هذه السنة انقرضت دولة آل سامان علی ید محمود بن سبکتکین وایلك الخان التترکی واسمه أبو نصر أحمد بن علی ولقبه شمس الدولة فأما محمود فانه ملك خراسان کما ذکرناه وبقی بید عبد الملك بن نوح ماوراء النهر فلما انهزم من محمود قصد بخارا واجتمع بها هو وفائق وبکتوزون وغیرهما من الامراء والاکابر فقویت نفوسهم وشرعوا فی جمع العساکر وعزموا علی العود الی خراسان فاتفق ان مات فائق وکان موته فی شعبان من هذه السنة فلما مات ضعفت نفوسهم ووهنت قوتهم فانه کان هو المشار الیه من بینهم وکان خصیا من موالی نوح بن نصر وبلغ خبرهم الی ایلك خان فسار فی جمع الاتراك الی بخارا وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمیة له فظنوه صادقا ولم یحترسوا منه وخرج الیه بکتوزون وغیره من الامراء والقواد فلما اجتمعوا قبض علیهم وسار حتی دخل بخارا یوم الثلاثاء عاشر ذی القعدة من هذه السنة فلم یدر عبد الملك ما یصنع لقلة عدده فاختفی ونزل ایلك خان دار الامارة وبث الطلب والعیون علی عبد الملك حتی ظفر به فاراد قتله فاستشفع بها وکان آخر ملوك السامانیة وانقضت دولتهم علی یده کأن لم تغن بالامس کذا ذهب الدول قبلها ان فی ذلك لعبرة لاولی الابصار وحبس معه أخوه أبو الحرث منصور ابن نوح الذی کان فی الملك قبله وأخواه أبو ابراهیم اسمعیل وأبو یعقوب ابنا نوح وعمامه أبو زکریاء وأبو سلیمان وغیرهم من آل سامان وافرد کل واحد منهم فی حجرة وکانت دولتهم قد

فی بناء الطوانة مدینة من مدنهم علی فم الدرب مما یلی طرسوس وعمد الی سائر حصون الروم ودعاهم الی الاسلام وخیرهم بین الاسلام والجزیة والسیف وذال النصرانیة فاجابه خلق من الروم الی الجزیة (قال المسعودی) وأخبرنا القاضی أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زید الدمشقی بدمشق قال لما توجه المأمون غازیا ونزل البذندون جاءه رسول ملك الروم فقال له ان الملك یخیرك بین أن ترد علیه نفقته التی انفقتها فی طریقك من بلده الی هذا الموضع وبین ان یخرج کل أسیر من المسلمین فی بلد الروم بغیر فداء ولا درهم ولا دینار وبین ان یعمر لك کل بلد للمسلمین مما خربت النصرانیة ویرده کما کان وترجع عن غزاتك وقام المأمون ودخل خیمة فصلی رکعتین واستخار الله عز وجل وخرج فقال للرسول قل له أما قولك ترد علی نفقتی فانی سمعت الله تعالی یقول فی کتابنا حاکیا عن بلقیس وانی مرسلة الیهم بهدیة فناظرة بم یرجع المرسلون فلما جاء سلیمان قال أتمدوننی بمال فما آتانی الله خیر مما آتاکم بل أنتم بهدیتکم تفرحون وأما قولك انك تخرج کل اسیر من المسلمین فی بلد الروم فما فی یدك الا أحد رجلین اما رجل طلب الله عز وجل والدار

انتشرت وطبقت كثيرا من الارض من حدود حلوان الى بلاد الترك بما وراء النهر وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلا وهذا عبد الملك هو عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد ابن اسمعيل كلهم ملكوا وكان منهم من ليس مذكورا في هذا النسب عبد الملك بن نوح بن نصر ملك قبل أخيه منصور بن نوح المذكور وكان منهم أيضا منصور بن نوح بن منصور أخو عبد الملك هذا الاخير الذي زال الملك في ولايته ولي قبله

﴿ ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان ﴾

في هذه السنة دخل الديلم الذين مع أبي علي بن استاذهرمز بالاهواز في طاعة بهاء الدولة وكان سبب ذلك ان ابني بختيار لما قتلا صمصام الدولة كما تقدم وملكا بلاد فارس كتبا الى أبي علي بن استاذهرمز بالخبر ويذكران تمويلهما عليه واعتضادهما به ويأمرانه بأخذ اليمين لهما على من معه من الديلم والمقام بمكانه والجد بمحاربة بهاء الدولة فخافهما أبو علي لما كان اسلفه اليهما من قبل أخويهما وأسرهما لجمع الديلم الذين معه واخبرهم الحال واستشارهم فيما يفعل فأشاروا باطاعة ابني بختيار ومقاتلة بهاء الدولة فلم يوافقهم على ذلك ورأى أن يراسل بهاء الدولة ويستميله ويحالفه لهم فقالوا انا نخاف الاتراك وقد عرفت ما بيننا وبينهم فسكت عنهم وتفرقوا وراسله بهاء الدولة يستميله ويبذل له وللديلم الامان والاحسان وترددت الرسل وقال بهاء الدولة ان ثاري وثاركم عند من قتل أخي فلا عذر لكم في التخلف عن الاخذ بثاره واستمال الديلم فأجابوه الى الدخول في طاعته وانفذوا جماعة من اعيانهم الى بهاء الدولة فحالفوه واستوثقوا منه وكتبوا الى أصحابهم المقيمين بالسوس بصورة الحال وركب بهاء الدولة من الغد الى باب السوس رجاء ان يخرج من فيه الى طاعته فخرجوا اليه في السلاح وقاتلوه قتالا شديدا لم يقاتلوا مثله فضاق صدره فقيل له ان هذه عادة الديلم ان يشتد قتالهم عند الصلح لئلا يظن بهم ثم كفوا عن القتال وأرسلوا من يحلفه لهم ونزلوا الى خدمته واختلط العسكران وساروا الى الاهواز فقرر أبو علي بن اسمعيل أمورها وقسم الاقطاعات بين الاتراك والديلم ثم ساروا الى رامهرمز فاستولوا عليها وعلى ارجان وغيرها من بلاد خوزستان وسار أبو علي بن اسمعيل الى شيراز فنزل بظاهرها فخرج اليه ابنا بختيار في أصحابهما فحاربوه فلما اشتدت الحرب مال بعض من معهما اليه ودخل بعض أصحابه البلد ونادوا بشعار بهاء الدولة وكان النقيب أبو أحمد الموسوي بشيراز قد ورد هارسولا من بهاء الدولة الى صمصام الدولة فلما قتل صمصام الدولة كان بشيراز فلما سمع النداء بشعار بهاء الدولة ظن ان الفتح قد تم فقصد الجامع وكان يوم الجمعة وأقام الخطبة لبهاء الدولة ثم عاد ابنا بختيار واجتمع اليهما أصحابهما فخاف النقيب فاختفى وحمل في سلة الى أبي علي بن اسمعيل ثم ان أصحاب ابني بختيار قصدوا أبا علي وأطاعوه فاستولى على شيراز وهرب ابنا بختيار فأما أبو نصر فانه لحق ببلاد الديلم وأما الثاني وهو أبو القاسم فلحق ببدر بن حسنويه ثم قصد البطيحة وأما ملك أبو علي شيراز كتب الى بهاء الدولة بالفتح فسار اليها وأخذها فلما استقر بها أمر بنهب قرية الدودمان واحراقها وقتل كل من كان بها من أهلهم فاستأصلهم واخرج أخاه صمصام الدولة وجدد أكفانه وحمل الى التربة بشيراز فدفن بها وسير عسكرا مع أبي الفتح استاذهرمز الى كرمان فملكها وأقام بها نائبا عن بهاء الدولة الى ههنا آخر ما في ذيل الوزير أبي شجاع رحمه الله

﴿ ذكر مسير باديس الى زناتة ﴾

في هذه السنة منتصف صفر أمر باديس بن المنصور صاحب افريقية نائبه محمد بن أبي العرب

للمسلمين قد خربته الروم فلو أني قلعت أقصى حجر في بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عشرة في حال أسرها فقالت واحمداه واحمداه عد الى صاحبك فليس بيني وبينه الا السيف يا غلام اضرب الطبل فرحل فلم يثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصنا وانصرف من غزاته فنزل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب فاقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون فوقف على العين ومنع الماء فاعجبه برد مائها وصفاؤه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة فأمر بقطع حشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر وجعل فوقه كالازج من الخشب وورق الشجر وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته وطرح في الماء دراهم صحاح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ولم يقدر أحد يدخل يده في الماء من شدة برده فبينما هو كذلك اذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فجعل لمن يخرجها سيفا فبدر بعض العراشين فأخذها وصعد فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المأمون اضطربت وافلتت من يد الفراش فوقعت في الماء كالحجر فنضح من الماء

بالتجهز والاستكثار من العساكر والعدد والمسير الى زناتة وسبب ذلك ان عمه يطوفت كتب اليه يعلمه أن زيرى بن عطية الملقب بالقرطاس وقد تقدم ذكره نزل عليه بتاهرت محاربا بأمر محمد اياها التجهز اليه فسار فى عساكر كثيرة حتى وصل الى أشير وبها حماد بن يوسف عم بادیس كان قد اقطعه اياها بادیس فرحل حماد عنه فوصل الى تاهرت واجتمعا بيطوفت وبينهم وبين زيرى بن عطية مرحلتان فزحفوا اليه فكانت بينهما حروب عظيمة وكان أكثر عسكر حماد يكرهونه لقلة عطائه فلما اشتد القتال انهزموا وتبعهم جميع العسكر فأراد محمد بن أبى العرب أن يرد الناس فلم يقدر على ذلك وتمت الهزيمة وملك زيرى بن عطية مالهم وعددهم ورجعت العساكر الى أشير وبلغ خبر الهزيمة الى بادیس فرحل فلما قارب طبنة بعث فى طلب فلفل بن سعيد فخاف فأرسل يعتذر اليه وطلب عهدا باقطاع مدينة طبنة فكتب له وسار بادیس فلما بعد قصد فلفل مدينة طبنة وغلب على ما حولها وقصد باغاية فحصرها وبادیس سائر الى أشير فلما سمع زيرى بن عطية بانه قد قرب منه رحل الى تاهرت فقصده بادیس فسار زيرى الى العرب فلما سمع بادیس برحيله استعمل عمه يطوفت على أشير وأعطاه أموالا وعددا وعاد الى أشير فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد فأرسل اليه العساكر وبقى يطوفت ومعه أعمامه وأولاد أعمامه فلما بعد عنهم بادیس عصوا وخالفوا عليه منهم ماكسن وزاوى وغيرهما وقبضوا على يطوفت وأخذوا جميع ما معه من المال فهرب من ايديهم وعاد الى بادیس وأما فلفل بن سعيد فانه لما وصل اليه العسكر المسير الى قتاله لقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل فيهم وسار يطلب القيروان فسار عند ذلك بادیس الى باغاية فلقيه أهلها فعرفوه ما قاسوه من قتال فلفل وأنه حصرهم خمسة وأربعين يوما فشكرهم ووعدهم الاحسان وسار يطلب فلفلا فوصل الى مرجنة وسار فلفل اليه فى جمع كثير من البربر وزناتة ومعه كل من فى نفسه حقد على بادیس وأهل بيته فالتقوا بوادى اغلان وكان بينهم حرب عظيمة لم يسمع بمثلها وطال القتال بينهم وصبر الفريقان ثم أنزل الله تعالى نصره على بادیس وصنهاجة وانهزم البربر وزناتة هزيمة قبيحة وانهزم فلفل فابعد فى الهزيمة وقتل من رويلة تسعة آلاف قتيل سوى من قتل من البربر وعاد بادیس الى نصره وفرح أهل القيروان لانهم خافوا أن يأتيهم فلفل ثم ان عمومة بادیس اتصلوا بفلفل وصاروا معه على بادیس فلما سمع بادیس بذلك سار اليهم فلما وصل قصر الافريقى وصله ان عمومته فارقوا فلفلا ولم يبق معه سوى ماكسن بن زيرى وذلك أول سنة تسعين وثلثمائة

﴿ ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها الى بادیس ﴾

كان لبادیس نائب بطرابلس الغرب وكاتب الحاكم بأمر الله بعصر وطلب ان يسلم اليه طرابلس ويلتحق به فارسل اليه الحاكم يانس الصقلى وكان خصيصا بالحاكم وهو المتولى لبلاد برقة فوصل يانس وتسلم طرابلس وأقام بها وذلك سنة تسعين فارسل بادیس الى يانس يسأله عن سبب وصوله الى طرابلس وقال له ان كان الحاكم استعملك عليها فارسل العهد لاقف عليه فقال يانس انما ارسلنى معينا ونجدة ان احتيج الى ومثلى لا يطلب منه عهد ولاية لمحلى من دولة الحاكم فسير اليه جيشا فلقيهم يانس خارج طرابلس فقتل فى المعركة وانهزم أصحابه ودخلوا طرابلس فتحصنوا بها وكان قد قتل منهم فى المعركة كثير ونزل عليهم الجيش وحصرهم وأرسلوا الى الحاكم يستمدونه فجهز جيشا عليهم يحيى بن على الاندلسى وسيرهم الى طرابلس واطلق لهم مالا على برقة فلم يجد يحيى فيها مالا فاختلت حاله فسار الى فلفل وكان قد دخل الى طرابلس واستولى عليها فاقام

فى منديل تضطرب فقال المأمون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة من ساعته فلم يقدر يتحرك من مكانه فغطى باللحف والدواوح وهو يرتعد كالسعفه ويصيح البرد البرد ثم حول الى المغرب ودثر وأوقد النيران حوله وهو يصيح البرد البرد ثم أتى بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها وشغله ما هو فيه عن تناول شئ منها ولما اشتد به الامر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه فى ذلك الوقت عن المأمون وهو فى سكرات الموت وما الذى يدل عليه علم الطب من أمره وهل يمكن برؤه وشفاؤه فتقدم ابن ماسويه فأخذ احدى يديه وبختيشوع الاخرى وأخذ المجسة من كلا يديه فوجد انبضه طار جاعن الاعتدال منذرا بالفناء والانحلال وانتزعت أيديهما بيشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسده كالزيت أو كلعاب بعض الافاعى فأخبر المعتصم بذلك فسألهما عن ذلك فاذكرا معرفته وانهما لم يجداه فى شئ من الكتب وأنه دال على انحلال الجسد وأفاق المأمون من غشيته وفتح عينيه فى

رفدته فامر باحضار أناس من الروم فسألهم عن اسم الموضع والعين فاحضر له عدة من الاسارى والادلة وقيل لهم فسروا هذا

معه فيها واستوطنها من ذلك الوقت وسنذكر باقي خبرهم سنة ثلاث وتسعين وفي سنة احدى وتسعين سار ما كسن بن زيري عم أبي باديس الى أشير وبها ابن أخيه حماد بن يوسف بلكين فكان بينهما حرب شديدة قتل فيها ما كسن وأولاده محسن وباديس وحباسة وتوفي زيري بن عطية بعد قتل ما كسن بتسعة أيام

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عاشر ربيع الاول انقض كوكب عظيم ضحوة نهار وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذي الحجة زينة عظيمة وفرحا كثيرا وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء وسبب ذلك ان الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب وتعلق الثياب للزينة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم الغدير وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم والنوح واظهار الحزن ما هو مشهور فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية أيام مثلهم وقالوا هو يوم دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه الغار وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء وقالوا هو يوم قتل مصعب بن الزبير وتوفي هذه السنة أحمد بن محمد بن عيسى أبو محمد السرخسي المقرئ الفقيه الشافعي وهو من أصحاب أبي اسحق المروزي وله رواية للحديث أيضا وكان شيخ خراسان في زمانه وقرأ القرآن على ابن مجاهد والادب على ابن الانباري ومات وله ست وتسعون سنة وعبد الله بن محمد بن اسحق بن سليمان أبو القاسم البزار المعروف بابن حبابة وكان شيخ الحنابلة في زمانه

﴿ثم دخلت سنة تسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر خروج اسمعيل بن نوح وما جرى له بخراسان﴾

في هذه السنة خرج أبو ابراهيم اسمعيل بن نوح من محبسه وكان قد حبسه ايلك الخان لما ملك بخارا مع جماعة من أهله وسبب خلاصه انه كان تأتيه جارية تخدمه وتتعرف أحواله فليس ما كان عليها وخرج فظنه الموكلون الجارية فلما خرج استخفى عندعجوز من أهل بخارا فلما سكن الطلب عنه سار من بخارا الى خوارزم وتنقب المنتصر واجتمع اليه بقايا القواد السامانية والاجناد فكثف جمعه وسير قائدا من أصحابه في عسكر الى بخارا فبيت من بها من أصحاب أيلك الخان فهزمهم وقتل منهم وكبس جماعة من أعيانهم مثل جعفر تكين وغيره وتبع المنهزمين نحو أيلك الخان الى حدود سمرقند فلقي هناك عسكرا جرارا جعلهم أيلك الخان يحفظون سمرقند فانصاف اليهم المنهزمون ولقوا عسكر المنتصر فانهزم أيضا عسكر أيلك الخان وتبعهم عسكر المنتصر فغنموا أثقالهم فصلحت أحوالهم بها وعادوا الى بخارا فاستبشر أهلها بعود السامانية ثم ان أيلك جمع الترك وقصد بخارا فانحاز من بها من السامانية وعبروا النهر الى آمل الشط فصافت عليهم فساروا هم والمنتصر نحو آبيورد فملكها وجبوا أموالها وساروا نحو نيسابور وبها منصور بن سبكتكين نائبا عن أخيه محمود فالتقوا قريب نيسابور في ربيع الآخر فاقتتلوا فانهزم منصور وأصحابه وقصدوا هراة وملك المنتصر نيسابور وكثر جمعه وبلغ عين الدولة الخبر فسار مجدا نحو نيسابور فلما قاربها سار عنها المنتصر الى أسفراين فلما از عجه الطلب سار نحو شمس المعالي قابوس بن وشمكير ملتجئا اليه ومتكثرا به فاكرم مورده وحمل اليه شيأ كثيرا وأشار على المنتصر بقصد الري اذ كانت ليس بها من يذب عنها لاشتغال أصحابها باختلافهم ووعده بأن ينجده بعسكر جرار مع أولاده فقبل مشورته وسار نحو الري فنازلها فضعف من بها عن مقاومته الا انهم حفظوا البلد منه

الاسم القشيرة فقيل له ما اسم الموضع بالعربية فقالوا الرقة وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالرقة وكان المأمون كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت فلما سمع هذا من الرومي علم أنه الموضع الذي وعد فيه فيما تقدم من مولده وان فيه وفاته وقيل ان اسم البديدون تفسيره مدرجليك والله أعلم بكيفية ذلك فاحتضر المعتصم الاطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه فلما ثقل قال أخرجوني أشرف على عسكري وأنظر الى رجالي وأتبين ملكي وذلك في الليل فاخرج فاشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد وقد من النيران فقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ثم رد الى مرقده وأجلس المعتصم رجلا يشهده ما ثقل فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه لا تصح فوالله ما يفرق بين ربه وبين مالي في هذا الوقت ففتح عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر والاحمرار ما لم يرمثله قط وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه ورام خاطبته فعجز عن ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فانطلق سائله من ساعته وقال يا من لا يموت ارحم من يموت وقضى من ساعته وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة ودسوا

ودسوا الى أعيان عسكره كأبى القاسم بن سيمجور وغيره وبذلوا لهم الاموال ليردوه عنهم ففعلوا ذلك وصغروا أمر الرى عنده وحسنوا له العود الى خراسان فسار نحو الدامغان وعاد عنه عسكر قابوس ووصل المنتصر الى نيسابور فى آخر شوال سنة احدى وتسعين وثلاثمائة فبقى له الاموال بها فارسل اليه يمين الدولة جيشا فقوه فانهزم المنتصر وسار نحو ابيورد وقصد جرجان فرده شمس المعالى عنها فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها فسار اليه منصور بن سبكتكين من نيسابور فالتقوا بظاهر سرخس واقتتلوا فانهزم المنتصر وأصحابه وأسر أبو القاسم على بن محمد بن سيمجور وجماعة من أعيان عسكره وحملوا الى المنصور فسيرهم الى غزنة وذلك فى ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وسار المنتصر تائها حتى وافى الاتراك الغزية ولهم ميل الى آل سامان فحركتهم الحمية واجتمعوا معه وساروا بهم نحو ايلك الخان وكان ذلك فى شوال سنة ثلاث وتسعين فلقيهم ايلك بنواحى سمرقند فهزموه واستولوا على أمواله وسوادة وأسروا جماعة من قواده وعادوا الى أوطانهم واجتمعوا على اطلاق الاسرى تقربا الى ايلك الخان بذلك فعلم المنتصر فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم وساروا بهم فعبر النهر ونزل بآمل الشط فلم يقبله مكان وكلما قصد مكانا رده أهله خوفا من معرته فعاد وعبر النهر الى بخارا وطلب والها ايلك الخان فلقيه واقتتلوا فانهزم المنتصر الى دوسية وجمع بها ثم عاودهم فهزمهم وخرج اليه خلق كثير من فتيان سمرقند وصاروا فى جملته وحمل له أهلها مالا وغيره والآلات والثياب والدواب وغير ذلك فلما سمع ايلك الخان بحاله جمع الاتراك وسار اليه فى قضه وقضيضه والتقوا بنواحى سمرقند واشتدت الحرب بينهم فانهزم ايلك الخان وكان ذلك فى شعبان سنة أربع وتسعين وغنموا أمواله ودوابه وعاد ايلك الخان الى بلاد الترك فجمع وحشد وعاد الى المنتصر فوافى عوده تراجع الغزية الذين كانوا مع المنتصر الى أوطانهم وقد زحف جمعه فاقتتلوا بنواحى اسروشنة فانهزم المنتصر وأكثر الترك فى أصحابه القتل وسار المنتصر منهزما حتى عبر النهر وسار الى الجوزجان فنهب أمواله وسار يطلب مرو فسير يمين الدولة العساكر ففارق مكانه وسار وهم فى أثره حتى أتى بسطام فارسل اليه قابوس عسكرا أزعجه عنها فلما ضاقت عليه المذاهب عاد الى ماوراء النهر فعبر أصحابه وقد ضجروا وسئموا من السهر والتعب والخوف ففارقه كثير منهم الى بعض أصحاب ايلك الخان فاعلموهم بمكانه فلم يشعر المنتصر الا وقد أحاطت به الخيل من كل جانب فطاردهم ساعة ثم ولاهم الدبر وسار فنزل بحلة من العرب فى طاعة يمين الدولة وكان يمين الدولة قد أوصاهم بطلبه فلما رأوه أمهلوه حتى أظلم الليل ثم وثبوا عليه فاخذوه وقتلوه وكان ذلك خاتمة أمره وانما أوردت حادثة هذه السنة لترد متتابعة فلو تفرقت فى السنين لم تعلم على هذه الصورة لقلتها

﴿ (ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان) ﴾

فى هذه السنة سار يمين الدولة الى سجستان وصاحبها خلف بن أحمد فحصره بها وكان سبب ذلك ان يمين الدولة لما اشتغل بالحروب التى ذكرناها سير خلف بن أحمد ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم سار منها الى بوشنج فملكها وكانت هى وهراة لبغراجق عم يمين الدولة فلما فرغ يمين الدولة من تلك الحروب استأذنه عمه فى اخراج طاهر بن خلف من ولايته فاذن له فى ذلك فسار اليه فلقيه طاهر بنواحى بوشنج فاقتتلوا فانهزم طاهر ولحق بغراجق فى طلبه فعطف ليه طاهر فقتله ونزل اليه وأخذ رأسه فلما سمع يمين الدولة بقتل عمه عظم عليه وكبر لديه وجمع عساكره وسار نحو خلف بن أحمد فتحصن منه خلف بحصن اصبهبذ وهو حصن يناطح النجوم علوا وارتفاعا فحصره

حسب ما قدمنا فى أول هذا الكتاب (قال المسعودى) وللمأمون أخبار حسان ومعان وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جميلة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن ذكرها وفى المأمون يقول أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم اغنت عن المأ
مون شيأ وملكه المأنوس

خلفوه بعرصتى طرسوس
مثل ما خلفوا أباه بطوس

وكان المأمون كثيرا ما ينشد هذه الابيات

ومن لا يزل عرضا للمنو
ن يتركه ذات يوم عميدا

فان هن اخطأنه مرة
فيوشك مخطئها ان يعودا

فبينا تحيد وتخطيئه
قصدن فاعجلنه ان يحيدا

(ذكر خلافة المعتصم)

وبويع المعتصم فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هارون ويكنى بأبى اسحق وكان بينه وبين العباس بن المأمون فى ذلك الوقت تنازع فى المجلس ثم انقاد العباس الى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين وامه اساحية اسمها ماردة بنت شبيب وقيل أنه بويع سنة تسع عشرة وتوفى بسر من رأى سنة سبع وعشرين وهو

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

واستوزر المعتصم محمد ابن عبد الملك الى آخر أيامه وغلب عليه ابن أبي دواد ولم يزل محمد بن عبد الملك في أيام المعتصم والواثق الى أن ولي المتوكل وكان في نفسه عليه شيء فقتله وسنذكر لمعا من مقتله فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المتوكل وان كنا قد أتينا على ذلك ملخصا في الكتاب الاوسط وكان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أمورا محمودة فأولها عمران الارض التي يحيى بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعا مني انفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة احدى عشر درهما فلا تؤامرني فيه وكان المعتصم ذا بأس وشدة في قلبه فذكر أحمد بن أبي دواد وكان به انسا قال فلما انكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لي لا تبرح حتى اخرج اليك فقلت ليحيى بن ماسويه ويحك اني أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته وذهبت

فيه وضيق عليه فذل وخضع وبذل أموالا جليلة لينفس عن خناقه فاجابه بعين الدولة الى ذلك وأخذ رهنه على المال

﴿ذكر قتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة قتل الامير أبو نصر بن بختيار الذي كان قد استولى على بلاد فارس وسبب قتله انه لما انهزم من عسكر بهاء الدولة بشيراز سار الى بلاد الديلم وكاتب الديلم بفارس وكرمان من هنالك يستميلهم وكاتبوه واستدعوه فسار الى بلاد فارس واجتمع عليه جمع كثير من الزط والديلم والاتراك وتردد في تلك النواحي ثم سار الى كرمان فلم يقبله الديلم الذين بها وكان المقدم عليهم أبو جعفر ابن استاذهرمز فجمع وقصد أبا جعفر فالتقيا فانهزم أبو جعفر الى السيرجان ومضى ابن بختيار الى جيرفت فملكها وملك أكثر كرمان فعظم الامر على بهاء الدولة فسير اليه الموفق علي بن اسمعيل في جيش كثير وسار محمد حتى أطل على جيرفت فاستأمن اليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها فانكر عليه من معه من القواد سرعة سيره وخوفوه عاقبة ذلك فلم يصغ اليهم وسأل عن حال ابن بختيار فاخبر أنه على ثمانية فراسخ من جيرفت فاختار ثلاثمائة رجل من شجعان أصحابه وسار بهم وترك الباقين مع السواد بجيرفت فلما بلغ ذلك المكان لم يجده ودل عليه فلم يزل يتبعه من منزل الى منزل حتى لحقه بدارزين فسار ليلا وقدر وصوله اليه عند الصبح فادركه فركب ابن بختيار واقتتلوا قتالا شديدا وسار الموفق في نفر من غلمانه فاتى ابن بختيار من ورائه فانهزم ابن بختيار وأصحابه ووضع فيهم السيف فقتل منهم الخلق الكثير وغدر بابن بختيار بعض أصحابه وضربه بلت وألقاه وعاد الى الموفق ليخبره بقتله فارسل معه من ينظر اليه فرآه وقد قتله غيره وحمل رأسه الى الموفق وأكثر الموفق القتل في أصحاب ابن بختيار واستولى على بلاد كرمان واستعمل عليها آباه وسمى سياهجيل وعاد الى بهاء الدولة فخرج بنفسه ولقيه وأكرمه وعظمه ثم قبض عليه بعد أيام وهو أعجب ما يذكر ان الموفق أخبره منجم انه يقتل ابن بختيار يوم الاثنين فلما كان قبل الاثنين بخمسة أيام قال للمنجم قد بقي خمسة أيام وليس لنا علم به فقال له المنجم ان لم تقتله فاقتلني عوضه والا فاحسن الي فلما كان يوم الاثنين أدركه وقتله وأحسن الى المنجم احسانا كثيرا

﴿ذكر القبض على الموفق أبي علي بن اسمعيل﴾

قد ذكرنا مسيره الى قتال ابن بختيار وقتله ابن بختيار فلما عاد أكرمه بهاء الدولة ولقيه بنفسه فاستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفه بهاء الدولة فالح كل واحد منهما فاشار أبو محمد بن مكرم على الموفق بترك ذلك فلم يقبل فقبض عليه بهاء الدولة وأخذ أمواله وكتب الى وزيره سابور ببغداد بالقبض على انساب الموفق فعرفهم ذلك سرا فاحتالوا لنفوسهم وهربوا واستعمل بهاء الدولة أبا محمد بن مكرم على عمان ثم ان بهاء الدولة قتل الموفق سنة أربع وتسعين وثلثمائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة استعمل بهاء الدولة أبا علي الحسن بن استاذهرمز على خوزستان وكانت قد فسدت أحوالها بولاية أبي جعفر الحجاج لها ومصادرته لاهلها فعمرها أبو علي ولقبه بهاء الدولة عميد الجيوش وحمل الى بهاء الدولة منها أموالا جليلة مع حسن سيرة في أهلها وعدل وفيها ظهر في سجستان معدن الذهب فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الاحمر وفيها توفي الشريف أبو الحسن محمد بن عمر العلوي ودفن بالكرخ وعمره خمس وسبعون سنة وهو مشهور

بكثرة المال والعقار والقاضي أبو الحسن بن قاضي القضاة أبي محمد بن معروف والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرار الجريري بفتح الجيم منسوب الى محمد بن جرير الطبري لانه كان يتفقه على مذهبه وكان عالما يفنون العلوم كثير الرواية والتصنيف فيها

﴿ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر قتل المقلد وولاية ابنه قرواش)﴾

في هذه السنة قتل حسام الدولة المسيب العقيلي غيلة قتله مماليك له ترك وكان سبب قتله ان هؤلاء الغلمان كانوا قد هربوا منه فتبعهم وظفر بهم فقتل منهم وقطع وأعاد الباقين فخافوه على نفوسهم فاغتنم بعضهم غفلته وقتله بالانبار وكان قد عظم أمره وراسل وجوه العساكر ببغداد وأرادا تغلب على الملك فاتاه الله من حيث لا يشعر ولما قتل كان ولده الاكبر قرواش غائبا وكانت أمواله وخزائنه بالانبار فخاف نائبه عبد الله بن ابراهيم بن شهرويه بادرة الجند فراسل أبا منصور بن قراد الديد وكان بالسندية فاستدعاه اليه وقال له أنا أجعل بينك وبين قرواش عهدا وأزوجه ابنتك وأقاسمك على ما خلفه أبوه ونساعده على عمه الحسن ان قصده وطمع فيه فاجابه الى ذلك وحمى الخزائن والبلد وأرسل عبد الله الى قرواش يحثه على الوصول فوصل وقاسمه على المال وأقام قراد عنده ثم ان الحسن بن المسيب جمع مشايخ عقيل وشكا قرواش اليهم وما صنع مع قراد فقالوا له خوفه منك حمله على ذلك فبذل من نفسه الموافقة له والوقوف عند رضاه وسفر المشايخ بينهما فاصطلحا واتفقا على أن يسير الحسن الى قرواش شبه المحارب ويخرج هو وقراد لقتاله فاذا التقى الجمعان جاء بعض أصحاب قراد اليه فاعلمه الحال فهرب على فرس له وتبعه قرواش والحسن فلم يدركاه وعاد قرواش الى بيت قراد فاخذ ما فيه من الاموال التي أخذها من قرواش وهي بحالها وسار قرواش الى الكوفة فأوقع بحفاجة عندها وقعة عظيمة فساروا بعدها الى الشام وأقاموا هناك حتى أحصرهم أبو جعفر الحاج على ما نذكره ان شاء الله

﴿(ذكر البيعة لولي العهد)﴾

في هذه السنة في ربيع الاول أمر القادر بالله بالبيعة لولده أبي الفضل بولاية العهد وأحضر حجاج خراسان وأعلمهم ذلك واقربه الغالب بالله وكان سبب البيعة ان أبا عبد الله بن عثمان الواثق من ولد الواثق بالله أميرا المؤمنين كان من أهل نصيبين فقصد بغداد ثم سار عنها الى خراسان وعبر النهر الى هرون بن ايلاك بغراخاقان وصحبه الفقيه أبو الفضل التميمي وأظهر انه رسول من الخليفة الى هرون يأمره بالبيعة لهذا الواثقي وأنه ولي عهد فاجابه خاقان الى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده واتفق عليه فبلغ ذلك القادر فعظم عليه وراسل خاقان في معناه فلم يصغ الى رسالته فلما توفي هرون خاقان وولي بعده أحمد قراخاقان كاتبه الخليفة في معناه فامر باعاده فحينئذ بايع الخليفة لولده بولاية العهد وأما الواثقي فانه خرج من عند أحمد قراخاقان وقصد بغداد وعرف بها وطلب فهرب منها الى البصرة ثم الى فارس وكرمان ثم الى بلاد الترك فلم يتم له ما أراد وراسل الخليفة الملوك يطلبه فضاقت عليه الارض وسار الى خوارزم وأقام بها ثم فارقها فاخذه يمين الدولة محمود ابن سبكتكين فحبسه في قلعة الى ان توفي بها

﴿(ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها)﴾

في هذه السنة سار طاهر بن خلف بن أحمد صاحب سجستان الى كرمان طالبا املاكها وكان سبب

فقلت وكيف ذاك قال كان قبل ذلك اذا أكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكزبرة والخردل فأكله بذلك الصباغ فدفع اذى السمك واضراره بالعصب واذا أكل الرؤس اتخذت له أصباغ تدفع اذاها وتلطفها وكان في أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتي فصار اليوم اذا انكرت عليه شيأ خالفني وقال آكل هذا على رغم انف ابن ماسويه قال وهو خلف الستر يسمع ما نحن فيه فقلت ويحك يا يحيى أدخل اصبعك في عينيه قال جعلت فداك ما أقدر أراذ ولا أجترئ عليه في خلاف فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لي ما الذي كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته يا امير المؤمنين في لون الذي أراه حائلا وفي قلة طعمك الذي قد هدت جوارحي وأنحل جسمي قال فما قال لك قلت شكا انك كنت تقبل ما يشير به عليك وكنت ترى في ذلك على ما يحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال فجعلت أصرف الكلام قال فضحك وقال هذا بعد ما دخل في عيني أو قبل ذلك قال فارفضضت عرقا وعلمت انه قد سمع ما كنا

مسيره اليها أنه كان قد خرج عن طاعة أبيه وجرى بينهما حروب كان الظفر فيها لابيه ففارق سجستان وسار الى كرمان وبها عسكر بهاء الدولة وهي له على ماذكرناه فاجتمع من بها من العساكر الى المقدم عليهم ومتولي أمر البلد وهو أبو موسى سباهجيل فقالوا له ان هذا الرجل قد وصل وهو ضعيف والرأي ان تبادره قبل أن يقوى أمره ويكثر جمعه فلم يفعل واستهان به فكثر جمع طاهر وصعد الى الجبال وبها قوم من العصاة على السلطان فاحتمى بهم وقوى فنزل الى جيرفت فملكها وملك غيرها وقوى طمعه في الباقي فقصده أبو موسى والديلم فهزمهم وأخذ بعض مابقي بايديهم فكاتبوا بهاء الدولة فسير اليهم جيشا عليهم أبو جعفر بن استاذهرمز فسار الى كرمان وقصدهم وبها طاهر فجرى بين طلائع العسكرين حرب وعاد طاهر الى سجستان وفارق كرمان فلما بلغ سجستان أطلق المأسورين ودعاهم الى قتال أبيه معه وحلف لهم أنهم اذا نصروه وقاتلوا معه أطلقهم ففعلوا ذلك وقاتل أباه فهزمه وملك طاهر البلاد ودخل أبوه الى حصن له منيع فاحتمى به وأحب الناس طاهر الحسن سيرته وسوء سيرة والده وأطلق طاهر الديلم ثم ان أباه راسل أصحابه ليفسدهم عليه فلم يفعلوا فعدل الى محادعته وراسله يظهر له الندم على ما كان منه ويستميله بأنه ليس له ولد غيره وانه يخاف أن يموت فيملك بلاده غيره وولده ثم استدعاه اليه جريدة ليجتمع به ويعرفه أحواله فتواعد تحت قلعة خلف فأتاه ابنه جريدة ونزل هو اليه كذلك وكان قد كمن بالقرب منه كمينا فلما القيه اعتنقه وبكى خلف وصاح في بكائه فخرج الكمين وأسر واطاهر افقتله أبوه بيده وغسله ودفنه ولم يكن له ولد غيره فلما قتل طمع الناس في خلف لانهم كانوا يخافون ابنه لشهامته وقصده حينئذ محمود بن سبكتكين فملك بلاده على ماذكره وأما العتبي فذكر في سبب فتحها غير هذا وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ثار الاتراك ببغداد بنائب السلطان وهو أبو نصر سابور فهرب منهم ووقعت الفتنة بين الاتراك والعامة من أهل الكرخ وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم ان أهل السنة من أهل بغداد ساعدوا الاتراك على أهل الكرخ فضعفوا عن الجميع فسعى الاشراف في اصلاح الحال فسكنت الفتنة وفيها ولد الامير أبو جعفر عبد الله بن القادر وهو القائم بأمر الله وفيها في ربيع الاول توفي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى وكان فاضلا عالما بعلوم الاسلام وبالمنطق وكان يجالس للحديث ويروي الناس عنه وفيها توفي القاضي أبو الحسن الجزري وكان على مذهب داود الظاهري وكان يصحب عضد الدولة قديما وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر بطريق النيل وحمل الى بغداد ودبوانه مشهور وفيها توفي بكران بن أبي الفوارس خال الملك جلال الدولة بواسط وفيها توفي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة الوزير ومولده سنة ثمان وثلاثمائة وكان سار الى مصر فولي وزارة كافور وروى حديثا كثيرا

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر وقعة يمين الدولة بالهند﴾

في هذه السنة أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة وسبب ذلك انه لما اشتغل بامر خراسان وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد وخلا وجهه من ذلك أحب ان يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين فثنى عنانه نحو تلك البلاد فنزل على مدينة برشور فأتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة فاختار يمين الدولة من عساكره

فيه ورأى ماقد داخلني فقال يغفر الله لك يا أحمد لقد فرحت بما ظننت انه أحزنك اذا سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يراعلني فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يأمرك ان تراعله فتهيأ لشروط من راعلة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف اتهيأ اهيئ لي رأسا غير رأسي اشتري لحية غير لحيتي أأزيد في قامتي انا منهيء وفضلة قال لست تدري بعد ماشروط من راعلة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد وماهي هات يامن تدري قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا وكان برسم الحجاب شرط المعادلة الامتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة وأن لا يبزق ولا يسعل ولا يتنخع ولا يمخط وأن يتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل وان يتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة واحدا وليس له ان ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وماهو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فقال جانب لا يشعر به له كان في ذلك مالا خفاء به وعلي بن الجنيد ينظر والمطوعة

والمطاوعة خمسة عشر ألفا وسار نحوه فالتقوا فى المحرم من هذه السنة فاقتتلوا وصبر الفريقان فلما انتصف النهار انهزم الهند وقتل فيهم مقتلة عظيمة وأسر جيبال ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم أموالا جليلة وجواهر نفيسة وأخذ من عنق عدو الله جيبال قلاده من الجوهر العديم النظير قومت بمائتى ألف دينار وأصيب أمثالها فى أعناق مقدمى الاسرى وغنموا خمسمائة ألف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلادا كثيرة فلما فرغ من غزواته أحب ان يطلق جيبال ليراه الهنود فى شعار الذل فأطلقه بعد قرره عليه فأدى المال ومن عاده الهند انهم من حصل منهم فى أيدى المسلمين اسيرا لم ينعقد له بعدها رياسة فلما رأى جيبال حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم ألقى نفسه فى النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

﴿ذكر غزوة اخرى الى الهند أيضا﴾

فلما فرغ يمين الدولة من أمر جيبال رأى ان يغزو غزوة أخرى فسار نحو بهند وأقام عليها محاصرا لها حتى فتحها قهرا وبلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم طائفة من عسكره فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد الفريد وعاد الى غزنة سالما ظافرا

﴿ذكر الحرب بين قراواش وعسكر بهاء الدولة﴾

فى هذه السنة سير قراواش بن المقلد جمعا من عقيل الى المدائن فحصروها فسير اليهم أبو جعفر نائب بهاء الدولة جيشا فأزالوهم عنها فاجتمعت عقيل وأبو الحسن مزيد فى بنى أسد وقويت شوكتهم فخرج الحجاج اليهم واستنجد خفاجة وأحضرهم من الشام فاجتمعوا معه واقتتلوا بنواحى باكرم فى رمضان فانهزمت الديلم والاتراك وأسر منهم خلق كثير واستجيح عسكرهم فجمع أبو جعفر من عنده من العسكر وخرج الى بنى عقيل وابن مزيد فالتقوا بنواحى الكوفة واشتد القتال بينهم فانهزمت عقيل وابن مزيد وقتل من أصحابهم خلق كثير وأسر مثلهم وسار الى حلل ابن مزيد فأوقع بمن فيها فانهزموا أيضا فنهبت الحلل والبيوت والاموال ورأوا فيها من العين والمتاع والثياب مالا يقدر قدره ولما سار أبو جعفر عن بغداد اختلت الاحوال بها وعاد أمر العيارين ظهر واشتد الفساد وقتلت النفوس ونهبت الاموال وأحرقت المساكن فبلغ ذلك بهاء الدولة فسير الى العراق لحفظه أبا على بن أبى جعفر المعروف باستاذهرمز ولقبه عميد الجيوش وأرسل الى أبى جعفر الحجاج وطيب قلبه ووصل أبو على الى بغداد وأقام السياسة ومنع المفسدين فسكنت الفتنة وأمن الناس وفيها توفى محمد بن محمد بن جعفر أبو بكر الفقيه الشافعى المعروف بابن الدقاق صاحب الاصول

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ملك يمين الدولة سجستان﴾

فى هذه السنة ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين سجستان وانتزعها من يد خلف بن أحمد قال العتبى وكان سبب أخذها أن يمين الدولة لما رحل عن خلف بعد ان صالحه كما تقدم ذكره سنة تسعين عهد خلف الى ولده طاهر وسلم اليه مملكته وانعكف هو على العبادة والعلم وكان عالما فاضلا محبا للعلماء وكان قصده أن يوهم يمين الدولة أنه ترك الملك وأقبل على طلب الآخرة ليقطع طمعه عن بلاده فلما استقر طاهر فى الملك عق أباه واعمل أمره فلاطفه أبوه ورفق به ثم انه تمارض فى حصنه المذكور واستدعى ولده ليوصى اليه فحضر عنده غير محتاط وتسى اسامنه

يقول اهل السواد آه حرها اذهب له فقل له ما يزاملك الا من أمه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئنى به فجاءه فقال يا على أبعت اليك تراملنى فلا تفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءنى بشروط حسان الشاشى وخالويه الحاكى فقال لا تبرق ولا تفعل كذا وافعل كذا وجعل يخط فى كلامه ويترفع من صاداته ويشير بيديه ولا يسعل ولا يعطس وهذا لا يقوم لى ولا أقدر عليه فان رضيت ان أزاملك فان جاءنى الفساء فسوت عليك وشرطت واذا جاءك أنت فأده فأفسو وأضرط والافليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى خص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملنى على هذه الشريطة قال نعم وكرامة فزامله فى قبة على بغل فسار ساعة وتوسطا البر فقال على يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فمارى قال ذلك اليك اذا شئت قال تحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فقال له على تعال حتى أسارك فلما دنا منه فساونا وله كمه وقال أجد ببيب شئ فى كمى فانظر ما هو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ ولكنى لم أعلم ان فى جوف ثيابك كنيفا والمعتصم فدغطى

فلما صار عنده قبض عليه وسجنه وبقي في السجن الى ان مات فيه واظهر عنه أنه قتل نفسه ولما سمع عسكر خلف وصاحب جيشه بذلك تغيرت نياتهم في طاعته وكرهوه وامتنعوا عليه في مدينته واظهروا طاعة عين الدولة وخطبوا له وأرسلوا اليه يطلبون من يتسلم المدينة ففعل وملكها واحتوى عليها في هذه السنة وعزم على قصد خلف وأخذ ما بيده والاستراحة من مكره فسار اليه وهم في حصن الطاق وله سبعة أسوار محكمة يحيط بها خندق عميق عريض لا يخاض الا من طريق على جسر يرفع عند الخوف فنازله وضايقه فلم يصل اليه فأمر بطم الخندق ليمكن العبور اليه فقطعت الاخشاب وطمها بالتراب في يوم واحد مكانا يعبرون فيه ويقاتلون منه وزحف الناس ومعهم الفيول واشتدت الحرب وعظم الامر وتقدم أعظم الفيول الى باب السور فاقتلعه بنابيه وألقاه وملكه أصحاب عين الدولة وتأخر أصحاب خلف الى السور الثاني فلم يزل أصحاب عين الدولة يدفعونهم عن سور سور فلما رأى خلف اشتداد الحرب وان اسواره تملك عليه وان أصحابه قد عجزوا وان الفيلة تحطم الناس طار قلبه خوفا وفرقا فارسل يطلب الامان فاجابه عين الدولة الى ما طلب وكف عنه فلما حضر عنده أكرمه واحترمه وأمره بالمقام في أي البلاد شاء فاختار أرض الجوزجان فسير اليها في هيئة حسنة فاقام بها نحو أربع سنين ونقل الى عين الدولة عنه أنه راسل ايلك الخان يغريه بقصد عين الدولة فنقله الى جردين واحتاط عليه هناك الى ان أدركه أجله في رجب سنة تسع وتسعين فسلم عين الدولة جميع ما خلفه الى ولده أبي حفص وكان خلف مشهورا بطلب العلم وجمع العلماء وله كتاب صنفه في تفسير القرآن من أكبر الكتب

﴿ ذكر الحرب بين عميد الجيوش أبي علي وبين أبي جعفر الحاج ﴾

في هذه السنة كانت الحرب بين أبي علي بن أبي جعفر استاذهرمز وبين أبي جعفر الحاج وسبب ذلك ان أبا جعفر كان تاشاعى بهاء الدولة بالعراق فجمع وغزا واستناب بعده عميد الجيوش أبا علي فاقام أبو جعفر بنواحي الكوفة ولم يستقر بينه وبين أبي علي صلح وكان أبو جعفر قد جمع جمعا من الديلم والاتراك وخفاجة فجمع أبو علي أيضا جماعة كثيرا وسار اليه والتقوا بنواحي النعمانية فاقتتلوا قتالا عظيما وأرسل أبو علي بعض عسكره فأتوا أبا جعفر من ورائه فانهزم أبو جعفر ومضى منهزما فلما أمن أبو علي سار من العراق بعد الهزيمة الى خوزستان وبلغ السوس وأتاه الخبر ان أبا جعفر قد عاد الى الكوفة فرجع الى العراق وجرى بينه وبين أبي جعفر منازعات ومراجعات الى أن آل الامر الى الحرب فاستنجد كل واحد منهم بني عقيل وبني خفاجة وبني أسد فبينما هم كذلك أرسل بهاء الدولة الى عميد الجيوش أبي علي يستدعيه فسار اليه الى خوزستان لاجل أبي العباس بن واصل صاحب البطيحة

﴿ ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية ﴾

لما ملك عين الدولة سجستان عاد عنها واستخلف عليها أميرا كبيرا من أصحابه يعرف بقفجي الحاجب فاحسن السيرة في أهلها ثم ان طوائف من أهل العيث والفساد قدموا عليهم رجلا يجمعهم وخالفوا على السلطان فسار اليهم عين الدولة وحصرهم في حصن ارك ونشبت الحرب في دي الحجة من هذه السنة فظهر عليهم وظفر بهم وملك حصنهم وأكثر القتل فيهم وانهزم بعضهم فسير في آثارهم من يطلبهم فادركوهم فاكثروا القتل فيهم حتى خلت سجستان منهم وصفت له واستقر ملكها عليه فاقطعها أخاه نصرا مضافة الى نيسابور

﴿ ذكر وفاة الطائع لله ﴾

فيه بكمه وقد ذهب به ولا تبرق ولا تخط فلم أفعل ولكني أخر أعلك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم بخروج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد فجعت القدر وأريد أخرى فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه ويلك ياغلام الارض الساعة أموت ودخل علي بن الجنيد الاسكافي يوما على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وزهاله ياعلي مالي لا أراك ويلك أنسيت الصحبة وما حفظت المودة فقال له حينئذ بالغ الكلام الذي أريد أن أقوله قلته أنت ما أنت الا ابليس فضحك ثم قال لا تجئني قال اه كم اجيء فلا أصل أنت اليوم نبيل وكانك من بني مارية وبنو ماوية اناس من أهل السواد يضرب بهم أهل السواد الامثال لكبرهم في نفوسهم فقال له المعتصم هذا سندان التركي وأشار الى غلام على رأسه بيده مذبة وقال له يا سندان اذا حضر علي فأعلمني وان أعطاك رقعة فأوصلها الي وان حملك رسالة فأخبرني بها قال نعم ياسيدي وانصرف فأقام أياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا هو نائم فانصرف ثم عاد فقالوا هو داخل ولا تصل اليه فانصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتال حتى دخل عند المعتصم من

في هذه السنة في شوال منها توفي الطائع لله المخلوع بن المطيع لله وحضر الاشراف والقضاة وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وتكلمت العامة في ذلك فقيل ان هذا مما يفعل بالخلفاء وشيع جنازته ابن حاجب النعمان ورثاه الشريف الرضي فقال

مابعد يومك ما يسلو به السالي * ومثل يومك لم يخطر على بالي وهي طويلة

﴿ ذكر وفاة المنصور بن أبي عامر ﴾

في هذه السنة توفي أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري الملقب بالمنصور أمير الاندلس مع المؤيد هشام بن الحاكم وقد تقدم ذكره عند ذكر المؤيد وكان أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها وقدم قرطبة طالبا للعلم وكانت له همة فتعلق بوالدة المؤيد في حياة أبيه المستنصر فلما ولي هشام كان صغيرا فتكفل المنصور لوالدته القيام بأمره واخماد الفتن الثائرة عليه واقرار الملك عليه فولته أمره وكان شهما شجاعا قوي النفس حسن التدبير فاستمال العساكر وأحسن اليهم فقوي أمره وتلقب بالمنصور وتابع الغزوات الى الفرنج وغيرهم وسكنت البلاد معه فلم يضطرب منها شئ وكان عالما محبا للعلماء يكثر مجالستهم ويناظرهم وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه وصنفوا له تصانيف كثيرة ولما مرض كان متوجها الى الغزو فلم يرجع ودخل بلاد العدو فنال منهم وعاد وهو مثقل فتوفي بمدينة سالم وكان قد جمع الغبار الذي وقع على درعه في غزواته شيأ صالحا فامر ان يجعل في كفنه تبركا به وكان حسن الاعتقاد والسيرة عادلا كانت أيامه اعيادا للنصارى وأمن الناس فيها رحمه الله وله شعر جيد وكانت أمه تميمية ولما مات ولي بعده ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك فجرى مجرى أبيه

﴿ ذكر محاصرة فضل مدينة قابس وما كان منه ﴾

في هذه السنة سار يحيى بن علي الاندلسي وقيل من طرابلس الى مدينة قابس في عسكر كثير فحصرها ثم رحلوا الى طرابلس ولما رأى يحيى بن علي ماهو عليه من قلة المال واختلال حاله وسوء مجاورة فضل وأصحابه له رجع الى مصر الى الحاكم بعد ان أخذ فضل وأصحابه خيولهم وما اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب فاراد الحاكم قتله ثم عفا عنه وأقام فضل بطرابلس الى سنة أربعمائة فمرض وتوفي وولي أخوه ورد وفاطاعته زناتة واستقام أمره فرحل باديس الى طرابلس لحرب زناتة فلما بلغهم رحيله فارقوها وملكها باديس ففر أهلها وأرسل ورد وأخو فضل الى باديس يطلب أن يكون هو ومن معه من زناتة في أمانه ويدخلون في طاعته ويجعلهم عمالا كسائر عماله فأمنهم وأحسن اليهم واعطاهم نفزاوة وقسطيلية على ان يرحلوا من اعمال طرابلس ففعلوا ذلك ثم ان خزرون بن سعيد أخا ورد وجاه الى باديس ودخل في طاعته وفارق أخاه فاكرمه باديس وأحسن اليه ثم ان أخاه خالف على باديس وسار الى طرابلس فحصرها وسار اليه خزرون ليمنعه عن حصارها وكان ذلك سنة ثلاث وأربعمائة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة في رمضان طلع كوكب كبير له ذؤابة وفي ذي القعدة انقض كوكب كبير أيضا كصوء القمر عند تمامه واضحك نوره وبقي جرمه يتموج وفيها اشتدت الفتنة ببغداد وانتشر العيارون والمفسدون فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا علي بن استاذهرمز الى العراق ليدبر أمره فوصل الى بغداد فزينت له وقمع المفسدين ومنع السنية والشيعة من أظهار مذاهبهم ونفى

يا أمير المؤمنين ان رأيت سندا التركي فأقرئه مني السلام فضحك وقال ماحاله قال حاله انك جعلت بيني وبينك انسانا رأيتك قبل أن أراه وقد اشتقت اليه فأسألك ان تبلغه مني السلام فغلب المعتصم الضحك وجمع بينه وبين سندا واكد عليه في مراعاة أمره وكان لا يمنع منه وعبر المعتصم من سر من رأى من الجانب الغربي ذلك في يوم مطير وقد تبع ذلك ليلة مطيرة وانفرد من أصحابه واذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك وهو الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انسانا يعينه على حمله فوقف عليه وقال مالك ياشيخ قال فديتك حماري وقع عنه هذا الحمل وقد بقيت أنتظر انسانا يعينني على حمله فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين فقال جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيلسانك الذي اشمه من أجل حماري هذا قال لا عليك فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة وأخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل ينظر اليه ويتعجب ويترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه في وسطه واهوى الى الشوك وهو حرمتان فحملهما فوضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال الشيخ السوادي

بعد ذلك ابن المعلم فقيه الامامية فاستقام البلد وفيها فى ذى الحجة ولد الامير أبو على الحسن بن بهاء الدولة وهو الذى ملك الامر ولقب عشرف الدولة وفيها هرب الوزير أبو العباس الضبى وزير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه من الرى الى بدر بن حسنويه فاكرمه وقام بالوزارة بعده الخطير أبو على وفيها ولى الحاكم بأمر الله على دمشق وقيادة العساكر الشامية أبا محمد الاسود واسمه تضوات فقدم اليها ونزل فى قصر الامارة وأقام واليا عليها سنة وشهرين ومن أعماله فيها أنه أطاف انسانا مغربيا وشهره ونادى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم أخرجه عنها وفيها توفى عثمان بن جنى النحوى مصنف اللمع وغيرها ببغداد وله شعر بارد والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى بالرى وكان اماما فاضلا افنون كثيرة والوليد بن بكر بن مخلد الاندلسى الفقيه المالكى وهو محدث مشهور وفيها توفى أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى الشاعر البغدادى ومن شعره يصف الدرع وهى هذه الابيات

يارب سابغة حبتنى نعمة * كافأتها بالسوء غير مفند
أنسحت تصون عن المنايا مهجتى * وظلمت أبذلها لكل مهند

وله من أحسن المديح فى عضد الدولة

وكنت وعزمى والظلام وصارمى * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودارهى الدنيا ويوم هو الدهر

وقدم الموصل فاجتمع بالخالديين من الشعراء منهم أبو الفرج الببغاء وأبو الحسين التلعفرى فامتحنوه وكان صبيا فبرز عند الامتحان وفيها توفى محمد بن العباس الخوارزمى الاديب الشاعر وكان فاضلا وتوفى بنيسابور وفيها توفى محمد بن عبد الرحمن بن زكريا أبو طاهر المخلص المحدث المشهور وأول سماعه سنة اثنى عشرة وثلثمائة

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر استيلاء أبى العباس على البطيحة﴾

فى هذه السنة فى شعبان غلب أبو العباس بن واصل على البطيحة واخرج منها مهذب الدولة وكان ابتداء حال أبى العباس انه كان ينوب عن طاهر بن زيرك الحاجب فى الجهبذة وارتفع معه ثم اشفق منه ففارقه وسار الى شيراز واتصل بخدمة فولاذ وتقدم عنده فلما قبض على فولاذ عاد أبو العباس الى الاهواز بحال سيئة فخدم فيها ثم اصعد الى بغداد فضاق الامر عليه فخرج منها وخدم أبا محمد بن مكرم ثم انتقل الى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة فجرد معه عسكرا وسيره الى حرب لشكرستان حين استولى على البصرة ومضى الى سيراف وأخذ مالها لابى محمد بن مكرم من سفن ومال وأتى أسافل دجلة فغلب عليها وخلع طاعة مهذب الدولة فأرسل اليه مهذب الدولة مائة سميرية فيها مقاتلة فغرق بعضها وأخذ أبو العباس مابقى منها وعدل الى الابلة فهزم أبا سعد بن ماكولا وهو يحجب لشكرستان فانهزم أيضا الشكرستان من بين يديه واستولى ابن واصل على البصرة ونزل دار الامارة وأمن الديلم والاجناد وقصد لشكرستان مهذب الدولة فأعاده الى قتال أبى العباس فى جيش فلقيه أبو العباس وقاتله فانهزم لشكرستان وقتل كثير من رجاله واستولى أبو العباس على ثقله وأمواله واصعد الى البطيحة وأرسل الى مهذب الدولة يقول له قد هزمت جندك ودخلت بلدك فخذ لنفسك فسار مهذب الدولة الى بشامى وصار عند أبى شجاع فارس ابن مردان وابنه صدقة فغدر به وأخذ أمواله فاضطر الى الهرب وسار الى واسط فوصلها على أقبح

خاصته أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح وتبلغ به قريته وفى سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبى نعيم الفضل ابن دكين مولى طلحة بن عبد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسى وعبد الله بن رجاء العراقى وفيها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين قبض محمد بن على ابن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وذلك لخمس خلون من ذى الحجة ودفن ببغداد فى الجانب الغربى بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الواثق وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة وقبض أبوه على بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وقيل ان أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته واذا ذكرنا من أمره ماوصفنا لان أهل الامامة اختلفوا فى مقدار سنه عند وفاة أبيه وقد أتينا على ماقيل فى ذلك فى رسالة البيان فى أسماء الائمة وما قالت فى ذلك الشيعة من القيطعية وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين أخاف المعتصم محمد بن القاسم بن

صورة فخرج اليه أهلها فلقوه وأصعدت زوجته ابنة الملك بهاء الدولة الى بغداد واصعد مهذب الدولة اليها فلم يمكن من الوصول اليها وأما ابن واصل فانه استولى على أموال مهذب الدولة وبلاده وكانت عظيمة وكل بدار زوجته ابنة بهاء الدولة من يحرسها ثم جمع كل مافيها وأرسله الى أبيها واضطرب عليه أهل البطائح واختلفوا فسير سبعمائة فارس الى الجازرة لاصلاحها فقاتلهم أهلها فظفروا بالعسكر وقتلوا فيهم كثيرا وانتشر الامر على أبي العباس بن واصل فعاد الى البصرة خوفا ان ينتشر الامر عليه بها وترك البطائح شاغرة ليس فيها أحد يحفظها ولما سمع بهاء الدولة بحال أبي العباس وقوته حافه على البلاد فسار من فارس الى الاهواز تلافى أمره واحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكرا كثيفا وسيرهم الى أبي العباس فأتى الى واسط وعمل مايحتاج اليه من سفن وغيرها وسار الى البطائح وفرق جنده في البلاد لتقرير قواعدها وسمع أبو العباس بمسيره اليه فاصعد اليه من البصرة وأرسل يقول له ما أحوجك تتكلف الاخطار وقد أتيتك تأخذ لنفسك ووصل الى عميد الجيوش وهو على تلك الحال من تفرق العسكر عنه فنقيه فيمن معه بالصليق فانهزم عميد الجيوش ووقع من معه بعضهم على بعض ولقي عميد الجيوش شدة الى ان وصل الى واسط ودهب ثقله وحيامه وخزائنه فاخبره مازنه أنه فقد فى الخيمة ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم فانفذ احضرها فقوى بها ونذكر باقي خبر البطائح سنة خمس وتسعين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قلد بهاء الدولة النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيراز وأقب الطاهر ذا المناقب فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وامضى ماسواه وفيها خرج الاصيفر المنتفقي على الحاج وحصرهم بالبطانية وعزم على أخذهم وكان فيهم أبو الحسن الرفاء وأبو عبد الله الدجاجي وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يسمع مثلها فحصر اعند الاصيفر وقرآ القرآن فترك الحاج وعاد وقال لهما قد تركت لكما ألف ألف دينار

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود مهذب الدولة الى البطيحة﴾

قد ذكرنا انهزام عميد الجيوش من أبي العباس بن واصل فلما انهزم أقام بواسط وجمع العساكر عازما على العود الى البطائح وكان أبو العباس قد ترك بها نائبا له فلم يتمكن من المقام بها فارقها الى صاحبه وأرسل عميد الجيوش اليها نائبا من أهل البطائح فعسف الناس وأخذ الاموال ولم يلتفت الى عميد الجيوش فأرسل الى بغداد وأحضر مهذب الدولة وسير معه العساكر في السفن الى البطيحة فلما وصلها القيه أهل البلاد وسروا بقدومه وسلموا اليه جميع الولايات واستقر عليه لبهاء الدولة كل سنة خمسون ألف دينار ولم يعرض اليه ابن واصل فاشتغل عنه بالتجهيز الى خوزستان وحفر نهرا الى جانب النهر العضدي بين البصرة والاهواز وكثر ماؤه وكان قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الاجناد ولما كثر ماله وذخائره وما استولى عليه من البطيحة فقوى طمعه في الملك وسار هو وعسكره الى الاهواز في دي القعدة فجهز اليه بهاء الدولة جيشا في الماء فالتقوا بنهر السدرة فاقتتلوا واخاتلهم أبو العباس وسار الى الاهواز وتبعه من كان قد لقيه من العسكر فالتقوا بظاهر الاهواز وانضاف الى عسكر بهاء الدولة العساكر التي بالاهواز فاستظهر أبو العباس عليهم ورحل بهاء الدولة الى قنطرة أربق عازما على المسير الى فارس ودخل أبو العباس

العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما حاف على نفسه هرب فصار الى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هناك حروب وكوائن وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم حمله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه في ازج اتخذه في بستان بسر من رأى وقد تنوزع في محمد بن القاسم فمن قائل يقول انه قتل بالسم ومنهم من يقول ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتاقوا اللخدمة فيه من غرس وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الازج وأخرجوه فذهبوا به فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية وقد انقاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وأنه حي يرزق وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وأنه مهدي هذه الامة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال قبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وقول هؤلاء في محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية في محمد بن الحنفية ونحو من قول الواقفية في موسى بن جعفر وهم الممطورة بهذا تعرف هذه

قول غلاتهم من العلوية وغيرهم من الحديدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح في أنواع الاشخاص من بهم الحيوان وغيره في كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة وكان المعتصم يحب جميع الاتراك وشراءهم من أيدي مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزي عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوفي مصر من حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة واستنقذ رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الاشروسية فكثر جيشه وكانت الاتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الاسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير فعزم المعتصم على النقلة منهم وأن ينزل في فضاء من الارض فنزل الراذان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ولا اتسع له هواؤها فلم يزل يتنقل و ينفر المواضع والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول الاصنام

الى دار المملكة وأخذ ما فيها من الامتعة والاثاث المختلف عن بهاء الدولة الا انه لم يمكنه المقام لان بهاء الدولة كان قد جهز عسكرا ليسير في البحر الى البصرة فخاف أبو العباس من ذلك وراسل بهاء الدولة وصالحه وزاد في اقطاعه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى البصرة وحمل معه كل ما أخذه من دار بهاء الدولة ودور الاكابر والقواد والتجار

﴿ ذكر غزوة بهاطية ﴾

في هذه السنة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند وهي وراء المولتان وصاحبها يعرف ببجيرا وهي مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها بها ثم انه خرج الى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه فسبقهم المسلمون الى باب البلد فلكوه عليهم وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخذت الاموال وأما بجيرا فانه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه يمين الدولة سرية فلم يشعر بهم بجيرا الا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن بالعطب أخذ خنجرا معه فقتل به نفسه وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه وافى في عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار فغرق منه ومن عسكره شئ عظيم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة كان بافريقية غلاء شديد بحيث تعطلت المخابز والحمامات وهلك الناس وذهبت الاموال من الاغنياء وكثر الوباء فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة الى سبعمائة وفيها وصل قرواش وأبو جعفر الحاج الى الكوفة فقبض على أبي علي عمر بن محمد بن عمر العلوي وأخذ منه قرواش مائة ألف دينار وحمله معه الى الانبار وفيها توفي اسحق بن محمد بن حمدان بن محمد بن نوح أبو ابراهيم المهلبي وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن أبي اسمعيل العلوي الهمذاني الفقيه الشافعي رحمه الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر غزوة المولتان ﴾

في هذه السنة غزا السلطان يمين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان واليها أبا الفتوح نقل عنه خبث اعتقاده ونسب الى الالحاد وأنه قد دعا أهل ولايته الى ما هو عليه فأجابوه فرأى يمين الدولة ان يجاهده و يستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فأرسل الى اندبال يطلب اليه ان يأذن له في العبور ببلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان وقال نجمع بين غزوتين لانه لا غزو الا التعقيب فدخل بلاده وجاسها وأكثر القتل فيها والنهب لاموال أهلها والاحراق لابنيتها ففر اندبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى قشمير ولما سمع أبو الفتوح بخبر اقباله اليه علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل أمواله الى سرنديب واخلى المولتان فوصل يمين الدولة اليها ونازلها فاذا أهلها في ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة وألزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم

﴿ ذكر غزوة كواكير ﴾

ثم سار عنها الى قلعة كواكير وكان صاحبها يعرف ببيدا وكان بها اسمائه صنم فافتتحها واحرق

الاصنام فهرب صاحبها الى قلعته المعروفة بكالنجار فسار خلفه اليها وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون ألف دابة وفى الحصن مايكفى الجميع مدة فلما قارب بهايين الدولة وبقى بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق مالا حد عليه فأمر بقطعها ورأى فى الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فأمر ان يطم منه مقدار ما يسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوأة ترابا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوما وراسله صاحبها فى الصلح فلم يجبه ثم بلغه عن خراسان اختلاف بسبب قصد ايلك الخان لها فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منافصة ولبس خلعة يمين الدولة بعد ان استعفى من شد المنطقة فانه اشتد عليه فلم يجبه يمين الدوله الى ذلك فشد المنطقة وقطع اصبعه الخنصر وأنفذها الى يمين الدولة توثقة فيما يتقدونه وعاد يمين الدولة الى خراسان لاصلاح ما اختلف فيها وكان عازما على الوغول فى بلاد الهند

﴿ ذكر عبور عسكر ايلك الخان الى خراسان ﴾

كان يمين الدولة لما استقر له ملك خراسان وملك ايلك الخان ماوراء النهر قد راسله ووافقه وتزوج ابنته وانعقدت بينهما مصاهرة ومصالحة فلم تزل السعاة حتى أفسدوا ذات بينهما وكتم ايلك الخان مافى نفسه فلما سار يمين الدولة الى المولتان اغتنم ايلك الخان خلو خراسان فسير سباشى تكين صاحب جيشه فى هذه السنة الى خراسان فى معظم جنده وسير أخاه جعفر تكين الى بلخ فى عدة من الامراء وكان يمين الدوله قد جعل بهراة أميرا من أكابر أمرائه يقال له ارسلان الجاذب فأمره اذا ظهر عليه مخالف ان ينحاز الى غزنه فلما عبر سباشى تكين الى خراسان سار ارسلان الى غزنة وملك سباشى هراة وأقام بها وأرسل الى نيسابور من استولى عليها واتصل الاخبار بيمين الدولة وهو بالهند فرجع الى غزنة لايلوى على دار ولا يركن الى قرار فلما بلغها فرق فى عساكره الاموال وقواهم وأصلح ما أراد اصلاحه واستمد الاتراك الخلجية فجاءه منهم خلق كثير وسار بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين أخو ايلك الخان فعبر الى ترمذ ونزل يمين الدولة ببلخ وسير العساكر الى سباشى تكين بهراة فلما قاربوه سار نحو مرو ليعبر النهر فلقيه الترکمان الغزية وقاتلوه فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم سار نحو ابيورد لتعذر العبور عليه فتبعه عسكر يمين الدولة كلما رحل نزلوا حتى ساقه الخوف من الطلب الى جرجان فأخرج عنها ثم عاد الى خراسان فعارضه يمين الدوله فمنعه عن مقصده واسر أخو سباشى تكين وجماعة من قواده ونجا هو فى خف من أصحابه فعبر النهر وكان ايلك الخان قد عبر أخاه جعفر تكين الى بلخ ليلتقى يمين الدولة عن طلب سباشى فلم يرجع وحمل دأبه اخراج سباشى من خراسان فلما أخرج عنها عاد الى بلخ فانهزم من كان بها مع جعفر تكين وسلمت خراسان ليمين الدولة

﴿ ذكر الحرب بين عسكر يمين الدولة والاكراد ﴾

فى هذه السنة سير عميد الجيوش عسكرا الى البند نجيين وجعل المقدم عليهم قائدا كبيرا من الديلم فلما وصلوا اليها سار اليهم جمع كثير من الاكراد فاقتتلوا فانهزم الديلم وغنم الاكراد رحلهم ودوابهم ووجد المقدم عليهم من ثيابه فأخذ قميصا من رجل سوادى وعاد راجلا حافيا ولم يكن مقامهم غير أيام قليلة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة قلد الشريف الرضى نقابة الطالبيين بالعراق ولقب بالرضى ذى الحسبين ولقب

النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة فبنى هناك قصرا وبنى الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخلت من السكان الا اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين فى ذلك معيرا للمعتصم بانتقاله عنهم أيام اسكن القاطول بين الجرامقة

تركت ببغداد الكباش البطارقة
ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالماء فى ذلك يقول بعض من كان فى الجيش

يالوا الماء يا القاطول مشتانا
فنحن نأمل صنع الله مولانا
الناس بأمرون الرأى بينهم
والله فى كل يوم محدث شانا

ولما تأذى المعتصم بالموضع ونعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامر اوكان هناك للنصارى دير عادى فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال يعرف بسامر اقال له المعتصم وما معنى سامر اقال نجدها فى الكتب السالفة والامم الماضية انها مدينة سام بن نوح قال له المعتصم ومن أى بلادهى والام تضاف قال من بلاد طبرهات واليها تضاف فنظر المعتصم الى فضاء

واسع تسافر فيه الابصار وهو طيب وأرض صحيحة فاستمراها واستطاب

أخوه المرتضى ذا المجدين فعل ذلك بهاء الدولة وفيها توفي أبو أحمد عبد الرحيم بن علي بن المرزبان الاصبهاني قاضي خراسان وكان اليه أمر البيمارستان ببغداد وفيها استهل شعبان طلع كوكب كبير يشبه الزهرة عن يسرة قبلة العراق له شعاع على الارض كشعاع القمر وبقي الى منتصف ذي القعدة وغاب وفيها توفي أبو سعد اسمعيل بن أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل الاسماعيلي الامام الفقيه الشافعي بجرجان في ربيع الآخرة ومحمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الحافظ الاصبهاني المشهور له التصانيف المعروفة

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر هزيمة ايلك الخان)﴾

لما اخرج يمين الدولة عساكر ايلك الخان من خراسان راسل ايلك الخان قدرخان بن بغرخان ملك الختن لقرابة بينهما وذكر له حاله واستعان به واستنصره واستنفر الترك من اقاصي بلادها وسار نحو خراسان واجتمع هو وايلك الخان فعبرا النهر وبلغ الخبر يمين الدولة وهو ببخارستان فسار وسبقهما الى بلخ واستعد للحرب وجمع الترك الغزية والخلج والهند والافغانية والغزنوية وخرج عن بلخ بعسكر على فرسخين بمكان فسيح يصلح للحرب وتقدم ايلك الخان وقدرخان في عساكرهما فنزلوا رازانه واقتتلوا يومهم ذلك الى الليل فلما كان الغد برز بعضهم الى بعض واقتتلوا واعتزل يمين الدولة الى تشز مرتفع ينظر الى الحرب ونزل عن دابته وعفر وجهه على الصعيد تواضعا لله تعالى وسأله النصر والظفر ثم نزل وحمل في فيلته على قلب ايلك الخان فازاله عن مكانه ووقعت الهزيمة فيهم وتبعهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ويغنمون الى ان عبروا بهم النهر واكثر الشعراء تهنئة يمين الدولة بهذا الفتح

﴿(ذكر غزوه الى الهند)﴾

فلما فرغ يمين الدولة من الترك سار نحو الهند للغزاة وسبب ذلك ان بعض أولاد ملوك الهند يعرف بنواسه شاه كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم فلما كان الآن بلغه انه ارتد عن الاسلام وما لأ أهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا لخين قاربه فر الهندي من بين يديه واستعاد يمين الدولة تلك الولاية واعادها الى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد الى غزنة

﴿(ذكر حصر أبي جعفر الحجاج بغداد)﴾

في هذه السنة جمع أبو جعفر الحجاج جمعا كثيرا وأمده بدر بن حسنويه بجيش كثير فسار بالجميع وحصر بغداد وسبب ذلك ان أبا جعفر كان نازلا على قلج حامي طريق خراسان وكان قلج مباينا للعميد الجيوش فاجتمعا لذلك فتوفي قلج هذه السنة فجعل عميد الجيوش على حماية الطريق أبا الفتح بن عناز وكان عدو البدر بن حسنويه فحقد ذلك بدر فاستدعى أبا جعفر الحجاج وجمع له جمعا كثيرا منهم الامير هندي بن سعدي وأبو عيسى شاذي بن محمد وورام بن محمد وغيرهم وسيرهم الى بغداد وكان الامير أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي قد عاد من عند بهاء الدولة بخوزستان مغضبا فاجتمع معهم فزادت عدتهم على عشرة آلاف فارس وكان عميد الجيوش عند بهاء الدولة لقتال أبي العباس بن واصل فسار أبو جعفر ومن اجتمع معه الى بغداد ونزلوا على فرسخ منها واقاموا شهرا وببغداد جمع من الاتراك ومعهم أبو الفتح بن عناز فحفظوا البلد فبينما هم كذلك أتاهم خبر انهزام أبي العباس وقوة بهاء الدولة ففت ذلك في اعضاد أبي جعفر ومن معه فتفرقوا فعاد

هواءها وأقام هنالك ثلاثا الجارية فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار وارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسمرقند رأى والبها يصاف التين الوزيري وهو أعذب الاتيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا لا يبلغه تين الشام ولا تين أهان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والاشجار فجعل للاتراك قطائع متحيزة وجاورهم بالفرانقة والاشروسنية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم في بلادهم وأقطع اشناس التركي وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ومن الفراعنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك التجار فبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه وجرت من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها وجهزوا اليها ابن

ابن مزيد الى بلده وسار أبو جعفر وأبو عيسى الى حلوان وراسل أبو جعفر فى اصلاح حاله مع بهاء الدولة فأجابه الى ذلك فحضر عنده بتستر فلم يلتفت اليه لئلا يستوحش عميد الجيوش

﴿ (ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن) ﴾

كان أبو الفتح بن عمار التجأ الى رافع بن محمد بن مقن ونزل عليه حين أخذ بدر بن حسنويه منه حلوان وقرميسين فأرسل بدر الى رافع يذكره مودة أبيه وحقوقه عليه ويعتب عليه حيث آوى خصمه ويطلب اليه ان يعده ليدوم له على العهد والود القديم فلم يفعل رافع ذلك فارسل بدر جيشا الى اعمال رافع بالجانب الشرقى من دجلة فنهبها وقصد داراه بالمطيرة فنهبوها واحرقوها وسار والى قلعة البردان وهى لرافع أيضا فتحوها نهبا وأحرقوا ما كان بها من الغلات وطم بئرها فسار أبو الفتح الى عميد الجيوش ببغداد فخلع عليه واكرمه ووعده نصره

﴿ (ذكر قتل أبى العباس بن واصل) ﴾

فى هذه السنة قتل أبو العباس بن واصل صاحب البصرة وقد تقدم ذكر ابتداء حاله وارتفاعه واستيلائه على البطيحة وما أخذه من الاموال وما هزم من جيوش السلطان وغير ذلك مما هو مذكور فى مواضعه فلما عظم أمره سار بهاء الدولة من فارس الى الاهواز ليحفظ خوزستان منه وكان فى البطائح مقابل عميد الجيوش فلما فرغ منه سار الى الاهواز وبها بهاء الدولة فملكها على ما ذكرناه وعاد عنها على صلح مع بهاء الدولة الى البصرة وقد ذكرناه أيضا ثم تجدد ما أوجب عوده الى الاهواز فعاد اليها فى جيشه وبهاء الدولة مقيم بها فلما قارب بها رحل بهاء الدولة عنها القلة عسكره وتمزقهم بعضهم بفارس وبعضهم بالعراق وقطع قنطرة اربق وبقى النهر يحجز بين الفريقين فاستولى أبو العباس على الاهواز وأتاه مدد من بدر بن حسنويه ثلاثة آلاف فارس فقوى بهم وعزم بهاء الدولة على العود الى فارس فمنعه أصحابه فاصلح أبو العباس القنطرة وجرى بين العسكرين قتال شديد دام الى العصر ثم عبر أبو العباس على القنطرة بعد أن أصلحها والتقى العسكران واشتد القتال فانهزم أبو العباس وقتل من أصحابه كثير وعاد الى البصرة مهزوما منتصف رمضان سنة ست وتسعين وثلثمائة فلما عاد منهزما جهز بهاء الدولة اليه العساكر مع وزيره أبى غالب فسار اليه ونزل عليه محاصرا له وجرى بين العسكرين القتال وضاق الامر على الوزير وقل المال عنده واستمد بهاء الدولة فامده ثم ان أبا العباس جمع سفنه وعساكره واصعد الى عسكر الوزير وهجم عليه فانهزم الوزير وكاد يتم على الهزيمة فاستوقفه بعض الديلم وثبته وحملوا على أبى العباس فانهزم هو وأصحابه وأخذ الوزير سفنه فاستأمن اليه كثير من أصحابه ومضى أبو العباس منهزما وركب مع حسان بن ثمال الخفاجى هاربا الى الكوفة ودخل الوزير البصرة وكتب الى بهاء الدولة بالفتح ثم ان أبا العباس سار من الكوفة وقطع دجلة ومضى عازما على اللحاق ببدر بن حسنويه فبلغ خانقين وبها جعفر بن العوام فى طاعة بدر فانزله واكرمه وأشار عليه بالمسير فى وقته وحذره الطلب فاعتل بالتعب وطلب الاستراحة ونام وبلغ خبره الى أبى الفتح بن عنار وهو فى طاعة بهاء الدولة وكان قريبا منهم فسار اليهم بخانقين وهو بها فحصره وأخذه وسار به الى بغداد فسيره عميد الجيوش الى بهاء الدولة فلقيهم فى الطريق قاصدا من بهاء الدولة بأمره بقتله فقتل وحمل رأسه الى بهاء الدولة وطيف به بخوزستان وفارس وكان بواسط عاشر صفر

﴿ (ذكر مسير عميد الجيوش الى حرب بدر وصلحه معه) ﴾

كان فى نفس بهاء الدولة على بدر بن حسنويه حقد لما اعتمده فى بلاده لاشتغاله عنه بأبى العباس

الاحسان وعمهم العدل وكان بدء ما وصفنا فيها فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الامصار فدق العساكر وكثر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعاينها الافشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك فى بلاده حتى انفض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف باليذ من أرض الران وهى بلاد بابك وبه يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب من موضعه وزال عن مكانه فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه وقد تزيا بزى السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد أرمينية على بعض المياه وبالقرب منهم راعى غنم فابتاعوا منه شاة وساموا شراء شئ من الزاد لهم فمضى من فوره الى سهل ابن سنباط فاخبره الخبر وقال هو بابك لاشك فيه وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشى أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف الى بعض الامم

القاطنه ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف اليه دلال عسكره فيرجع الى ما كان من أمره فأخذ الطرق وكاتب البطارقة

ابن واصل فلما قتل أبو العباس أمر بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير الى بلاده واعطاه مالا أنفقه فى الجند فجمع عسكرا وسار يريد بلاده فنزل جنديسابور فأرسل اليه بدر انك لم تقدر على ان تأخذ ما تغلب عليه بنو عقيل من أعمالكم وبينهم وبين بغداد فرسخ حتى صالحتهم فكيف تقدر على أخذ بلادى وحصونى منى ومعى من الاموال ما ليس معك مثلها وانا معك بين أمرين ان حاربتك فالحرب سجال ولا نعلم لمن العاقبة فان انهزمت أنا لم ينفعك ذلك لانى أحتمى بقلاعى ومعاقلى وانفق أموالى واذا عجزت وأنا رجل صحراوى صاحب عمد أبعد ثم اقرب وان انهزمت أنت لم تجتمع وتلتقى مع صاحبك العسف والرأى ان أحمل اليك ما لا ترضى به صاحبك وتصطلح فأجابه الى ذلك وصالحه وأخذ منه ما كان أخرجه على تجهيز الجيش وعاد عنه

﴿ ذكر الحرب بين قرواش وأبى على بن ثمال الخفاجى ﴾

فى المحرم جرت وقعة بين معتمد الدولة أبى المنيع قرواش بن المقلد العقيلى و بين أبى على بن ثمال الخفاجى وكان سببها ان قرواش جمع جمعا كثيرا وسار الى الكوفة وأبو على نائب عنها فقد حلها ونزل بها وعرف أبو على الخبر فسار اليه فالتقوا واقتتلوا فانهزم قرواش وعاد الى الانبار مفلولا وملك أبو على الكوفة وأخذ أصحاب قرواش فصادرهم

﴿ ذكر خروج أبى ركوة على الحاكم بمصر ﴾

فى هذه السنة ظفر الحاكم بأبى ركوة ونحن نذكر همنا خبره أجمع كان أبو ركوة اسمه الوليد وانما كنى أبا ركوة لركوة كان يحملها فى اسفاره سنة الصوفية وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ويقرب فى النسب من المؤيد هشام بن الحاكم الاموى صاحب الاندلس وان المنصور ابن أبى عامر لما استولى على المؤيد واخفاه عن الناس تتبع أهله ومن يصلح منهم للملك فطلبه فقتل البعض وهرب البعض وكان أبو ركوة ممن هرب وعمره حينئذ قد زاد على العشرين سنة وقصد مصر وكتب الحديث ثم سار الى مكة واليمن وعاد الى مصر وعاد بها الى القائم فأجابه بنو قرة وغيرهم وسبب استجابتهم ان الحاكم بأمر الله كان قد أسرف فى مصر فى قتل القواد وحبسهم وأخذ أموالهم وسائر القبائل معه فى ضنك وضيق ويودون خروج الملك عن يده وكان الحاكم فى الوقت الذى دعا أبو ركوة بنى قرة قد آذاهم وحبس منهم جماعة من أعيانهم وقتل بعضهم فلما دعاهم أبو ركوة انقادوا له وكان بين بنى قرة و بين زناتة حروب ودماء فاتفقوا على الصلح ومنع أنفسهم من الحاكم فقصد بنى قرة وفتح مكتبا يعلم الصبيان الخط وتظاهر بالدين والنسك وأمهم فى صلواتهم فشرع فى دعوتهم الى ما يريد فأجابوه وبايعوه واتفقوا عليه وعرفهم حينئذ نفسه وذكر لهم ان عندهم فى الكتب أنه يملك مصر وغيرها ووعدهم ومناهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا فاجتمعت بنو قرة وزناتة على بيعته وخاطبوه بالامامة وكانوا بنواحى برقة فلما سمع الوالى ببرقة خبره كتب الى الحاكم ينهيه اليه ويستأذنه فى قصدهم واصلاحهم فأمره بالكف عنهم واطراحهم ثم ان أبا ركوة جمعهم وسار الى برقة واستقر بينهم أن يكون الثلث من الغنائم له والثلثان لبنى قرة وزناتة فلما قاربها خرج اليه واليها فالتقوا فانهزم عسكر الحاكم وملك أبو ركوة برقة وقوى هو ومن معه مما أخذوا من الاموال والسلاح وغيره ونادى بالكف عن الرعية والنهب وأظهر العدل وأمر بالمعروف فلما وصل المنهزمون الى الحاكم عظم عليه الامر وأهمه نفسه وملكه وعاود الاحسان الى الناس والكف عن اذاهم وندب عسكرا ضخما وخمسة آلاف فارس وسيرهم وقدم عليهم قائدا يعرف ببنال الطويل وسيره فبلغ ذات الحمام وبينها و بين

فى الحصون والمواضع من ابن سنباط من الراعى ما أخبره به سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذى به بابك فترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك وقال له أيها الملك قم الى قصرك الذى فيه وليك وموضع يمنعك فيه الله من عدوك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه ومادفع اليه أمثالك يأكل معى فقام سهل عن المائدة وقال اخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده اذ كانت منزلتى ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك وحامه بحداد وقال له مد رجليك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل قال يا ابن الخبيثة انما أنت راعى غنم وبقر وما أنت والتدبير للملك وتنظم السياسات وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بوماده فتسلمه ومن معه وأتى به الى الافشين ومعه ابن سنباط فرفع الافشين منزلة سهل وخلع عليه وحمله وتوجه وقاد بين يديه وأسقط عنه الخراج

فأطلقه واطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح وأظهروا السرور وبثت الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان افنى عساكر السلطان فسار الافشين بيابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتلقى الافشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمس فراسخ من سامرا وبعث اليه بالفيل الاشهب وكان قد حمله بعض ملوك الهند الى المأمون وكان فيلا عظيما قد جلل بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون ومعه ناقة عظيمة نجيبة قد جللت بما وصفنا وحمل الى الافشين دراعة من الديباج الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثيرا من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الدراعة وألبس أخوه الاخرى وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه الناقة فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال ما هذه الدابة العظيمة واستحسن الدراعة وقال هذه كرامة ملك عظيم جليل الى أسير قد العز ذليل اخطأ به

برقة مفازة فيها منزلان لا يلقى السالك الماء الا في آبار عميقة بصعوبة وشدة فسير أبو ركوة قائدا في ألف فارس وأمرهم بالمسير الى ينال ومن معه ومطاردتهم قبل الوصول الى المنزلين المذكورين وأمرهم اذا عادوا أن يغوروا الآبار ففعلوا ذلك وعاد وا فحينئذ سار أبو ركوة في عساكره ولقيهم وقد خرجوا من المفازة على ضعف وعطش فقاتلهم فاشتد القتال فحمل ينال على عسكر أبي ركوة فقتل منهم خلقا كثيرا وأبو ركوة واقف لم يحمل هو ولا عسكره فاستأمن اليه جماعة كثيرة من كتامة لما نالهم من الاذى والقتل من الحاكم وأخذوا الامان لمن بقي من أصحابهم ولحقهم الباقون فحمل حينئذ بهم على عساكر الحاكم فانهزمت وأسر ينال وقتل وأسر اكثر عسكره وقتل منهم خلق كثير وعاد الى برقة وقد امتلأت أيديهم من الغنائم وانتشر ذكره وعظمت هيبته وأقام ببرقة وتردد سراياه الى الصعيد وأرض مصر وقام الحاكم من ذلك وقعد وسقط في يده وندم على ما فرط وفرح جند مصر وأعيانها وعلم الحاكم ذلك فاشتد قلقه وأظهر الاعتذار عن الذي فعله وكتب الناس الى أبي ركوة يستدعونه وممن كتب اليه الحسين بن جوهر المعروف بقائد القواد فسار حينئذ عن برقة الى الصعيد وعلم الحاكم فاشتد خوفه وبلغ الامر به كل مبلغ وجمع عساكره واستشارهم وكتب الى الشام يستدعي العساكر فجاءته وفرق الاموال والدواب والسلاح وسيرهم وهم اثنا عشر ألف رجل بين فارس وراجل سوى العرب واستعمل عليهم الفضل بن عبد الله فلما قاربوا أبا ركوة لقيهم في عساكره وراموا مناجزة المصريين والفضل يحاجزه ويدافع ويراسل أصحاب أبي ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب فأجابه قائد كبير من بني قرة يعرف بالماضي وكان يطالعه باخبار القوم وما هم عازمون فيدبر الفضل أمره على حسب ما يعلمه منه وضاقت الميرة على العساكر فاضطر الفضل الى اللقاء فالتقوا واقتتلوا يوم شريك فقتل بين الفريقين قتلى كثيرة ورأى الفضل من جمع أبي ركوة ما هاله وخاف المناجزة فعاد الى عسكره وراسل بنو قرة العرب الذين في عسكر الحاكم يستدعونهم اليهم يذكرونهم أعمال الحاكم بهم فأجابوهم واستقر الامر أن يكون الشام للعرب ويصير لابي ركوة ومن معه مصر وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركوة الى الفضل فاذا وصل اليه انهزمت العرب ولا يبقى دون مصر مانع فكتب الماضي الى الفضل بذلك فلما كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليفطروا عنده وأظهر انه صائم وطاولهم الحديث وتركهم في خيمة واعتزلهم ووصى أصحابه بالحذر ورام العرب العود الى خيامهم فمنعهم وطاولهم ثم أحضر الطعام واحضرهم فأكلوا وتحدثوا وسير الفضل سرية الى طريق أبي ركوة فلقوا العسكر الوارد من عنده فاقتتلوا ووصل الخبر الى العسكر وارتج وأراد العرب الركوب فمنعهم وأرسل الى أصحابهم من العرب فأمرهم بالركوب والقتال ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم فركبوا واشتد القتال ورأى بنو قرة الامر على خلاف ما قرروه ثم ركب الفضل ومعه رؤساء العرب وقد فاتهم ما عزموا عليه فباشروا الحرب وغاصوا فيها ووردا أبو ركوة مدد الاصحابه فلما رآه الفضل رد أصحابه وعاد الى المدافعة وجهز الحاكم عسكرا آخر أربعة آلاف فارس وعبروا الى الجيزة فسمع أبو ركوة بهم فسار مجدا في عسكره ليوافقهم عند مصر وضبط الطرق لئلا يسمع الفضل ولم يمكن الماضي ان يكاتبه فساروا وأرسل اليه من الطريق يعرفه الخبر وقطع أبو ركوة مسيرة خمس ليال في ليلتين وكبسوا عسكر الحاكم بالجيزة وقتلوا نحو ألف فارس وخاف أهل مصر ولم يبرز الحاكم من قصره وأمر الحاكم من عنده من العساكر بالعبور الى الجيزة ورجع أبو ركوة فنزل عند الهرمين ثم انصرف من يومه وكتب الحاكم الى الفضل كتابا ظاهره يقول فيه ان أبا ركوة انهزم من

في الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات والبنود من القاطول الى سامرا مدد واحد متصل غير منفصل وبابك على الفيل وأخوه وراءه على الناقة والفيل يخطر بين الصفين به وبابك ينظر الى ذات اليمين ذات الشمال ويميز الرجال والعدد ويظهر الاسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم غير مستعظم لما يرى من كثرتهم وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ولا مثل تلك الزينة ودخل الافشين على المعتصم فرفع منزلته وأعلى مكانه وأتى ببابك فطوف به بين يديه فقال له المعتصم أنت بابك فلم يجب وكررها عليه مرارا وبابك ساكت فقال اليه الافشين وقال الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك فسجد المعتصم عند ذلك وأمر بقطع يديه ورجليه

(قال المسعودي) ورأيت في كتاب أخبار بغداد لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه طويلا ثم قال له أنت بابك قال نعم أنا عبدك وغلامك وكان أسم بابك الحسين واسم أخيه عبد الله قال جردوه فسلبه الخدام ما عليه من الزينة وقطعت يمينه وضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك

عساكر تاليقرأه على الافواد وكتب اليه سرا يعلمه الحال فأظهر الفضل البشارة بانهزام أبي ركوه تسكينا للناس ثم سار أبو ركوة الى موضع يعرف بالسبخة كثير الاشجار وتبعه الفضل وكمن أبو ركوة بين الاشجار وطارد عسكر الفضل ورجع عسكره القهقرى ليستجروا عسكر الفضل ويخرج الكمين عليهم فلما رأى الكمناء رجوع عسكر أبي ركوة ظنوها الهزيمة لاشك فيها فولوا يتبعونهم وركبهم أصحاب الفضل ولوهم بالسيوف فقتل منهم ألوف كثيرة وانهزم أبو ركوة ومعه بنوقرة وساروا الى حلالهم فلما بلغوها نبطهم الماضي عنه فقالوا له قد قاتلنا معك ولم يبق فينا قتال فخذ لنفسك وانج فسار الى بلد النوبة فلما بلغ الى حصن يعرف بحصن الجبل للنوبة أظهر أنه رسول من الحاكم الى ملكهم فقال له صاحب الحصن الملك قليل ولا بد من اتخراج أمره في مسيرك اليه وبلغ الفضل الخبر فأرسل الى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته فوكل به من يحفظه وأرسل الى الملك بالحال وكان ملك النوبة قد توفي وملك ولده فأمر بأن يسلم الى نائب الحاكم فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقيه الفضل وأكرمه وأنزله في مضارب وحمله الى مصر فأشهر بها وطيف به وكتب أبو ركوة الى الحاكم رقعة يقول فيها يا مولانا الذنوب عظيمة وأعظم منها عفوك والدماء حرام مالم يحللها سخطك وقد أحسنت واسأت وما ظلمت الا نفسي وسوء عملي أويقني وأقول

فررت فلم ينفع الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزع الموت الذي أنا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي * كما خر ميت في رحا الموت سارب
واجمع كل الناس أنك قاتلي * فيارب ظن ربه فيك كاذب
وماهو الا الانتقام وينتهي * وأحذك منه واجب لك واجب

ولما طيف به البس طرطورا وجعل خلفه قرد يصفعه كان معه لما بذلك ثم حمل الى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفي قبل وصوله فقطع رأسه وصلب وبالغ الحاكم في اكرام الفضل الى حد أنه عاده في مرضة مرضها فعتين فاستعظم الناس ذلك ثم انه عمل في قتل الفضل لما عوفي فقتله

﴿ ذكر القبض على مجد الدولة وعوده الى ملكه ﴾

في هذه السنة قبضت والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الري وبلاد الجبل عليه وكان سبب ذلك ان الحكم كان اليها في جميع أعمال ابنها فلما وزر له الخطير أبو علي بن علي بن القاسم استمال الامراء ووضعهم عليها والشكوى عليها وخوف ابنها منها فصار كالمحجور عليه فخرجت من الري الى القلعة فوضع عليها من يحفظها فعملت الحيلة حتى هربت الى بدر بن حسنويه واستعانت به في ردها الى الري وجاءها ولدها شمس الدولة وعساكر همذان وسار معهما بدر الى الري فحصروها وجرى بين الفريقين قتال كثير مدة ثم استظهر بدر ودخل البلد وأسر مجد الدولة فقيدته والدته وسجنته بالقلعة واجلست أخاه شمس الدولة في الملك وصار الامر اليها وعاد بدر الى بلده وبقي شمس الدولة في الملك نحو سنة فرأت والدته منه تنكرا وتغيرا وان أخاه مجد الدولة ألين عريكة وأسلم جانبا فاعادته الى الملك وسار شمس الدولة الى همذان وكره بدر هذه الحالة الا انه اشتغل بولده هلال عن الحركة فيها وصارت هي تدبر الامر وتسمع رسائل الملوك وتعطي الاجوبة وأرسل شمس الدولة الى بدر يستمده فسير اليه جندا فأخذهم وسار بهم الى قم فحصروها فمنعوا أهلها ثم ان العساكر دخلوا طرفا منها واشتغلوا بالنهب فأكب عليهم العامة وقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل وانهزم الباقون الى معسكرهم ثم قبض هلال بن بدر على أبيه

فتفرق ذلك الجمع كله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة اشتد الغلاء بالعراق فضج العامة وشغب الجند وكانت فتنة وفيها توفى عبد الصمد الزاهد ودفن عند قبر أحمد وكان غاية فى الزهد والورع وفيها هب على الحجاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الارض ولم ير الناس بعضهم بعضا وأصابهم عطش شديد ومنعهم ابن الجراح الطائى من المسير ليأخذ منهم مالا فضاق الوقت عليهم فعادوا ولم يحجوا وفيها مات على بن أحمد أبو الحسن الفقيه المالكى المعروف بابن القصاب

﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر غزوة بهيم ثغر﴾

لما فرغ يمين الدولة من الغزاة المتقدمة وعاد الى غزنة واستراح هو وعسكره استعد لغزوة أخرى فسار فى ربيع الآخر من هذه السنة فانتهى الى شاطئ نهر هند منذ فلاقاه هناك ابرهمن بال ابن اندبال فى جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم فظفر بهم المسلمون فانهزموا على أعقابهم وأخذهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة أثر ابرهمن بال حتى بلغ قلعة بهيم ثغر وهى على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الاعظم فيحملون اليها أنواع الذخائر قربانا بعد قرن وأعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان ما لم يسمع بمثله فلما نزل بهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم فلما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد أخرى خافوا وحينوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة اليها فى خواص أصحابه وثقاته وأخذ منها من الجواهر مالا يحد ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية ومن الاوانى الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منا وكان فيها بيت مملوء من فسقطوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم وفرش تلك الجواهر فى صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فأدخلهم اليه فرأوا ما لم يسمعوا بمثله

﴿ذكر حال أبى جعفر بن كاكويه﴾

هو أبو جعفر بن دشمنزيار وانما قيل كاكويه لانه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وكاكويه هو الخال بالفارسية وكانت والدة مجد الدولة قد استعملته على أصبهان فلما فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدة ثم عادت والدة مجد الدولة الى ابنها بالرى فهرب أبو جعفر وسار اليها فأعادته الى أصبهان واستقر فيها قدمه وعظم شأنه وسيأتى من أخباره ما يعلم به صحة ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول وقع ثلج كثير ببغداد وواسط والكوفة والبطائح الى عبادان وكان ببغداد نحو ذراع وبقى فى الطرق نحو عشرين يوما وفيها وقعت الفتنة ببغداد فى رجب وكان أولها ان بعض الهاشميين من باب البصرة أتى ابن المعلم فقيه الشيعة فى مسجده بالكرخ فآذاه ونال منه فثار به أصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضا وقصدوا أبا حامد الاسفرايينى وابن الاكفانى فسبوهما وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم فهربوا وانتقل أبو حامد الاسفرايينى الى دار القطن وعظمت الفتنة ثم ان السلطان أخذ جماعة وسجنهم فسكنوا وعاد أبو حامد الى مسجده

يرغب فى أموال عظيمة قبله فلم يلتفت الى قوله وأقبل يضرب بما بقى من زنديه وجهه وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من اضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بجر لسانه وصلب أطرافه مع جسده ثم حمل الرأس الى مدينة السلام ونصب على الجسر وحمل الى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها لما كان فى نفوس الناس من استفحال أمره وعظم شأنه وكثرة جنوده وأشرافه على ازالة الملك وقلب الملة وتبديلها وحمل أخوه عبد الله مع الرأس الى مدينة السلام ففعل به اسحق بن ابراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامرا وصلب جثة بابك على خشبة طويلة فى اقاصى سامرا وموضعه مشهور الى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك وان كانت سامرا فى هذا الوقت ممن خلا ساكنها وبان عنها قاطنها الا يسيرا من الناس فى بعض المواضع بها ولما قتل بابك وأخوه وكان من أمره ما تقدم ذكره قام فى مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فمن قام فى ذلك اليوم ابراهيم بن المهدى فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو

يا أمين الله ان الحمد لله كثيرا * هكذا النصر فلازا * ل لك النصر وزيرا

واخرج ابن المعلم من بغداد فشفع فيه علي بن مزيد فأعيد وفيها وقع الغلاء بمصر واشتد وعظم الامر وعدمت الاقوات ثم تعقبه وباء كثير أفنى كثيرا من أهلها وفيها زلزلت الدينور زلزلة شديدة خربت المساكن وهلك خلق كثير من أهلها وكان الذين دفنوا ستة عشر ألفا سوى من بقي تحت الهدم ولم يشاهد وفيها أمر الحاكم بأمر الله صاحب مصر بهدم بيعة قمامة وهي بالبيت المقدس وتسميها العامة القيامة وفيها الموضع الذي دفن فيه المسيح عليه السلام فيما يزعمه النصارى واليها يحجون من أقطار الارض وأمر بهدم البيع في جميع مملكته فهدمت وأمر اليهود والنصارى اما أن يسلموا أو يسيروا الى بلاد الروم ويلبسوا الغيار فأسلم كثير منهم ثم أمر بعمارة البيع ومن اختار العود الى دينه عاد فارتد كثير من النصارى وفيها توفي أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي وزير مجد الدولة ببرو جرد وكان سبب مجيئه اليها ان أم مجد الدولة بن بويه اتهمته أنه سم أخاه فمات فلما توفي أخوه طلبت منه مائتي دينار لتنفقها في مأتمه فلم يعطها فاخرجته فقصد برو جرد وهي من أعمال بدر بن حسنويه فبذل بعد ذلك مائتي ألف دينار ليعود الى عمله فلم يقبل منه فأقام بها الى ان توفي وأوصى ان يدفن بمشهد الحسين عليه السلام فقيل للشريف أبي أحمد والد الشريف الرضي ان يبيعه بخمسمائة دينار موضع قبره فقال من يريد جوار جدي لا يباع وأمر ان يعمل له قبر وسير معه من أصحابه خمسين رجلا فدفنه بالمشهد وتوفي بعده بيسير ابنه أبو القاسم سعد وأبو عبد الله الجرجاني الحنفي بعمان فلج وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغا الشاعر وديوانه مشهور والقاضي أبو عبد الله الضبي بالبصرة والبديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني صاحب المقامات المشهورة وله شعر حسن وقرأ الادب على أبي الحسين بن فارس مصنف المجمل وتوفي أبو بكر أحمد بن علي بن لال الفقيه الشافعي الهمذاني بنواحي عكا بالشام كان انتقل الى هناك

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلثمائة﴾

﴿(ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس)﴾

لما قتل عيسى بن خلاط أبا علي بن عمال بالرحبة وملكها أقام فيها مدة ثم قصده بدران بن المقلد العقيلي فأخذ الرحبة منه وبقيت لبدران وأمر الحاكم بأمر الله نائبه بدمشق لؤلؤ البشاري بالمسير اليها فقصد الرقة أولا وملكها ثم سار الى الرحبة وملكها ثم عاد الى دمشق وكان بالرحبة رجل من أهلها يعرف بابن محكان فملك البلد واحتاج الى من يجعله طهره ويستعين به على من يطمع فيه فكاتب صالح بن مرداس الكلابي فقدم عليه وأقام عنده مدة ثم ان صالحا تغير عن ذلك فسار الى ابن محكان وقاتله على البلد وقطع الاشجار ثم تصالحا وتزوج ابنة ابن محكان ودخل صالح البلد الا انه كان أكثر مقامه بالحلة ثم ان ابن محكان راسل أهل عانة وأطاعوه ونقل أهله وماله اليهم وأخذ رهائنهم ثم خرجوا عن طاعته وأخذوا ماله واستعادوا رهائنهم وردوا أولاده فاجتمع ابن محكان وصالح على قصد عانة فسارا اليها فرضع صالح على ابن محكان من يقتله فقتل غيلة وسار صالح الى الرحبة فملكها وأخذ أموال ابن محكان واحسن الى الرعية واستمر على ذلك الا ان الدعوة للمصريين

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

في هذه السنة قتل أبو علي بن عمال الخفاجي وكان الحاكم بأمر الله صاحب مصر قد ولاه الرحبة فسار اليها فخرج اليه عيسى بن خلاط العقيلي فقتله وملك الرحبة ثم ملكها بعده غيره فصار

وجزى الافشين عبد الله خيرا وحبورا
فقد لاقى به بابك يوما قطريرا
ذاك مولاك الذي ألفيته جلدا صبورا
لك حتى ضرج السيف له خدا نضيرا
ضربة أبقت على الدهر له في الوجه نورا
وتوج الافشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر قد شبك بالذهب وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن ابن الافشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار في البهاء والجمال وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان من ليلة الزفاف ما عم سروره خواص الناس وكثيرا من عوامهم قال المعتصم أبياتا يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما وهي

زفت عروس الى عروس
بنت رئيس الى رئيس
أيهما كان ليث شعري
أجل في الصدر والمفوس
أصاحب المذهب المحلى
أم ذي الوشاحين والشموس

وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل على مدينة زبطرة

أمرها الى صالح بن مرداس الكلابى صاحب حلب وفيها صرف أبو عمر بن عبد الواحد الهاشمى عن قضاء البصرة وكان قد علا اسناده فى رواية السنن لابى داود السجستانى ومن طريقه سمعناه وولى القضاء بعده أبو الحسن بن أبى الشوارب فقال العصفرى الشاعر

عندى حديث ظريف * عجب له يتغنى * من قاضيين يمرى * هذا وهذا بهنا
فذا يقول اكرهونا * وذا يقول استرحنا * ويكذبان ونهذى * فمن يصدق منا

وفيها توفى أبو داود بن سيار مردبن باجعفر ودفن عند قبر النذور بنهر المعلى وقبته مشهورة وأبو محمد النامى الفقيه الشافعى وهو القائل

ياذا الذى قاسمنى فى البلا * فاختار ان يسكنه أولا
ماوطنت نفسى ولكنها * تسرى اليكم منزلا منزلا

﴿ثم دخلت سنة أربعمائة﴾

﴿ذكر وقعة نارين بالهند﴾

فى هذه السنة تجهز يمين الدولة الى الهند عازما على غزوها فسار اليها واخترقها واستباحها وتكسر اصنامها فلما رأى ملك الهند انه لا قوة له به راسله فى الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وان يكون له فى خدمته ألف فارس لا يزالون فقبض منه ما بذله وعاد عنه الى غزنة

﴿ذكر الخلاف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال﴾

فى هذه السنة كانت حرب بين بدر بن حسنويه الكردى وبين ابنه هلال وكان سبب الوحشة بينهما ان أم هلال كانت من الشاذنجان فاعترلها أبوه عند ولادته فنشأ هلال مبعدا منه لا يميل اليه وكانت نعمة بدر لابنه الآخر أبى عيسى فلما كان فى بعض الايام خرج هلال مع أبيه متصيدا فرأيا سبعا وكان بدر اذا رأى سبعا قتله بيده فتقدم هلال الى الاسد بغير أذن أبيه فقتله فاغتاظ أبوه وقال كأنك قد فتحت فتحا وأى فرق بين السبع والكلب ورأى ابعاده عنه لشدته فاقطعه الصافان وسهل ذلك على هلال لينفرد بنفسه عن أبيه فأول ما فعله انه أساء مجاورة ابن الماضى صاحب شهرزور وكان موافقا لابيه بدر فنهى بدر ابنه هلالا عن معارضته فلم يسمع قوله وأرسل الى ابن الماضى يتهدده فأعاد بدر مراسلة ابنه فى معناه وتهدده ان تعرض لشئ هو له فكان جواب نهيه انه جمع عسكره وحصر شهرزور وفتحها وقتل ابن الماضى وأهله وأخذ أموالهم فورد على بدر من ذلك ما ازعجه واقلقه واظهر السخط على هلال وشرع هلال يفسد جند أبيه ويستميلهم ويبذل لهم فكثر أصحاب هلال لاحسانه اليهم وبذله المال لهم واعرض الناس عن بدر لامساكه المال فسار كل واحد منهما الى صاحبه فالتقيا على باب الدينور فلما تراءى الجمعان انحازت الاكراد الى هلال فأخذ بدرا أسيرا وحمل الى ابنه فأشير على هلال بقتله وقالوا لا يجوز ان تستبقيه بعدما أوحشته فقال ما بلغ من عفوى له ان اقتله وحضر عند أبيه وقال له أنت الامير وأنا مدبر جيشك فخادعه أبوه بأن قال له لا يسمن هذا منك أحد فيكون هلاكنا جميعا وهذه القلعة لك والعلامة فى تسليمها كذا وكذا واحفظ المال الذى بها فانك الامير مادام الناس يظنون بقاءك وأريد ان تفرد لى قلعة اتفرغ فيها للعبادة ففعل ذلك واعطاه جملة من المال فلما استقر بدر بالقلعة عمرها وحصنها وراسل آبا الفتح بن عناز وأبا عيسى شاذى بن محمد وهو باساداباد يقول لكل واحد منهما اليقصد اعمال هلال ويشعثها فسار أبو الفتح الى قرميسين فملكها وسار أبو عيسى الى سابور خواست فنهب حلل هلال ومضى الى نهاوند وبها أبو بكر بن رافع فاتبعه هلال

بلاد ملطية فضج الناس فى الامصار واستغاثوا فى المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم فأنشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا ويحثه على الجهاد فيها

ياغارة الله قد عاينت فانتهكى
هتك النساء وما منهن مرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت
ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وابراهيم بن المهدى أول من قال فى شعره ياغارة الله فخرج المعتصم من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء وقد تعمم بعمامة الغزاة فعسكر غربى دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودى فى الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت اليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل

ألف والمقلل مائتي ألف ولقي ملك الروم الافشين فحاربه فهزمه الافشين وقتل أكثر بطارقته وأصحابه وحماه رجل من المتنصرة يقال له نصير في خلق من أصحابه وقد كان الافشين قصر عن أخذ الملك في ذلك اليوم حين ولى وقال هو ملك والملوك تبقى بعضها على بعض وفتح المعتصم حصونا كثيرة ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه وخرج لاوى البطريق منها وسلمها اليه وأسر البطريق الكبير منها وهو ماطس وقتل منها ثلاثين ألفا وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق وأراد المسير الى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة في فتحها براً وبحراً فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس ابن المأمون وان ناساً قد بايعوه وانه كاتب طاغية الروم فاعجل المعتصم في مسيره وحبس العباس وشيعته وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون وفي سنة خمس وعشرين ادخل المازيار بن مازن ابن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان الى سامرا فأقر على الافشين أنه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس

اليها ووضع السيف في الديلم فقتل منهم أربعمائة نفس منهم تسعون أميراً واسلم ابن رافع أبا عيسى الى هلال فعفا عنه ولم يؤاخذه على فعله وأخذه معه وأرسل بدر الى الملك بهاء الدولة ستنجده فجهز فخر الملك أبا غالب في جيش وسيره الى بدر فسار حتى وصل الى سابور خواست فقال هلال لابي عيسى شاذي قد جاءت عساكر بهاء الدولة فما الرأي قال الرأي ان تتوقف عن لقائهم وتبذل لبهاء الدولة الطاعة وترضيه بالمال فان لم يجبوك فضيق عليهم وانصرف بين أيديهم فانهم لا يستطيعون المطاولة ولا تظن هذا العسكر كمن لقيته بباب نهاوند فان أولئك ذللهم أبوك على ممر السنين فقال غششتني ولم تنصحني وأردت بالمطاولة ان يقوى أبي واضعف انا وقتله وسار ليكبس العسكر ليلا فلما وصل اليهم وقع الصوت فركب فخر الملك في العساكر وجعل عند ثقلهم من يحميها وتقدم الى قتال هلال فلما رأى هلال صعوبة الامر ندم وعلم ان أبا عيسى بن شاذي نصحه فندم على قتله ثم أرسل الى فخر الملك يقول له انني ما جئت لقتال وحرب انما جئت لاكون قريباً منك وانزل على حكمك فترد العسكر عن الحرب فانني أدخل في الطاعة فقال فخر الملك الى هذا القول وأرسل الرسول الى بدر ليخبره بما جاءه به فلما رأى بدر الرسول سبه وطرده وأرسل الى فخر الملك يقول له ان هذا مكر من هلال لما رأى ضعفه والرأي ان لا تنفس خناقه فلما سمع فخر الملك الجواب قويت نفسه وكان يتهم بدراً بالميل الى ابنه وتقدم الى الجيش بالحرب فقاتلوا فلم يكن باسرع من ان أتي بهلال أسيراً فقبل الارض وطلب ان لا يسلمه الى أبيه فأجابه الى ذلك وطلب علامته بتسليم القلعة فاعطاهم العلامة فامتنعت أمه ومن بالقلعة من التسليم وطلبوا الامان فامنهم فخر الملك وصعد القلعة ومعه أصحابه ثم نزل منها وسلمها الى بدر وأخذ ما فيها من الاموال وغيرها وكانت عظيمة قيل كان فيها أربعون ألف بدرة دراهم وأربعمائة بدرة ذهباً سوى الجواهر النفيسة والثياب والسلاح وغير ذلك وأكثر الشعراء من ذكر هذا فمن قال مهيار

فظمؤك تعباً يحمل العراق * كأن لم يروك حملت الجبالا
ولو لم تكر في العلو السماء * لما كان غنمك منها هلالا
سريت اليه فكنت السرار * له ولبدر أبيه كمالا

وهي كثيرة

﴿ ذكر عود المؤيد الى امارة الاندلس وما كان منه ﴾

قد ذكرنا سبب خلعه وحبسه فلما كان هذه السنة أعيد الى خلافته واسمه هشام بن الحاكم بن عبد الرحمن الناصر وكان عوده لتسع ذي الحجة وكان الحكم في دولته هذه الى واضح العامري وادخل أهل قرطبة اليه فوعدهم ومناهم وكتب الى البربر الذين مع سليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ودعاهم الى طاعته والوفاء ببيعته فلم يجيبوه الى ذلك فامر اجناده وأهل قرطبة بالحذر والاحتياط فاحبه الناس ثم نقل اليه ان نفراً من الامويين بقرطبة قد كاتبوا سليمان وواعدوه ليكون بقرطبة في السابع والعشرين من ذي الحجة ليسلموا اليه البلد فاخذهم وحبسهم فلما كان الميعاد قدم البربر الى قرطبة فركب الجند وأهل قرطبة وخرجوا اليهم مع المؤيد فعاد البربر وتبعهم عساكره فلم يلحقوهم وترددت الرسل بينهم فلم يتفقوا على شيء ثم ان سليمان والبربر راسلوا ملك الفرنج يستمدونه ويبذلون له تسليم حصون كان المنصور بن أبي عامر قد فتحها منهم فأرسل ملك الفرنج الى المؤيد يعرفه الحال ويطلب منه تسليم هذه الحصون لئلا يمد سليمان بالعساكر فاستشار أهل قرطبة في ذلك فأشاروا بتسليمها اليه خوفاً من ان يتحدوا

سليمان واستقر الصلح فى المحرم سنة احدى وأربعمائة فلما آيس البربر من انجاد الفرنج رحلوا فنزلوا قريبا من قرطبة فى صفر سنة احدى وأربعمائة وجعلت خيلهم تغير يمينا وشمالا وخربوا البلاد وعمل المؤيد واضح العامرى سورا وخندقا على قرطبة أمام السور الكبير ثم نازل سليمان قرطبة خمسة وأربعين يوما فلم يملكها فانتقل الى الزهراء وحصرها وقاتل من بها ثلاثة أيام ثم ان بعض الموكلين بحفظه سلم اليه الباب الذى هو موكل بحفظه فصعد البربر السور وقاتلوا من عليه حتى ازالوهم وملكوا البلد عنوة وقتل أكثر من به من الجند وصعد أهل الجبل واجتمع الناس بالجامع فأخذهم البربر وذبحوهم حتى النساء والصبيان والقوا النار فى الجامع والقصر والديار فاحترق أكثر ذلك ونهبت الاموال ثم ان واضحا كاتب سليمان يعرفه انه يريد الانتقال عن قرطبة سرا ويشير عليه بازالتها بعد مسيره عنها وأعلم الخبر المؤيد فقبض عليه وقتله واشتد الامر بقرطبة وعظم الخطب وقلت الاقوات وكثر الموت وكانت الاقوات عند البربر اقل منها بالبلد لانهم كانوا قد خربوا البلاد وجلا أهل قرطبة وقتل المؤيد كل من مال الى سليمان ثم ان البربر وسليمان لازموا الحصار والقتال لاهل قرطبة وضيقوا عليهم وفى مدة هذا الحصار ظهر بطليطلة عبيد الله بن محمد بن عبد الجبار وبايعه أهلها فسير اليهم المؤيد جيشا فحصروهم فعادوا الى الطاعة وأخذ عبيد الله أسيرا وقتل فى شعبان سنة احدى وأربعمائة ثم ان أهل قرطبة قاتلوا فى بعض الايام البربر فقتل منهم خلق كثير وغرق فى النهر مثلهم فرحلوا عنها وساروا الى اشبيلية فحصروها فأرسل المؤيد اليها جيشا فحماها ومنع البربر عنها وراسل سليمان نائب المؤيد بسرقسطة وغيرها يدعوهم اليه فأجابوه وأطاعوه فسار البربر وسليمان عن اشبيلية الى قلعة رباح فملكوها وغنموا ما فيها واتخذوها دارا ثم عادوا الى قرطبة فحصروها وقد خرج كثير من أهلها وعساكرها من الجوع والخوف واشتد القتال عليها وملكها سليمان عنوة وقهرا وقتلوا من وجدوا فى الطرق ونهبوا البلد واحرقوه فلم تحص القتلى لكثرتهم ونزل البربر فى الدور التى لم تحرق فنال أهل قرطبة من ذلك ما لم يسمع بمثله وأخرج المؤيد من القصر وحمل الى سليمان ودخل سليمان قرطبة منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة وبويع له بها ثم ان المؤيد جرى له مع سليمان أقاصيص طويلة ثم خرج الى شرق الاندلس من عنده وكان ممن قتل فى هذا الحصر أبو الوليد بن الفرضى مظلوما رحمه الله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أرسل الحاكم بأمر الله من مصر الى المدينة ففتح بيت جعفر الصادق وأخرج منه مصحف وسيف وكساء وقعب وسرير وفيها نقص الماء بدجلة حتى اصلحت مابين أوانا وقريب بغداد حتى جرت السفن فيها وفيها مرض أبو محمد بن سهلان فاشتد مرضه فنذر ان عوفى بنى شونيزا على مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فعوفى فأمر ببنائه وشرع فيه فبنى فى هذه السنة تولى بناءه أبو اسحق الارجانى وفيها ولد عدنان بن الشريف الرضى وفيها توفى النقيب أبو أحمد الموسوى ولد الرضى بعد ان أضر ووقف بعض أملاكه على البر وصلى عليه ابنه الاكبر المرتضى ودفن بداره ثم نقل الى مشهد الحسين عليه السلام وكان مولده سنة أربع وثلثمائة وفيها توفى أيضا أبو جعفر الحجاج بن هرمز بالاهواز وعمدة الدولة أبو اسحق بن معز الدولة بن بويه بمصر وفيها مرض الخليفة القادر بالله واشتد مرضه فارجف عليه فجلس للناس ويده القضيب فدخل اليه أبو حامد الاسفرايني فقال لابن حاجب النعمان اسأل أمير المؤمنين ان يقر أشيأ من

بسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك وقد كان المازيار رغب المعتصم فى أموال كثيرة يحملها ان هو من عليه بالبقاء فأبى قبول ذلك وقتل

ان الاسود أسود الغيل همتها
يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار الى خشبة بابك فتدانت اجسامهما وقد كان صلب فى ذلك الموضع باطس بطريق عمورية وقد انحنت نحوهما خشبته ففى ذلك يقول أبو الهمام لهما

ولقد شفا الاحشاء من برحائها
اذ صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن
لاثنين ثان اذ هما فى الغار
فكلاهما انحنيا الكيما يطويا
عن باطس خبر من الاخبار

ومات الافشين فى الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار فأقر عليه وأخرج الافشين ميتا فصلب بباب العامة واحضرت اصنام زعموا انها كانت حملت اليه فأقيمت عليه وأضرمت النار فأتت على الجميع وفى سنة

القرآن ليسمع الناس قراءته فقرأ الى لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم الآيات الثلاث وفيها توفى أبو العباس الناجى الشاعر وأبو الفتح على بن محمد البستى الكاتب الشاعر صاحب الطريقة المشهورة فى التجنيس فى شعره

يا أيها السائل عن مذهبى * لتقتدى فيه بنهاجى
منهاجى العدل وقمع الهوى * فهل لمنهاجى من هاجى

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعمائة﴾

﴿(ذكر غزو يمين الدولة بلاد الغور وغيرها)﴾

بلاد الغور تجاور غزنة وكان الغور يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضائق غامضة وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسالكها فلما كثر ذلك منهم أنف يمين الدولة محمود بن سبكتكين أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكثرة فجمع العساكر وسار اليهم وعلى مقدمته التوناش الحاجب صاحب هراة وارسلان الجاذب صاحب طوس وهما أكبر أمرائه فسارا فيمن معهما حتى انتهوا الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع يمين الدولة الحال فجد فى السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغورية المعروف بابن سورى فانتهوا الى مدينته التى تدعى أهنكران فبرز من المدينة فى عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى أن انتصف النهار فرأوا أن جمع الناس وأقواهم على القتال فأمر يمين الدولة ان يولوهم الادبار على سبيل الاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك طنوه هزيمة فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا السيوف فيهم فأبادوهم قتلا وأسرا وكان فى الاسرى كبيرهم وزعيمهم ابن سورى ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التى لهم جميعها فلما عاين ابن سورى ما فعل المسلمون بهم شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وأظهر يمين الدولة فى تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعاد ثم سار الى طائفة أخرى من الكفار فقطع عليهم مفازة من رمل وساق عساكره عطش شديد كاد وايهلكون فلطف الله سبحانه وتعالى بهم وأرسل عليهم مطرا سقاهم وسهل عليهم السير فى الرمل فوصل الى الكفار وهم جمع عظيم ومعهم ستمائة فيل فقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار وأخذ غنائمهم وعاد سالما ظفرا منصورا

﴿(ذكر الحرب بين أيلك الخان وبين أخيه)﴾

وفى هذه السنة سار أيلك الخان فى جيوش قاصدا قتال أخيه طمان خان فلما بلغ بوزكند سقط من الثلج ما منعهم من سلوك الطرق فعاد الى سمرقند وكان سبب قصده ان أخاه أرسل الى يمين الدولة يعتذر ويتنصل من قصد أخيه أيلك الخان بلاد خراسان ويقول انى ما رضيت ذلك منه ويلزم أخاه وحده الذنب وتبرأ هو منه فلما علم أخوه أيلك الخان ذلك ساءه وحمله على قصده

﴿(ذكر الخطبة للمصريين العلويين بالكوفة والموصل)﴾

فى هذه السنة أيضا خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل للحاكم بأمر الله العلوى صاحب مصر بأعماله كلها وهى الموصل والانبار والمدائن والكوفة وغيرها وكان ابتداء الخطبة بالموصل الحمد لله الذى انجلت بنوره غمرات الغصب وانهدت بقدرته اركان النصب وأطلع بنوره شمس الحق

من العرب فأرسل القادر بالله أمير المؤمنين القاضى أبا بكر بن الباقلانى الى بهاء الدولة يعرفه ذلك وان العلويين والعباسيين انتقلوا من الكوفة الى بغداد فاكرم بهاء الدولة القاضى أبا بكر وكتب الى عميد الجيوش يأمره بالمسير الى حرب قرواش واطلق له مائة ألف دينار ينفقها فى العسكر وخلع على القاضى أبى بكر وولاه قضاء عمان والسواحل وسار عميد الجيوش الى حرب قرواش فارسل يعتذر وقطع خطبة العلويين وأعاد خطبة القادر بالله

﴿ ذكر الحرب بين بنى مزيد وبنى دبيس ﴾

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيما عند بنى دبيس فى جزيرتهم بنواحى خوزستان لمصاهرة بينهم فقتل أبو الغنائم أحد وجوههم ولحق بأخيه أبى الحسن على بن مزيد فتبعوه فلم يدركوه وانحدر اليهم سند الدولة أبو الحسن بن مزيد فى ألفى فارس واستنجد عميد الجيوش فانحدر اليه عجلانى زيزبة فى ثلاثين ديلما وسار ابن مزيد اليهم فلقيهم واقتتلوا فقتل أبو الغنائم وانهزم أبو الحسن بن مزيد فوصل الخبر بهزيمته الى عميد الجيوش وهو منحدر فعاد

﴿ ذكر وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك العراق ﴾

فى هذه السنة توفى عميد الجيوش أبو على بن أستاذهرمز ببغداد وكانت ولايته ثمان سنين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما وكان عمره تسعا وأربعين سنة وتولى تجهيزه ودفنه الشريف الرضى دفنه بمقابر قريش ورثاه الرضى وغيره وكان أبوه أبو جعفر أستاذهرمز من حجاب عضد الدولة وجعل عضد الدولة عميد الجيوش فى خدمة ابنه صمصام الدولة فلما قتل اتصل بخدمة بهاء الدولة فلما استولى الحراب على بغداد وظهر العيارون واتحلت الامور بها أرسله اليها فاصلح الامور ووقع المفسدين وقتلهم فلما مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب فاصعد الى بغداد فلقيه الكتاب والقواد وأعيان الناس وزينوا له البلاد ووصل بغداد فى ذى الحجة ومدحه مهيار وغيره من الشعراء ومن محاسن أعمال عميد الجيوش انه حمل اليه مال كثير قد خلفه بعض التجار المصريين وقيل له ليس للميت وارث فقال لا يدخل خزانة السلطان ما ليس لها بترك الى ان يصح خبره فلما كان بعد مدة جاء أخ للميت بكتاب من مصر بانه مستحق للتركة فقصد باب عميد الجيوش ليوصل الكتاب فرآه يصلى على روشن داره فظنه بعض الحجاب فاوصل الكتاب اليه فقضى حاجته فلما علم التاجر أن الذى أخذ الكتاب كان عميد الجيوش عظم الامر عنده فأظهر ذلك فاستحسنه الناس ولما وصل التاجر الى مصر أظهر الدعاء له فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه فبلغه الخبر فسره ذلك

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة اشتد الغلاء بخراسان جميعها وعدم القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضا فكان الانسان يصيح الخبز الخبز ويموت ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى وفيها مات أبو الفتح محمد بن عناز بحلوان وكانت امارته عشرين سنة وقام بعده ابنه أبو الشوك فسيرت اليه العساكر من بغداد لقتاله ولقيهم أبو الشوك وقاتلهم قتالا شديدا وانهزم أبو الشوك الى حلوان واقام بها الى أن أصلح حاله مع الوزير أبى غالب لما قدم العراق وفيها توفى أبو عبد الله محمد بن مقن ابن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا العقيلى وفى مقلد يجتمع آل المسيب وآل مقن وكان عمره مائة وعشر سنين وكان بخيلا شديد البخل وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الاسود وفيها توفى الامير أبو نصر أحمد بن أبى الحرث محمد بن فريغون صاحب الجوزجان وكان صهر يمين الدولة على أخته وكان هو وأبوه قبله يحبون العلماء ويحسنون اليهم وفيها انقض كوكب كبير لم ير أكبر منه

الجمحى وابراهيم بن يسار الرمادى وقيل ان فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدى والصحيح ان وفاته كانت فى سنة ثلاث

فقال لى أجب الامير فقمت معه فأدخلنى دارا وحشة وعرة وأصعدنى على درج منهاتم ادخلنى غرفة فى حيطانها اثر الرماد واذا به عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف قلت دلف فانشأ يقول

فلو أنا اذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا
ونسأل بعده عن كل شئ

ثم قال افهمت قلت نعم وانتبهت * وفى خلافة المعتصم وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين مات جماعة من نقلة الاخبار وعلية أصحاب الحديث منهم عمرو بن مرزوق الباهلى البصرى وأبو النعمان عارم ومحمد بن الفضل السدوسى وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشحى البصرى من الازد وسعدبن الحكم بن أبى مريم البصرى وأحمد ابن عبد الله العمرانى وسليمان الساذكونى وعلى ابن المدينى وفى سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافى ببغداد وكان من مرو وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وعبد الله بن عبد الوهاب

وفيها زادت دجلة أحدى وعشرين ذراعا وغرق كثير من بغداد والعراق وتفجرت البثوق ولم يحج هذه السنة من العراق أحد وفيها توفى ابراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقى الحافظ سافر الكثير فى طلب الحديث وله عناية بصحيحى البخارى ومسلم وتوفى أيضا خلف بن محمد بن على ابن حمدون أبو محمد الواسطى كان فاضلا وله أطراف الصحيحين أيضا

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر ملك يمين الدولة قصدار)﴾

فى هذه السنة استولى يمين الدولة على قصدار وملكها وسبب ذلك ان ملكها كان قد صالحه على قطيعة يؤديها اليه ثم قطعها اغترارا بحصانة بلده وكثرة المضائق فى الطريق واحتمى بايلك الخان وكان يمين الدولة يريد قصدها فيتقى ناحية ايلك الخان فلما فسدت بينهما اصمم العزم وقصدها وتجهز وأظهر انه يريد هراة فسار من غزنة فى جمادى الاولى فلما استقل على الطريق سار نحو قصدار فسبق خبره وقطع تلك المضائق والجبل فلم يشعر صاحبها الا وعسكر يمين الدولة قد أحاط به ليلا فطلب الامان فأجابه وأخذ منه المال الذى كان قد اجتمع عنده واقره على ولايته وعاد

﴿(ذكر اسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك أولاده)﴾

فى هذه السنة كانت وقعة بين أبى نصر لؤلؤ صاحب حلب وبين صالح بن مرداس وكان ابن لؤلؤ من مولى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فقوى على ولد سعد الدولة وأخذ البلد منه وخطب للحاكم صاحب مصر ولقبه الحاكم مرتضى الدولة ثم فسد ما بينه وبين الحاكم فطمع فيه ابن مرداس وبنو كلاب وكانوا يطالبونه بالصلات والجلع ثم انهم اجتمعوا هذه السنة فى خمسمائة فارس ودخلوا مدينة حلب فامر ابن لؤلؤ باغلاق الابواب والقبض عليهم فقبض على مائة وعشرين رجلا منهم صالح بن مرداس وحبسهم وقتل مائتين وأطلق من لم يفكر به وكان صالح قد تزوج بابنة عم له تسمى جابرة وكانت جميلة فوصفت لابن لؤلؤ فخطبها الى ابن اخوتها وكانوا فى حبسه فذكر والده ان صالحا قد تزوجها فلم يقبل منهم وتزوجها ثم أطلقهم وبقى صالح بن مرداس فى الحبس فتوصل حتى صعد من السور وألقى نفسه من أعلى القلعة الى تلها واختفى فى مسيل ماء ووقع الخبر بهربه فارسل ابن لؤلؤ الخيل فى طلبه فعادوا ولم يظفروا به فلما سكن عنه الطلب سار بقيده ولبنة حديد فى رجليه حتى وصل قرية تعرف باليا سرية فرأى ناسا من العرب فعرفوه وحملوه الى أهله بمرج دابق فجمع الى فارس فقصد حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوما فخرج اليه ابن لؤلؤ فقاتله فهزمهم صالح واسر ابن لؤلؤ وقيده بقيده الذى كان فى رجله ولبنته وكان لابن لؤلؤ خ فتحاوحفظ مدينة حلب ثم ان ابن لؤلؤ بذل لابن مرداس مالا على ان يطلقه فلما استقر الحال بينهما أخذ رهائنه وأطلقه فقالت أم صالح لابنها قد أعطاك الله مالا كنت تؤمله فان رأيت ان تتم صنيعك باطلاق الرهائن فهو المصلحة فانه ان أراد الغدر بك لا يمنعه من عندك فاطلقهم فلما دخل البلد حمل ابن لؤلؤ اليه أكثر مما استقر وكان قد تقرر عليه مائتا ألف دينار ومائة ثوب واطلاق كل اسير عنده من بنى كلاب فلما انفصل الحال ورحل صالح اراد ابن لؤلؤ قبض غلامه فتح وكان دزدار القلعة لانه اتهمه بالممالاة على الهزيمة وكان خلاف ظنه فاطلع على ذلك غلاما له اسمه سرور وأراد أن يجعل له مكان فتح فاعلم سرور بعض اصدقائه يعرف بابن غانم وسبب اعلامه انه حضر عنده وكان يخاف ابن لؤلؤ لكثرة ماله فشكا الى سرور ذلك فقال له سيكون امر تأمن معه فسأله فكتمه فلم يزل يخدعه حتى أعلمه الخبر وكان بين ابن غانم وبين فتح

وعشرين ومائتين (قال قصره المعروف بالخاقانى يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول وقيل لساعتين من ليلة الخميس وهو ابن ثمان وأربعين سنة وقيل ست وأربعين سنة على ما قدمنا فى انقضاء صدر هذا الباب وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة فى الشهر الثامن من السنة وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره فى فتح عمورية وما كان من حروبه قبل الخلافة فى اسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك وما كان منه بعد الخلافة وما حكى عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن دواد القاضى ويعقوب ابن الليث الكندى فى لمع أوردها فى رسالته المترجمة بسبيل الفضائل قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط وقد ذكرنا فى هذا المعاصنيهة على ما سلف وباعثة على درس ما تقدم

﴿ذكر خلافة الواثق﴾

ان بن محمد
اثق ويكنى
وأمه أم ولد

قراطيس وذلك فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المعتصم وهو يوم الخميس لثمانى عشرة

مودة

مودة فصعد اليه بالقلعة متنكرا فاعلمه الخبر وأشار عليه بمكاتبة الحاكم صاحب مصر وأمر ابن لؤلؤ أخاه أبا الجيش بالصعود الى القلعة بحجة افتقاد الخزائن فاذا صار فيها قبض على فتح وارسل الى فتح يعلمه انه يريد افتقاد الخزائن ويأمره بفتح الابواب فقال فتح انى قد شربت اليوم دواء واسأل تأخير الصعود فى هذا اليوم فانى لا اثق فى فتح الابواب لغيرى وقال للرسول اذا القيته فاردده فلما علم ابن لؤلؤ الحال أرسل والدته الى فتح ليعلم سبب ذلك فلما صعدت اليه اكرمها وأظهر لها الطاعة فعادت وأشارت على ابنها بترك محاققته ففعل وارسل اليه يطلب جوهرا كان له بالقلعة فعلم انه فتح ولم يرسله فسكت على مضض لعلمه ان لمحاققته لا تفيد لحصانة القلعة وأشارت والدة ابن لؤلؤ عليه بان يتمارض ويظهر شدة المرض ويستدعى فتحا لينزل اليه ليجعله وصيا فاذا حضر قبضه ففعل ذلك فلم ينزل فتح واعتذر وكاتب الحاكم وأظهر طاعته وخطب له وأظهر العصيان على استاذه وأخذ من الحاكم صيدا وبيروت وكل ما فى حلب من الاموال وخرج ابن لؤلؤ من حلب الى انطاكية وبها الروم فاقام عندهم وكان صالح بن مرداس قد مالا فتحا على ذلك فلما عاد عن حلب استصحب معه والدة ابن لؤلؤ ونساءه وتركهن بمنبج وتسلم حلب نواب الحاكم وتنقلت بأيديهم حتى صارت بيد انسان من الحمدانية يعرف بعزيز الملك فقدمه الحاكم واصطنعه وولاه حلب فلما قتل الحاكم وولى الظاهر عصى عليه فوضعت ست الملك أخت الحاكم فراشا له على قتله فقتله وكان للمصريين بالشام نائب يعرف بانوشتكين البربرى وبيده دمشق والرملة وعسقلان وغيرها فاجتمع حسان أمير بنى طى وصالح بن مرداس أمير بنى كلاب وسنان بن علبان وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب الى عانة لصالح ومن الرملة الى مصر لحسان ودمشق لسنان فسار حسان الى الرملة فحصرها وبها أنوشتكين فسار عنها الى عسقلان واستولى عليها حسان ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة أربع عشرة وار بعمائة أيام الظاهر لاعزاز دين الله خليفة مصر وقصد صالح حلب وبها انسان يعرف بابن ثعبان يتولى امرها للمصريين وبالقلعة خادم يعرف بوصوف فأما أهل البلد فسلموه الى صالح لاحسانه اليهم ولسوء سيرة المصريين معهم وصعد ابن ثعبان الى القلعة فحصره صالح بالقلعة فغار الماء الذى بها فلم يبق لهم ما يشربون فسلم الجند القلعة اليه وذلك سنة أربع عشرة وملك من بعلبك الى عانة واقام بحلب ست سنين فلما كانت سنة عشرين وأربعمائة جهز الظاهر صاحب مصر جيشا وسيرهم الى الشام لقتال صالح وحسان وكان مقدم العسكر أنوشتكين البربرى فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالاقحوانة على الاردن عند طبرية فقتل صالح وولده الاصغر ونفذ رأسهما الى مصر ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح فجاء الى حلب وملكها وكان لقبه شبل الدولة فلما علمت الروم بانطاكية الحال تجهزوا الى حلب فى عالم كثير فخرج أهلها فحاربوهم فهزموهم ونهبوا أموالهم وعادوا الى انطاكية وبقى شبل الدولة مالكا لحلب الى سنة تسع وعشرين وار بعمائة فارسل اليه الدزبرى العساكر المصرية وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله فالتقيهم عند حماة فقتل فى شعبان وملك الدزبرى حلب فى رمضان سنة تسع وعشرين وملك الشام جميعه وعظم أمره وكثر ماله وأرسل يستدعى الجند الاتراك من البلاد فبلغ المصريين عنه انه عازم على العصيان فتقدموا الى أهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار عنها نحو حلب فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وتوفى بعد ذلك بشهر واحد وكان أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الدزبرى جاء الى حلب فملكها تسليما من أهلها بعد حصر امراة الدزبرى وأصحابه

السلام قال خرجت فى أيام الواثق الى سر من رأى فلما قربت منها لقينى اعرابى فأردت أن اعلم خبر العسكر منه فقلت

أشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وقيل انه توفى يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ووزيره محمد بن عبد الملك وعلى حسب ما قدمنا فى أيام المعتصم من هذا الكتاب والتواريخ متباينة فى مقادير أعمارهم وأيامهم فى الزيادة والنقصان

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

كان الواثق كثير الاكل والشرب واسع المعروف متعطفا على أهل بيته متفقد الرعية وسلك فى المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل وغلب عليه أحمد بن أبى دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر الا عن رأيهما ولا يعاب عليهما فيما رأيا وقلدهما الامر وفوض اليهما ملكه

(وذكر) أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى الحامى نسبة الى حامة وهى قرية من أعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالخولان ويعرف بحامة على أميال من الجابية وبلاد براوهى من مراعى أيوب عليه

بالقلعة احد عشر شهرا وملكها فى صفر سنة أربع وثلاثين فبقى فيها الى سنة أربعين فانفذ المصريون الى محاربته أبا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان فخرج أهل حلب الى حربه فهزمهم واختفى منهم بالباب جماعة ثم انه رحل عن حلب وعاد الى مصر وأصابهم سيل ذهب بكثير من دوابهم واثقالهم فأنفذ المصريون الى قتال معز الدولة خادما يعرف برفق فخرج اليه فى أهل حلب فقاتلوه فانهزم المصريون واسر رفق ومات عندهم وكان اسره سنة احدى وأربعين فى ربيع الاول ثم ان معز الدولة بعد ذلك أرسل الهدايا الى المصريين وأصلح أمره معهم ونزل لهم عن حلب فأخذوا لها أبا على الحسن بن على بن ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسار ثمال الى مصر فى ذى الحجة وسار أخوه أبو ذؤابة عطية بن صالح الى الرحبة وأقام ابن ملهم بحلب فجرى بين بعض السودان واحداث حلب حرب وسمع ابن ملهم ان بعض أهل حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة نصير بن صالح يستدعونه ليسلموا البلد اليه فقبض على جماعة منهم وكان منهم رجل يعرف بكامل بن نباتة فخاف فجاس بمكر وكان يقول لكل من سأله عن بكائه ان أصحابنا الذين أخذوا قد قتلوا وأخاف على الباقين فاجتمع أهل البلد واشتدوا وراسلوا محمودا وهو منهم على مسيرة يوم يستدعونه وحصروا ابن ملهم وجاء محمود وحصره معهم فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ووصلت الاخبار الى مصر فسير وا ناصر الدولة أبا على بن ناصر الدولة بن حمدان فى عسكر بعد اثنين وثلاثين يوما من دخول محمود حلب فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب الى البرية واختفى الاحداث جميعهم وكان عطية بن صالح نازلا بقرب البلد وقد كره فعل محمود ابن أخيه فقبض ابن ملهم على مائة وخمسين من الاحداث ونهب وسط البلد وأخذ أموال الناس وأما ناصر الدولة فلم يمكن أصحابه من دخول البلد ونهبه وسار فى طلب محمود فالتقيا بالغنيدق فى رجب فانهزم أصحاب ابن حمدان وثبت هو فخرج وحمل الى محمود أسيرا فاخذه وسار الى حلب فملكها وملك القلعة فى شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وأطلق ابن حمدان فسار هو وابن ملهم الى مصر فجهز المصريون معز الدولة ثمال ابن صالح لى ابن أخيه فحصره فى حلب فى ذى الحجة من السنة فاستنجد محمود خاله منيع بن شبيب ابن وثاب النميرى صاحب حران فجاء اليه فلما بلغ ثمالا مجيئه سار عن حلب الى البرية فى المحرم سنة ثلاث وخمسين وعاد منيع الى حران فعاد ثمال الى حلب وخرج اليه محمود ابن أخيه فاقتتلوا وقاتل محمود قتالا شديدا ثم انهزم محمود فمضى الى أخواله بنى غير بحران وتسلم ثمال حلب فى ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وخرج الى الروم فغزاهم ثم توفى بحلب فى ذى القعدة سنة اربع وخمسين وكان كريما حليما وأوصى بحلب لاخيه عطية بن صالح فملكها ونزل به قوم من التركمان مع ابن خان التركمانى فقوى بهم فأشار أصحابه بقتلهم فأمر أهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون فقصدوا محمودا بحران واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها فى رمضان سنة أربع وخمسين وقصد عمه عطية الرقة فملكها ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين وسار عطية الى بلاد الروم فمات بالقسطنطينية سنة خمس وستين وارسل محمود التركمان مع اميرهم ابن خان الى ارتاح فحصرها وأخذها من الروم سنة ستين وسار محمود الى طرابلس فحصرها وأخذ من أهلها مالا وعاد فأرسل له محمود فى رسالة الى السلطان ألب أرسلان ومات محمود فى حلب سنة ثمان وستين فى ذى الحجة ووصى بها بعده لابنه مشيب فلم ينفذ أصحابه وصيته له لصغره وسلموا البلد الى ولده الاكبر واسمه نصر وجده لامه الملك

يا أعرابى ممن أنت قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل أرضاعا لها قلت ما تقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه اثنى القاصية وقصم العادية ورغب عن كل ذى جناية قلت فما تقول فى أحمد بن أبى دواد قال ضبة لا ترام وجبل لا يضام تشحذ له المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا أقبل كان قد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فما تقول فى محمد بن عبد الحكم الزيات قال وسع الدانى شره ووصل الى البعيد ضره له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا مخلب قلت فما تقول فى عمرو بن فرج قال ننخم نهم استعذب الدم ينصبه القوم ترسا للدعاء قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال رجل نبش بعد ما قبر ليس تعذله حياة فى الاحياء وعليه خفة الموتى قلت فما تقول فى الوزير قال تحاله كبش الزناد فه أما تراه اذا الخيل الخليفة سمن ورتع واذا هزه امطر فأمرع قلت فما تقول فى أحمد بن الخصيب قال ذاك أكل أكلة نهم فزرق زرقة بشم قلت فما تقول فى ابراهيم أخيه قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فما تقول فى أحمد بن اسرائيل قال لله دره أى فاعل هو وأى صابر هو وأعد الصبر دثارا والجود شعارا وأهون عليه بهم قلت فما تقول فى المعلى بن أيوب قال العزيز

العزيز ابن الملك جلال الدولة بن بويه وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق وكان نصر يدمن شرب الخمر فحمله السكر على ان خرج الى التركمان الذين ملكوا أباه البلد وهم بالحاضر يوم الفطر فلقوه وقبلوا الارض بين يديه فسبهم وأراد قتلهم فرماه أحدهم بنشابة فقتله وملك أخوه سايق وهو الذى كان أبوه أوصى له بحلب فلما صعد القلعة استدعى أحمدشاه مقدم التركمان وخلع عليه وأحسن اليه وبقى فيها الى سنة اثنتين وسبعين فقصده تتش بن ألب أرسلان فحصره بحلب أربعة أشهر ونصفا ثم رحل عنه ونازله شرف الدولة فاخذ البلد منه على ماتذكره ان شاء الله تعالى فهذه جميع أخبار بنى مرداس أتيت بها متتابعة لئلا تجهل اذا تفرقت

﴿ ذكر قتل جماعة من خفاجة ﴾

لما فتح الملك ثغر الدولة دير العاقول أتاه سلطان وعلوان ورحب أولاد ثمال الخفاجى ومعهم أعيان عشائرهم وضموا حماية سوق الفرات ودفع عقيل عنها وساروا معه الى بغداد فاكرمهم وخلع عليهم وأمرهم بالمسير مع ذى السعادتين الحسن بن منصور الى الانبار فساروا فلما صاروا بنواحى الانبار فسدوا وعاثوا فقبض ذو السعادتين على نفر منهم ثم أطلقهم واستحلفهم على الطاعة والكف عن الاذى وأشار كاتب نصرانى من أهل دقوقا لى سلطان بن ثمال بالقبض على ذى السعادتين وأن يظهر أن عقيلا قد أغاروا فاذا خرج عسكر ذى السعادتين انفرد به وأخذه فوصل الى ذى السعادتين الخبر ان سلطانا ارسل اليه يقول له ان عقيلا قد قاربوا الانبار ويطلب منه انفاذ العسكر فقال ذو السعادتين انا اركب وآخذ العساكر ثم دافعه الى ان فات وقت السير فانتقض على سلطان مادبره وأرسل يقول قد أخذت جماعة من عقيل ثم ان ذا السعادتين صنع طعاما كثيرا وحضر عنده سلطان وكاتبه النصرانى وجماعة من أعيان خفاجة وأمر أصحابه بقتل كثير منهم وقبض على سلطان وكاتبه وجماعة ونهب بيوتهم ومافيها وحبس سلطانا ومن معه ببغداد حتى شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد وبذل مالا عنهم وأطلقوا وذكر ابن نباته وغيره هذه الحادثة

﴿ ذكر القدح فى نسب العلويين المصريين ﴾

فى هذه السنة كتب ببغداد محضر يتضمن القدح فى نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه المرتضى وأخوه الراضى وابن الطحاوى العلوى وابن الازرق الموسوى والزكى أبو يعلى عمر ابن محمد ومن القضاة والعلماء ابن الاكفانى وابن الخرزى وأبو العباس الابيوردى وأبو حامد الاسفرايينى والكشفلى والقدورى والصيمرى وأبو عبد الله بن البيضاوى وأبو الفضل النسوى وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم وقد ذكرنا الاختلاف فيهم عند ابتداء دولتهم سنة ست وتسعين ومائتين

﴿ ذكر أخذ بنى خفاجة الحجاج ﴾

فى هذه السنة سارت خفاجة الى واقصة ونزحوا ماء البرمكى والزبان والقوا فيهما الحنظل ووصل الحجاج من مكة الى العقبة فلقيهم خفاجة ومنعوهم الماء ثم قاتلوهم فلم يكن فيهم امتناع فأكثروا القتل وأخذوا الاموال ولم يسلم من الحاج الا اليسير فبلغ الخبر نجم الملك الوزير ببغداد فسير العساكر فى اثرهم وكتب الى أبى الحسن على بن مزيد يأمره بطلب العرب والاخذ منهم بثار الحاج والانتقام فسار خلفهم ولحقهم وقد فارقوا البصرة فأوقع بهم فقتل منهم وأسر جمعا كثيرا واخذ من أموال الحاج مارآه وكان الباقى قد أخذه العرب وتعزوا وأرسل الاسرى وما

منه قلت فما تقول فى ابراهيم ابن رباح قال ذاك رجل أوتيه كرمه وأسلمه فضله وله دعاء لا يسلمه رب لا يخذله رفوقه خليفة لا يظلمه قلت فما تقول فى الحسن ابنه قال ذاك عود نضار غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز حصدوه قلت فما تقول فى نجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك ثار يلتهب كأنه شعلة نار له من الخليفة فى الاحيان جلسة تزيل نعما ونحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك حتى آتيك قال اللهم غفرا مالى منزل انا أشتمل النهار وألتحف الليل فحيثما ادركنى الرفاد رقدت قلت فكيف رضاك عن أهل العسكر قال ان اعطونى لم أذمهم وان ضيعونى لم أذمهم وانى كما قال هذا الغلام الطائى وما أبالى وخير القول اصدقه حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

قلت فأنا قائل هذا الشعر قال أنشدك أنت الطائى قلت نعم قال لله أبوك وأنت القائل

ما جود كفك ان جادت وان بخلت
من ماء وجهى وقد أخلقته عوض

قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك وفى رواية أخرى ليست فى الكتاب

استرده من امتعة الحاج الى الوزير فحسن موقعه منه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة توفي أبو الحسن بن اللبان الفرضي في ربيع الاول وتوفي في شهر رمضان عثمان ابن عيسى أبو عمرو الباقلاني العابد وكان مجاب الدعوة رحمة الله عليه

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل قابوس﴾

في هذه السنة قتل شمس المعالي قابوس بن وشمكير وكان سبب قتله انه كان مع كثرة فضائله ومناقبه عظيم السياسة شديد الاخذ قليل العفو يقتل على الذنب اليسير فضجر أصحابه منه واستطالوا أيامه واتفقوا على خلعه والقبض عليه وكان حينئذ غائبا عن جرجان فخفي عليه الامر فلم يشعر ذات ليلة الا وقد أحاط العسكر بباب القلعة التي كان بها وانتهبوا أمواله ودوابه وأرادوا استنزاله من الحصن فقاتلهم هو ومن معه من خواصه وأصحابه فعادوا ولم يظفروا به ودخلوا جرجان واستولوا عليها وعصوا عليه بها وبعثوا الى ابنه منوجهر وهو بطبرستان يعرفونه الحال ويستدعونه ليولوه أمرهم فاسرع السير نحوهم خوفا من خروج الامر عنه فالتقوا واتفقوا على طاعته ان هو خلع أباه فأجابهم الى ذلك على كره وكان أبوه شمس المعالي قد سار نحو بسطام عند حدوث هذه الفتنة لينظر فيما تسفر عنه فأخذوا منوجهر معهم عازمين على قصد والده وازعاجه من مكانه فسار معهم مضطرا فلما وصل الى أبيه أذن له وحده دون غيره فدخل عليه وعنده جمع من أصحابه المحامين عنه فلما دخل عليه تشاكيا ما هما فيه وعرض عليه منوجهر أن يكون بين يديه في قتال أولئك القوم ودفعهم وان ذهبت نفسه فرأى شمس المعالي ضد ذلك وسهل عليه حيث صار الملك الى ولده فسلم اليه خاتم الملك ووصاه بما يفعله واتفقا على أن ينتقل هو الى قلعة جناشك يتفرغ للعبادة الى أن يأتيه اليقين وينفرد منوجهر بتدبير الملك وسار الى القلعة المذكورة مع من اختاره لخدمته وسار منوجهر الى جرجان وتولى الملك وضبطه ودارى أولئك الاجناد وهم نافرون خائفون من شمس المعالي مادام حيا فصاروا لا يحتالون ويحيلون الرأي حتى دخلوا الى منوجهر وخوفوه من أبيه مثل ما جرى لهلال بن بدر مع أبيه وقالوا له مهما كان والدك في الحياة لا يأمن نحن ولا أنت واستأذنوه في قتله فلم يرد عليهم جوابا فمضوا اليه الى الدار التي هو فيها وقد دخل الى الطهارة مخففا فأخذوا ما عنده من كسوة وكان الزمان شتاء وكان يستغيث أعطوني ولو جل دابة فلم يفعلوا فمات من شدة البرد وجلس ولده للعزاء ولقب القادر بالله منوجهر فلك المعالي ثم ان منوجهر راسل يمين الدولة ودخل في طاعته وخطب له على منابر بلاده وخطب اليه أن يزوجه بعض بناته ففعل فقوي جنانه وشرع في التدبير على أولئك الذين قتلوا أباه فأبادهم بالقتل والتشريد وكان قابوس غزير الادب وافر العلم له رسائل وشعر حسن وكان عالما بالنجوم وغيرها من العلوم فمن شعره

قل للذي بصروف الدهر عيرنا * هل عائد الدهر الا من له خطر
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت أيدي الخطوب بنا * وصيرتنا من توالي صرفها ضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

﴿ذكر موت ايلك الخان وولاية أخيه طغان خان﴾

فلله ما ضمن المجسد
فيا غدا ان كنت بي محسنا
فلا تدن من ليلتي يا غد
ويا ليلة الوصل لا تنفدي
كما ليلة الهجر لا تنفد

فقلت لله أبوك وردد ته معي حتى لقيت ابن أبي دواد وحدثته بخبره فأوصله الى الواثق فأمر له بالف دينار وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به وأغنى عقبه بعده وهذا الخبر فخرجه عن أبي تمام فان كان صادقا فيما قال ولا أراه فقد أحسن الاعرابي في الوصف وان كان أبو تمام هو الذي صنعه وعزاه الى هذا الاعرابي فقد قصر في نظمه اذ كانت منزلته أكبر من هذا * وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وكان خليعا ماجنا ورعا أداه ذلك الى ترك موجبات فرضه تماجنا لا اعتقادا (وحدث) محمد ابن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء قال صار الى أبو تمام وأنا بفارس فاقام عندي مقاما طويلا وغبى الي من غير وجه أنه لا يصلي فوكلت به من يراعيه ويتفقده أوقات الصلاة فوجدت الامر على ما اتصل بي عنه فعاتبته على فعل ذلك فكان من جوابه أن قال لم انشط للشخوص اليك من مدينة السلام

وأتحشم هذه الطرقات الشاقة وأكسل عن ركعات لا مؤنة علي فيها لو كنت أعلم ان لمن صلاها ثوابا أو على من تركها عقابا ما قال فهممت والله بقتله ثم تحوقت ان يصرف الامر الى غير جهته وهو القائل

وأحق الانام ان يقصى الذي * ن امرؤ كان للاله غريما

وهذا قول مبايل لدليل العقل والناس في أبي تمام في طرفي نقيض متعجب له يعظمه أكثر من حقه ويتجاوز به في الوصف ويرى ان شعره فوق كل شعر ومنحرف له معاند فهو يعيب عمله حسنه ويعيب مختاره ويستقبح المعاني الطريفة التي سبق اليها وتعرد بها (وذكر) عبد الله بن الحسن بن سعدان عن المبرد قال كنت في مجلس القاضي أبي اسحق واسمعيل بن اسحق وحضر جماعة سماهم منهم الحارثي الذي قال فيه علي بن الجهم الشامي لم يطلعا الا الاسبدة

الحارثي وكوكب الدبران * فجرى ذلك الشعر وان كان الكلام تسلسل الى ذكر أبي تمام وشعره وأن الحارثي انشد لابي تمام معاتبة أحسن فيها وأن المبرد استحيا ان يستعيد الحارثي الشعر او يكتبه منه لاجل القاضي قال ابن سعدان فاعلمت المبرد اني احفظ الشعر فانشدته اياه فاستحسنه واستعاده مني مرارا حتى حفظته مني وهو

في هذه السنة توفي أيلك الخان وهو يتجهز للعود الى خراسان ليأخذ بثاره من يمين الدولة وكاتب قدرخان وطغان خان ليساعداه على ذلك فلما توفي ولي بعده أخوه طغان فراسل يمين الدولة وصالحه وقال له المصلحة للاسلام والمسلمين ان نشتغل انت بعمرو الهند وأشتغل انا بعمرو الترك وان يترك بعضنا بعضا ووافق ذلك هواه فأجابه اليه ورال الخلاف واشتغلا بعمرو الكفار وكان أيلك الخان خيرا عادلا محسنا السيرة محبا للدين وأهله معظما للعلم وأهله محسنا اليهم

﴿ذكر وفاة بهاء الدولة وملك سلطان الدولة﴾

في هذه السنة خامس جمادى الآخرة توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه وهو الملك حينئذ بالعراق وكان مرضه نافع الصرع مثل مرض أبيه وكان موته بارجان وحمل الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدفن عند أبيه عضد الدولة وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصفا وملك أربعا وعشرين سنة وملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع وسار من أرجان الى شيراز وولى أخاه جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة البصرة وأخاه أبا العوارس كرمان

﴿ذكر ولاية سليمان الاندلس الدولة الثانية﴾

في هذه السنة ملك سليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الاموي ولقب المستعين وهذه غير ولايته مستصف شوال على مذكر بامسه أربعمائة وبايعه الناس وخرج أهل قرطبة اليه يسلمون عليه فانشدت متمثلا

اذا ما رأوني طالعا من ثنية * يقولون من هذا وقد عرفوني

يقولون لي اهلا وسهلا ومرحبا * ولو امروا لي ساعة قتلوني

وكان سليمان أديبا شاعرا بليغا وأريق في أيامه دماء كثيرة لا تحد وقد تقدم ذكر ذلك سمه أربعمائة وكان البربر هم الحاكمون في دولته لا يقدر على خلافهم لانهم كانوا عامة جنده وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خلع سلطان الدولة على أبي الحسن علي بن مزيد الاسدي وهو أول من تقدم من أهل بيته وفيها قلد الرضي الموسوي صاحب الديوان المشهور نقابة العلويين ببغداد وخلع عليه سوادا وهو أول طالبي خلع عليه السواد وفيها توفي أبو بكر الحوارزمي واسمه محمد بن موسى الفقيه الحنفي وأبو الحرث محمد بن محمد بن عمر العلوي نقيب الكوفة وكان يسير بالحاج عشر سنين وأبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان الفقيه الحنبلي وله تصانيف في الفقه والقاضي أبو بكر محمد بن الطيب المتكلم الاشعري وكان مالكي المذهب رثاه بعضهم وقال

انظر الى جبل تمشي الرجال به * وانظر الى القمر ما يحوي من الصلف

وانظر الى صارم الاسلام صمعمدا * وانظر الى درة الاسلام في الصدف

وفيها قتل أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي الاندلسي بقرطبة قتله البربر

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة﴾

﴿ذكر فتح يمين الدولة ناردين﴾

في هذه السنة سار يمين الدولة الى الهند في جمع عظيم وجيش كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده وذهب أصحابه وعساكره فجمع عظيم الهند فجمع من

عنده من قواده وأصحابه وبرز الى جبل هنالك صعب المرتقى ضيق المسلك فاحتمى به وطاول المسلمين وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين أكتافهم فهزموهم وأكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك ووجد فى بيت بدّ عظيم حجرا منقورا دلت كتابته على انه مبنى منذ أربعين ألف سنة فعجب الناس لقلة عقولهم فلما فرغ من غزوته عاد الى غزنة وأرسل الى القادر بالله يطلب منه منشورا وعهدا بخراسان وما بيده من الممالك فكتب له ذلك ولقب نظام الدين

﴿ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى﴾

فى هذه السنة جاء سلطان بن ثمال واستشفع بابى الحسن بن مزيد الى فخر الملك ليرضى عنه فأجابه الى ذلك فأخذ عليه العهود بلزوم ما يحمد أمره فلما خرج وصلت الاخبار بأنهم نهبوا سواد الكوفة وقتلوا طائفة من الجند وأتى أهل الكوفة مستغيثين فسير فخر الملك اليهم عسكرا وكتب الى ابن مزيد وغيره بمحاربتهم فسار اليهم وأوقع بهم بنهر الرمان وأسر محمد بن ثمال وجماعة معه ونجا سلطان وأدخل الاسرى الى بغداد مشهرين وحبسوا وهب على المنهزمين من بنى خفاجة ريح شديدة حارة فقتلت منهم نحو خمسمائة رجل وأفلت منهم جماعة ممن كانوا أسروا من الحجاج وكانوا يرعون ابلهم وغنموهم فعادوا الى بغداد فوجد بعضهم نساءهم قد تزوجن وولدن وقد مت تركاتهم

﴿ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور﴾

قد ذكرنا حال شهرزور وأن بدر بن حسنويه سلمها الى عميد الجيوش فجعل فيها نوابه فلما كان الآن سار طاهر بن هلال بن بدر الى شهرزور وقاتل من بها من عسكر فخر الملك وأخذها منهم فى رجب فلما سمع الوزير الخبر أرسل الى طاهر يعاتبه ويأمره باطلاق من أسر من أصحابه ففعل ولم تزل شهرزور بيد طاهر الى ان قتله أبو الشوك وأخذها منه وجعلها لاخيه مهلهل

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سار أبو الحسن على بن مزيد الاسدى الى أبى الشوك على عزم محاربته فاصطلحا من غير حرب وتزوج ابنه أبو الاغر دبيس بن على بأخت أبى الشوك وفيها توفى القاضى أبو الحسن على بن سعيد الاصطخرى وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهوريهم وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة وله تصانيف فى الرد على الباطنية

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة﴾

﴿ذكر غزوه تانيشر﴾

قد ذكر ليمين الدولة ان بناحية تانيشر قبيلة من جنس قبيلة الصيلمان الموصوفة فى الحرب وان صاحبها غال فى الكفر والطغيان والعناد للمسلمين فعزم على غزوه فى عقر داره وان يذيقه شربة من كاس قتاله فسار فى الجنود والعساكر والمتطوعة فلقى فى طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارا فسيحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكناف والماء بها قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية صعب الخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التى كان يدل بها فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر واشتغال الكافر بالقتال ليتمكن باقى العسكر من العبور ففعلوا ذلك

دعوتهم عليك وكنت ممن يعينه على الفقر الجياد قال وسألت عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر قال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحترى ومن شعره من تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من أبى تمام لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طاعن أو عيب عائب وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف وما أشبهه الا بغائص البحر يخرج الدرة والمخشلبة فى نظام واحد وأما يوثى هو وكثير من الشعراء من البخل باشعارهم والا فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما انكر منه لكان أشعر نظرائه فدعانى هذا القول منه الى أن قرأت عليه شعر أبى تمام وأسقطت خواطئه وكل ما ذم من شعره وأفردت جيده ووجدت ما يمثل به ويجرى على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا ولا اعرف شاعرا جاهليا ولا اسلاميا يمثل له بهذا المقدار من الشعر ثم قال المبرد وبالبحترى يختم الشعر وانشدنى له بيتين زعم المبرد أنهما لم يضافا الى شعر زهير لجاز فيه وهما وما سفه السفيه وان تعدى * وفاتلوا

وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في الخماصات وقاتلوهم من جميع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهند وظفر المسلمون وغنموا ما معهم من أموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفرين ظافرين

﴿ ذكر قتل بدر بن حسنويه واطلاق ابنه هلال وقتله ﴾

في هذه السنة قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل وكان سبب قتله أنه سار الى الحسين بن مسعود الكردي ليملك عليه بلاده فحصره بحصن كوسجد ففجر أصحاب بدر منه لهجوم الشتاء فعزموا على قتله فأتاه بعض خواصه وعرفه ذلك فقال في هم الكلاب حتى يفعلوا ذلك وأبعدهم فعاد اليه فلم يأذن له فقال من وراء الحركاه الذي أعلمك قد قوى العزم عليه فلم يلتفت اليه وخرج فجلس على تل فثاروا به فقتلوه طائفة منهم تسمى الجورقان ونهبوا عسكره وتركوه وساروا وأسر ابنه الحسين ابن مسعود فرآه ملقى على الارض وأمر بتجهيزه وحمله الى مشهد علي عليه السلام ليدفن فيه ففعل ذلك وكان عادلا كثير الصدقة والمعروف كبير النفس عظيم الهمة ولما قتل هرب الجورقان الى شمس الدولة أبي طاهر بن فخر الدولة بن بويه فدخلوا في طاعته وكان طاهر بن هلال ابن بدر هارباً من جده بنواحي شهرزور فلما عرف بقتله بادر يطلب ملكه فوقع بينه وبين شمس الدولة حرب فأسر طاهر وحبس وأخذ ما كان قد جمعه بعد أن ملك تباعاً من أبيه هلال وكان عظيم وحمله الى همذان وسار اللريه وانشاذنجان الى أبي الشوك فدخلوا في طاعته وحين قتل كان ابنه هلال محبوساً عند الملك سلطان الدولة كما ذكرنا لما قتل بدر استولى شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه على بعض بلاده فلما علم سلطان الدولة بذلك أطلق هلالاً وجهزه وسير معه لعساكر ليستعيد ما ملكه شمس الدولة من بلاده فسار الى شمس الدولة فالتقيا في ذي القعدة واقتتل العسكران فانهزم أصحاب هلال وأسر هو وقتل أيضاً وعادت العساكر التي كانت معه الى بغداد على أسوأ حال وكان ممن أسر معه أبو المظفر أوشتكين الاعراجي وكان في مملكة بدر سابور خواست والدينور وبرجردونهاوند واسداباذ وقطعة من اعمال الاهواز وما بين ذلك من القلاع والولايات

﴿ ذكر الحرب بين علي بن مزيد وبني دبيس ﴾

في هذه السنة في المحرم كانت الحرب بين أبي الحسن علي بن مزيد الاسدي وبين مضر ونهبان وحسان وطراد بني دبيس وسببها انهم كانوا قد قتلوا أبا الغنائم بن مزيد أخا أبي الحسن في حرب بينهم وقد تقدم ذكرها وحالت الايام بينه وبين الاخذ بثاره فلما كان الآن تجهز لقصدهم وجمع العرب والشاذنجان والجوانية وغيرهما من الاكراد وسار اليهم فلما قرب منهم خرجت زوجته ابنة دبيس وقصدت أخاها مضر بن دبيس ليلا وقالت له قد أتاكم ابن مزيد فيما لا قبل لكم به وهو يقنع منكم بابعاد نهبان قاتل أخيه فأبعدوه وقد تفرقت هذه العساكر وأجابها أخوها مضر الى ذلك وامتنع أخوه حسان فلما سمع ابن مزيد بما فعلته زوجته أنكره وأراد طلاقها فقالت له خفت ان أكون في هذه الحرب بين قصد أخ حميم أو زوج كريم ففعلت ما فعلت رجاء الصلاح فزال ما عنده منها وتقدم اليهم وتقدموا اليه بالجلل والبيوت فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال لما بين الفريقين من الذحول فظفر ابن مزيد بهم وهزمهم وقتل حسان ونبهان ابني دبيس واستولى على البيوت والاموال ولحق من سلم من الهزيمة بالحويزة ولما طفر بهم رأى عندهم مكاتبات فخر الملك يأمرهم بالجد في أمره ويعدهم النصرة فعاتبه على ذلك

قال وكان مما ذكرنا من شعر البحتري في هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه في قوله في بني صاعد بن مخلد

واذا رأيت مخايل ابني صاعد
ادت اليك مخايل ابني مخلد
كالسمرقدين اذا تأمل ناظر
لم يعدل موضع فرقد من فرقد

وقوله

من شاكر عني الخليفة للذي
أولاه من بر ومن احسان
حتى لقد أفضلت من افضاله
ورأيت نهج الجود حيث يراني
أغنت يداه يدي وشرد جوده
بخلي فأفقرني كما اغناني
ووثقت بالخلق الجميل معجلا
منه واعطيت الذي اعطاني

وقوله

وددت بياض السيف يوم لقيتني
مكان بياض الشيب كان بمفرقي

وقوله

نوت تواضعا وعلوت قدرا
فشانك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى
ويدنو الضوء منها والشعاع

وقوله في الفتح بن خاقان وقد نزل الى أسد فقتله

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى
ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
وأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد منك مهربا وكنت متى تجمع يمينك والعلا*

وحمل بينهما نفرة ودعت فخر الملك الضرورة الى تقليد ابن مزيد الجزيرة الدبيسية واستثنى مواضع منها الطيب وقرقوب وغيرهما وبقي أبو الحسن هنالك الى جمادى الاولى ثم ان مضر ابن دبيس جمع جمعا وكبس أبا الحسن ليلا فهرب في نفر يسير واستولى مضر على حلله وأمواله وكل ماله ولحق أبو الحسن ببلد النيل منهزما

﴿ذكر ملك شمس الدولة الري وعوده عنها﴾

لما ملك شمس الدولة بن فخر الدولة ولاية بدر بن حسنويه وأخذ ما في قلاعه من الاموال عظم شأنه واتسع ملكه فسار الى الري وبها أخوه مجد الدولة فرحل عن الري ومعه والدته الى دنباوند وخرجت عساكر الري الى شمس الدولة مذعنة بالطاعة ودخل الري وملكها وخرج منها يطلب أخاه ووالدته فشغب الجند عليه وزاد خطبهم وطالبوه مطالبات اتسع الخرق بها فعاد الى همذان وأرسل الى أخيه ووالدته يأمرهما بالعود الى الري فعادا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب الشاعر ومن شعره في تكة

لم لا أتيه ودضجعي * بين الروادف والخصور
واذا سجعت فانني * بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة * ما كف ربات الحدور

وله نوادر كثيرة منها انه شرب فقاعا في دار فخر الملك فلم يستطبه فجلس مفكرا فقال له الفقاعي في أي شيء تفكر فقال في دقة صنعتك كيف أمكنك الخراء في هذه الكيزان الضيقة كلها وفي رمضان منها قتل القاضي أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج الفقيه وكان من أئمة أصحاب الشافعي وكان قاضي الدينور قتله طائفة من عاشتها حوفا منه وتوفي أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن نباتة السعدي الشاعر والقاضي أبو محمد بن الاكفاني قاضي بغداد وولي بعده قضاء القضاة أبو الحسن بن أبي الشوارب البصري وتوفي أبو أحمد عبد السلام بن الحسن البصري الاديب وأبو القاسم هبة الله ابن عيسى كاتب مهذب الدولة بالبطيحة وهو من الكتاب المفلقين ومكاتباته مشهورة وكان ممدحا وممن مدحه ابن الحجاج وتوفي أيضا عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس أبو سعيد الادريسي الاستراباذي الحافظ نزيل سمرقند وهو مصنف تاريخ سمرقند وتوفي أيضا الحاكم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله النيسابوري صاحب التصانيف الحسنة المشهورة وأبو الحسن بن عياض وكان يلقب الناصر وكان يتولى الاهواز وقام ولده بتكبير مقامه وأبو علي الحسين بن الحسين بن حمكان الهمذاني الفقيه الشافعي وكان اماما عالما

﴿ثم دخلت سنة ست وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة بين باديس وعمه حماد﴾

في هذه السنة ظهر الاختلاف بين الامير باديس صاحب افريقية وعمه حماد حتى آل الامر بينهما الى الحرب التي لا بقيا بعدها وسبب ذلك أن باديس ابلغ عن عمه حماد قوارص وأمورا أنكرها فاغضى عليها حتى كثر ذلك عليه وكان لباديس ولد اسمه المنصور وأراد أن يقدمه ويجعله ولي عهده فأرسل الى عمه حماد يقول له بأن يسلم بعض ما بيده من الاعمال التي اقطعه الى نائب ابنه المنصور وهي مدينة تبسس وقصر الافريق وقسنطينة وسير الى تسليم ذلك هاشم بن جعفر وهو من كبار قواده هم وسير معه عمه ابراهيم ليمنع أخاه حمادا من أمر ان أراده فسارا الى أن قاربا

لدى ضيغم لم تبق للسيف مضربا * وقوله مازال صرف الدهر يؤيس صفقتي * حتى رهنت على المشيب شبابي

وقوله في المنتصر

وان عليا الاولى بكم وأزكى يدا عندكم من عمر

وكان له فضله والجود

ليوم البراذين قبل الغرر

وقوله

تعيب الغانيات على شيبي * ومن لي أن أمتع بالمشيب

ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب
وللسهم الشريد أخف وجدا * على الرامي من السهم المصيب

وقوله

وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطي وتحرم
سحاب خطاني جوده وهو مسبل * وبحر عداني فيضه وهو مفعم
أأشكو يداه بعد أن وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وذكر محمد بن الازهر قال كان ابراهيم بن المدبر مع محله في العلم والادب والمعرفة يسيء الرأي في أبي تمام ويحلف أنه لا يحسن شيأ قط فقلت له يوما ما تقول في قوله

غدا الشيب مخططا بفودي * خطه سبيل الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يحفو والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع * حمادا

حماد ففارق ابراهيم هاشما وتقدم الى أخيه حماد فلما وصل اليه حسن له الخلاف على باديس
و وافقه على ذلك وخلعا الطاعة وأظهرا العصيان وجمعا الجموع الكثيرة وكانوا ثلاثين ألف
مقاتل فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار اليهما ورحل حماد وأخوه ابراهيم الى هاشم بن
جعفر والعسكر الذى معه وهو بقلعة شقنبارية وكان بينهم حرب انهزم ابن جعفر ولجأ الى باجة
وغنم حماد ماله وعدده فرحل باديس الى مكان يسمى قبر الشهيد فأتاه جمع كثير من عسكر عمه
حماد و وصلت كتب حماد وابراهيم الى باديس أنهما ما فارقا الجماعة ولا خرجا عن الطاعة
فكذبهما ما ظهر من أفعالهما من سفك الدماء وقتل الاطفال واحراق الزروع والمساكن وسبى
النساء ووصل حماد الى باجة وطلب أهلها امنه الامان فأمنهم واطمأنوا الى عهده فدخلها يقتل
وينهب ويحرق ويأخذ الاموال وتقدم باديس اليه بعساكره فلما كان فى صفر سنة ست
وأربعمائة ووصل حماد الى مدينة أشير وهى له وفيها نائبه واسمه خلف الحميرى فمنعه خلف من
دخولها وصار فى طاعة باديس فسقط فى يد حماد فانها كانت معوّله لحصانتها وقوتها، وصل
باديس الى مدينة المسيلة ولقيه أهلها وفرحوا به وسير جيشا الى المدينة التى أحدثها حماد
فحربوها لانهم لم يأخذوا مال أحد وهرب الى باديس جماعة كثيرة من جند القلعة التى له وفيها
أخوه ابراهيم وأخذ ابراهيم ابناءهم وذبحهم على صدور أمهاتهم فقيل انه ذبح بيده منهم ستين
طفلا فلما رأى من الاطفال قتل الامهات وتقارب باديس وحماد والتقوا استهل حمادى الاولى
و قتلوا أشد قتال وأعظمه و وطن أصحاب باديس أنفسهم على الصبر أو الموت لما كان حماد يفعله
لمن يظفر به واختلط الناس بعضهم ببعض وكثر القتل ثم انهزم حماد وعسكره لا يلوى على شئ وغنم
عسكر باديس أثقاله وأمواله وفى جملة ما غنم منه عشرة آلاف درقة مختارة لمط ولولا اشتغال
العسكر بالنهب لاخذ حماد أسيرا وسارحتى وصل الى قلعته تاسع حمادى الاولى وجاء الى مدينة
دكمة فبنى على أهلها فوضع السيف فيهم فقتل ثلثمائة رجل فخرج اليه فقيه منها وقال له يا حماد
اذا لقيت الجيوش انهزمت واذا فادمتك الجموع فررت وانما قدرتك وسلطانك على أسير لا قدرة
له عليك فقتله وحمل جميع ما فى المدينة من طعام وملح وذخيرة الى القلعة التى له وسار باديس
خلفه وعزم على المقام بناحيته وأمر بالبناء وبذل الاموال لرجاله فاشتد ذلك على حماد وأنكر
ربا له وضعفت نفسه وتفرق منه أصحابه ثم مات وروبن سعيد الزناتى المتغلب على ناحية طرابلس
واختلت كلمة زناتة فقالت فرقة مع أخيه خزروين وفرقة مع ابن وروفاشتد ذلك أيضا على حماد
وكان يطمع أن زناتة تغلب على بعض البلاد فيضطر باديس الى الحركة اليهم

﴿ ذكر وفاة باديس وولاية ابنه المعز ﴾

لما كان يوم الثلاثاء سلخ ذى القعدة سنة ست وأربعمائة أمر باديس بعرض العساكر فرأى
ماسره وركب آخر النهار ونزل ومعه جماعة من أصحابه فشارفوه الى خيامهم فلما كان نصف
الليل توفى وخرج الخادم فى الوقت الى حبيب بن أبى سعيد وباديس بن أبى حمامة وأيوب بن
يطوفت وهم أكبر قواده فاعلمهم بوفاته وكان بين حبيب وباديس بن حمامة عداوة فخرج حبيب
مسرعا الى باديس وخرج باديس اليه أيضا فالتقيا فى الطريق فقال كل واحد منهما لصاحبه
قد عرفت الذى بيننا والاولى ان نتفق على اصلاح هذا الخلل فاذا انقضى رجعنا الى المنافسة
فاجتمعا مع أيوب وقالوا ان العدو قريب منا وصاحبنا بعيد منا ومتى لم نقدم رأسا يرجع اليه
فى أمورنا لم نأمن العدو ونحن نعلم ميل صنهاجة الى المعز وغيرهم الى كرامت بن المنصور أخى

وفيمن يقول

فان ترم عن عمر وتداعى به المدى
فخالك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كمت الا السيف لاقى ضريبة
فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وفيمن يقول

شرف على أول الزمان واغما الـ
ـشرف المناسب مايكون كريما

وفيمن يقول

اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا
بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وفيمن يقول

تمطر لى الحياة والمال لا ألـ
ـقاك الا مستوهبا أو وهوبا
واذا ما أردت كنت رشاء
واذا ما أردت كنت قليبا

والقائل

خشعوا لصولتك التى عوّدتهم
كالموت يأتى ليس فيه عثار
فالمشى همس والنداء اشارة
خوف انتقامك والحديث سرار
أيامنا معقودة اطرافها
بك والليالى كلها أسحار
تبدى عقابك للعصاة ويغتدى
رفقا الى زوّارك الزوار

وفيمن يقول

اذا أوهدت أرضا كان فيها
رصالك فلا تحن الى رباها * قال فوالله لكأنى اغريت ابن المدبر بأبى تمام حتى سبه ولعنه فقلت اذا فعلت ذلك لقد حدثنى عمر

باديس فاجتمعوا على توليه كراميت ظاهرا فاذا وصلوا الى موضع الامن ولوا المعز بن باديس وينقاد الشرفا حضروا كراميت وبايعوه وولوه فى الحال واصبحوا وليس عند أحد من العسكر خبر من ذلك وعزموا أن يقولوا للناس بكرة ان باديس قد شرب دواء فلما اصبحوا أغلق أهل مدينة المحمدية أبوابها وكانوا ودى فيهم بموت باديس فشاع الخبر وخاف الناس خوفا عظيما واضطربوا لموته واظهروا ولاية كراميت فلما رأى ذلك عميد باديس ومن معهم انكروه فخلا حبيب باكابرهم وعرفهم المال فسكنوا وامضى كراميت الى مدينة أشير ليجمع صنهاجة وتلكاتة وغيرهم واعطوهم من الخزائن مائة الف دينار وأما المعز فانه كان عمره ثمان سنين وستة أشهر وأياما تقريبا الان مولده كان فى جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة واما وصل اليه الخبر بموت أبيه اجلسه من عنده للعزاء ثم ركب فى الموكب وبايعه الناس فكان يركب كل يوم ويطعم الناس كل يوم بين يديه وأما لعساكر فانهم رحلوا من مدينة المحمدية الى المعز وجعلوا باديس فى تابوت بين يدى العسكر والطبول والبنود على رأسه والعساكر تتبعه ميمنة وميسرة وكان وصولهم الى المنصورية رابع المحرم سنة سبع وأربعمائة ووصلوا الى المهدية والمعز بها ثامن المحرم فركب المعز ووقف حبيب بعلمه بهم ويذكر له أسماءهم ويعرفه بقوادهم وأكابرهم فرحل المعز من المهدية فوصل الى المنصورية منتصف المحرم وهذا المعز أول من حمل الناس بافريقية على مذهب مالك وكان الاغلب عليهم مذهب أبى حنيفة وأما كراميت فانه لما وصل الى مدينة أشير اجتمع عليه قبائل صنهاجة وغيرهم وأتاه حماد فى ألف وخمسمائة فارس فتقدم اليه كراميت بسبعة آلاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فرجع بعض أصحاب كراميت الى بيت المال فانتهبوه وهربوا فتمت الهزيمة عليه وعلى أصحابه ووصل الى مدينة أشير فأشار عليه قاضيها واعيان أهلها بالمقام ومنع حمادا عنها ففعل ونازلهم حماد وطلب كراميت ليجتمع به فخرج اليه فاعطاه مالا وأذن له فى المسير الى المعز وقتل حماد من أهل أشير كثيرا حيث أشاروا على كراميت بحفظ البلد ومنع حماد منه ووصل كراميت الى المعز فى المحرم هذه السنة فاكرمه واحسن اليه وفى آخر ذى الحجة سير الحاكم الخلع من مصر الى المعز ولقبه شرف الدولة ولم يذكر ما كان منه فى الشيعة من القتل والاحراق وسار المعز الى حماد ثمان بقين من صفر سنة ثمان وأربعمائة بالعساكر لمنعه عن البلاد فانه كان يحاصر باغاية وغيرها فلما قاربه رحل عن باغاية والتقوا آخر ربيع الاول فاقتتلوا فما كان الا ساعة حتى انهزم حماد وأصحابه ووضع أصحاب المعز فيهم السيف وغنموا ما لهم من عدد ومال وغير ذلك فنادى المعز من أتى برأس فله أربعة دنانير فاتى بشئ كثير وأسر ابراهيم أخو حماد ونجا حماد وقد أصابته جراحة وتفرق عنه أصحابه ورجع المعز وورد رسول من حماد اليه يعتذر ويقر بالخطا ويسأل العفو فاجابه المعز ان كنت على ما قلته فأرسل ولدك القائد الينا واستعمل المعز على جميع العرب المجاورة لابراهيم عمه كراميت فعاد جواب حماد انه اذا وصله كتاب أخيه ابراهيم بالعلامات التى بينهم أنه قد أخذ له عهد المعز بعث ولده القائد أو غيره وبنفسه فحضر ابراهيم وأخذ العهود على المعز وأرسل اليه يعرفه ذلك ويشكر المعز على احسانه اليه ووصل المعز الى قصره آخر جمادى الاولى واما وصل اطلق عمه ابراهيم وخلع عليه واعطاه الاموال والدواب وجميع ما يحتاج اليه فلما سمع حماد ذلك أرسل ولده القائد الى المعز وكان وصوله للنصف من شعبان فاكرمه واعطاه شيأ كثيرا وأقطعه المسيلة وطبنة وغيرهما وعاد الى أبيه فى شهر رمضان ورضى الصلح وحلف عليه واستقرت الامور بينهما

ابن أبى الحسين الطوسى
اراجيز أنشدته ارجوزة
لأبى تمام لم أنسبها اليه
وهى

وعاذل عذلته من عذله
فظن أنى جاهل من جوله
ماغين المغبون مثل عقله
من لك يوما يا أخيمك كله
لبست ريبا انى قد عنى ابله
وملك فى كبره وذله
وسوقة فى قوله وفعله
بذلت مدحى فيه ياغى بذله
فجز جزيل املى من وصله
من بعد ما أستعذبنى بطله
ثم اعتدى معتديا يجهله
ذا عنق فى الجهل لم يخله
يلحظنى فى جده وهزله
يعجب من تعجبى من بخله
لحظ الاسير حلقات كبله
حتى كانى جئته بعذله
ياواحدا منفردا بعدله
أكسبته المال فلا تعله
مايصنع العمد بغير نصله
والمدح دما لم يكن فى أهله
فقال لابنه اكتبها فكتبها على ظهر كتاب من كتبه فقلت له جعلت فداك انها لابى تمام فقال خرق خرق وهذا من ابى المدبر قبح من عمله لان الواجب أن لايدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع فقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك * وقد ذكر عن بزرجمهر وكان من حكماء الفرس وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك وتصاهرا

وتصاهرا وزوج المعز أخته بعبد الله بن حماد فازدادوا اتفاقا وامنا وكان بافريقية والغرب غلاء بسبب الجراد واختلاف الملوك ولما استقر الصلح والاتفاق سير المعز الجيوش الى القبائل من البربر وغيرهم فكان الحروب بينهم كانت بسبب الاختلاف كثيرة والدماء مسفوكة فلما رأوا عساكر السلطان رجعوا الى السكون وترك الحرب ومن أبى قوتل فتقتل المفسدون وأصلح ما بين القبائل ووصل من جزيرة الاندلس زاوى بن زيرى بن مناد عم أبى المعز وأهله وولده وحشمه وكان قد أقام بالاندلس مدة طويلة وقد ذكرنا سبب دخوله الاندلس وملك بالاندلس غرناطة وفاسى حروبا كثيرة ووصل معه من الاموال والعدد والجواهر شئ كثير لا يحد فاكرمهم المعز وحمل لهم شيأ عظيما واقامات زائده واقاموا عنده كان ينبغى ان يكتب وفاة بادیس وما بعده سنة سبع وأربعمائة وانما أتبعنا بعض أخبارهم بعضا

﴿ ذكر غزوة محمود الى الهند ﴾

فى هذه السنة غزا محمود بن سبكتكين الهند على عادته فضل ادلاؤه الطريق ووقع هو وعسكره فى مياه افاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاص الماء بنفسه أياما حتى تخلص وعاد الى خراسان

﴿ ذكر قتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان ﴾

وفيها قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبى غالب وقتل سلخ ربيع الاول وكان عمره اثنتين وخمسين سنة واحد عشر شهرا وكان نظره بالعراق خمس سنين وأربعة شهور واثنى عشر يوما وكان كافيا حسن الولاية والآثار ووجد له ألف ألف دينار عينا سوى ما نهب وسوى الاملاك والضياع وكان قبيح الاهوار ولما مات نقل الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام ودفن هناك قيل كان ابن عمله كار وهو من كبار قوادهم قد قتل أنسانا ببغداد وكانت زوجته تكتب الى فخر الملك أبى غالب تتظلم منه ولا يلتفت اليها فلقيته يوما وقالت له تلك الرقاع التى كنت تكتبها اليك صرت اكتبها الى الله تعالى فلم يمض على ذلك غير قليل حتى قبض هو وابن عمله كار فقال له فخر الملك قد برز جواب رقاع تلك المرأة ولما قبض فخر الملك استوزر سلطان الدولة أبا محمد الحسن بن سهلان فلقب عميد أصحاب الجيوش وكان مولده براميهرمز فى شعبان سنة احدى وستين وثلثمائة

﴿ ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر ﴾

فى هذه السنة اطلق شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه طاهر بن هلال بن بدر واستخلفه على الطاعة له واجتمع معه طوائف ممن يهوى وحارب أبا الشوك فهزمه وقتل سعدى أخو أبى الشوك ثم انهزم أبو الشوك منه مرة ثانية ومضى منهزما الى حلوان وبذل له أبو الحسن بن مزيد الاسدى المعاونة فلم يكن فيه معاودة الحرب وأقام طاهر بالنهروان وصالح أبا الشوك وتزوج أخته فلما أمنه طاهر وثب عليه أبو الشوك وقتله بثار أخيه سعدى وحمل أصحابه فدفنوه بمشهد باب التبن

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيها توفى الشريف الرضى محمد بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن صاحب الديوان المشهور وشهد جنازته الناس كافة ولم يشهدها أخوه لانه لم يستطع ان ينظر الى جنازته فأقام بالمشهد الى أن أعاده الوزير فخر الملك الى داره ورثاه كثير من الشعراء منهم أخوه المرتضى فقال

يا للرجال لفجعة جذمت يدى * ووددتها ذهبت على براسى

حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب قيل ما اخذت من الكلب قال ألفه لاهله ونبه عن صاحبه قيل فما أخذت من الغراب قال شدة حذره قيل فى الخنزير قال بكورته فى حوائجه قيل فى الهرة قال حسن نعمتها وغلقها لاهلها عند المسئلة ومن عاب مثل هذه الاشعار التى ترتاح لها القلوب وتحرك بها النفوس وتصغى اليها الاسماع وتشحذها الاذهان ويعلم كل من له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ فى الاجادة بعد غاية وانتهى نهاية فانما غض من نفسه وطعن على معرفته واختياره (وقد روى) عن ابن عباس انه قال الهوى اله معبود واحتج بقوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه * ولابى تمام أشعار حسان ومعان لطاف واستخراجات بديعة (وحكى) عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبى تمام فقال كان به جمع شعر العالم فانتخب جوهره وقد كان أبو تمام ألف كتابا وسماه الحماسة وفى الناس من يسميه كتاب الخيبة انتخب فيه شعر الناس ظهر بعد وفاته وقد صنف أبو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار أبى تمام وشعره ونصر فه

مازلت آبي وردها حتى أتت * بحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطالتها زمنا فلما صممت * لم يثنها مطلي وطول مكاسي
لاتنكروا من فيض دمعي عبرة * فالدمع خير مساعد ومواسي
واها لعمرك من قصير طاهر * ولرب عمر طال بالارجاس

وفيها توفي أبو طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي مصنف شرح الايضاح وأبو أحمد عبد السلام بن أبي مسلم الفرضي والامام أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الاسفرايني امام أصحاب الشافعي وكان يحضر درسه أربعمائة متفقه وكان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك بقطيعة الفقهاء وكان عمره احدى وستين سنة وأشهرا وفيها توفي أبو جعفر اسناذهرمز بن الحسن والد عميد الجيوش بشيراز وكان عمره مائة وخمس سنين وتوفي شهاب الدولة أبو درع رافع بن محمد بن مقرن وله شعر حسن منه

مازلت أبكي في الديار تأسفا * لبين خليل أو فراق حبيب
فلما عرفت الربع لاشك انه * هو الربع فاضت مقلتي بغروب
وجربت دهري تاسيا فوجدته * أحاغير لاتقضي وخطوب
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * من الناس خدنا حافظا للمغيب
ولم يبق منهم حافظ لذمامه * ولا ناصر يرعى جوار قريب

وفيها توفي الشار أبو نصر الذي كان صاحب غرشستان من خراسان في قبض يمين الدولة وقد ذكرنا سبب ذلك وفيها في صفر قلد الشريف المرتضى أبو القاسم أخو الرضى نقابة العلويين والحج والمظالم بعد موت أخيه الرضى وفيها وقعت فتنة بين بعداد بين أهل الكرخ وبين أهل باب الشعير ونهبوا القلائين فانكر فخر الملك على أهل الكرخ ومنعوا من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح وفيها وقع بالبصرة وماجاورها وباء شديد يعجز الحفارون عن حفر القبور وفيها في حزيران جاء مطر شديد في بلاد العراق وكثير من البلاد

﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل خوارزمشاه وملك يمين الدولة خوارزم وتسليمها الى التونتاش﴾

في هذه السنة قتل خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون وملك يمين الدولة خوارزم وسبب ذلك ان أبا العباس كان قد ملك خوارزم والجرجانية كما ذكرناه وخطب الى يمين الدولة فزوجه اخته ثم ان يمين الدولة أرسل اليه يطلب أن يخطب له على منابر بلاده فأجابه الى ذلك وأحضر أمراء دولته واستشارهم في ذلك فظهروا الامتناع ونهوه عنه وتهددوه بالقتل ان فعله فعاد الرسول وحكى ليمين الدولة ماشاهده ثم ان أمراءه خافوه حيث ردوا أمره فقتلوه غيلة ولم يعلم قاتله وأجلسوا مكانه أحد اولاده وعلموا أن يمين الدولة يسوءه ذلك وراطلبهم بثأره فتعاهدوا على مقاتلته ومقارعته واتصل الخبر بيمين الدولة فجمع العساكر وسار نحوهم فلما قاربهم جمعهم صاحب جيشهم ويعرف بالبتكين البخاري وأمرهم بالخروج الى لقاء مقدمة يمين الدولة والايقاع بمن فيها من الاجناد فساروا معه وقاتلوا مقدمة يمين الدولة واشتد القتال بينهم واتصل الخبر بيمين الدولة فتقدم نحوهم في سائر جيوشه فلحقهم وهم في الحرب فثبت الخوارزمية الى ان انتصف النهار وأحسنوا القتال ثم انهم انهزموا وركبهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ولم يسلم الا القليل ثم ان البتكين ركب سفينة ليعبر فيها الجزيرة بينه وبين من معه منافرة فقاموا

قد اقبوها جوهر الاشياء
وقد رثته الشعراء بعد وفاته
والادباء من اخوانه منهم
الحسن بن وهب الكاتب
وكان شاعرا ظريفا له
حظ في المنثور والمنظوم
فقال

سقى بالموصل الجدث الغريبا
سحائب يلتحين له نحيبا
اذا أطللنه أطلال فيه
شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمت السبر وقبه
خدودا
وشققت الخدود لها
جيوبا
فان تراب ذاك القبر
يحوى
حبيبا كان يدعى لي حبيبا
لبيبا شاعرا فطنا أديبا
أصيل الرأي في الجلى
أريبا
اذا شاهدته رؤاك فيما
يسرك رقة منه وطيبا
أبا تمام الطائي ماذا
لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدناك منك علقا لا ترانا
نصيب له مدى الدنيا
ضريبا
وكنت أخا لما أبدى الينا
ضمير الود والنسب القريبا
فلما بنت كدرت الليالي
قريب الدار والاقصى
الغريبا
فأبدى الدهر أقبح
صفحتيه
ووجهها كالحا جهما قطوبا

فأحر بأن يطيب الموت فيه * وأحر بعيشنا أن لا يطيبا وللحسن أشعار حسان ومعان جياد منها قوله

أبت مقلتاك لفرط الحزن
عليك الرقاد وبرد الوسن
وحق لعينيك أن لا تنا
وقلبك مختلس مرتهن
وبين الجوانح داء دفين
لعمرك مستغرق كمن
نجي الهموم وقرن الكلوم
ووهي الحلوم وبعد الوطن
شديد النفار كثير العثار
خليع العذار يجر الرسن
أفي كل يوم تطيل الوقوف
تناجي الديار وتبكي الدمن
وتستخبر الدار عن أهلها
وتذري الدموع على من ظعن
كأنك لم ترفيما مضى
من الدهر ذا صبوة مفتتن
عذرتك أيام شرخ الشباب
وفرعك فرع نضير الغصن
فأما وقد زال ظل الشبا
ب عنك وولى كأن لم يكن
وألبسك الشيب بعد الشباب
قناع بياض كلون القطن
وصرت فذى في عيون الحسان
يحنك عهد اوان لم تخن
ويصدفن عنك اذا
وفي خلافة الواثق مات

عليه وأوثقوه وردوا السفينة الى ناحية يمين الدولة وسلموه اليه فاخذه وسائر القواد المأسورين معه وصلبهم عند قبر أبي العباس خوارزمشاه وأخذ الباقين من الاسرى فسيرهم الى غزنة فوجا بعد فوج فلما اجتمعوا بها أفرج عنهم وأجرى لهم الارزاق وسيرهم الى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الاعداء ويحفظونها من أهل الفساد وأخذ خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش

(ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرها)

في هذه السنة غزا يمين الدولة بلاد الهند بعد فراغه من خوارزم فسار منها الى غزنة ومنها الى الهند عازما على غزو قشمير اذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين قشمير وأتاه من المنطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها من غزنة ثلاثة أشهر سيرا دائما وعبر نهر يحون وجيلوم وهما نهران عميقان شديد الجرية فوطئ أرض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الاتاوة فلما بلغ دربقشمير أتاه صاحبها وأسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده فبلغ ماجون في العشرين من رجب وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من أعلى حصنه فرأى من العساكر ما هاله وأرعبه وعلم أنه لا ينجيه الا الاسلام فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الاخلاص طلبا للخلاص فقبل يمين الدولة وسار عنه الى لمغة كلجند وهو من أعيان الهند وبياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عساكره وقيوله الى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى الحصن فلم يشعروا به الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا وأخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين أيديهم فاقتحموه فغرق أكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين ألفا وعمد كلجند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه ثم سار نحو بيت متعبدهم وهو من مهرة الهند وهو من أحصن الابنية على نهر ولهم به من الاصنام كثير منها خمسة أصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وكان فيها من الذهب سبعمائة ألف وتسعون ألفا وثلثمائة مثقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم فأخذ يمين الدولة ذلك جميعه وأحرق الباقي وسار نحو قنوج وصاحبها راجيال فوصل اليها في شعبان فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يرون انه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام فاحذها بين الدولة وأخذ قلاعها وأعمالها وهي سبع على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون أنها عمرت من مائتي ألف سنة الى ثلثمائة ألف كذبا منهم وزورا ولما افتتحها اباحها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لا طاقة لهم فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسي وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال وأخذ يمين الدولة حصنه وما فيه ثم سار الى قلعة شروه وصاحبها جندرآي فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها وعمي خبره فلم يدر اين هو فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم ما فيه وسار في طلب جندرآي جريدة وقد بلغه خبره فلحق به في آخر شعبان فقاتله فقتل أكثر جند جندرآي وأسر كثيرا منهم وغنم ما معه من مال وفيل وهرب جندرآي في نفر من أصحابه فنجا وكان السبي في هذه الغزوة كثيرا حتى ان أحدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة أمر ببنائه جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم

رمتهن * وكنت لهن زمانا سكن فمالك عذر وأنت امرؤ * بما فيه رشدك طب فطن

صغيرا وأنفق ما غنمه فى هذه الغزاة فى بنائه

﴿ذكر حال ابن فولاذ﴾

فى هذه السنة عظمت شوكة ابن فولاذ وكبر شأنه وكان ابتداء أمره انه كان وضيعا فنجب فى دولة بنى بويه وعلا صيته وارتفع قدره واجتمع اليه الرجال فلما كان الآن طلب من مجد الدولة ووالدته أن يقطعاه قزوين لتكون له ولمن معه من الرجال فلم يعملا واعتذرا اليه فقصد أطراف ولاية الرى وأظهر العصيان وجعل يفسد ويغير ويقطع السبيل وملك ما يليه من القرى فعجزا عنه فاستمالاه باصبهذ المقيم بفريم فأتاه فى رجال الجبل وجرى بينهم وبين ابن فولاذ عدة حروب وجرح ابن فولاذ وولى منهزما حتى بلغ الدامغان فاقام حتى عاد أصحابه اليه ورجع أصبهذ الى بلاده وكتب ابن فولاذ الى منوجهر بن قابوس يطلب أن يقلده عسكر الجبال البلاد ويقيم له الخطبة فيها ويحمل اليه المال فقلده ذلك فجبى رجل فساربهم حتى نزل بظاهر الرى وأغار الاغارة ومنع الميرة عنها فضاقت الاقوات بها فاضطر مجد الدولة ووالدته الى مداراته وأعطائه ما يلتمسه فاستقر بينهم أن يسلما اليه مدينة أصبهان فسار اليها وأقام عسكر منوجهر اليه ورحل النساء وعاد الى طاعة مجد الدولة

﴿ذكر ابتداء الدولة العلوية بالاندلس وقتل سليمان﴾

وفى هذه السنة ولى الاندلس على بن حمود بن أبى العيش بن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام وقيل فى نسبه غير ذلك مع الاتفاق على صحة نسبه الى أمير المؤمنين على عليه السلام وكان سبب ذلك ان الفتى خيران العامرى لم يكن راضيا بولاية سليمان بن الحاكم الاموى لانه كان من أصحاب المؤيد على ما ذكرناه قبل فلما ملك سليمان قرطبة انهزم خيران فى جماعة كثيرة من الفتيان العامريين فتبعهم البربر وواقعوهم فاشتد القتال بينهم وجرح خيران عدة جراحات وترك على انه ميت فلما فارقوه قام يمشى فأخذه رجل من البربر الى داره بقرطبة وعالجه فبرأ وأعطاه مالا وخرج منها سرا الى شرق الاندلس فكثر جمعه وقويت نفسه وقاتل من هناك من البربر وملك المرية واجتمع اليه الاجناد وأزال البربر عن البلاد المجاورة له فعظم أمره وعظم شأنه وكان على بن حمود بمدينة سبتة بينه وبين الاندلس عدوة المجاز ما لكها وكان أخوه القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء مستوليا عليها وبينهما المجاز وسبب ملكهما أنهما كانا من جملة أصحاب سليمان بن الحاكم فقلدهما على المغاربة ثم ولاهما هذه البلاد وكان خيران يميل الى دولة المؤيد ويرغب فيها ويخطب له على منابر بلاده التى استولى عليها لانه كان يظن حياته حيث فقد من القصر فحدث على بن حمود طمع فى ملك الاندلس لما رأى من الاختلاف فكتب الى خيران يذكر له ان المؤيد كان كتب له بولاية العهد والاخذ بثأره ان هو قتل فدعا على بن حمود بولاية العهد وكان خيران يكاتب الناس ويأمرهم بالخروج على سليمان فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد وهو بمالقة وكاتبوا على بن حمود وهو بسبتة ليعبر اليهم ليقوموا معه ويسيروا الى قرطبة فعبر الى مالقة فى سنة خمس وأربعمائة فخرج عنها عامر بن فتوح ودعا لها اليه ودعا بولاية العهد وسار خيران ومن أجابه اليه فاجتمعوا بالمنكب وهى ما بين المرية ومالقة سنة ست وأربعمائة وفرروا ما يفعلونه وعادوا ليتجهزوا لقصد قرطبة فتجهزوا وجمعوا من وافقهم وساروا الى قرطبة وبايعوا عليا على طاعة المؤيد الاموى فلما بلغوا غرناطة وافقهم أميرها وسار معهم الى قرطبة فخرج سليمان والبربر

على بن الجعد مولى بنى مخزوم وكان من علية أصحاب الحديث وأهل النقل وذلك فى سنة ثلاثين ومائتين وفى سنة احدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعى فى المحنة على القرآن (قال المسعودى) وكان يحضر مجلس الواثق فتى برسم الندماء يقوم قائما الصغر سنه ولم يكن لذلك يلحق فى المجالس بمراتب ذوى الاسنان وكان ذكيا مأذونا له فى الافاضة مع الجلساء فى كل ما يعرض لهم الكلام فيه والتكلم بما يسنح ويختلج فى صدره من مثل سائر بيت نادر وحديث ممتع وجواب مسرع قال وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالية فقال لهم الواثق يوما ما تختارون من النقل فبعض قال نبات السكر وبعض قال رمان وبعض قال تفاح وبعض قال قصب السكر ينصح بماء الورد وبعض اخرجته الفلسفة الى النتيض فقال ملح يغلى وبعض قال صبر يحسى بعذاب النبيذ ويجلى على سورة الشراب ومرارة النقل قال ما صنعتم شيأ ولكن ما تقول أنت يا غلام قال خشكناج مشير فوافق ذلك ما فى نفس الواثق وقال أصبت وأحسنت بارك الله لك وكان ذلك أول جلوسه وقيل ان أبا جعفر محمد بن

اليهم فالتقوا واقتتلوا على عشرة فراسخ من قرطبة ونشب القتال بينهم فانهزم سليمان والبربر وقتل منهم خلق كثير وأخذ سليمان أسيرا فحمل الى علي بن حمود ومعه أخوه وأبوه الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ودخل علي بن حمود قرطبة في المحرم سنة سبع ودخل خيران وغيره الى القصر طمعا في أن يجدوا المؤيد حيا فلم يجدوه ورأوا شخصا مدفونا منبشوء وجموا له الناس وأحضروا بعض قتياله الذين رباهم وعرضوه عليه فتشه وفتش اسنانه لانه كان له سن سوداء كان يعرفها تلك التي فحمع هو وغيره على انه المؤيد خوفا على أنفسهم من علي فاخبروا خيران انه المؤيد كان ذلك الذي يعلم ان المؤيد حي فاخذ علي بن حمود سليمان وقتله سابع المحرم سنة سبع وقتل أباه وأخاه ولما احضر أبوه بين يدي علي بن حمود قال له يا شيخ قتلتم المؤيد فقال والله ما قتلناه وانه لحي عندنا فأسرع في قتله وكان شيخا صالحا متعبدا لم يتدنس بشيء من أحوال اتنه واستولى علي بن حمود على قرطبة ودعا الناس الى بيعته فبويع واجتمع له الملك واقب المتوكل على الله ثم ان خيران أظهر الخلاف عليه لاشباه منها انه كان طامعا ان يجد المؤيد فلم يجده ومنها انه نقل اليه ان عليا يريد قتله فخرج عن قرطبة واظهر الخلاف عليه

﴿ ذكر طهور عبد الرحمن الاموي ﴾

لما خالف خيران عليا أرسل يسأل عن بني أمية فدل على عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموي وكان قد خرج من قرطبة مستخفيا ورل بجيان وكان اصلح من بقي من بني أمية فبايعه خيران وغيره واسموه المرتضى وراسل خيران منذر بن يحيى التجيبي أمير سرقسطة والثغر الاعلى وراسل أهل شاطبة وبلنسية وطرطوشة والبونت فأجابوا كلهم الى بيعته والخلاف على علي بن حمود فاتفق عليه أكثر الاندلس واجتمعوا بموضع يعرف بالرياحين في الاضحى سنة ثمان وأربعمائة وعهدوا اليه وحملوا الخلافة شورى وأصفقوا على بيعته وسار وجمعه الى صهاجة والرول على غرناطة وأقبل المرتضى على أهل بلنسية وشاطبة وأظهر الجفاء لمنذر بن يحيى التجيبي ولخيران ولم يقبل عليهما قبل ما كان منهما وسار حتى وصل الى غرناطة فوصل اليها ورل عليها وقاتلوها أياما قتالا شديدا فعلبهم أهل غرناطة وأميرهم زاوي بن زيري الصهاجي وانهزم المرتضى وعسكره واتبعهم صهاجة يقتلون ويأسرون وقتل المرتضى في هذه الهزيمة وعمره أربعون سنة وهو أصغر من أخيه هشام وسار أخوه هشام الى البونت وأقام بها الى ان خوطب بالخلافة ولم يرل علي بن حمود بعد هذه الهزيمة يقصد بلاد خيران والعامريين مرة بعد أخرى

﴿ ذكر قتل علي بن حمود المعلى ﴾

فلما كان في ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة تجهز علي بن حمود للسير الى جيان لقتال من بها من عسكر خيران فلما كان الناس والعشرون منه برزت العساكر الى ظاهر قرطبة بالبنود والطبول ووقفوا ينتظرون خروجه فدخل الحمام ومعه غلمانه فقتلوه فلما طال على الناس انتظاره بحثوا عن أمره فدخلوا عليه فرأوه مقتولا فعاد العسكر الى البلد وكان لقبه المتوكل على الله وقيل الناصر لدين الله وكان أسمر أعين أكحل خفيف الجسم طويل القامة حازما عازما عادلا حسن السيرة وكان قد عزم على اعادة أموال أهل قرطبة الهم التي أخذها البربر فلم تطل أيامه وكان يحب المدح ويجزل العطاء عليه ثم ولي بعده اخوه القاسم وهو أكبر من علي بعده أعوام وكان عمر علي ثمانيا وأربعين سنة بنوه يحيى وادريس وأمه قرشية وكنيته أبو الحسن وكانت

وكتب الى الواثق يا أمير المؤمنين ليس من أحد وان ساعدته المقادير بمستحلس غصارة عيش الا من خلال مكروه ومن ترك معاجلة الادراك انتظار مؤاتاة الاشياء سلبته الايام فرصته فان شرط الزمان الآفات وحكم الدهر السلب وفي سنة ثلاثين ومائتين وذلك في خلافة الواثق توفي عبد الله بن طاهر في ربيع الاول من هذه السنة وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر

يقول اناس ان مصر بعيدة
وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر
وأبعد من مصر رجال تراهم
بحضرتنا معروفهم غير حاضر
عن الخير موتى ما تبالي أزرتهم
على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان الواثق محبا للنظر مكرما لاهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات فقال لهم الواثق قد احببت أن أعلم كيفية ادراك معرفة الطب وما أخذ

ولايته سنة وتسعة أشهر

﴿ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوي بقرطبة﴾

فقد ذكرنا قتل أخيه علي بن حمود سنة سبع وأربعمائة فلما قتل بايع الناس أخاه القاسم ولقب المأمون فلما ولي واستقر ملكه كاتب العامريين واستمالهم وأقطع زهيرا حيان وقلعة رباح ورياسة وكاتب خيران واستعطفه فلجأ اليه واجتمع به ثم عاد عنه الى المرية وبقي القاسم مالكا بقرطبة وغيرها الى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وكان وادعا ليناً يحب العافية فأمن الناس معه وكان يتشيع الا انه لم يظهر شيأ من ذلك فسار عن قرطبة الى اشبيلية فخالفه يحيى بن أخيه فيها

﴿ذكر دولة يحيى بن علي بن حمود وما كان منه ومن عمه﴾

لما سار القاسم بن حمود عن قرطبة الى اشبيلية سار ابن أخيه يحيى بن علي من مالقة الى قرطبة فدخلها بغير مانع فلم تمكن بقرطبة دعا الناس الى بيعته فاجابوه وكانت البيعة مستهل جمادى الاولى من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ولقب بالمعتلي وبقي بقرطبة يدعى له بالخلافة وعمه القاسم باشبيلية يدعى له بالخلافة الى ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة فسار يحيى عن قرطبة الى مالقة ووصل الخبر الى عمه فركب وجد في السير ليلا ونهارا الى ان وصل الى قرطبة فدخلها لثمان عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وكان مدة مقامه باشبيلية قد استمال العساكر من البربر وقوي بهم وبقي القاسم بقرطبة شهورا ثم اضطرب أمره بها وسار ابن أخيه يحيى بن علي الى الجزيرة الخضراء وغلب عليها وبها أهل عمه وماله وغلب أخوه ادريس بن علي صاحب سبتة على طنجه وهي كانت عدة القاسم التي يلجأ اليها ان رأى ما يخاف بالاندلس فلما ملك ابنا أخيه بلاده طمع فيه الناس ونساط البربر على قرطبة فاخذوا أموالهم فاجتمع أهلها وبرزوا الى قتاله عاشر جمادى الاولى سنة أربع عشرة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم سكنت الحرب وأمن بعضهم بعضا الى منتصف جمادى الاولى من السنة والقاسم بالقصر يظهر التودد لاهل قرطبة وأنه معهم وباطنه مع البربر فلما كان يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة صلى الناس الجمعة فلما فرغوا نادوا بالسلاح السلاح فاجتمعوا ولبسوا السلاح وحفظوا البلد ودخلوا قصر الامارة فخرج عنها القاسم واجتمع معه البربر وقاتلوا أهل البلد وضيقوا عليهم وكانوا أكثر من أهله فبقوا كذلك نيفا وخمسين يوما والقتال متصل فخاف أهل قرطبة وسألوا البربر في أن يفتحوا لهم الطريق ويؤمنوهم على أنفسهم وأهليهم فأبوا الا ان يقتلوهم فصبروا حينئذ على القتال وخرجوا من البلد ثاني عشر شعبان وقاتلوهم قتال مستقتل فنصرهم الله على البربر ومن بغى عليه لينصرنه الله وانهزم البربر هزيمة عظيمة ولحق كل طائفة منهم ببلد فاستولوا عليه وأما القاسم بن حمود فانه سار الى اشبيلية وكتب الى أهلها في اخلاء ألف دار ليسكنها البربر فعظم ذلك عليهم وكان بها ابناه محمد والحسن فثارا بها أهلها فأخرجوهما عنهم ومن معهما وضبطوا البلد ووفدوا على أنفسهم ثلاثة من شيوخهم وكبرائهم وهم القاضي أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اللخمي ومحمد بن بريم الالهاني ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي وكانوا يديرون أمر البلد والناس ثم اجتمع ابن بريم والزبيدي وسألوا ابن عباد أن ينفرد بتدبير أمورهم فامتنع وألحوا عليه فلما خاف على البلد بامتناعه أجابهم الى ذلك وانفرد بالتدبير وحفظ البلد فلما رأى القاسم ذلك سار في تلك البلاد ثم انه نزل بشريش فزحف اليه يحيى بن أخيه علي ومعه جمع من البربر فحصروه ثم أخذوه أسيرا فحبسه يحيى فبقي في حبسه الى ان توفي يحيى وملك أخوه ادريس فلما ملك قتله وقيل بل مات

اصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب اليه جماعة من أهل الشريعة وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر وقيل ان حنين بن اسحق وسلمويه فيمن حضر في هذا المجلس فقال منهم قائل زعم طوائف من الاطباء وكثير ممن تقدمهم أن الطريق الذي يدرك به الطب هو التجربة فقط وحدوه بأن يتكرر الحس على محسوس واحد في أحوال متغايرة فيوجد بالحس في آخر الاحوال كما يوجد في أولها والحافظ لذلك المجرب وزعموا أن التجربة ترجع الى مبادئ أربعة هن لها أوائل ومقدمات وبها علمت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت بذلك أجزاء لها فزعموا أن قسما من تلك الاقسام طبيعي وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض من الرعاف والعرق والاسهال والقيء التي تعقب في المشاهدة منفعة أو ضررا وقسما ارادياوهو ما يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الانسان وهو أن يرى كأنه عالج مريضا به علة مشاهدة معقولة بشيء من الاشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه أو يخطر مثل ذلك بباله في حال فكره فيتردد

يغلب ظنه بعطبه فيجربه بأن يفعله كما يرى فى منامه فيجده كما يرى أو يخالف ذلك ويفعله مرارا فيجده كذلك وقسماهو نقل وهو على ثلاثة أقسام اما أن ينقل الدواء الواحد من مرض الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور فى علاج انطلاق البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طائفة أخرى منهم الى أن الحيلة فى تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن ترد أشخاص من العلل ومولداتها الى الاصول الحاصرة الجامعة لها اذا كان لا غاية لتولدها وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود فى الحال والوقت دون الاسباب الفاعلة التى عدمت ودون الازمان والاوقات والاسباب والعادات ومعرفة طبائع الاعضاء وحدودها وألزموا التحفظ بكل ما يكون فى كل علة وحدت أو لم توجد وبرهنوا بأن زعموا أن من المعلومات الظاهرة التى لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما فى حال وأن وجود أحدهما ينفى الآخر فى الحال لا محالة

خلف أنفه وحمل الى ابنه محمد وهو بالجزيرة الخضراء فدفنه وكانت مدة ولاية القاسم بقرطبة لما تسمى بالخلافة الى أن أسره ابن أخيه ستة أعوام وبقى محبوسا ست عشرة سنة الى ان قتل سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وكان له ثمانون سنة وله من الولد محمد والحسن أمهما أميرة بنت الحسن بن القاسم المعروف بقانون بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام وكان أسمر أعين أكحل مصفر اللون طويلا خفيف العارضين

﴿ ذكر عود بنى أمية الى قرطبة وولاية المستظهر ﴾

لما هزم البربر والقاسم بن على من أهل قرطبة على ما ذكرناه اتفق رأى أهل قرطبة على رد بنى أمية فاختاروا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الاموى فبايعوه بالخلافة ثالث عشر رمضان من سنة أربع عشرة وأربعمائة وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة وتلقب بالمستظهر بالله فكانت ولايته شهرا واحدا وسبعة عشر يوما وقتل وكان سبب قتله انه أخذ جماعة من اعيان قرطبة فسجنهم لميلهم الى سليمان بن المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر وأخذ أموالهم فسعوا عليه من السجن وألبوا الناس فاجابهم صاحب الشرطة وغيره واجتمعوا وقصدوا السجن فاخرجوا من فيه وكان ممن وافقهم على ذلك أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الاموى فى جماعة كثيرة فظفروا بالمستظهر فقتلوه فى ذى القعدة ولم يعقب وكنيته أبو المطرف وأمه أم ولد وكان أبيض أشقر أعين شثن الكفين رحب الصدر وكان أديبا خطيبا بليغا رقيق الطبع له شعر جيد وكان وزيره أبا محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم وكان سليمان بن المرتضى قد مات قبل قتله بعشرة أيام

﴿ ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن ﴾

لما قتل المستظهر بايع الناس بقرطبة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر وكنيته أبو عبد الرحمن الاموى فى ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة وخطبوا له بالخلافة ولقبوه المستكفى بالله وكان همه لا يعدو فرجه وبطنه وليس له هم ولا فكر فى سواهما وبقى بها ستة عشر شهرا وأياما وثار عليه أهل قرطبة فى ربيع الاول سنة ست عشرة وأربعمائة فخلعوه وخرج عن قرطبة ومعه جماعة من أصحابه حتى صار الى أعمال مدينة سالم فصحر منه بعض أصحابه فشوى له دجاجة وعمل فيها شيأ من البيش فأكلها فمات فى ربيع الآخر من هذه السنة وكان فى غاية التخلف وله أخبار يقبح ذكرها وكان ربعة أشقر أزرق مدور الوجه ضخم الجسم وكان عمره نحو خمسين سنة ولما توفى اعاد أهل قرطبة دعوة المعتلى بالله يحيى بن على بن حمود العلوى بها

﴿ ذكر عود يحيى العلوى الى قرطبة وقتله ﴾

لما مات أبو عبد الرحمن الاموى وصح عند أهل قرطبة خبر موته سعى معهم بعض أهلها الى يحيى بن على بن حمود العلوى ليعيدوه الى الخلافة وكان بمالقة يخطب لنفسه بالخلافة فكتبوا اليه وخاطبوه بالخلافة وخطبوا له فى رمضان سنة ست عشرة وأربعمائة فأجابهم الى ذلك وأرسل اليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى واليا عليهم ولم يحضره وباختياره فبقى عبد الرحمن فيها الى محرم سنة سبع عشرة فسار اليه مجاهد وخيران العامريان فى ربيع الاول منها فى جيش كثير فلما قاربوا قرطبة ثار أهلها بعبد الرحمن فاخرجوه وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ونجا الباقون وأقام خيران ومجاهد بها نحو شهر ثم احتالا فخاف كل واحد منهما صاحبه فعاد خيران عن

قالوا وليس هذا كشئ ظاهر يستدل به على كل شئ خفى والشئ الظاهر يحتمل الوجود فيختلف الاستدلال ويكون القطع

قرطبة لسبع بقين من ربيع الآخر من السنة الى المرية وبقى بها الى سنة ثمان عشرة وتوفى وقيل سنة تسع عشرة وصارت المرية بعده لصاحبه زهير العامرى فخالف حبوس بن ماكسن الصنهاجى البربرى وأخوه على طاعة يحيى بن على العلوى وبقى مجاهدا مدة ثم سار الى دانية وقطعت خطبة يحيى منها وأعيدت خطبة الامويين على ما نذكره فيما بعد ان شاء الله وبقى يتردد عليها بالعساكر واتفق البربر على طاعته وسلموا اليه ما بأيديهم من الحصون والمدن فقوى وعظم شأنه وبقى كذلك مدة ثم سار الى قرمونة فاقام بها محاصرا الاشبيلية طامعا فى أخذها وأتاه الخبر يوما ان خيلا لاهل اشبيلية قد أخرجها القاضى أبو القاسم بن عباد الى نواحى قرمونة فركب اليهم ولقيهم وقد كمنوا له فلم يكن باسرع من ان قتل وذلك فى المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وخلف من الولد الحسن وادريس لامى ولد وكان اسمر اعين أكحل طويل الظهر قصير الساقين وقور اهيبا ليبا وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وأمه بربرية

﴿ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم وقتل ابن عمار﴾

نذكر ههنا ما كان من أخبار أولاده وأولاد أخيه وغيرهم من العلويين متتابعا لئلا ينقطع الكلام وابتدأ خذ بعضه ببعض لما قتل يحيى بن على رجع أبو جعفر أحمد بن أبى موسى المعروف بابن بقية ونجا الخادم الصقلبى وتمامد براد وله العلويين وأتيا مالقة وهى دار مملكتهم فحاطا بأخاء ادريس بن على وكان له سبتة وطنجة وطلباه فاتى الى مالقة وبايعوه بالخلافة على أن يجعل حسن ابن يحيى المقتول مكانه بسبتة فاجابهما الى ذلك فبايعاه وسار حسن بن يحيى ونجا الى سبتة وطنجة وتلقب ادريس بالمتأيد بالله فبقى كذلك الى سنة ثلاثين أو احدى وثلاثين وأربعمائة فسير القاضى أبو القاسم بن عباد ولده اسمعيل فى عسكر ليتغلب على تلك البلاد فاخذ قرمونة وأخذ أيضا اشبونة واستجة فارسل صاحبها الى ادريس والى باديس بن حبوس صاحب صنهاجة فاتاه صاحب صنهاجة بنفسه وأمده ادريس بعسكر يقوده ابن بقيه مدبر دولته فلم يجسروا على اسمعيل بن عباد فعادوا عنه فسار اسمعيل مجدا اليأخذ على صنهاجة الطريق فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس قبل ذلك بساعة فارسلت صنهاجة من يردهم فعادوا وقاتلوا اسمعيل بن عباد ولم يلبث أصحابه ان انهزموا وأسلموه فقتل وحمل رأسه الى ادريس وكان ادريس قد أيقن بالهلاك وانتقل عن مالقة الى جبل يحتمى به وهو مريض فلما أتاه الرأس عاش بعده يومين ومات وترك من الولد يحيى ومحمدا وحسنا وكان يحيى بن على المقتول قد حبس ابنى عمه محمدا والحسن ابنى القاسم ابن حمود بالجزيرة فلما مات ادريس أخرجهما المركل بهما ودعا الناس اليهما فبايعهما السودان خاصة قبل الناس ليميل أيهما اليهم فملك محمد الجزيرة ولم يتسم بالخلافة وأما الحسن بن القاسم فانه تنسك وترك الدنيا وحج وكان ابن بقية قد أقام يحيى بن ادريس بعد موت والده بمالقة فسار اليها نجا الصقلبى من سبتة هو والحسن بن يحيى فهرب ابن بقية ودخلها الحسن ونجا فاستمالا ابن بقية حتى حضر فقتله الحسن وقتل ابن عمه يحيى بن ادريس وبايعه الناس بالخلافة ولقب بالمستنصر بالله ورجع نجا الى سبتة وترك مع الحسن المستنصر ابنه يعرف بالشطيفى فبقى حسن كذلك نحو امن سنتين ثم مات سنة اربع وثلاثين وأربعمائة فقيل ان زوجته ابنة عمه ادريس سمته أسفا على أخيها يحيى فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفى ادريس ابن يحيى وسار نجا من سبتة الى مالقة وعزم على محو أمر العلويين وأن يضبط البلاد لنفسه وأظهر البربر على ذلك فعظم عندهم فعظموه وقتلوا الشطيفى وأخرجوا ادريس بن يحيى وبايعوه بالخلافه

قوم يعرفون باصحاب الطب الجبلى قال الواثق لهم جميعا فأخبرونى عن جمهورهم الاعظم الامم يذهبون فى ذلك فقالوا القياس قال وكيف ذلك قالوا جميعا زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون الى معرفة الطب مأخوذ من مقدمات أولية فنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء وأفعالها ومنها معرفة الابدان فى الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال والصنائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسفار وممرها قوى الامراض وقالوا ثبت فى الشاهد أن الحيوان يختلف فى صورته وطباعه وكذلك أعضاؤه مختلفة فى طباعها وصورها وان الاجساد الحيوانية تتغير بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الاعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم قالوا والغرض بالطب هو تدبير الاجسام وحفظ الصحة الموجودة فى البدن الصحيح واجتلابها للعليل فالواجب أن يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الاسباب المصحة فالواجب على الطبيب لا محالة من

وتسمى بالعالى وكان كثير الصدقة يتصدق كل جمعة بخمسمائة دينار ورد كل مطرود عن وطنه واعاد عليهم أملاكهم وكان متأدبا حسن اللقاء له شعر جيد الا أنه كان يصحب الارذال ولا يحجب نساءه عنهم وكل من طلب منهم حصنا من بلاده اعطاه فاخذ منه صنهاجة عدة حصون وطلبوا وزيره ومدبر أمره صاحب أبيه موسى بن عفان ليقتلوه فسلمه اليهم فقتلوه وكان قد اعتقل ابنى عمه محمدا والحسن ابنى ادريس بن علي في حصن ابرش فلما رأى ثقته بابرش اضطراب آرائه خالف عليه وبايع ابن عمه محمد بن ادريس بن علي وثار بادريس بن يحيى من عنده من السودان وطلبوا محمدا فجاء اليهم فسلم اليه ادريس الامر وبايع له سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فاعتقله محمد وتلقب بالمهدي وولى اخاه الحسن عهده ولقبه السامي وطهرت من المهدي شجاعة وجراءة فهابه البربر وخافوه فراسلوا الموكل بادريس بن يحيى فأجابهم الى اخراجه وأخرجه وبايع له وخطب له بسبتة وطنجة بالخلافة وبقي الى ان توفي سنة ست وأربعين ثم ان المهدي رأى من أخيه السامي ما أنكره فنفاه عنه فسار الى العدوة الى جبل غمارة وأهلها ينقادون للعلويين ويعظمونهم فبايعوه ثم ان البربر ناطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة واجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة وتسمى بالمهدي أيضا فصار الامر في غاية الاحلوقة والصحيحة أربعة كلهم يسمى أمير المؤمنين في رقعة من الارض مقدارها ثلاثين فرسخا فرجعت البرابر عنه وعاد الى الجزيرة فمات بعد أيام فولي الجزيرة ابنه القاسم ولم يتسم بالخلافة وبقي محمد بن ادريس بالعدوة الى ان مات سنة خمس وأربعين وكان ادريس بن يحيى المعروف بالعالى عند بني يفرن بتاكرنا فلما توفي محمد بن ادريس بن علي قصد ادريس بن يحيى مالقة فملكها ثم انتقلت الى صنهاجة

﴿ ذكر ولاية هشام الاموي قرطبة ﴾

لما قطعت دعوة يحيى بن علي العلوي عن قرطبة سنة سبع عشرة وأربعمائة على ما ذكرناه قبل اجمع أهلها على خلع العلويين لميلهم الى البربر واعادة الخلافة بالاندلس الى بني أمية وكان رأسهم في ذلك أبا الحزم جهور بن محمد بن جهور فراسلوا أهل الثغور والمتغلبين هناك في هذا فاتفقوا معهم فبايعوا أبا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموي وكان مقيما بالبنت منذ قتل أخوه المرتضي فبايعوه في ربيع الاول سنة ثمان عشرة وتلقب بالمعتد بالله وكان أسن من المرتضي ونهض الى الثغور وتردد فيها وجرى له هناك فتن واضطراب شديد من الرؤساء الى ان اتفق أمرهم على ان يسير الى قرطبة دار الملك فسار اليها ودخلها ثامن ذي الحجة سنة عشرين وبقي بها حتى خلع ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وكان سبب خلعه ان وزيره ابا عاصم سعيد الفرازلم يكن له قديم رياسة وكان يخالف الوزراء المتقدمين ويتسبب الى أخذ أموال التجار وغيرهم وكان يصل البربر ويحسن اليهم ويقربهم فتنفر عنه أهل قرطبة فوضعوا عليه من قتله فلما قتلوه استوحشوا من هشام فخلعوه بسببه فلما خلع هشام قام أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسور القصر مع جماعة من الاحداث ودعا الى نفسه فبايعه من سواد الناس كثير فقال له بعض أهل قرطبة نخشى عليك ان تقتل في هذه الفتنة فان السعادة قد ولت عنكم فقال بايعوني اليوم واقتلوني غدا فانفذ أهل قرطبة واعيانهم اليه والى المعتد بالله يأمرونهما بالخروج عن قرطبة فودع المعتد أهله وخرج الى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة فبقي معه الى أن غدر أهل الحصن بمحمد بن الشور فقتلوه وأخرجوا المعتد الى حصن آخر حبسوه فيه فاحتال في الخروج منه ليلا وسار الى سليمان بن هود الجذامي فاكرمه وبقي

والاوقات الحاضرة والاسباب ليستدل بجميع ذلك وهذا يا أمير المؤمنين قول ابقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم فالوا وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشئ من الاغذية والادوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله وتأثيره في الجسد وزعموا أن الوثيقة في الاستدلال بالاجزاء اذا كانت الالوان والارائح وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الاربع كالأن الاسخان والتبريد والتليين فعل لها وزعمت طائفة اخرى منهم أن اصح الشهادات واثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ما أخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة وما سوى ذلك فان الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ولا يعول على طبيعة الدواء المفرد والمركب قال الواثق لمن بين من بين الجماعة ما أول آلات الغذاء من الانسان قال أول آلات الغذاء الفم وفيه الاسنان

والاسنان اثنتان وثلاثون سنا منها في اللحى الاعلى ستة عشر سنا وفي اللحى الاسفل

عنده الى ان مات فى صفر سنة ثمان وعشرين ودفن بناحية لاردة وهو آخر ملوك بنى أمية بالاندلس وأما أمية فانه اختفى بقرطبة فنادى أهل قرطبة بالاسواق والارباض ان لا يبقى أحد من بنى أمية بها ولا يتركهم عنده أحد فخرج أمية فيمن خرج وانقطع خبره مدة ثم أراد العود اليها فعاد طمعا فى أن يسكنها فارسل اليه شيوخ قرطبة من منعه عنها وقيل قتل وغيب وذلك فى جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين ثم انحل عقد الجماعة وانتشر وافترقت البلاد على ما نذكره

﴿ ذكر تفرق ممالك الاندلس ﴾

ثم ان الاندلس اقتسمه أصحاب الاطراف والرؤساء فتغلب كل انسان على شئ منه فصار وا مثل ملوك الطوائف وكان ذلك أضر شئ على المسلمين فطمع بسببه العدو الكافر خذله الله فيهم ولم يكن لهم اجتماع الى أن ملكه امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين على ما نذكره ان شاء الله فاما قرطبة فاستولى عليها أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور المقدم ذكره وكان من وزراء الدولة العامرية قديم الرياسة موصوفا بالدهاء والعقل ولم يدخل فى شئ من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها فلما خلا له الجو وأمكنته الفرصة وثب عليها فتولى أمرها وقام بحمايتها ولم يتنقل الى رتبة الامارة ظاهرا بل دبرها تدبيرا لم يسبق اليه وأظهر انه حام للبلد الى ان يجئ من يستحقه ويتفق عليه الناس فيسلمه اليه ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الامارة ولم يتحول هو عن داره اليها وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بايدى رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم وصير أهل الاسواق جندا وجعل أرزاقهم ريع أموال تكون بايديهم دينا عليهم فيكون الربح لهم ورأس المال باقيا عليهم وكان يتعهدهم فى الاوقات المتفرقة لينظر كيف حظهم لها وفرق السلاح عليهم فكان أحدهم لا يفارقه سلاحه حتى يحل حضوره ان احتاج اليه وكان جهور يشهد الجنائز ويعود المرضى ويحضر الافراح على طريقة الصالحين وهو مع ذلك يدبر الامر تدبير الملوك وكان مأمون الجانب وأمن الناس فى أيامه وبقى كذلك الى أن مات فى صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وقام بأمرها بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير الى ان مات فغلب عليها الامير المقتدر بالله المأمون صاحب طليطلة فدبرها الى ان مات بها وأما اشبيلية فاستولى عليها القاضى أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اللخمى وهو من ولد النعمان ابن المنذر وقد ذكرنا سبب ذلك فى دولة يحيى بن على بن حمود قبل هذا وفى هذا الوقت ظهر أمر المؤيد هشام بن الحاكم وكان قد اختفى وانقطع خبره وكان ظهوره بمالقة ثم سار منها الى المرية فخافه صاحبها زهير العامرى فاخرجه منها فقصد قلعة رباح فاطاعه أهلها فسار اليهم صاحبه اسمعيل بن ذى النون وحاربهم فضعفوا عن مقاومته فاخرجوه فاستدعاه القاضى أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اليه باشبيلية وأذاع أمره وقام بنصره وكان رؤساء الاندلس فى طاعته فاجابه الى ذلك صاحب بلنسية ونواحيها وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحب طرطوشة وأقروا بخلافته وخطبوا له وجددت بيعته بقرطبة فى المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم ان ابن عباد سير جيشا الى زهير العامرى لانه لم يخطب للمؤيد فاستنجد زهير حبوس بن ماكسن الصنهاجى صاحب غرناطة فسار اليه بجيشه فعادت عساكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال وأقام زهير فى رياسة وعاد حبوس الى مالقة فمات فى رمضان من هذه السنة وولى بعده ابنه باديس واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحبوس فلم تستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير وجمع كثير من أصحابه أواخر سنة تسع وعشرين ثم فى سنة احدى

كذلك ومن ذلك أربعة فى كل واحد من اللحيين عراض محددة الاطراف تسميها الاطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمة اللينة كما يقطع هذا النوع من المأكل بالسكين وهى الثنايا والرباعيات ومن جنبى هذه الاربعة فى كل واحد من اللحيين سنان رؤوسهما حادة وأصولهما عريضة وهى الانياب وبها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبة مما يؤكل وعن جنبى النابين فى كل واحد من اللحيين خمس اسنان أخر عوارض خشن وهى الاضراس ويسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل وكل واحد من الثنايا والرباعيات والانياب له أصل واحد وأما الاضراس فما كان منها فى اللحى الاعلى فله ثلاثة أصول خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة وما كان من الاضراس فى اللحى الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة وانما احتيج الى كثرة أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة فى الاصول لتعلقها باعلى الفم قال الواثق أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف وثلاثين

وثلاثين التقى عسكر ابن عباد وعليهم ابنه اسمعيل مع باديس بن حبوس وعسكر ادريس العلوى على ما ذكرناه عند اخبار العلويين فيما تقدم الا انهم اقتتلوا قتالا شديدا فقتل اسمعيل ثم مات بعده أبوه القاضى أبو القاسم سنة ثلاث وثلاثين وولى بعده ابنه أبو عمرو عباد بن محمد ولقب بالمعتضد بالله فضبط ما ولى وأظهر قضاة المؤيد هذا قول ابن أبى الفياض فى المؤيد وقال غيره ان المؤيد لم يظهر خبره منذ عدم من قرطبة عند دخول على بن حمود اليها وقتله سليمان وانما كان هذا من تمويهات ابن عباد وحيله ومكره وأعجب من اختفاء حال المؤيد ثم تصديق الناس ابن عباد فيما أخبر به من حياته أن انسانا حضر ياظهر بعد موت المؤيد بعشرين سنة وادعى انه المؤيد فبويع بالخلافة وخطب له على منابر جميع بلاد الاندلس فى أوقات متفرقة وسفكت الدماء بسببه واجتمعت العساكر فى أمره ولما أظهر ابن عباد موت هشام المؤيد واستقل بامر اشبيلية وما انضاف اليها بقى كذلك الى ان مات من ذبحة لحقته لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة احدى وستين وأربعمائة وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد ابن القاضى أبى القاسم ولقب بالمعتمد على الله فاتسع ملكه وشمخ سلطانه وملك كثيرا من الاندلس وملك قرطبة أيضا وولى عليها ابنه الظافر بالله فبلغ خبر ملكه لها الى يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة فحسده عليها فتمن له جرير بن عكاشة ان يجعل ملكها له وسار الى قرطبة وأقام بها يسعى فى ذلك وهو يتهز الفرصة فاتفق ان فى بعض الليالى جاء مطر عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق فثار جرير فيمن معه ووصل الى قصر الامارة فلم يجد من يمانعه فدخل صاحب الباب الى الظافر وأعلمه فخرج عن معه من العبيد والحرس وكان صغير السن وحمل عليهم ودفعهم عن الباب ثم انه عثر فى بعض كراته فسقط فوثب بعض من يقاتله وقتله ولم يبلغ الخبر الى الاجناد وأهل البلد الا والقصر قد ملك وتلاحق بجرير أصحابه وأشياعه وترك الظافر ملقى على الارض عريانا فعرفه بعض أهل قرطبة فابصره على تلك الحال فنزع رداءه والقاه عليه وكان أبوه اذا ذكره يقول

ولم أدر ص ألقى عليه رداءه * على أنه قد سل عن ماجد محض

ولم يزل المعتمد يسعى فى أخذها حتى عاد ملكها وترك ولده المأمون فيها فأقام بها حتى أخذها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد حروب كثيرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى سنة أربع وثمانين وأخذت اشبيلية من أبيه المعتمد فى السنة المذكورة وبقى محبوسا فى اغمات الى ان مات بها رحمه الله وكان هو وأولاده جميعهم الرشيد والمأمون والراضى والمعتمد وأبوه وجده علماء فضلاء شعراء وأما بطليوس فقام بها سابور الفتى العامرى وتلقب بالمنصور ثم انتقلت بعده الى أبى بكر محمد بن عبد الله بن سلمة المعروف بابن الافطس أصله من بربر مكناسة لكنه ولد أبوه بالاندلس ونشؤا بها ونحلقوا بأخلاق أهلها وانتسبوا الى تجيب وشاكلهم الملك فلما توفى صارت بعده الى ابنه أبى محمد عمر بن محمد واتسع ملكه الى أقصى المغرب وقتل صبرا مع ولدين له عند تغلب أمير المسلمين على الاندلس وأما طليطلة فقام بأمرها ابن ذى النون واقيه الظافر بحول الله وأصله من البربر وولد بالاندلس وتأدب بآداب أهلها وكان مولد اسمعيل سنة تسعين وثلثمائة وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وكان عالما بالادب وله شعر جيد وصنف كتابا فى الآداب والاخبار وولى بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون وأكثره هادادة الافرنج ومصانعتهم ليتلهذ باللعب وامتدت يده الى أموال الرعية ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيأ بعد شئ حتى

الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد (وقد ذكر) أن الواثق سأل حنينا فى هذا المجلس وفى غيره عن مسائل كثيرة وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف فى كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل بل أحضر له نديما من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل الى أن قال فما الاشياء المغيرة للهواء قال حنين خمس وهى أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار * قال السائل فكم هى أوقات السنة قال أربع الربيع والصيف والخريف والشتاء فمزاج الربيع معتدل فى الحرارة والرطوبة ومزاج الصيف حار يابس ومزاج الخريف بارد يابس ومزاج الشتاء بارد رطب * قال السائل أخبرنى عن كيفية تغيير الكواكب للهواء قال ان الشمس متى قربت منها أو قربت هى من الشمس كان الهواء ازيد سخونة وخاصة كلما كانت اعظم ومتى بعدت الشمس أو بعدت هى من الشمس كان الهواء ازيد بردا قال أخبرنى عن كيفية أعداد الرياح قال أربع الشمال

أخذت طليطلة فى سنة سبع وسبعين وأربعمائة وصار هو بلنسية وأقام بها الى ان قتله القاضى ابن حجاف الاحنف وفيه يقول الرئيس أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر

أيها الاحنف مهلا * فلقد جئت عويصا
اذ قتلت الملك يحيى * وتقمصت القميصا
رب يوم فيه تجزى * لا تجد فيه محيصا

وأما سرقسطة والثغر الاعلى فكان بيد منذر بن يحيى التجيبى ثم توفى وولى بعده ابنه يحيى ثم صارت بعده لسليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذامى وكان يلقب بالمستعين بالله وكان من قواد منذر على مدينة لاردة وله وقعة مشهورة بالفرنج بطليطلة سنة أربع وثلاثين واربعمائة ثم توفى وولى بعده ابنه المقتدر بالله وولى بعده ابنه يوسف بن أحمد المؤتمن ثم ولى بعده ابنه أحمد المستعين بالله على لقب جده ثم ولى بعده ابنه عبد الملك عماد الدولة ثم ولى بعده ابنه المستنصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة فصارت بلادهم جميعها لابن تاشفين ورأيت بعض أولادهم بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وهو فقير جدا وهو قيم الزاوية فسبحان من لا يزول ولا تغيره الدهور وأما طرطوشة فوليها البيب الفتى العامرى وأما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن أبى عامر المعافرى ثم انصاف اليه المرية وما كان اليها وبعده ابنه محمد ودام فيها الى أن غدر به صهره المأمون بن اسمعيل بن ذى النون وأخذ منه رياسة بلنسية فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة فانتزح الى المرية وأقام بها الى أن خلع على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأما السهلة فملكها عبود بن رزين وأصله بربرى ومولده بالاندلس فلما هلك ولى بعده ابنه عبد الملك وكان أرياشا عراثم ولى بعده ابنه عز الدولة ومنه ملكها المأمون وأما دانية والجزائر فكانت بيد الموفق أبى الحسن مجاهد العامرى وسار اليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله المعيطى ومعه خلق كثير فأقامه مجاهد شبه خليفة يصدر عن رأيه وبايعه فى جمادى الآخرة سنة خمس واربعمائة فأقام المعيطى بدانية مع مجاهد ومن انضم اليه نحو خمسة أشهر ثم سار هو ومجاهد فى البحر الى الجزائر التى فى البحر وهى ميورقة باليار ومنورقة بالنون ويابسة ثم بعث المعيطى بعد ذلك مجاهدا الى سردانية فى مائة وعشرين مركبا بين كبير وصغير ومعه ألف فرس ففتحها فى ربيع الاول سنة ست وأربعين وأربعمائة وقتل بها خلقا كثيرا من النصارى وسبى مثلهم فسار اليه الفرنج والروم من البر فى آخر هذه السنة فاخرجوه منها ورجع الى الاندلس والمعيطى قد توفى فغاص مجاهد فى تلك الغتن الى ان توفى وولى بعده ابنه على بن مجاهد وكانا جميعا من أهل العلم والمحبة لاهله والاحسان اليهم وجلبا هم من اقاصى البلاد وأدانيها ثم مات ابنه على فولى بعده ابنه أبو عامر ولم يكن مثل أبيه وجده ثم ان دانية وسائر بلاد بنى مجاهد صارت الى المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وامامرسية فوليها بنو طاهر واستقامت رياستها لابى عبد الرحمن منهم المدبر بالرئيس ودامت رياسته الى ان أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبى بكر بن عمار المهرى فلما ملكها عصى على المعتمد فيها فوجه اليه عسكرا مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيرى فحصروه وضيقوا عليه حتى هرب منها فلما دخلها القشيرى عصى فيها أيضا على المعتمد الى ان دخل فى طاعة المئمين وبقى أبو عبد الرحمن بن طاهر بمدينة بلنسية الى أن مات بها سنة سبع وخمسمائة ودفن بمرسية وقد نيف على تسعين سنة واما المرية فملكها خيران

فعتدلان غير أن الصبا اميل الى الحرارة واليبس والدبور اميل الى البرودة والرطوبة من الصبا * قال فأخبرنى عن احوال البلدان فى ذلك قال هى أربعة الاول الارتفاع والثانى الانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الارض والنواحى أربع وهى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب فناحية الجنوب اسخن وناحية الشمال ابرد وأما ناحيتا المشرق والمغرب فعتدلتان واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها ابرد وانخفاضها يجعلها اسخن والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لهما لان الجبل متى كان من البلد فى ناحية الجنوب جعل ذلك البلد ازيد برد الانه يستره من الرياح الجنوبية وانها تهب فيه الريح الشمالية فقط ومتى كان الجبل من البلد فى ناحية الشمال جعل ذلك البلد اسخن * قال فأخبرنى عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت قال حنين ان كان البحر من البلد فى ناحية الجنوب فان ذلك البلد يسخن ويرطب وان كان فى ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد * قال السائل فأخبرنى عن البلدان كيف اختلفت

العامري ونوفى كما ذكرنا وولها بعده زهير العامري واتسع ملكه الى شاطبة الى ما يجاورعمل طليطلة ودام الى ان قتل كما تقدم وصارت مملكته الى المنصور أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر فولى بعده ابنه محمد فلما توفي عبد العزيز بمدينة سبة أقام ابنه محمد بالمرية وهو يدبر بلنسية فانتهز الفرصة فيها المأمون يحيى بن ذي النون وأخذها منه وبقي بالمرية الى ان أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الاحوص المعتصم معن بن صمادح التجيبي ودانت له لورقة وبياسة وجيان وغيرها الى ان توفي سنة ثلاث وأربعين وولي بعده ابنه أبو يحيى محمد بن معن وهو ابن أربع عشرة سنة فكفله عمه أبو عتبة بن محمد الى أن توفي سنة ست وأربعين وبقي أبو يحيى مستضعفا لصغره وأخذت بلاده البعيدة عنه ولم يبق له غير المرية وما يجاورها فلما كبر أخذ نفسه بالعلوم ومكارم الاخلاق فامتدت صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق بأكابر الملوك ودام بها الى ان نازله جيش الملثمين فرض في اثناء ذلك وكان القتال تحت قصره فسمع يوما ياحا وغلبة فقال نغص علينا كل شئ حتى الموت وتوفي في مرضه ذلك لثمان بقين من ربيع الاول سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودخل أولاده وأهله البحر في مركب الى بجاية قاعدة مملكة بني حماد من افريقية وملك الملثمون المرية وما معها واما مالقة فملكها ابنو علي بن حمود فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم بها الى ان أخذها منهم ادريس بن حبوس صاحب غرناطة سنة سبع وأربعين وانقضى أمر العلويين بالاندلس واما غرناطة فملكها حبوس بن ماكسن الصنهاجي ثم مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولي بعده ابنه باديس فلما توفي ولي بعده ابن أخيه عبد الله بن بلكين وبقي الى أن ملكها منه الملثمون في رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة وانقرضت دول جميعهم وصارت الاندلس جميعها للملثمين وملكهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين واتصلت مملكته من المغرب الاقصى الى آخر بلاد المسلمين بالاندلس (نعود الى سنة سبع وأربعمائة)

﴿ ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس ﴾

قد ذكرنا ان الملك سلطان الدولة لما مات بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس بن بهاء الدولة كرمان فلما وليها اجتمع اليه الديلم وحسنوا له محاربة أخيه وأخذ البلاد منه فتجهز وتوجه الى شيراز فلم يشعر سلطان الدولة حتى دخل أبو الفوارس الى شيراز فجمع عساكره وسار اليه فحاربه فانهزم أبو الفوارس وعاد الى كرمان فتبعه اليها فخرج منها هاربا الى خراسان وقصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين وهو ببست فاكرمه وعظمه وحمل اليه شيأ كثيرا وأجلسه فوق دار ابن قابوس بن وشمكير فقال دارا نحن أعظم محلا منهم لان أباه وأعمامه خدموا آبائي فقال محمود لكنهم أخذوا الملك بالسيف أراد بهذا نصرة نفسه حيث أخذ خراسان من السامانية ووعد محمودا انه ينصره ثم ان أبا الفوارس باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه بعشرة آلاف دينار فاشتراهما محمود وحملهما اليه وقال له من غلطكم تتركون هذا على جبهة الفرس وقيمتها ستون ألف دينار ثم ان محمودا سير جيشا مع أبي الفوارس الى كرمان مقدمهم أبو سعد الطائي وهو من أعيان قواده فسار الى كرمان فملكها وقصد بلاد فارس وقد فارقها سلطان الدولة الى بغداد فدخل شيراز فلما سمع سلطان الدولة عاد الى فارس فالتقوا هناك واقتتلوا فانهزم أبو الفوارس وقتل كثير من أصحابه وعادا بائسوا الحال وملك سلطان الدولة بلاد فارس وهرب أبو الفوارس سنة ثمان وأربعمائة الى كرمان فسير سلطان الدولة الجيوش في أثره فأخذوا كرمان منه فلحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان ولم يمكنه العود الى يمين الدولة لانه أساء السيرة مع أبي

جعلته باردا وارطب * قال فلم اختلاف الهواء من قبل البحار قال اذا حاورت نقائع ماء أو جيفا أو بقولا عفنة أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها * فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب استحسن ذلك الواثق فقطع ذلك وأجاز كل واحد من حضر * ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الغرور والفناء والغرور فذكر كل واحد منهم ما سمع له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط ودوجانس * قال الواثق قد أكثرتم فيما وصفتم وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم فليخبر كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل في التابوت الاحمر فقال بعضهم يا أمير المؤمنين كل ما ذكروه حسن وأحسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء دوجانس وقد قيل انه لبعض حكماء الهند فقال ان الاسكندر امس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه امس وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال

وأنت اليوم أوعظ منك حيا ... وكنت في حياتك لي عظات

كفى حزنا بدفنك ثم انى ... نفضت تراب قبرك من يديا

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى كل ١٠٣ من حضر من الناس ثم قام من فوره ذلك وهو يقول وصروف الدهر فى تقديره

سعد الطائى ثم فارق شمس الدولة ولحق بمهذب الدولة صاحب البطيحة فأكرمه وأنزله داره وأنفذ اليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالا وثيابا وعرض عليه الانحدار اليه فلم يفعل وترددت الرسل بينه وبين سلطان الدولة فأعاد اليه كرمان وسيرت اليه الخلع والتقليد بذلك وحملت اليه الاموال فعاد اليها

﴿ذكر قتل الشيعة بافريقية﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد افريقية وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى فى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر فقال رضى الله عن أبى بكر وعمر فانصرفت العامة من فورها الى درب المقلى من القيروان وهو تجتمع به الشيعة فقتلوا منهم وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعا فى النهب وانبسطت أيدى العامة فى الشيعة وأغراهم عامل القيروان وحرضهم وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد فبلغه ان المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده فقتل من الشيعة خلق كثير وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا فى جميع افريقية واجتمع جماعة منهم الى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به فحصرهم العامة وضيقوا عليهم فاشتد عليهم الجوع فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ولجأ من كان منهم بالمهدية الى الجامع فقتلوا كلهم وكانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة الى أبى عبد الله الشيعى وكان من المشرق وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة ففرح مسرور ومن بالك حزين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول احترقت قبة مشهد الحسين والاروقة وكان سببه انهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا فى الليل على التازير فاحترق وتعدت النار وفيه أيضا احترق نهر طابق ودار القطن وكثير من باب البصرة واحترق جامع سر من رأى وفيها تشعث الركن اليمانى من البيت الحرام وسقط حائط بين يدى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووقعت القبة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس وفيها كانت فتنة كبيرة بين أهل السنة والشيعة بواسط فانتصر أهل السنة وهرب وجوه الشيعة والعلويين الى على بن مزيد فاستنصروه وفيها فى رجب مات محمد بن أحمد بن القاسم بن اسمعيل أبو الحسين الضبى القاضى المعروف بابن المحاملى وكان من أعيان الفقهاء الشافعية وكبار المحدثين مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ومحمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم أبو عمر البسطامى الواعظ الفقيه الشافعى ولى قضاء نيسابور

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة﴾

﴿ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان﴾

فى هذه السنة خرج الترك من الصين فى عدد كثير يزيدون على ثلثمائة ألف خركاه من أجناس الترك منهم الخطابية الذين ملكوا ماوراء النهر وسيرد خبر ملكهم ان شاء الله تعالى وكان سبب خروجهم ان طغان خان ملك تركستان مرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا فى البلاد لذلك فساروا اليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام فلما بلغه الخبر كان بها مريضا فسأل الله تعالى أن يعافيه لينتقم من الكفرة ويحمى البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة ألف وعشرون ألفا فلما بلغ الترك خبر عافيته

خلقت فيها انخفاض وانحدار بينما المرء على اعلائها اذ هوى فى هوة منها انحدار انما متعة قوم ساعة وحياة المرء ثوب مستعار

(قال المسعودى) وللواثق أخبار حسان مما كان فى أيامه من الاحداث وما كان يجرى من المباحثة فى مجلسه الذى عقده للمناظرين الفقهاء والمتكلمين فى أنواع العلوم من العقليات والسمعيات فى جميع الفروع والاصول وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب فى باب خلافة القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار فى أخلاق الخلفاء من بنى العباس لمعنى أوجب ايرادها فى باب خلافة القاهر

* واعتل الواثق فصلى بالناس يوم النحر أحمد بن أبى دواد وكان قاضى القضاة فدعا فى خطبته للواثق فقال اللهم اشفه مما ابتليته وقد قدمنا فيما سلف من أخباره فى هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته

﴿ذكر خلافة المتوكل على الله﴾

وبويع جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله فلما كان فى اليوم الثانى لقبه أحمد بن أبى دواد المتوكل على الله وذلك فى اليوم الذى مات فيه الواثق أخوه وهو يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتى ألف رجل وأسر نحو مائة ألف وغنم من الدواب والحركاهات وغير ذلك من الاوانى الذهبية والفضية ومعمول الصين مالا عهد لاحد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وكان عادلا خيرا دينا يحب العلم وأهله ويميل الى أهل الدين ويصلهم ويقربهم وما أشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصارى وقد تقدمت فى غزوة الخندق وقيل كانت هذه الحادثة مع أحمد بن على قراخان أخى طغان خان وانها كانت سنة ثلاث وأربعمائة

﴿ ذكر ملك أخيه أرسلان خان ﴾

لما مات طغان خان ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ولقبه شرف الدولة فخالف عليه قدرخان يوسف بن بغراخان هرون بن سليمان الذى ملك بخارا وقد تقدم ذكره وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند وكاتب يمين الدولة يستنجده على ارسلان خان فعقد على جيحون جسرا من السفن وضبطه بالسلاسل فعبر عليه ولم يكن يعرف هناك قبل هذا وأغاره على أرسلان خان ثم ان يمين الدولة خافه فعاد الى بلاده فاصطلح قدرخان وأرسلان خان على قصد بلاد يمين الدولة واقتسامها وسارا الى بلخ وبلغ الخبر الى يمين الدولة فقصدهما واقتتلوا وصبر الفريقان ثم انهزم الترك وعبروا جيحون وكان من غرق منهم أكثر ممن نجا وورد رسول متولى خوارزم الى يمين الدولة يهنئه بالفتح عتيب الوقعة فقال له من أين علمتم فقال من كثرة القلانس التى جاءت على الماء وعبر يمين الدولة فشكا أهل تلك البلاد الى قدرخان ما يلقون من عسكر يمين الدولة فقال قد قرب الامر بيننا وبين عدونا فان ظفرنا منعناهم عنكم وان ظفر عدونا فقد استرحتم منا ثم اجتمع هو وقدرخان وأكلا طعاما وكان قدرخان عادلا حسن السيرة كثير الجهاد فى فتوحه ختن وهى بلاد بين الصين وتركستان وهى كثيرة العلماء والفضلاء وبقى كذلك الى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فتوفى فيها وكان يديم الصلاة فى الجماعة ولما توفى خلف ثلاث بنين منهم أبو شجاع ارسلان خان وكان له كاشغر وختن وبلاساغون وخطب له على منابرها وكان لقبه شرف الدولة ولم يشرب الخمر قط وكان دينا مكرما للعلماء وأهل الدين فقصدوه من كل ناحية فوصلهم واحسن اليهم وخلف أيضا بغراخان بن قدرخان وكان له طراز واسبيجاب فقدم أخوه ارسلان وأخذ مملكته فتحاربا فانهزم ارسلان خان وأخذ أسيرا فاودعوه الحبس وملك بلاده ثم ان بغراخان عهد بالملك لولده الاكبر واسمه حسين جغرى تكين وجعله ولى عهده وكان لبغراخان امرأة له منها ولد صغير فغاظها ذلك فعمدت اليه وسمته فمات هو وعدة من أهله وخنقت أخاه ارسلان خان ابن قدرخان وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وقتلت وجوه أصحابه وملكت ابنه واسمه ابراهيم وسيرته فى جيش الى مدينة تعرف ببرسخان وصاحبها يعرف ببنا التكين فظفر به بنا التكين وقتله وانهزم عسكره الى أمه واختلف أولاد بغراخان فقصدهم طغماج خان صاحب سمرقند

﴿ ذكر ملك طغماج خان وولده ﴾

وكان طغماج خان أبو المظفر ابراهيم بن نصر ايلك يلقب عماد الدولة وكان بيده سمرقند وفرغانة وكان أبوه زاهدا متعبدا وهو الذى ملك سمرقند فلما مات ورثه ابنه طغماج وملك بعده وكان طغماج متدينا لا يأخذ مالا حتى يستفتى الفقهاء فورد عليه أبو شجاع العلوى الواعظ وكان زاهدا فوعظه وقال له انك لا تصلح للملك فاغلق طغماج بابه وعزم على ترك الملك فاجتمع عليه أهل البلد

وتسمة أشهر وتسع ليال وأمه أم ولد حوارزمية يقال لها شجاع وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره وطرف مما كان فى أيامه ﴾

ولما افضت الخلافة الى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة فى الجدال والمراء لما كان عليه الناس فى أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة واظهر لباس ثياب الحمم وفضل ذلك على سائر الثياب واتبعه من فى داره على لبس ذلك وشمن الناس لبسه وبالغوا فى ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيده منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعى والرعية اليها فالباقى فى أيدى الناس الى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية وهى نوع من ثياب الملحم نهاية فى الحسن والصنع وجودة الصنع * وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وانضرها من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل ولم يكن المتوكل ممن يوصف فى عطائه وبذله بالجود ولا بتركه وامساكه بالبخل ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء

وقالوا فداخطأ هذا والقيام بامورنا متعين عليك بعد ذلك فتح بابه ومات سنة ستين وأربعمائة وكان السلطان ألب ارسلان قد قصد بلاده ونهبها أيام عمه طغرلبك فلم يقابل الشر بمثله وأرسل رسولا الى القائم بأمر الله سنة ثلاث وخمسين يهنيه بعوده الى مستقره ويسأل التقدم الى ألب ارسلان بالكف عن بلاده فاجيب الى ذلك وأرسل اليه الخلع والالقاب ثم فلج سنة ستين وكان فى حياته قد جعل الملك فى ولده شمس الملك فقصده أخوه طغان خان بن طغاج وحصره بسمرقند فاجتمع أهلها الى شمس الملك وقالوا له قد خرب أخوك ضياعنا وأفسدها ولو كان غيره لساعدناك ولكنه أخوك فلا ندخل بينكما فوعدهم المناجزة وخرج من البلد نصف الليل فى خمسمائة غلام معدين وكبس أخاه وهو غير محتاط فظفر به فهزمه وكان هذا وأبوه ماجيين قصده هرون بغراخان بن يوسف قدرخان وطغرل قراخان وكان طغاج قد استولى على ممالكهما وقاربا سمرقند فلم يظفرا بشمس الملك فصالحاه وعاداوصارت الاعمال المتاخمة لحيحون لشمس الملك وأعمال الخاهر فى أيديهما والحد بينهما خجندة وكان السلطان ألب ارسلان قد تزوج ابنة قدرخان وكانت قبله عند مسعود بن محمود بن سبكتكين وتزوج شمس الملك ابنة ألب ارسلان وزوج بنت عمه عيسى خان من السلطان سنكشاه وهى خاتون الجلالية أم الملك محمود الذى ولى السلطنة بعد أبيه وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى ثم اختلف ألب ارسلان وشمس الملك وسنذكر سنة خمس وستين عند قتل ألب ارسلان ثم مات شمس الملك فولى بعده أخوه خضرخان ثم مات فولى ابنه أحمد خان وهو الذى قبض عليه ملكشاه ثم أطلقه وأعاده الى ولايته سنة خمس وثمانين وسنذكره هنالك ان شاء الله تعالى ثم ان جنده ثاروا به فقتلوه وملك بعده محمود خان وكان جده من ملوكهم وكان أصم فقصده طغانخان بن قراخان صاحب طراز فقتله واستولى على الملك واستناب بسمرقند أبا المعالى محمد بن زيد العلوى البغدادى فولى ثلاث سنين ثم عصى عليه فحاصره طغانخان وأخذه وقتله وقتل خلقا كثيرا معه ثم خرج طغانخان الى ترمذ يريد خراسان فلقيه سلطان سنجر وظفر به وقتله وصارت أعمال ماوراء النهر له فاستناب بها محمد خان بن سليمان بن ابراهيم بن طغاج خان وأخذها منه عمر خان وملك سمرقند ثم هرب من جنده وقصد خوارزم فظفر به السلطان سنجر فقتله وولى سمرقند محمد خان وولى بخارا محمد تكين بن طغانتكين

﴿ ذكر كاشغر وتركستان ﴾

واما كاشغر وهى مدينة تركستان فانها كانت لارسلانخان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا ثم صارت بعده لمحمود بغراخان صاحب طراز والشاش خمسة عشر شهرا ثم مات فولى بعده طغرلخان بن يوسف قدرخان فاستولى على الملك وملك بلاساغون وكان ملكه ست عشرة سنة ثم توفى وملك ابنه طغرلتكين وأقام شهرين ثم أتى هرون بغراخان أخو يوسف طغرلخان بن طغاج بغراخان وعبر كاشغر وقبض على هرون وأطاعه عسكره وملك كاشغر وختن وما يتصل به الى بلاساغون وأقام مالكا تسعا وعشرين سنة وتوفى سنة ست وتسعين وأربعمائة فولى ابنه أحمد بن ارسلانخان وأرسل رسولا الى الخليفة المستظهر بالله يطلب منه الخلع والالقاب فأرسل اليه ما طلب ولقبه نور الدولة

﴿ ذكر وفاة مهذب الدولة وحال البطيحة بعده ﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى مهذب الدولة أبو الحسن على بن نصر ومولده سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو الذى نزل عليه القادر بالله وكان سبب موته انه افتصد فانتفخ ساعده ومرض

والمتقدمين الى ذلك والمحدث له وأحدث أشياء من نوع ماذكر فاتبعه فيها الاغلب من خواصه وأكثر رعيته فلم يكن فى وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا أفضال أو يتعالى عن مجون وطرب * وكان الفتح بن خاقان التركى مولاه اغلب الناس عليه وأقربهم منه وأكثرهم تقدما عنده ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله ويخاف شره وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب وألف كتابا فى الادب ترجمه بكتاب البستان * واحدث المتوكل فى أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكعبين والاروقة وذلك أن بعض سماره حدثه فى بعض الليالى أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر أحدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجة بها وصيله نحو هذا فلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكعبان ميمنة وميسرة ويكون فى البيتين اللذين هما الكعبان من يقرب منه من خواصه وفى اليمين منهما خزانة الكسوة وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد

منه واشتد مرضه فلما كان قبل وفاته بثلاثة أيام تحدث الجند باقامة ولده أبي الحسين أحد مقامه فبلغ ابن أخت مهذب الدولة وهو أبو محمد عبد الله بن بنى فاستدعى الديلم والاتراك ورغبهم ووعدهم واستحلفهم لنفسه وقرر معهم القبض على أبي الحسين بن مهذب الدولة وتسليمه اليه فمضوا اليه ليلا وقالوا له أنت ولد الامير ووارث الامر من بعده فلو قمت معنا الى دار الامارة ليظهر أمرك وتجتمع الكلمة عليك لكان حسنا فخرج من داره معهم فلما فارقها قبضوا عليه وحملوه الى أبي محمد فسمعت والدته فدخلت الى مهذب الدولة قبل موته بيوم فاعلمته الخبر فقال أي شئ أقدر أعمل وأنا على هذه الحال وتوفي من العد وولي الامر أبو محمد وتسلم الاموال والبلد وأمر بضرب أبي الحسين بن مهذب الدولة فضرب ضربا شديدا توفي منه بعد ثلاثة أيام من موت أبيه وبقي أبو محمد أميرا الى منتصف شعبان وتوفي بالدبحة وكان قد قال قبل موته رأيت مهذب الدولة في المنام وقد أمسك حلقي ليخنقني ويقول قتلت ابني أحمد وقابلت نعمتي عليك بذلك فمات بعد أيام فكان ملكه أقل من ثلاثة أشهر فلما توفي اتفق الجماعة على تأمير أبي عبد الله الحسين بن بكر الشرابي وكان من خواص مهذب الدولة فصار أمير البطيحة وبذل للملك سلطان الدولة بذولا أقره عليها وبقي الى سنة عشر وأربعمائة فسير اليه سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري فملك البطيحة واسر أبا عبد الله الشرابي وبقي عنده أسيرا الى ان توفي صدقة وحلص على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر وفاة علي بن مزيد وامارة ابنه دبيس ﴾

في هذه السنة في ذي القعدة توفي أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي وقام بعده ابنه نور الدولة أبو الاغر دبيس وكان أبوه قد جعله ولي عهده في حياته وخلع عليه سلطان الدولة وأذن في ولايته فلما توفي والده احتلمت العشيرة على دبيس فطلب أخوه المقلد بن أبي الحسن على الامارة وسار الى بغداد وبذل للاتراك بذولا كثيرة ليعاضدوه وسار معه منهم جمع كثير وكبسوا دبيسا بالنعمانية ونهبوا حلته فانهزم الى نواحي واسط وعاد الاتراك الى بغداد وقام الاثير الخادم بأمر دبيس حتى ثبت قدمه ومضى المقلد أخو الى بني عقيل ونذكر باقي أخباره موضعها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة ضعف أمر الديلم ببغداد وطمع فيهم العامة فاتحدروا الى واسط فخرج اليهم عامتها واتراكها وقاتلوهم فدفع الديلم عن أنفسهم وقتلوا من اتراك واسط وعامتها خلقا كثيرا وعظم أمر العيارين ببغداد فأفسدوا ونهبوا الاموال وفيها توفي الحاجب أبو طاهر سباشي المشطب وكان كثير المعروف وأبو الحسن الهمالي وكان متولي البصرة وغيرها وهو الذي مدحه مهيار بقوله

* استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وفيها قدم سلطان الدولة بغداد وضرب الطبل في أوقات الصلاة الخمس ولم تجر به عادة انما كان عضد الدولة يعمل ذلك في أوقات ثلاث صلوات وفيها هرب ابن سهلان من سلطان الدولة الى هيت وأقام عند قرواش وولى سلطان الدولة موضعه أبا القاسم جعفر بن أبي الفرج بن مسافجس ومولده ببغداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ من الشيعة وبين غيرهم من أهل السنة اشتدت وفيها استتاب القادر بالله المعتزلة والشيعة وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم ونهى عن المناظرة في شئ منها ومن فعل ذلك نكل به وعوقب

الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك اتماما بعمله واشهارا لهذه الغاية وبايع لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله والمستعين بالله وفي ذلك يقول ابن المدبر في ذكره لهذه البيعة بايعه مثل بيعة الشجرة فيها الكل الخلائق الخيره
أكدها جعفر وصيرها
الى بنيه الثلاثة البرره
وفي ذلك يقول علي بن الجهم
قل للخليفة جعفر يا ذا الندى
وابن الخلائف والائمة والهدى
لما اردت صلاح دين محمد
وليت عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد
وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا
وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس السفاح بعائة سنة وبعد موت العباس ابن عبد المطلب بعائتي سنة وقد قيل غير ذلك والله أعلم على تفاوت التواريخ في كمية أوقاتهم وعدد سنيهم والزيادة في الايام والشهور والنقصان عن مدة ملكهم وقد كان خط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر قبض أمواله وجميع ما كان له ولذي مكانته

﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة﴾

﴿(ذكر ولاية ابن سهلان العراق)﴾

فى هذه السنة عرض سلطان الدولة على الرخجى ولاية العراق فقال ولاية العراق تحتاج الى من فيه عسف وخرق وليس غير ابن سهلان وانا اخلفه ههنا فولاه سلطان الدولة العراق فى المحرم فسار من عند سلطان الدولة فلما كان ببعض الطريق ترك ثقله والكتاب وأصحابه وسار جريدة فى خمسمائة فارس مع طراد بن دبيس الاسدى يطلب مهارش ومضر ابنى دبيس وكان مضر قد قبض قديما عليه بأمر فخر الملك فكان يبغضه لذلك وأراد ان يأخذ جزيرة بنى أسد منه ويسلمها الى طراد فلما علم مضر ومهارش قصده لهما سارا عن الذارقية مهما والحر شديد فكاد يهلك هو ومن معه عطشا وكان من لطف الله به ان بنى أسد اشتغلوا بجمع أموالهم وابعادها وبقى الحسن بن دبيس فقاتل قتالا شديدا وقتل جماعة من الديلم والاتراك ثم انهزموا ونهب ابن سهلان أموالهم وصان حرمهم ونساءهم فلما نزل فى خيمته قال الآن ولدتنى أمى وبذل الامان لمهارش ومضر وأهلهما وأشرك بينهما وبين طراد فى الجزيرة ورحل وانكر على سلطان الدولة فعله ذلك ووصل الى واسط والفتن بها قائمة فأصلحها وقتل جماعة من أهلها وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد فسار اليها فدخلها أواخر شهر ربيع الآخر فهرب منه العيارون ونفى جماعة من العباسيين وغيرهم ونفى أبا عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة ونزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة ولم يكن قبل ذلك فعملوا من الفساد ما لم يشاهد مثله فى ذلك ان رجلا من المستورين اغلق بابه عليه خوفا منهم فلما كان أول يوم من شهر رمضان خرج لحاجته فرآهم على حال عظيم من شرب الخمر والفساد فأراد الرجوع الى بيته فأكرهوه على الدخول معهم الى دار نزلوها وألزموه بشرب الخمر فامتنع فصبوها فى فيه قهرا وقالوا له قم الى هذه المرأة فافعل بها فامتنع فألزموه فدخل معها الى بيت فى الدار وأعطاها دراهم وقال هذا أول يوم فى رمضان والمعصية فيه تتضاعف وأحب ان تخبريهم انى قد فعلت فقالت لا كرامة ولا عزازة أنت تصون دينك عن الزنا وانا أريد ان اصون امانتى فى هذا الشهر عن الكذب فصارت هذه الحكاية سائرة فى بغداد ثم ان أبا محمد بن سهلان افسد الاتراك والعامة فاتحد الاتراك الى واسط فلقوا بها سلطان الدولة فشكوا اليه فسكنهم ووعدهم الاصعاد الى بغداد واصلاح الحال واستحضر سلطان الدولة ابن سهلان فخافه ومضى الى بنى خفاجة ثم أصعد الى الموصل فاقام بها مدة ثم انحدر الى الانبار ومنها الى البطيحة فارسل سلطان الدولة الى البطيحة رسولا يطلبه من الشرابى فلم يسلمه فسير اليها عسكرا فانهزم الشرابى واتحد ابن سهلان الى البصرة فاتصل بالملك جلال الدولة وكان الرخجى قد خرج مع ابن سهلان الى الموصل ففارقه بها واصلح حاله مع سلطان الدولة وعاد اليه

﴿(ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية)﴾

فى هذه السنة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد وأعد اكثر مما تقدم وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وهرب صاحبها منه ويلقب رأى قنوج ومعنى رأى هو لقب الملك كقيصر وكسرى فلما عاد الى غزنة أرسل يدا للمين وهو أعظم ملوك الهند مملكة وأكثرهم جيشا وتسمى مملكته كجورا هة رسلا الى رأى قنوج واسمه راجيبال يوبخه على انهزامه واسلام بلاده للمسلمين وطال الكلام بينهما وآل أمرهما الى الاختلاف وتأهب كل واحد منهما لصاحبه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل راجيبال وأتى القتل على أكثر جنوده فازداد بيدا غيظا

أبا الوزير وقد كان ابن الزيات الى داخل قاعة مثل رؤس المسال فى أيام وزارته للمعتصم والواثق فكان يعذب الناس فيه فأمر المتوكل بادخاله فى ذلك التنور فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن يأذن له فى دواة وبطاقة ليكتب فيهما يريد فاستأذن المتوكل فى ذلك فاذن له فكتب

هى السبيل فمن يوم الى يوم كأنه ما تريك العين فى النوم
لا تجزعن رويدا انها دول دنيا تنقل من قوم الى قوم

قال وتشاغل المتوكل فى ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه فلما كان الغد قرأها فأمر باخراجه فوجده ميتا وكان حبسه فى ذلك التنور الى ان مات أربعين يوما وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا وهو القائل فى تحريض المأمون على ابراهيم بن المهدى حين خرج عليه

ألم تر أن الشئ للشئ علة يكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جرينا الامور وانما يدلك ما قد كان قبل على البعد

وظن بابراهيم أن فكاكه سيبعث يوما مثل أيامه النكد

تذكر أمير المؤمنين قيامه وأيامه فى الهزل منه وفى الجد
اذا هز أعواد المنابر باسمه * تغنى بليلى أو بمية أو هند

فى شعر طويل جدا ومن شعره قوله فى مرثية اتفق

اتفق له شرا وعتوا وبعد صيت في الهند وعلوا وقصده بعض ملوك الهند الذي ملك يمين الدولة بلاده وهزمه وابادا جناده وصار في جملته وخدمه والتحا اليه فوعده باعادة ملكه اليه وحفظ ضالته عليه واعتذر بهجوم الشتاء وتتابع الانداء فتمت هذه الاخبار الى يمين الدولة فأزعجته وتجهز للغزو وقصد بيدا وأخذ ملكه منه وسار عن غزنة وابتدأ في طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون في الارض ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها وغنم أموالهم وأكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من أموالهم الكثير ثم استقل على المسير وبلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته وعبر نهر كنك ولم يعبره قبلها فلما جازه رأى قفلا قد بلغت عدة أحمالهم ألف عدد فغنمها وهي من العود والاسمنة الفائقة وجذبه السير وأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له برو جيبال قد سار من بين يديه ماتجئا الى بيد الجتمي به عليه فطوى المراحل فلحق برو جيبال ومن معه رابع عشر شعبان وبينه وبين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال ثم عبر هو وباقي العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم وانهزم برو جيبال ومن معه وكثر فيه القتل والاسر وأسلموا أموالهم وأهليهم فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر وأخذ ما يزيد على مائتي فيل وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحا وتحير في أمره وأرسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره ما لا يحصى وسار برو جيبال ليلحق ببيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والاتاوة وسار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة باري وهي من أحصن القلاع والبلاد وأقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة وقتل من أهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل الى جانب نهر وأجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يسابق منه اذا أراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل وسبعمائة وستة وأربعين فيلا فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج اليهم بيدا مثلهم ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد بكر يمين الدولة اليهم فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا الطريق الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنموا الجميع واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم في الغياض والآجام وأكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدا فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزنة منصورا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قبض سلطان الدولة على وزيره ابن فسانجس واخوته وولى وزارته ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور ومولده بسيراف سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة وفيها توفي الغالب بالله ولي عهد أبيه القادر بالله في شهر رمضان وتوفي أيضا أبو أحمد عبد الله بن محمد بن أبي علان قاضي الاهواز ومولده سنة احدى وعشر بن وثلثمائة وله تصانيف حسنة وكان معتزليا وفي هذه السنة مات عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان الحافظ المصري صاحب المؤتلف والمختلف ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وتوفي رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الانصناوي وانصناما من قرى مصر وهو من الفقهاء المالكية وسمع الحديث الكثير

حمائله والبرد تشهد أنه
هو الطيب الاولى الذي
كان يعرف
أقول ومن حق الذي قلت
أنني
أقول وأني بعد ذاك
وأحلف
لما هاب أهل الظلم مثلك
سائسا
ولا أنصف المظلوم مثلك
منصف
وقد أتينا على أخباره وما
استحسن من أشعاره في
الكتاب الاوسط فكانت
أيام أبي الوزير في الوزارة
يسيرة وقد كان اتخذ
للوزارة محمد بن الفضل
الجرجاني ثم صرفه فاستكتب
عبيد الله بن يحيى سنة ست
وثلاثين ومائتين الى أن
قتل وقد أتينا في الكتاب
الاوسط على أخباره
واتصاله بالمتوكل وأخبار
الفتح بن خاقان (وذكر)
محمد بن يزيد المبرد قال
ذكرت للمتوكل منازعة
جرت بينه وبين الفتح بن
خاقان في تأويل آية وتنازع
الناس في قراءتها فبعث
الي محمد بن القاسم بن محمد
ابن سليمان الهاشمي
وكانت اليه البصرة
فحملني اليه مكرما فلما
اجتزت بناحية النعمان
بين واسط وبغداد ذكر لي
أن بدير هرقل جماعة من
المجانين يعالجون فلما
حاذيته دعتني نفسي الى دخوله فدخلته وهي شاب ممن يرجع الى دين وأدب فاذا أنا بمجنون من

﴿ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة﴾

فى هذه السنة قبض الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة على وزيره أبى سعد عبد الواحد بن على بن ماكولا وكان ابن عمه أبو جعفر محمد بن مسعود كاتبا فاضلا وكان يعرض الديلم لعضد الدولة ولابى سعد شعر منه

وان لقائى للشجاع لهين * ولكن حمل الضيم منه شديد
اذا كان قلب المرء ينبو عن الوغى * فان جنانى حلمد وحديد

وفيها توفى وثاب بن سابق النميرى صاحب حران وأبو الحسن بن أسد الكاتب وأبو بكر محمد بن عبد السلام الهاشمى القاضى بالبصرة وأبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمى الفقيه الحنبلى البغدادى عم أبى محمد قال أبو الفضل سمعت أبا الحسن بن القصاب الصوفى قال دخلت أنا وجماعة الى البيمارستان ببغداد فرأينا شابا مجنونا شديد الهوس فولعنابه فرد بفصاحة وقال انظروا الى شعور مطررة وأجساد معطرة وقد جعلوا اللهو صناعة واللعب بضاعة وجانبوا العلم رأسا فقلت اتعرف شيأ من العلم فنسألك قال نعم ان عندى علما جما فاسألونى فقال بعضنا من الكريم فى الحقيقة قال من رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون ثومة فأضحكنا فقال آخر من أفل الناس شكرا فقال من عوفى من بلية ثم رآها فى غيره فترك الاعتبار فان الشكر عليها واجب فأبكانا بعد ان أضحكنا فقلنا ما الظرف قال خلاف ما أنتم عليه ثم قال اللهم ان لم ترد عقلى فرد يدى لاصفع كل واحد منهم صفعة فتركناه وانصرفنا وفيها مات الاصيفر المتفقى الذى كان يؤذى الحاج فى طريقهم وأبو بكر أحمد ابن موسى بن مردويه الحافظ الاصبهانى وعبد الصمد بن بابك أبو القاسم الشاعر قدم على الصاحب بن عباد فقال أنت ابن بابك فقال أنا ابن بابك فاستحسن قوله

﴿ثم دخلت سنة احدى عشرة وأربعمائة﴾

﴿(ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر)﴾

فى هذه السنة ليلة اثنتين لثلاث بقين من شوال فقد الحاكم بأمر الله أبو على المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العلوى صاحب مصر بها ولم يعرف له خبر وكان سبب فقده أنه خرج يطوف ليلة على رسمه وأصبح عند قبر الفقاعى وتوجه الى شرقى حلوان ومعه ركابيان فأعاد أحدهما مع جماعة من العرب الى بيت المال وأمرهم بجائزة ثم عاد الركابى الآخر وذكر انه خلفه عند العين والمقصبة وبقى الناس على رسمهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه الى سلخ شوال فلما كان ثالث ذى القعدة خرج مظفر الصقلبى صاحب المظلة وغيره من خواص الحاكم ومعهم القاضى فبلغوا حلوان ودخلوا فى الجبل فبصروا بالحمار الذى كان عليه راكبا وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا الاثر فانتهوا به الى البركة التى شرقى حلوان فرأوا ثيابه وهى سبع قطع صوف وهى مزررة بحالها لم تحل وفيها اثر السكاكين فعادوا ولم يشكوا فى قتله وقيل كان سبب قتله أن أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله فكانوا يكتبون اليه الرقاع فيها اسمه وسب أسلافه والدعاء عليه حتى انهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة فلما رآها ظن انها امرأة تشتكى فأمر بأخذ الرقعة منها فقرأها وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره فأمر بطلب المرأة فقيل انها من قراطيس فأمر باحراق مصر ونهبها ففعلوا ذلك وقاتل أهلها أشد قتال وانضاف اليهم فى اليوم الثالث الاتراك والمشارقة فقويت شوكتهم وأرسلوا الى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون فلم يقبل فصاروا الى التهديد فلما رأى قوتهم أمر

فقلت والله أحسنت فاسترده فقال أراك كلما أنشدتك استزدتنى وما

بالكف

الجفانين قد دنا الى فقلت ما يقعدك
ان وصفونى فناحل الجسد
أو فتشونى فأبيض الكبد
أضعف وجدى وزاد فى سقمى
أن است أشكو الهوى الى أحد
وضعت كفى على فؤادى من
حر الاسى وانطويت فوق يدى
آه من الحب آه من كبدى
ان لم أمت فى غد فبعد غد
كأن قلبى اذا تذكرهم
فريسة بين ساعدى أسد
فقلت أحسنت لله درك زدنى فانشأ يقول
ما أقتل البين للنفوس وما
أوجع فقد الحبيب للكبد
عرضت نفسى من البلاء لما
أسرف فى هجرتى وفى جلدى
يا حسرتى أن أموت معتقلا
بين اعتلاج الهموم والكمد
فى كل يوم يفيض معوله
عينى لعضو يموت فى جسدى
فقلت أحسنت لا فض فوك زدنى فانشأ يقول
الله يعلم أنى كمد
لا أستطيع أبث ما أجد
نفسان لى نفس تضمنها
بلد وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها
صبر وليس يعينها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى
بمكانها تجد الذى أجد

بالكف عنهم وقد احرق بعض مصر ونهب بعضها وتتبع المصريون من أخذ نساءهم وأبناءهم فابتاعوا ذلك بعد أن فضحوهن فازداد غيظهم منه وحنقهم عليه ثم انه أوحش أخته وأرسل اليها مراسلات قبيحة يقول فيها بلغني ان الرجال يدخلون اليك وتهددها بالقتل فأرسلت الى قائد كبير من قواد الحاكم يقال له ابن دواس وكان أيضا يخاف الحاكم تقول له انني أريد ان ألقاك فحضرت عنده وقالت له قد جئت اليك في أمر تحفظ فيه نفسك ونفسي وأنت تعلم ما يعتقده أخي فيك وانه متى تمكن منك لا يبقي عليك وانا كذلك وقد انضاف الى هذا ما نظاهر به مما يكرهه المسلمون ولا يصبرون عليه وأخاف ان يثوروا به فيهلك هو ونحن معه وتنقلع هذه الدولة فأجابها الى ما تريد فقالت انه يصعد الى هذا الجبل غدا وليس معه غلام الا الركابي وصبي وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبي وتقيم ولده بعده وتكون أنت مدبر الدولة وأزيد في أقطاعك مائة ألف دينار فأقام رجلين وأعطتهما هي ألف دينار ومضيا الى الجبل وركب الحاكم على عادته وسار منفردا اليه فقتلاه وكان عمره ستا وثلاثين سنة وتسعة أشهر وولايته خمسا وعشرين سنة وعشرين يوما وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل دولته وغيرهم وكانت سيرته عجيبة منها انه أمر في صدر خلافته بسب الصحابة رضي الله عنهم وان تكتب على حيطان الجوامع والاسواق وكتب الى سائر عماله بذلك وكان ذلك سنة خمس وتسعين وثلثمائة ثم أمر بعد ذلك بمدة بالكف عن السب وتأديب من يسبهم أو يذكرهم بسوء ثم أمر في سنة تسع وتسعين بترك صلاة التراويح فاجتمع الناس بالجامع العتيق وصلى بهم امام جميع رمضان فأخذه وقتله ولم يصل أحد التراويح الى سنة ثمان وأربعمائة فرجع عن ذلك وأمر باقامتها على العادة وبنى الجامع بالشدة وأخرج الى الجوامع والمساجد من الآلات والمصاحف والستور والحصر مالم ير الناس مثله وحمل أهل الذمة على الاسلام أو المسير الى مأمنهم أو لبس الغيار فأسلم كثير منهم ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له انني أريد العود الى ديني فيأذن له ومنع النساء من الخروج من بيوتهن وقتل من خرج منهن فشكي اليه من لا قيم لها يقوم بأمرها فأمر الناس أن يحملوا كل ما يباع في الاسواق الى الدروب ويبيعوه على النساء وأمر من يبيع أن يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل يمده الى المرأة وهي من وراء الباب وفيه ما تشتريه فاذا رضيت وضعت الثمن في المغرفة وأخذت ما فيها فتلا براها فقال الناس من ذلك شدة عظيمة ولما فقد الحاكم ولي الامر بعده ابنه أبو الحسن علي ولقب الظاهر لاعزاز دين الله وأخذت له البيعة ورد النظر في الامور جميعها الى الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي

﴿ ذكر ملك مشرف الدولة العراق ﴾

في هذه السنة في ذي الحجة عظم أمر أبي علي مشرف الدولة بن بهاء الدولة وخوطب بأمير الامراء ثم ملك العراق وأزال عنه أخاه سلطان الدولة وكان سببه ان الجند شغبوا على سلطان الدولة ومنعوه من الحركة وأراد ترتيب أخيه مشرف الدولة في الملك فأشير على سلطان الدولة بالقبض عليه فلم يمكنه ذلك وأراد سلطان الدولة الانحدار الى واسط فقال الجند اما أن تجعل عندنا ولدك أو أخاك مشرف الدولة فراسل أخاه بذلك فامتنع ثم أجاب بعد معاودة ثم انهما اتفقا واجتمعا ببغداد واستقر بينهما انهما لا يستخدمان ابن سهلان وفارق سلطان الدولة بغداد وقصد الاهواز واستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق فلما انحدر سلطان الدولة ووصل الى تستر استوزر ابن سهلان فاستوحش مشرف الدولة فأنفذ سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاه

أي العيون على ذا ليس تنهمل
تالله ما جلدي من بعدهم جلد
ولا اختزان دموعي عنهم بخل
بلى وحرمة ما ألقين من خجل
قابي اليهن مشتاق وما رحلوا
وددت أن البحار السبع لي مدد
وأن جسمي دموع كلها هطل
وأن لي بدلا من كل جائحة
في كل جارحة يوم النوى مقل
لا در در النوى لو صادفت جبلا
لانهد منها وشيكا ذلك الجبل
الهجر والبين والواشون والابل
طلائع يتراءى أنها الاجل
فقال المجنون أحسنت وقد حضرني في معنى ما أنشدت الى شعر أفانشده قلت هات فأنشأ يقول
ترحلوا ثم نيطت دونهم سجف
لو كنت املكهم يوما لما رحلوا
ياحادي العيس مهلا كي نودعها
رفقا قليلا ففي توديعها الاجل
اني على العهد لم انقض مودتهم

ما راعني اليوم شئ غير فقدهم * حتى استقلت وسارت بالدمى الابل

مشرف الدولة من العراق فجمع مشرف الدولة عسكرا كثيرا منهم أتراك واسط وأبو الاغر دبيس بن علي بن مزيد والتقى ابن سهلان عند واسط فانهزم ابن سهلان وتحصن بواسط وحاصره مشرف الدولة وضيق عليه فغلت الاسعار حتى بلغ الكر من الطعام ألف دينار قاسانية وأكل الناس الدواب حتى الكلاب فلما رأى ابن سهلان ادبار أموره سلم البلد واستخلف مشرف الدولة وخرج اليه وخوطب حينئذ مشرف الدولة بشاهنشاه وكان ذلك في آخر ذي الحجة ومضت الديلم الذين كانوا بواسط في خدمته وسار وامعه فخلف لهم وأقطعهم واتفق هو وأخوه جلال الدولة أبو طاهر فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار عن الاهواز الى ارجان وقطعت خطبته من العراق وخطب لاخيه ببغداد آخر المحرم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقبض على ابن سهلان وكحل ولما سمع سلطان الدولة بذلك ضعفت نفسه وسار الى الاهواز في أربعمائة فارس فقلت عليهم الميرة فنهبوا السواد في طريقهم فاجتمع الاتراك الذين بالاهواز وقاتلوا أصحاب سلطان الدولة ونادوا بشعار مشرف الدولة وسار وامنها فقطعوا الطريق على قافلة وأخذوها وانصرفوا

﴿ذكر ولاية الظاهر لاعزاز دين الله﴾

لما قتل الحاكم على ماذكرناه بقي الجند خمسة أيام ثم اجتمعوا الى أخته واسمها ست الملك وقالوا قد تأخر مولانا ولم تجر عادته بذلك فقالت قد جاءتني رقعته يأتي بعد غد فتفرقوا وبعثت الاموال الى القواد على يد ابن دواس فلما كان اليوم السابع البست أبا الحسن علي ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس وكان الجند قد حضروا للميعاد فلم يرعهم الا وقد أخرج أبو الحسن وهو صبي والوزير بين يديه فصاح يا عبيد الدولة مولانا تقول لكم هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه فقبل ابن دواس والقواد الذين أرسلت اليهم الاموال ودعوا له فتبعهم الباقون ومشوا معه ولم يزل راكبا الى الظهر فنزل ودعا الناس من الغد فبايعوا له ولقب الظاهر لاعزاز دين الله وكتبت الكتب الى البلاد بمصر والشام بأخذ البيعة له وجمعت أخت الحاكم الناس ووعدتهم وأحسنت اليهم ورتبت الامور ترتيبا حسنا وجعلت الامر بيد ابن دواس وقالت له انا نريد ان نرد جميع أحوال المملكة اليك ونزيدك في اقطاعك ونشرفك بالخلع فاختر يوما يكون لذلك فقبل الارض ودعا وظهر الخبر به بين الناس ثم أحضرته وأحضرت القواد معه وأغلقت أبواب القصر وأرسلت اليه خادما وقالت له قل للقواد ان هذا قتل سيدكم واضربه بالسيف ففعل ذلك وقتله فلم يختلف رجلان وباشرت الامور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الامور وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت

﴿ذكر الفتنة بين الاتراك والاكراد بهمذان﴾

في هذه السنة زاد شغب الاتراك بهمذان على صاحبهم شمس الدولة بن فخر الدولة وكان قد تقدم ذلك منهم غير مرة وهو يعلم عنهم بل يعجز قوى طمعهم فزادوا في التوثب والشغب وأرادوا اخراج القواد القوهية من عنده فلم يجبهم الى ذلك فعزموا على الايقاع بهم بغير أمره فاعتزل الاكراد مع وزيره تاج الملك أبي نصر بن بهرام الى قلعة برجين فسار الاتراك اليهم فحصروهم ولم يلتفوا الى شمس الدولة فكتب الوزير الى أبي جعفر بن كاكويه صاحب أصبهان يستنجده ويعين له ليلة يكون قدوم المساكر اليه فيها بغتة ليخرج هو أيضا تلك الليلة ليكبسوا الاتراك ففعل أبو جعفر ذلك وسير ألفي فارس وضبطوا الطرق لئلا يسبقهم الخبر وكبسوا الاتراك سحرا على غفلة

فلما ذكرناه وهو

وسقط ميتا فما برحت
حتى غسل وكفن وصليت
عليه ودفنته وورد
سر من رأى فأدخلت على
المتوكل وقد عمل فيه
الشراب فسئلت عن بعض
ماوردت له فأجبت وبين
يدي المتوكل البحتري
الشاعر فابتدأ ينشده
قصيدة يمدح بها المتوكل
وفي المجلس أبو العتاهية
الصيمري فأنشد البحتري
قصيدته التي أولها
عن أي ثغر تبتسم
وباي طرف تحتكم
حسن يضيء بحسنه
والحسن أشبه بالكرم
قال للخليفة جعفر ال
متوكل ابن المعتصم
المرتضى ابن المجتبي
والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهي من
أمنان عدلك في حرم
يابا بني المجد الذي
قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد
فاذا سلمت فقد سلم
تلنا الهدى بعد العمى
بك والغنى بعد العدم
فلما انتهى مشى القهقرى
للانصراف فوثب أبو
العنبس فقال يا أمير المؤمنين
تأمر برده فقد والله عارضته
في قصيدته هذه فأمر برده
فاخذ أبو العنبس ينشد
شيأ لولا أن في تركه بتر
الخبر لما ذكرناه وهو
من أي سلح تلتقم ● وبأي كف تلتطم

ونزل الوزير والقوهية من القلعة فوضعوا فيهم السيف فأكثروا القتل وأخذوا المال ومر سلم من الاتراك نجا فقيرا وفعل شمس الدولة بمن عنده فى هذان كذلك وأخرجهم فمضى ثلثمائة منهم الى كرمان وخدموا أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحبها

﴿ذكر القبض على أبى القاسم المغربى وابن فهد﴾

فى هذه السنة قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلد على وزيره أبى القاسم المغربى وعلى أبى القاسم سليمان بن فهد بالموصل وكان ابن فهد يكتب فى حداثته بين يدى الصابى وخدم المقلد بن المسيب وأصعد الى المرصل واقتنى بها ضياعا ونظر فيها لقرواش فظلم أهلها واصادرهم ثم سخط قرواش عليهما فحبسهما وطولب سليمان بالمال فادعى الفقر فقتل وأما المغربى فانه خدع قرواشا ووعده بمال له فى الكوفة وبغداد وأمر بحمله وتركه وفى قرواش وابن فهد والبرقعيدى وأبى جابر يقول الشاعر وهو ابن الزمكدم مادحا لابن قرواش هاجيا للباقين

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر فى خطبه وجنونه
الى ان بدا ضوء الصباح كأنه * سناوجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الابيات قد أجمع أهل البيان على انها غاية فى الجودة فلم يقل خيرا منها فى معناها

﴿ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن معن﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول اجتمع غريب بن معن ونور الدولة دبيس بن على بن مزيد الاسدى وأتاهم عسكر من بغداد فقاتلوا قرواشا ومعه رافع بن الحسين عند كرخ سرمن رأى فانهزم قرواش ومن معه وأسر فى المعركة ونهبت خزائنه وانقاله واستجار رافع بغريب وقصدوا تكريت عنوة وعاد عسكر بغداد اليها بعد عشرة أيام ثم ان قرواشا خلص وقصد سلطان بن الحسين بن غمال أمير خفاجة فسار اليهم جماعة من الاتراك فعاد قرواش انهزم ثانيا هو وسلطان وكانت الوقعة بينهم غربى الفرات ولما انهزم قرواش مد نواب السلطان أيديهم الى أعماله فأرسل يسأل الصفح عنه ويبذل الطاعة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها أغارت زناتة بافريقية على دواب المعز بن باديس صاحب البلاد ليأخذوها فخرج اليهم عامل مدينة قابس فقاتلهم فهزمهم وفيها فى ربيع الآخر نشأت سحابة بافريقية أيضا شديدة البرق والرعد وأمطرت حجارة كثيرة مارأى الناس أكبر منها فأهلك كل من أصابه شئ منها وفيها توفى أبو بكر محمد بن عمر العنبرى الشاعر وديوانه مشهور ومن قوله

ذنبى الى الدهر أنى لم أمد يدى * فى الراغبين ولم أطلب ولم أسل
وانى كلما نابت نوائبه * ألفيتنى بالرزايا غير محتفل

﴿ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخطبة لشرف الدولة ببغداد وقتل وزيره أبى غالب﴾

فى هذه السنة فى المحرم قطعت خطبة سلطان الدولة من العراق وخطب لشرف الدولة فطلب الديلم من شرف الدولة ان يخدر الى بيوتهم بخوزستان فأذن لهم وأمر وزيره أبا غالب بالانحدار معهم فقال له انى ان فعلت خاطرت بنفسى ولكن أبذلها فى خدمتك ثم انحدر فى العساكر فلما

حتى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى وقال يدفع الى أبى العنبس عشرة آلاف درهم فقال الفتح ياسيدى البحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع الى البحترى عشرة آلاف درهم قال ياسيدى وهذا البصرى الذى اشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه قال ويدفع اليه عشرة آلاف درهم فانصرفنا كلنا فى شفاعة الهزل ولم ينتفع البحترى بجده واجتهاده وحزمه ثم قال المتوكل لابى العنبس أخبرنى عن حمارك ووفائه وما كان من شعره فى الرؤيا التى أريتها قال نعم ياأمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ولم يكن له جرية ولا زلة فاعتل على غفلة فمات فما فرأيته فيما يرى النائم فقلت له ياحمارى ألم أبرد لك الماء وأنق لك الشعير وأحسن اليك جهدى فلم مت على غفلة وماخبرك قال نعم لما كان فى اليوم الذى وقفت على فلان الصيدلانى تكلمه فى كذا وكذا مرت بى أتان حسناء فرأيتها فأخذت بمجامع قلبى فعشقتها واشتد وجدى بها فمت كمدا متأسفا فقلت له ياحمارى فهل قلت فى ذلك شعرا قال نعم وأنشدنى هام قلبى بأتان عند باب الصيدلانى تيمتنى يوم رحن بثناياها الحسان

وصل الى الاهواز نادى الديلم بشعار سلطان الدولة وهجموا على أبى غالب فقتلوه فسار الاتراك الذين كانوا معه الى طراد بن دبيس الاسدى بالجزيرة التى لبنى دبيس ولم يقدروا ان يدفعوا عنه فكانت وزارته ثمانية عشر شهرا وثلاثة أيام وعمره ستين سنة وخمسة أشهر فأخذ ولده أبو العباس وصودر على ثلاثين ألف دينار فلما بلغ سلطان الدولة قتله اطمأن وقويت نفسه وكان قد خافه وأنفذ ابنه أبا كاليجار الى الاهواز فملكها

﴿ذكر وفاة صدقة صاحب البطيحة﴾

فى هذه السنة مرض صدقة صاحب البطيحة فقصدها أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين فى صفر ليملكها وكان أبو الهيجاء بعد موت أبيه قد تمزق فى البلاد تارة بعمرو تارة عند بدر بن حسنويه وتارة بينهما فلما ولى الوزير أبو غالب اتفق عليه لادب كان فيه فكاتبه بعض أهل البطيحة ليسلموا اليه فسار اليهم فسمع به صدقة قبل موته بيوم من فسير اليه جيشا فقاتلوه فانهزم أبو الهيجاء وأخذ أسيرا فأراد استبقاءه فمنعه سابور بن المرزبان بن مروان وقتله بيده ثم توفى صدقة بعد قتله فى صفر فاجتمع أهل البطيحة على ولاية سابور بن المرزبان فوليهم وكتب الى مشرف الدولة يطلب أن يقرر عليه ما كان على صدقة من الحمل و يستعمل على البطيحة فأجابه الى ذلك وزاد فى القرار عليه واستقر فى الامر ثم ان أبا نصر شير زاد بن الحسن بن مروان زاد فى المقاطعة فلم يدخل سابور فى الزيادة فولى أبو نصر البطيحة وسار اليها وفارقها سابور الى جزيرة بنى دبيس واستقر أبو نصر فى الولاية وأمنت به الطرق

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى على بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور واليه انتهى الخط ودفن بجوار أحمد بن حنبل وكان يقص بجامع بغداد ورثاه المرتضى وقيل كان موته سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وفيها هاج الناس من العراق وكان قد انقطع سنة عشر وسنة احدى عشرة فلما كان هذه السنة قصد جماعة من أعيان خراسان السلطان محمود بن سبكتكين وقالوا له أنت أعظم ملوك الاسلام وأثرك فى الجهاد مشهور والحج قد انقطع كما ترى والتشاغل به واجب وقد كان بدر بن حسنويه وفى أصحابك كثيرا عظم منه يسير الحاج بتدبيره وماله عشرين فاجعل لهذا الامر حظا من اهتمامك فتقدم الى أبى محمد الناصحى قاضى قضاة بلاده بأن يسير بالحاج وأعطاه ثلاثين ألف دينار يعطيها للعرب سوى النفقة فى الصدقات ونادى فى خراسان بالتأهب للحج فاجتمع خلق عظيم وساروا وحجهم أبو الحسن الاقساسى فلما بلغوا فيد حصرهم العرب فبذل لهم الناصحى خمسة آلاف دينار فلم يقنعوا وصمموا العزم على أخذ الحاج وكان مقدمهم رجلا يقال له حمار بن عدى بضم العين من بنى نبهان فركب فرسه وعليه درعه وسلاحه وجال جولة يرهب بها وكان من سمرقند شاب يوصف بجودة الرمى فرماه بسهم فقتله وتفرق أصحابه وسلم الحاج فحجوا وعادوا سالمين وفيها ولد أبو جعفر السمنانى الحسبة والمواريث ببغداد وتوفى

هذه السنة أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله المالينى الصوفى بمصر فى شوال وهو من المكثرين فى الحديث ومحمد بن أحمد بن محمد بن رزق البزاز المعروف بابن رزقويه شيخ الخطيب أبى بكر ومولده سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان فقيها شافعيا وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى الصوفى النيسابورى صاحب طبقات الصوفية وأبو على الحسن بن على الدقاق النيسابورى الصوفى شيخ أبى القاسم القشيرى وأبو الفتح بن أبى الفوارس

الشنغرانى فقال هذا من غريب الحمير فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم يشعر الحمار وفرح فى ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثله وزاد فى تكرمة أبى العنبس وجائزته (وحدث) أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوى قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال قال المتوكل لأبى الحسن على بن محمد ابن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ما يقول ولد أبيك فى العباس بن عبد المطلب قال وما يقول ولد أبى يا أمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعته بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم وأغا أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه فعرض وقد كان سعى بأبى الحسن على ابن محمد الى المتوكل وقيل له ان فى منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته فوجه اليه ليلا من الاتراك وغيرهم من هجم عليه فى منزله على غفلة ممن فى داره فوجد فى بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد فأخذ على ما وجد عليه وحمل الى المتوكل فى جوف الليل فمثل بين يديه

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة﴾

﴿(ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرف الدولة)﴾

فى هذه السنة اصطلح سلطان الدولة وأخوه مشرف الدولة وحلف كل واحد منهما لصاحبه وكان الصلح بسعى من أبى محمد بن مكرم ومؤيد الملك الزنجى وزير مشرف الدولة على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة

﴿(ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه)﴾

فى هذه السنة قتل المعز بن باديس صاحب افريقية وزيره وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن وسبب ذلك انه أقام سبع سنين لم يحمل الى المعز من الاموال شيأ بل يجبيها ويرفعها عنده وطمع طمعا عظيما لا يصبر على مثله بكثرة أتباعه ولان أخاه عبد الله بطرابلس الغرب مجاور لزناتة وهم أعداء دولته فصار المعز لا يكاتب ملكا ولا يراسله الا ويكتب أبو عبد الله معه عن نفسه فعظم ذلك على المعز فقتله (يحكى عن أبى عبد الله) انه قال سهرت ليلة أفكر فى شئ أحدثه فى الناس وأخرجه عليهم من الخدم التى التزمتها فمت فرأيت عبد الله بن محمد الكاتب وكان وزير باديس والد هذا المعز وكان عظيم القدر والمحل وهو يقول لى اتق الله أبا عبد الله فى الناس كافة وفى نفسك خاصة فقد أسهرت عينيك وأبرمت حافظيك وقد بدا لى منك ما خفى عليك وعن قليل ترد على ما وردنا وتقدم على ما قدمنا فاكتب عنى ما أقول فانى لا أقول الا حقا فأملى على هذه الابيات

وليت وقد رأيت مصير قوم * هم كانوا السماء وكنت أرضا
سموا درج العلا حتى اطمأنوا * وهدتهم فعاد الرفع خفضا
وأعظم اسوة للمرء انى * ملكت ولم أعش طولا وعرضا
فلا تغتر بالدنيا وأقصر * فان أوان امرك قد تقضى

قال فانتبهت مرعوبا ورسخت الابيات فى حفظى فلم يبق بعد هذا المنام غير شهر بن حتى قتل ولما وصل خبر قتله الى أخيه عبد الله بطرابلس بعث الى زناتة فعاهدهم وأدخلهم مدينة طرابلس فقتلوا من كان فيها من صنهاجة وسائر الجيش وأخذوا المدينة فلما سمع المعز ذلك أخذ أولاد عبد الله ونفرا من أهلهم فحبسهم ثم قتلهم بعد أيام لان نساء المقتولين بطرابلس استغاثوا الى المعز فى قتلهم فقتلهم

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

وفيها كان بافريقية غلاء شديد ومجاعة عظيمة لم يكن مثلها فى تعذر الاقوات الا انه لم يمت فيها أحد بسبب الجوع ولم يجد الناس كبير مشقة وفيها فى شهر رمضان استوزر مشرف الدولة أبا الحسين ابن الحسن الزنجى ولقب مؤيد الملك وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء وبنى مارستانا بواسط وأكثر فيه من الادوية والاشربة ورتب له الخزان والاطباء ووقف عليه الوقوف الكثيرة وكان يعرض عليه الوزارة فيأباها فلما قتل أبو غالب ألزمه بها مشرف الدولة فلم يقدر على الامتناع وفيها توفى أبو الحسن على بن عيسى السكرى شاعر السنة ومولده ببغداد فى صفر سنة سبع وخمسين وثلثمائة وكان قد قرأ الكلام على القاضى أبى بكر الباقلانى وأغاسمى شاعر السنة لانه أكثر مدح الصحابة ومناقضات شعراء الشيعة وفيها توفى أبو على عمر بن محمد بن عمر العلوى وأخذ السلطان ماله جميعه وفيها توفى أبو عبد الله بن المعلم فقيه الامامية ورثاه المرتضى

فناوله المتوكل الكاس الذى فى يده فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قط فاعفنى منه فعافاه وقال أنشدنى شعرا أستحسنه فقال انى لقليل الرواية للاشعار فقال لابد أن تنشدنى فأنشده

بانوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا
وطالما عمروا دورا لتحصنهم * ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا

١٥ ابن الاثير تاسع فخلفوها على الاعداء وارتحلوا أضحت منازلهم قفرا معطلة * وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

﴿ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء علاء الدولة على همذان﴾

في هذه السنة استولى أبو جعفر بن كاكويه على همذان وملكها وكذلك غيرها مما يقارب بها وسبب ذلك ان فرهاذ بن مرداويج الديلمي مقطع بروجرد قصده سماء الدولة أبو الحسن بن شمس الدولة بن بويه صاحب همذان وحصره فالتجأ فرهاذ الى علاء الدولة فحماه ومنع عنه وسار جميعا الى همذان فحصراها وقطعا الميرة عنها فخرج اليهما من بها من العسكر فاقتتلوا فرحل علاء الدولة الى جرباذقان فهلك من عسكره ثلثمائة رجل من شدة البرد فسار اليه تاج الملك القوهي مقدم عسكر همذان فحصره بها فصانع علاء الدولة الاكراد الذين مع تاج الملك فرحلوا عنه فخلص من الحصار وشرع يتجهز ليعاود حصار همذان فاكثر من الجموع وسار اليها فلقيه سماء الدولة في عساكره ومعه تاج الملك فاقتتلوا فانهزم عسكر همذان ومضى تاج الملك الى قلعة فاحتمى بها وتقدم علاء الدولة الى سماء الدولة فترجل له وخدمه وأحله وأنزله في خيمته وحمل اليه المال وما يحتاج اليه وسار وهو معه الى القلعة التي بها تاج الملك فحصره وقطع الماء عن القلعة فطلب تاج الملك الامان فامنه فنزل اليه ودخل معه همذان ولما ملك علاء الدولة همذان سار الى الدينور فملكها ثم الى سابور خواست فملكها أيضا وأدب أحداث العمال وقبض على أمراء الديلم الذين بهمذان وصحبهم بقلعة عندا صبهان وأخذ أموالهم وأرزاقهم وأبعد كل من فيه شر من الديلم وترك عنده من يعلم انه لا شر فيه وأكثر القتل فقامت هيبته وخافه الناس وضبط المملكة وقصد حسام الدولة أبا الشوك فأرسل اليه مشرف الدولة يشفع فيه فعاد عنه

﴿ذكر وزارة أبي القاسم المغربي لمشرف الدولة﴾

في هذه السنة قبض مشرف الدولة على وزيره مؤيد الملك الرحبي في شهر رمضان وكانت وزارته سنتين وثلاثة أيام وكان سبب عزله ان الانير الخادم نغر عليه لانه صادر ابن شعيا اليهودي على مائة ألف دينار وكان متعلقا بالانير فسعى وعزله واستوزر بعده أبا القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي ومولده بمصر سنة سبعين وثلثمائة وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن همذان فسار الى مصر فتولى بها فقتله الحاكم فهرب ولده أبو القاسم الى الشام وقصد حسان بن المفرج بن الجراح الطائي وحمله على مخالفة الحاكم والخروج عن طاعته ففعل ذلك وحسن له أن يبايع أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة فاجابه اليه واستقدمه الى الرملة وخوطب بأمير المؤمنين فانفذ الحاكم الى حسان مالا جليلا وأفسد معه حال أبي الفتوح فأعاده حسان الى وادي القرى وسار أبو الفتوح منه الى مكة ثم قصد أبو القاسم العراق واتصل بمخر الملك فاتهمه القادر بالله لانه من مصر فابعده مخر الملك فقصد قرواش بالموصل وكتب له ثم عاد عنه وتنقلت به الحال الى ان وزر بعد مؤيد الملك الرحبي وكان خبيثا محتالا حسودا اذا دخل عليه ذو فضيلة سأله عن غيرها ليظهر للناس جهله وفيها في المحرم قدم مشرف الدولة الى بغداد ولقيه القادر بالله في الطيار وعليه السواد ولم يلق قبله أحدا من ملوك بني بويه وفيها قتل أبو محمد بن سهلان قتله نبكير بن عياض عند ايذج

﴿ذكر الفتنة بمكة﴾

في هذه السنة كان يوم النفر الاول يوم الجمعة فقام رجل من مصر باحدى يديه سيف مسلول وفي الاخرى دبوس بعد ما فرغ الامام من الصلاة فقصد ذلك الرجل الحجر الاسود كانه يستلمه

قال فاشفق من حضر على علي وظنوا أن نادرة تبدر منه اليه قال والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها اليه وردده الى منزله من ساعته مكرما

* قال وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبي حنيفة في خلافة المتوكل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن مائة سنة صحيح الجسم والعقل والحواس ينقض الابكار ويركب الخيل التي تنقطف وتعنق ولم ينكر من نفسه شيأ وحكى ابنه سماعة بن محمد قال قال لي أبي محمد بن سماعة وجدت في حياة سوار بن عبد الله قاضي المنصور كتابا له بخطه أراه من شعره أو أبيات استحسنها وهي

سلبت عظامي لحمها فتركتها
عواري في أجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فكأنها
قوارير في أجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق ترعدت
فرائصها من خوف ما تتحذر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب وانظري
ضنى جسدي لكنني أتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان في الفقه وروايات عن محمد بن الحسن وغيره منها كتاب نوادر المسائل فضرب

فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس وقال الى متى يعبد الحجر الاسود ومحمد وعلى فلم يمنعني مانع من هدا فاني أريد أهدم البيت لخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله وقطعه الناس وأحرقوه وقتل ممن اتهم بمصاحبته جماعة وأحرقوا وثارت الفتنة وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلا غير ما اختفى منهم وألح الناس ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلى غيرهم في طريق منى الى البلد فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل فقالوا نحن مائة رجل فضربت أعناق هؤلاء الاربعة وتقشر بعض وجه الحجر من الضربات فأخذ ذلك الفتات وعجن بالك وأعيد الى موضعه

﴿ذكر فتح قلعة من الهند﴾

في هذه السنة أو غل يمين الدولة محمود بن سبكتكين في بلاد الهند فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهي كبيرة تسع خلقا وبها خمسمائة فيل وفي رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير فلما رأوا ما حل بهم اذعنوا له وطلبوا الامان فامنهم وأقرهم على كهم فيها على خراج يأخذه منه وأهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمري من خاصيته اذا أحصر الطعام وفيه سم دمعت عيناه هذا الطائر وجرى منهما ماء وتحجر فاذا حك وجعل على الجراحات الواسعة أكلها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفي القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي الرازي صاحب التصانيف المشهور في الكلام وغيره وكان مولده بمدينة الري وقد جاوز تسعين سنة وأبو عبد الله الكشفلي الفقيه الشافعي وأبو جعفر محمد بن أحمد الفقيه الحنفي النسفي وكان زاهدا مصنفا وهلال بن محمد بن جعفر أبو الفتح الحفار ومولده سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان عالما بالحديث عالي الاسناد

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخلف بين مشرف الدولة والاتراك وعزل الوزير المغربي﴾

في هذه السنة تأكدت الوحشة بين الاتراك عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربي وبين الاتراك فاستأذن الاتراك والوزير ابن المغربي الملك مشرف الدولة في الانتزاح الى بلد يأمنان فيه على أنفسهما فقال انا أسير معكما فسار واجميعا ومعهم جماعة من مقدمي الديلم الى السندية وبها قرواش فنزلهم ثم سار واكلهم الى اوانا فلما علم الاتراك ذلك عظم عليهم وانزعجوا منه وارسلوا المرتضى وأبا الحسن الزينبي وجماعة من قواد الاتراك يعتذرون ويقولون نحن العبيد فكتب اليهم أبو القاسم المغربي انني تأملت مالكم من الجامكيات فاذا هي ستمائة ألف دينار وعمات دخل بغداد فاذا هو أربعمائة ألف دينار فان اسقطتم مائة ألف دينار تحملت بالباقي فقالوا نحن نسقطها فاستشعر منهم أبو القاسم المغربي فهرب الى قرواش وكانت وزارته عشرة أشهر وخمسة أيام فلما أبعد خرج الاتراك فسألوا الملك والاثير الانحدار معهم فابابهم الى ذلك وانحدروا جميعهم

﴿ذكر الفتنة بالكوفة ووزارة أبي القاسم المغربي لابن مروان﴾

في هذه السنة وقعت فتنة بالكوفة بين العلويين والعباسيين وسببها أن المختار أبا علي بن عبيد الله العلوي وقعت بينه وبين الزكي أبي علي النهرسابسي وبين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عمر

ومائتين مات يحيى بن معين * وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبي شيبة والقواريري وكانا من علية أصحابه الحديث وحفاظهم وفيها مات اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكان على بغداد وولي مكانه وله أخبار حسان قد أتينا على غررها في كتابنا أخبار الزمان (ومن ظريف أخباره) والمستحسن مما كان في أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن سيج بن عميرة الاسدي أنه رأى في منامه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له أطلق القاتل فارتاع لذلك روعا عظيما ونظر في الكتب الواردة لاصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قاتل فأمر باحضار السندي وعباس فسألهما هل رفع اليهما أحد ادعى عليه بالقتل فقال له العباس نعم وقد كتبنا بخبره وأعاد النظر فوجد الكتاب في أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به فأمر اسحق باحضاره فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له ان صدقتني أطلقتك فابتدأ يخبره بخبره وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل محرم وانه كان اجتماعهم في منزل بدجيمة بني جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية

صباينة فاعتضد المختار بالعباسيين فساروا الى بغداد وشكوا ما يفعل بهم النهرسابسي فتقدم الخليفة القادر بالله لاصلاح بينهم مراعاة لابي القاسم الوزير المغربي لان النهرسابسي كان صديقه وابن أبي طالب كان صهره فعادوا واستعان كل فريق بخفاجة فاعان كل فريق من الكوفيين طائفة من خفاجة فجرى بينهم قتال فظهر العلويون وقتل من العباسيين ستة نفر وأحرقت دورهم ونهبت فعادوا الى بغداد ومنعوا من الخطبة يوم الجمعة وثاروا وقتلوا ابن أبي العباس العلوي وقالوا ان أخاه كان في جملة الفتكة بالكوفة فبرز أمر الخليفة الى المرتضى بأمره بصرف ابن أبي طالب عن نقابة الكوفة وردها الى المختار فانكر الوزير المغربي ما يجري على صهره ابن أبي طالب من العزل وكان عند قرواش بسبب من رأى فاعترض أرجاء كانت للخليفة بدر زيجان وأرسل الخليفة القاضي أبا جعفر السمناني في رسالة الى قرواش يأمره بابعاد المغربي عنه ففعل فسار المغربي الى ابن مروان بديار بكر وغضب الخليفة على النهرسابسي وبقي تحت السخط الى سنة ثمان عشرة وأربعمائة فشفع فيه الاتراك وغيرهم فرضي عنه وحلفه على الطاعة فحلف

﴿ ذكر وفاة سلطان الدولة وملك ولده أبي كاليجار وقتل ابن مكرم ﴾

في هذه السنة في شوال توفي الملك سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بشيراز وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان ابنه أبو كاليجار بالاهواز فطلبه الاوحد أبو محمد بن مكرم ليملك بعد أبيه وكان هواه معه وكان الاتراك يريدون عمه أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان فكاتبوه يطلبونه اليهم أيضا فتأخر أبو كاليجار عنها فسبقه عمه أبو الفوارس اليها فملكها وكان أبو المكارم بن أبي محمد بن مكرم قد أشار على أبيه لما رأى الاختلاف أن يسير الى مكان يأمن فيه على نفسه فلم يقبل قوله فسار وتركه وقصد البصرة فقدم أبوه حيث لم يكن معه فقال له العادل أبو منصور بن مافنة المصلحة أن تقصد سيراف وتكون مالك أمرك وابنك أبو القاسم بعمان فتحتاج الملوك اليك فركب سفينة ليمضي اليها فاصابه برد فبطل عن الحركة وأرسل العادل بن مافنة الى كرمان لاحضار أبي الفوارس فسار اليه العادل وأبلغه رسالة ابن مكرم باستدعائه فسار مجدا ومعه العادل فوصلوا الى فارس وخرج ابن مكرم يلقى أبا الفوارس ومعه الناس فطالبه الاجناد بحق البيعة فاحالهم على ابن مكرم فتضجر ابن مكرم وقال له العادل الرأي أن تبذل مالك وأموالنا حتى تمشي الامور فانتهره فسكت وتلوم ابن مكرم بايصال المال الى الاجناد فشكوه الى أبي الفوارس فقبض عليه وعلى العادل بن مافنة ثم قتل ابن مكرم واستبقى ابن مافنة فلما سمع ابنه أبو القاسم بقتله صار مع الملك أبي كاليجار وأطاعه وتجهز أبو كاليجار وقام بامره أبو مزاحم صندل الخادم وكان مربيه وساروا بالعساكر الى فارس فسير عمه أبو الفوارس عسكرا مع وزيره أبي منصور الحسن أبي علي الفسوي لقتاله فوصل أبو كاليجار والوزير متهاونون به لكثرة عسكره فأتوه وهو نائم وقد تفرق عسكره في البلد يبتاعون ما يحتاجون اليه وكان جاهلا بالحرب فلما شاهدوا اعلام أبي كاليجار شرع الوزير يرتب العسكر وقد داخلهم الرعب فحمل عليهم أبو كاليجار وهم على اضطراب فانهزموا وغنم أبو كاليجار وعسكره أموالهم ودوابهم وكل مالهم فلما انتهى خبر الهزيمة الى عمه أبي الفوارس سار الى كرمان وملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز

﴿ ذكر عود أبي الفوارس الى فارس واخراجه عنها ﴾

ولما ملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز جرى على الديلم الشيرازية من عسكره

فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف اليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة فبادرت اليها من بين أصحابي فأدخلتها بيتا وسكنت روعها وسألتها عن قصتها فقالت الله الله في فان هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أن في خزانتها حقا لم ير مثله فشوقتني الى النظر الى ما فيه فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بي عليكم وجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسن بن علي فاحفظوهم في قال الرجل فضمنت خلاصها وخرجت الى أصحابي فعرفتهم فكاني أغريتهم بها وقالوا لما قضيت حاجتك منها اردت صرفنا عنها وبادروا اليها وقت دونها أمنع عنها فتفاقم الامر بيننا الى أن نالتني جراح فعمدت الى أشدهم كان في أمرها واكلبهم على هتكها فقتلته ولم أزل أمنع عنها الى أن خلصتها سالمة وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها وأخرجتها من الدار فسمعتها تقول ستر الله كما سترتني وكان لك كما كنت لي وسمع الجيران الضجة فتبادروا اليها والسكين في يدي والرجل يتشحط في دمه فوقعت على هذه الحالة فقال لي احمق قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ووهبتك لله ورسوله قال فوحق من وهبتني له لا عاودت معصية

ولا دخلت فى ريبة حتى ألقى الله فأخبره اصحق بالرؤيا التى رآها وأن الله لم يضيع له ذلك وعرض عليه برا واسعا فأبى قبول شئ من ذلك * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبى محمد يحيى ابن اكثم الصيفى فأشخص الى سر من رأى وولى قضاء القضاة وسخط على أحمد ابن أبى دواد وولده أبى الوليد محمد بن أحمد وكان على القضاء وأخذ من أبى الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا بأربعين ألف دينار واحدر الى بغداد وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد فلج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوما وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وفى سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبى عبد الله أحمد بن أبى دواد بعد وفاة أبى الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوما وكان ممن أدى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره وسهل الله سبيله اليه وحبب اليه المعروف وفعله (وذكر) أن المعتصم كان بالجوسق يوما مع ندمائه وقد عزم على الاصطباح وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قدرا اذ بصر بغلام ابن أبى دواد فقال هذا غلام ابن أبى دواد يتعرف خبرنا والساعة يأتى فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى وفلان الانصارى وفلان العربى فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم أنى لا اقضى اليوم له حاجة فلم يكن بين قوله وبين استئذان الاتباع لابى عبد الله

ما أخرجهم عن طاعته وتمنوا معه انهم كانوا قاتلوا مع عمه وكان جماعة من الديلم بمدينة فسا فى طاعة أبى الفوارس وهم يريدون أن يصلحوا حالهم مع أبى كاليجار ويصيروا معه فارسل اليهم الديلم الذين بشيراز يعرفونهم مايلقون من الاذى ويأمرونهم بالتمسك بطاعة أبى الفوارس ففعلوا ذلك ثم ان عسكر أبى كاليجار طالبوه بالمال وشغبوا عليه فاظهر الديلم الشيرازية مافى نفوسهم من الحقد فحجز عن المقام معهم فسار عن شيراز الى النوبندجان ولقى شدة فى طريقه ثم انتقل عنها الشدة حرها وخامة هوائها ومرض أصحابه فاتى شعب بوان فأقام به فلما سار عن شيراز أرسل الديلم الشيرازية الى عمه أبى الفوارس يحثونه على المجىء اليهم ويعرفونه بعد ابى كاليجار عنهم فسار اليهم فسلموا اليه شيراز وقصد الى أبى كاليجار بشعب بوان ليحاربه ويخرجه عن البلاد فاختار العسكران الصلح فسفروا فيه فاستقر لابى الفوارس كرمان وفارس ولابى كاليجار خوزستان وعاد أبو الفوارس الى شيراز وسار أبو كاليجار الى أرجان ثم ان وزير أبى الفوارس خبط الناس وأفسد قلوبهم وصادرهم واجتاز به مال لابى كاليجار والديلم الذين معه فأخذه فحينئذ حث العادل بن مافنة صندلا الخادم على العود الى شيراز وكان قد فارق بها نعمة عظيمة وصار مع أبى كاليجار وكان الديلم يطيعونه فعادت الحال الى أشد ما كانت عليه فسار كل واحد من ابى كاليجار وعمه أبى الفوارس الى صاحبه والتقوا واقتتلوا فانهزم ابو الفوارس الى دارابجرد وملك أبو كاليجار فارس وعاد أبو الفوارس فجمع الاكراد فاكثر فاجتمع معه منهم نحو عشرة آلاف مقاتل فالتقوا بين البيضاء واصطخر فاقتتلوا أشد من القتال الاول فعاود أبو الفوارس الهزيمة فسار الى كرمان واستقر ملك أبى كاليجار بفارس سنة سبع عشرة وأربعمائة وكان أهل شيراز يكرهونه

﴿ذكر خروج زناتة والظفر بهم﴾

فى هذه السنة خرج بافريقية جمع كثير من زناتة فقطعوا الطريق وأفسدوا بقسطيلية ونفراوة وأغاروا وغنموا واشتدت شوكتهم وكثر جمعهم فسير اليهم المعز بن باديس جيشا جريدة وأمرهم أن يجدوا السير ويسبقوا أخبارهم ففعلوا ذلك وكتموا خبرهم وطووا المراحل حتى أدركوهم وهم آمنون من الطلب فوضعوا فيهم السيف فقتل منهم خلق كثير وعلق خمسمائة رأس فى أعناق الخيول وسيرت الى المعز وكان يوم دخولها يوما مشهودا

﴿ذكر عود الحجاج على الشأم وما كان من الظاهر اليهم﴾

فى هذه السنة عاد الحجاج من مكة الى العراق على الشأم لصعوبة الطريق المعتاد وكانوا لما وصلوا الى مكة بذل لهم الظاهر العلوى صاحب مصر أموالا جليلة وخلعا نفيسة وتكلف شيأ كثيرا وأعطى لكل رجل فى الصحبة جملة من المال ليظهر لاهل خراسان ذلك وكان على تسيير الحجاج الشريف أبو الحسن الافساسى وعلى حجاج خراسان حسنك نائب يمين الدولة بن سبكتكين فعظم ما جرى على الخليفة القادر بالله عبر حسنك دجلة عند أوانا وسار الى خراسان وتهدد القادر بالله ابن الافساسى فمرض فمات ورثاه المرتضى وغيره وأرسل الى يمين الدولة فى المعنى فسير يمين الدولة الخلع التى خلعت على صاحبه حسنك الى بغداد فاحرقت

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تزوج السلطان مشرف الدولة بابنة علاء الدولة بن كاكويه وكان الصداق خمسين ألف دينار وتولى العقد المرتضى وفيها قلد القاضى أبو جعفر السمنانى قضاء الرصافة وباب الطاق

وفيها توفى أبو الحسن على بن محمد السمسمى الاديب وابن الدقاق النحوى وأبو الحسين بن بشران المحدث وعمره سبع وثمانون سنة والقاضى أبو محمد بن أبى حامد المروروذى قاضى البصرة بها وأبو الفرج أحمد بن عمر المعروف بابن المسلمة الشاهد وهو جد رئيس الرؤساء وأحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم أبو الحسن المحاملى الفقيه الشافعى تفقه على أبى حامد وصنف المصنفات المشهورة وعبيد الله بن عمر بن على بن محمد بن الاشرس أبو القاسم المقرى الفقيه الشافعى

﴿ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة﴾

﴿(ذكر فتح سومنات)﴾

فى هذه السنة فتح يمين الدولة فى بلاد الهند عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده ماينيف على مائة ألف انسان وتزعم الهنود أن الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وان المد والجزر الذى عنده انما هو عبادة البحر على قدر استطاعته وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الموقوف مايزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع فى البيت الذى هو فيه من نفيس الجوهر مالا يحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم ويعتقدون أنها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتى فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات مايغسل به ويكون عنده من البرهميين كل يوم ألف رجل لعبادته وتقديم الوفود اليه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شئ معلوم كل يوم وكان بين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو أنه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه وأهلاكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم الباطل دخلوا فى الاسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان من هذه السنة فى ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المطوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفى طريقه الى الهند بريه قفر لا ساكن فيها ولا ماء ولا عمارة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى فى طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذى قذفه فى قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها وأهلك أوثانها وامتار وامنها الماء ومايحتاجون اليه وسار الى انهلوارة فوصلها مستهل ذى القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن فى الهرب وقصد حصنا له يحتمى به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقى فى طريقه عدة حصون فيها كثير من الاوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ماسول لهم الشيطان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر أصنامها وسار الى سومنات فى مفازة قفرة قليلة الماء فلقى فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فأرسل اليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره وهى على مرحلتين من سومنات وقد ثبت أهلها له ظنا منهم أن سومنات يمنعهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذى القعدة فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه

أن سلم وجلس وتكلم حتى أسفر وجه المعتصم وضحكت اليه جوارحه ثم قال له يا أبا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما فى طبخها قال فاحضر ثم أكل ثم أحكم بحكم يعلم فحملت اليه القدور ووضعت بين يديه فجعل يأكل من أول قدر أكلا تاما فقال له المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لانى أراك قد امعنت فى هذا اللون وستحكم لصاحبه قال يا أمير المؤمنين على أن آكل من هذه القدور كلها كما أكلته من هذا القدر فتبسم له المعتصم وقال له شأنك اذا فأكل كما قال ثم قال أما هذه فقد أحسن طابخها اذ أكثر فلفلها وأقل كمونها وأما هذه فقد أجاد طابخها اذ أكثر خلها وأقل زيتها وأما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها وأما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرثها حتى وصف القدور بصفات سر أهلها بها ثم أكل مع القوم كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه مرة يحدثهم بأخبار الاكلة فى صدر الاسلام معاوية بن أبى سفيان وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وسليمان بن عبد الملك ومرة يحدثهم عن أكله دهره مثل سرده الثمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق وأهله

وأهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم فلما كان الغد وهو الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين بتالا لم يعهدوا مثله فغارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلاليم وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات فمرغوا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلمون اليهم وقاتلوهم فاكثروا في الهنود القتل وأجلوهم عن المدينة الى بيت صنمهم سومنات فقاتلوا على بابه أشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل الى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى أن قتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم فبقي منهم القليل فدخلوا البحر الى مراكبهم ليمنعوا أنفسهم فادركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض وأما البيت الذي فيه سومنات فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في السماء وليس بصورة مصورة فاخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه معه الى غزنة فجعله بعتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا من كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار فأخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خرض البحر هناك فعرفاه أنه يمكن خوضه لكن ان تحرك الهواء يسيرا غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين فرأوا بهيم وقد فارق قلعته وأخلاها فعاد عنها وقصد المنسورة وكان صاحبها قد ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجيء يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض أشبة فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاط به وبمن معه فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه أهلها وادوا له فرحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة

﴿ ذكر وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة ﴾

في هذه السنة في ربيع الاول توفي الملك مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة بعرض حاد وعمره ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر وملكه خمس سنين وخمسة وعشرون يوما وكان كثير الخير قليل الشر عادلا حسن السيرة وكانت والدته في الحياة وتوفيت سنة خمس وعشرين ولما توفي مشرف الدولة خطب ببغداد بعد موته لاخيه أبي طاهر جلال الدولة وهو بالبصرة وطلب الى بغداد فلم يصعد اليها وانما بلغ الى واسط وأقام بها ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته وخطب لابن أخيه الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة في شوال وهو وحينئذ صاحب خوزستان والحرب بينه وبين عمه أبي الفوارس صاحب كرمان بفارس فلما سمع جلال الدولة بذلك أصعد الى بغداد فاحضر عسكرها ليردوه عنها فاقوه بالسيب من أعمال النهروان فردوه فلم يرجع فرموه بالنشاب ونهبوا بعض خزائنه فعاد الى البصرة وأرسلوا الى الملك أبي كاليجار ليصعد الى بغداد

أن يتشاغلوا قال نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر فغير حاله وخشن معيشته قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله النوفلي قال قد رأيته ما يصلحه قال خمسين ألف درهم قال انفذت ذلك له قال وحاجة أخرى قال وما هي قال ضياع ابراهيم بن المعتز تردها له قال قد فعلت قال وحاجة أخرى قال قد فعلت قال فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شئ منها حتى قام خطيبا وقال يا أمير المؤمنين عمرك الله طويلا فبعمرك تخصب جنبات رعيتك وباين عيشهم وتثمر أموالهم ولا زالت ممتعا بالسلامة محبوا بالكرامة مرفوعا عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله الذي يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعتد به ألوف من جنسه أما رأيتم كيف دخل وكيف سلم وكيف تكلم وكيف أكل وكيف وصف القدور ثم انبسط في الحديث وكيف طاب أكلنا ما يرد هذا عن حاجة الا لئيم الاصل خبيث الفرع والله لو سألني في مجلسي هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته

عنها وأنا أعلم أنه يكسبني في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا * وفي أحمد بن أبي دواد يقول الطائي

لقد أنسى مساوي كل دهر

ليملكوه فوعدهم الاصعاد ولم يمكنه لاجل صاحب كرمان ولما أصعد جلال الدولة كان وزيره أبا سعد بن ماكولا

﴿ذكر ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرها﴾

وفي هذه السنة ملك نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر مدينة الرها وكان سبب ملكها ان الرها كانت لرجل من بني غير يسمى عطيرا وفيه شر وجهل واستخلف عليها نائبا له اسمه أحمد بن محمد فأحسن السيرة وعدل في الرعية فمالوا اليه وكان عطير يقيم بحلته ويدخل البلد في الاوقات المتفرقة فرأى ان نائبه يحكم في البلد ويأمر وينهى فحسده فقال له يوما قد أكلت مالي واستوليت على بلدي وصرت الامير وأنا النائب فاعتذر اليه فلم يقبل عذره وقتله فأنكرت الرعية قتله وغضبوا على عطير وكاتبوا نصر الدولة بن مروان ليسلموا اليه البلد فسير اليهم نائبا كان له باسمد يسمى زنك فتسلمها وأقام بها ومعه جماعة من الاجناد ومضى عطير الى صالح بن مرداس وسأله الشفاعة له الى نصر الدولة فشفع فيه فأعطاه نصف البلد ودخل عطير الى نصر الدولة بميافارقين فأشار أصحاب نصر الدولة بقبضه فلم يفعل وقال لا أغدر به وان كان أفسد وأرجو أن أكف شره بالوفاء وتسلم عطير نصف البلد ظاهرا وباطنا وأقام فيه مع نائب نصر الدولة ثم ان نائب نصر الدولة عمل طعاما ودعاه فأكل وشرب واستدعى ولد ا كان لاحمد الذي قتله عطير وقال تريد أن تأخذ بثار أبيك قال نعم قال هذا عطير عندي في نفر يسير فاذا خرج فتعلق به في السوق وقل له يا ظالم قتلت أبي فانه سيجرد سيفه عليك فاذا فعل فاستغر الناس عليه واقتله وأنا من ورائك ففعل ما أمره وقتل عطيرا ومعه ثلاثة نفر من العرب فاجتمع بنو غير وقالوا هذا فعل زنك ولا ينبغي لنا أن نسكت عن ثارنا والله لئن لم نقتله ليخرجنا من بلادنا فاجتمعت غير وكمنوا له بظاهر البلد كمينا وقصد فريق منهم البلد فأغاروا على ما يقارب فسمع زنك الخبر فخرج فيمن عنده من العساكر وطلب القوم فلما جاوز الكمناء خرجوا عليه فقاتلهم فأصابه حجر مقلاع فسقط وقتل وكان قتله سنة ثمان عشرة وأربعمائة في أولها وخلصت المدينة لنصر الدولة ثم ان صالح بن مرداس شفع في ابن عطير وابن شبل النمري بين ليرد الرها اليهما فشفعه وسلمها اليهما وكان فيها برجان أحدهما أكبر من الآخر فأخذ ابن عطير البرج الكبير وأخذ ابن شبل البرج الصغير وأقاما في البلد الى ان باعه ابن عطير من الروم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية﴾

في هذه السنة خرج الروم الى جزيرة صقلية في جمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين في جزيرة قاورية وهي مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا في بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن أخت الملك فبلغ ذلك المعز بن باديس فجهز اسطولا كبيرا أربعمائة قطعة وحشد فيها وجمع خلقا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة في الاجر فسار الاسطول في كانون الثاني فلما قرب من جزيرة قوصرة وهي قريبة من برافريقية خرن عليهم ريح شديدة ونوء عظيم فغرق أكثرهم ولم ينج الا اليسير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ظهر أمر العيارين ببغداد وعظم شرهم فقتلوا النفوس ونهبوا الاموال وفعلوا ما أرادوا وأحرقوا الكرخ وغلا السعر بها حتى بيع الكر الحنطة بمائتي دينار قاسانية وفيها قبض جلال الدولة على وزيره أبي سعيد بن ماكولا واستوزر ابن عمه أبا علي بن ماكولا وفيها ارسل

وان قلقت ركابي في البلاد وحكر عن الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفري وقد وجه خلف الندماء والمغنين قال فجعلنا نطوف وهو متكئ على وأنا أحادثه حتى وصلنا الى موضع نشرف منه على الخليج فدعا بكرسي فقعد عليه وأقبل يحادثني اذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال يا فتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أما ترى ما أطيب رائحتها على بعدها على حالها فبادر الفراشون فانتزعوها من بين يدي الملاحين فلما عاين الملاحون أصحاب السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا وخوفا وجاؤا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها فوضعت بين أيدينا فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها الي وأخذ هو منه مثلها وأكل كل واحد منا ثلاث لقم وأقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر وأقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه وأمر أن تملأ دراهم فجيء ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار أواني

القادر بالله القاضي أبا جعفر السمناني الى قرواش يأمره بابعاد الوزير أبي القاسم المغربي وكان عنده فأبعده فقصد نصر الدولة بن مروان بميافارقين وقد تقدم السبب فيه وفيها توفي الوزير أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان وزير مشرف الدولة أبي الفوارس وعمره ست وسبعون سنة وقاضي القضاة أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي الشوارب ومولده في ذي القعدة سنة تسع عشرة وثلثمائة وكان عفيفا نزها وقيل توفي سنة سبع عشرة وبسيل ملك الروم وملك بعده أخوه قسطنطين وفيها ورد رسول محمود بن سبكتكين الى القادر بالله ومعه خلع قد سيرها له الظاهر لاعزاز دين الله العلوي صاحب مصر ويقول أنا الخادم الذي أرى الطاعة فرضا ويذكر ارسال هذه الخلع اليه وانه سيرها الى الديوان ليرسم فيها بما يرى فأحرقت على باب النوبي فخرج منها ذهب كثير تصدق به على ضعفاء بني هاشم وفيها توفي سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة وكان كاتبا سديدا وعمل دار الكتب ببغداد سنة احدى وثمانين وثلثمائة وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد وبقيت الى أن احترقت عند مجيء طغرلبك الى بغداد سنة خمسين وأربعمائة وفيها توفي عثمان الخركوشي الواعظ النيسابوري وكان صالحا خيرا وكان اذا دخل على محمود بن سبكتكين يقوم ويلتقيه وكان محمود قد قسط على نيسابور مالا يأخذه منهم فقال له الخركوشي بلغني انك تكدي الناس وضاق صدري فقال وكيف قال بلغني أنك تأخذ أموال الضعفاء وهذه كدية فترك القسط وأطلقه وفيها بطل الحج من العراق وخراسان

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

ذكر الحرب بين عسكر علاء الدولة والجوزقان

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عساكر علاء الدولة بن كاكويه وبين الاكراد الجوزقان وكان سببها ان علاء الدولة استعمل أبا جعفر ابن عمه على سابور خواست وتلك النواحي فضم اليه الاكراد الجوزقان وجعل معه على الاكراد أبا الفرج البابوني منسوب الى بطن منهم فجرى بين أبي جعفر وأبي الفرج مشاجرة أدت الى المنافرة فأصلح بينهما علاء الدولة وأعادهما الى عملهما فلم يزل الحقد يقوى والشر يتجدد فضرب أبو جعفر أبا الفرج بالدبوس كان في يده فقتله فنفر الجوزقان باسرهم ونهبوا وأفسدوا فطلبهم علاء الدولة وسير عسكرا واستعمل عليهم أبا منصور ابن عمه أخا أبي جعفر الاكبر وجعل معه فرهاذ بن مرداويج وعلي بن عمران فلما علم الجوزقان ذلك أرسلوا الى علي بن عمران يسألونه أن يصلح حالهم مع علاء الدولة وقصده جماعة منهم فشرع في الاصلاح فطالبه أبو جعفر وفرهاذ بالجماعة الذين قصدوه ليسلمهم اليهما وأرادا أخذهم منهم قهرا فانتقل الى الجوزقان واحتمى كل منهم بصاحبه وجرى بين الطائفتين قتال غير مرة كان في آخره لعلي بن عمران والجوزقان فانهزم فرهاذ وأسر أبو منصور وأبو جعفر ابنا عم علاء الدولة فاما أبو جعفر فقتل قصاصا بأبي الفرج واما أبو منصور فسجن فلما قتل أبو جعفر علم علي بن عمران ان الامر قد فسد مع علاء الدولة ولا يمكن اصلاحه فشرع في الاحتياط

ذكر الحرب بين قرواش وبني أسد وخفاجة

في هذه السنة اجتمع دبيس بن علي بن مزيد الاسدي وأبو الفتيان منيع بن حسان أمير بني خفاجة وجمعا عشائرهما وغيرهم وانضاف اليهم عسكر بغداد على قتال قرواش بن المقلد العقيلي وكان سببه ان خفاجة تعرضوا الى السوادر ما يرد قرواش منه فانحدر من الموصل لدفعهم فاستعانوا بدبيس فسار اليهم واجتمعوا فأتاهم عسكر بغداد فالتقوا بظاهر الكوفة وهي

البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا ما يقول اذا ذكر قدر الملاح ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة في ذلك اليوم وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه بجوينة وكان من حديثه الموصل قال حدثنا أبو الحسن الصالحي قال قال الجاحظ ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني وخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علي الخروج معه والانحدار في حراقته فركبنا فيها فلما أتينا قم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب
وسكتت فأمر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا كم يهجرون ويصرمو * ن ويقطعون فيصبرونا

لقرواش فجرى بين مقدمته ومقدمتهما مناوشة وعلم قرواش أنه لا طاقة له بهم فسار ليلا جريدة فى نفر يسير وعلم أصحابه بذلك فتبعوه منهزمين فوصلوا الى الانبار وسارت أسد وخفاجة خلفهم فلما قاربوا الانبار فارقها قرواش الى حلله فلم يمكنهم الاقدام عليه واستولوا على الانبار ثم تفرقوا

﴿ ذكر الفتنة ببغداد وطمع الاتراك والعيارين ﴾

فى هذه السنة كثر تسلط الاتراك ببغداد وأكثروا من مصادرات الناس وأخذوا الاموال حتى انهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة ألف دينار وعظم الخطب وزاد الشر وأحرقت المنازل والدور والاسواق ودخل فى الطمع العامة والعيارون فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره فعمل الناس الابواب على الدروب فلم تغن شيأ ووقعت الحرب بين الجند والعامة فظفر الجند ونهبوا الكرخ وغيره وأخذ منه مال جليل وهلك أهل الستر والخير فلما رأى القواد وعقلاء الجند ان الملك أبا كاليجار لا يصل اليهم وان البلاد قد خربت وطمع فيهم المجاورون من العرب والاكراد راسلوا جلال الدولة فى الحضور الى بغداد فحضر على ما نذكره سنة ثمان عشرة وأربعمائة

﴿ ذكر اصعاد الاثير الى الموصل والحرب الواقعة بين بنى عقيل ﴾

فى هذه السنة أصعد الاثير عنبر الى الموصل من بغداد وكان سببه ان الاثير كان حاكما فى الدولة البويهية ماضى الحكم نافذ الامر والجند من أطوع الناس له وأسمعهم لقوله فلما كان الآن زال ذلك وخالفه الجند فزالت طاعته عنهم فلم يلتفتوا اليه فخافهم على نفسه فسار الى قرواش فندم الجند على ذلك وسألوه أن يعود فلم يفعل وأصعد الى الموصل مع قرواش فأخذ ملكه واقطاعه بالعراق ثم ان نجد الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعا جمعا كثيرا من عقيل وانضم اليهم بدران أخو قرواش وساروا يريدون حرب قرواش وكان قرواش لما سمع خبرهم قد اجتمع هو وغريب بن معن والاثير عنبر وأتاه مدد من ابن مروان فاجتمع فى ثلاثة عشر ألف مقاتل فالتقوا عند بلد واقتتلوا وثبت بعضهم لبعض وكثر القتل فعمل ثروان بن قراد فعلا جميلا وذلك أنه قصد غريبا فى وسط المصاف واعتنقه وصاحبه وفعل أبو الفضل بدران بن المقلد بأخيه قرواش كذلك فاصطلح الجميع وأعاد قرواش الى أخيه بدران بعدينة نصيبين

﴿ ذكر احراق خفاجة الانبار وطاعتهم لابى كاليجار ﴾

فى هذه السنة سار منيع بن حسان أمير خفاجة الى الجامعين وهى لنور الدولة دبيس فنهبها فسار دبيس فى طلبه الى الكوفة ففارقها وقصد الانبار وهى لقرواش كان استعادها بعد ما ذكرناه قبل فلما نازلها منيع قاتله أهلها فلم يكن لهم بخفاجة طاقة فدخل خفاجة الانبار ونهبوها وأحرقوا أسواقها فاتحدر قرواش اليهم ليمنعهم وكان مريضا ومعه غريب والاثير عنبر الى الانبار ثم تركها ومضى الى القصر فاشتد طمع خفاجة وعادوا الى الانبار فأحرقوها مرة ثانية وسار قرواش الى الجامعين فاجتمع هو ونور الدولة دبيس بن مزيد فى عشرة آلاف مقاتل وكانت خفاجة فى ألف فلم يقدر قرواش فى ذلك الجيش العظيم على هذه الالف وشرع أهل الانبار فى بناء سورها على البلد وأعادهم قرواش وأقام عندهم الشتاء ثم ان منيع بن حسان سار الى الملك أبى كاليجار فاطاعه فخلع عليه وأتى منيع الخفاجى الى الكوفة فخطب فيها لابى كاليجار وأزال حكم عقيل عن سقى الفرات

﴿ ذكر الصلح بالفريقية بين كتامة وزناتة وبين المعز بن باديس ﴾

وبرزت كانها فلقة قمر
فرجت بنفسها الى الماء
وعلى رأس محمد غلام
يضاهيهم فى الجمال وبيده
مذبة فأتى الموضع ونظر
اليها وهى تمر بين الماء
فأنشأ يقول

وانا الذى غرقتنى
بعد الفضائل والتعلينا
فرجع بنفسه فى أثرها
فاداركه الملاح الحراقة فاذا
بهما معتنقتان ثم غاصا فلم
يريا فهال ذلك محمدا
واستعظمه وقال يا عمرو
لتحدثنى حديثا يسلينى عن
فقدهذين والا ألحقتك
بهما فقال لحضرنى حديث
يزيد بن عبد الملك وقد قعد
للمظالم وعرضت عليه
القصص فخرجت به قصة فيها
ان رأى أمير المؤمنين
أعزه الله أن يخرج جاريته
فلانة حتى تغنينى ثلاثة
أصوات ففعل فاغتاظ يزيد
وأمر من يخرج اليه
ويأتيه برأسه ثم أمر بأن
يتبع الرسول برسول آخر
يأمره أن يدخل اليه
الرجل فلما وقف بين يديه
قال له ما الذى حملك على
ما صنعت قال الثقة بحلمك
والاتكال على عفوك
فأمره بالجلوس حتى لم
يبق أحد من بنى أمية الا
خرج ثم أمر فأخرجت
الجارية ومعها عودها
فقال لها الفنى غنى

فى هذه السنة وردت رسل زناتة وكتامة الى المعز بن باديس صاحب افريقية يطلبون منه الصلح وان يقبل منهم الطاعة والدخول تحت حكمه وشرطوا أنهم يحفظون الطريق وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم فأجابهم الى ماسألوا وجاءت مشيخة زناتة وكتامة اليه فقبلهم وأنزلهم ووصلهم وبذل لهم أموالا جليلة

﴿ذكر وفاة حماد بن المنصور وولاية ابنه القائد﴾

فى هذه السنة توفى حماد بن بلكين عم المعز بن باديس صاحب افريقية وكان خرج من قلعته منتزها فمرض ومات وحمل الى القلعة فدفن بها وولى بعده ابنه القائد وعظم على المعز موته لان الامر بينهما كان قد صلح واستقامت الامور للعز بعده وأذعن له أولاد عمه حماد بالطاعة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كان بالعراق برد شديد جمد فيه الماء فى دجلة والانهار الكبيرة فاما السواقى فانها جمدت كلها وتأخر المطر وزيادة دجلة فلم يزرع فى السواد الا القليل وفيها بطل الحج من خراسان والعراق وفيها انقض كوكب عظيم استنارت له الارض فسمع له دوى عظيم كان ذلك فى رمضان وفيها مات أبو سعد بن ماكولا وزير جلال الدولة فى محبسه وأبو حازم عمر بن أحمد بن ابراهيم العبدرى النيسابورى الحافظ وهو من مشايخ خطيب بغداد وأبو الحسن على بن أحمد بن عمر الحمامى المقرى مولده سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة

﴿ذكر الحرب بين علاء الدولة واصبهبد ومن معه وما تبع ذلك من الفتن﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول كانت حرب شديدة بين علاء الدولة بن كاكويه وبين الاصبهبد ومن معه وكان سببها ماذكرناه من خروج على بن عمران عن طاعة علاء الدولة فلما فارقه اشتد خوفه من علاء الدولة وكاتب اصبهبد صاحب طبرستان وكان مقيما بالرى مع ولكين بن وندرين وحثه على قصد بلاد الجبل وكاتب أيضا منوجهر بن قابوس بن وشمكير واستمده وأوهم الجميع ان البلاد فى يده لا دافع له عنها وكان اصبهبد معاديا لعلاء الدولة فسار هو وولكين الى همذان فملكاها وملكا أعمال الجبل وأجليا عنها عمال علاء الدولة وأتاهم عسكر منوجهر وعلى بن عمران فازدادوا قوة وساروا كلهم الى اصبهان فتحصن علاء الدولة بها وأخرج الاموال فحصروه وجرى بينهم قتال استظهر فيه علاء الدولة وقصده كثير من ذلك العسكر وهو يبذل لمن يجىء اليه المال الجزيل ويحسن اليهم فأقاموا أربعة أيام وضاقت عليهم الميرة فعادوا عنها وتبعهم علاء الدولة واستمال الجوزقان فمال اليه بعضهم وتبعهم الى نهاوند فالتقوا عندها واقتتلوا قتالا كثر فيه القتلى والاسرى فظفر علاء الدولة وقتل ابنين لولكين فى المعركة وأسر الاصبهبد وابان له ووزيره ومضى ولكين فى نفر يسير الى جرجان وقصد على بن عمران قلعة كنكور فتحصن بها فسار اليه علاء الدولة فحصره بها وبقى اصبهبد محبوسا عند علاء الدولة الى ان توفى فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة ثم ان ولكين بن وندرين سار بعد خلاصه من الوقعة الى منوجهر بن قابوس وأطمعه فى الرى وملكها وهون عليه أمر البلاد لاسيما مع اشتغال علاء الدولة بمحاصرة على بن عمران وانضاف الى ذلك ان ولد ولكين كان صهر علاء الدولة على ابنته وقد أقطعه علاء الدولة مدينة قم فعصى عليه وصار مع أبيه وأرسل اليه يحثه على قصد البلاد فسار اليها ومعه عساكره وعساكر منوجهر حتى نزلوا على الرى وقاتلوا مجد الدولة بن بويه ومن معه وجرى بين الفريقين

بكفيك عنى عدو ثائر حنق فى كفه صارم كالملح مسلول
فغنته فقال قل قال يأمرنى برطل خمر فاستتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتى وأردها الى مالى يا غلمان خذوا بيديها واحملوها الى أهلها ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة فى دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول

من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير فى عشق بلا موت
فرجت بنفسها على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى وقيل ان هذا الخبر انما كان مع سليمان بن عبد الملك قال فذكرت هذا الحديث لابى عبد الله محمد بن جعفر الاخبارى بالبصرة فقال أنا أخبرك بنحو من هذا الحديث الذى حدثنى به حدثنى واثق الخادم وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسى أن محمد بن حميد كان جالسا مع ندمائه يوما فغنت جارية

من وراء الستارة يا قمر الغصن متى تطلع أشتى وغيرى بك يستمتع ان كان ربى قد قضى ما أرى منك على رأسى فأصنع

وقائع استظهر فيها أهل الرى فلما رأى علاء الدولة ذلك صالح على بن عمران فلما بلغ ولكين الصلح بين علاء الدولة وعلى بن عمران رحل عن الرى من غير بلوغ غرض فتوجه علاء الدولة الى الرى وراسل منوجهر ويخه وتهدده وأظهر قصد بلاده فسمع ان على بن عمران قد كاتب منوجهر وأطمعه ووعده النصرة وحثه على العود الى الرى فعاد علاء الدولة عن قصد بلاد منوجهر وتجهز لقصد على بن عمران فأرسل ابن عمران الى منوجهر يستمده فسير اليه ستمائة فارس وراجل مع قائد من قواده وتحصن ابن عمران وجمع عنده الذخائر بكمكور وقصده علاء الدولة وحصره وضيق عليه ففنى ما عنده فأرسل يطلب الصلح فاشترط علاء الدولة ان يسلم قلعة كمكور والذين قتلوا أبا جعفر ابن عمه والقائد الذى سيره اليه منوجهر فأجابه الى ذلك وسيرهم اليه فقتل قتلة ابن عمه وسجن القائد وتسلم القلعة وأقطع عليا عوضا عنها مدينة الدينور وأرسل منوجهر الى علاء الدولة فصالحه وأطلق صاحبه

﴿ذكر عصيان البطيحة على أبى كالنجار﴾

فى هذه السنة عصى أهل البطيحة على الملك أبى كالنجار ومقدمهم أبو عبد الله الحسين بن بكر الشرابى الذى كان قديما صاحب البطيحة وقد تقدم خبره وكان سبب هذا الخلاف ان الملك أبا كالنجار سير وزيره أبا محمد بن بابشاذ الى البطيحة فعسف الناس وأخذ أموالهم وأمر الشرابى فوضع على كل دار بالصليق قسطا وكان فى صحبته ففعل ذلك فتفرقوا فى البلاد وفارقوا أوطانهم فعزم من بقى على ان يستدعوا من يتقدم عليهم فى العصيان على أبى كالنجار وقتل الشرابى وكانوا ينسبون كل ما يجرى عليهم من الشرابى فعلم الشرابى بذلك فحضر عندهم واعتذر اليهم وبذل من نفسه مساعدتهم على ما يريدونه فرضوا به وحالفوا له وحلف لهم وأمرهم بكتمان الحال وعاد الى الوزير فأشار عليه بارسال أصحابه الى جهات ذكرها ليحصلوا الاموال فقبل منه ثم أشار عليه باحدار سفنه الى مكان ذكره ليصلح ما فسد منها ففعل فلما تم له ذلك وثب هو وأهل البطيحة عليه واخرجوه من عندهم وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة فى الحبس فأخرجوهم واستعانوا بهم واتفقوا معهم وفتحوا السواقى وعادوا الى ما كانوا عليه أيام مهذب الدولة وقاتلوا كل من قصدهم وامتنعوا فتم لهم ذلك ثم قصده ابن المعبرانى فاستولى على البطيحة وفارقها الشرابى الى دبيس بن مزيد فأقام عنده مكرما

﴿ذكر صلح أبى كالنجار مع عمه صاحب كرمان﴾

فى هذه السنة استقر الصلح بين أبى كالنجار وبين عمه أبى الفوارس صاحب كرمان وكان أبو كالنجار قد سار الى كرمان لقتال عمه وأخذ كرمان منه فاحتمى منه بالجبال وحمى الحر على أبى كالنجار وعسكره فكثرت الامراض فتراسلا فى الصلح فاصطلحا على ان يكون كرمان لابى الفوارس وبلاد فارس لابى كالنجار ويحمل الى عمه كل سنة عشرين ألف دينار ولما عاد أبو كالنجار الى الاهواز حمل أمواله الى العادل بن مافنة فأجابه بعد امتناع وكان مولد العادل بكازرون سنة ستين وثلثمائة وشرط العادل ان لا يعارض فى الرأى بفعله فأجيب الى ذلك

﴿ذكر الخطبة لجلال الدولة ببغداد واصعاده اليها﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى خطب للملك جلال الدولة أبى طاهر بن بهاء الدولة ببغداد وأصعد اليها من البصرة فدخلها ثالث شهر رمضان وكان سبب ذلك ان الاتراك لما رأوا أن البلاد تخرب وان العامة والعرب والاكراد قد طمعوا وانهم ليس عندهم سلطان يجمع كلمتهم

الجارية الستارة ثم رمت بنفسها على أثره فنزلت الغلمة خلفهما فلم يجدوا أحدا منهما فقطع محمد الشراب وقام عن مجلسه (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن فرج الرخجى وكان من عليه الكتاب وأخذ منه مالا وجوهرا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار وأخذ من أخيه نحو اثنى مائة ألف وخمسين ألف دينار ثم صولح محمد على أحد وعشرين ألف ألف درهم على أن يرد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر أن يصفع فى كل يوم فأحصى ما صفع فكان ستة آلاف صفعة وألبسه جبة صوف ثم رضى عنه وسخط عليه ثالثة وأحدر الى بغداد وأقام بها حتى مات * وأهدى المؤيد الى المتوكل قارورة دهن وكتب اليه ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان ابهى لها وأحسن وان كانت من الكبير الى الصغير فعظمت كان ارفع لها وأنفع (قال المسعودى) وكانت وفاة أحمد بن حنبل فى خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن

قصـدوا دار الخلافة وأرسـلوا يعتذرون الى الخليفة من انفرادهم بالخطبة لجلال الدولة أولا ثم بردّه ثانيا و بالخطبة لابى كاليجار ويشـكرون الخليفة حيث لم يخـالفهم فى شئ من ذلك وقالوا ان أمـير المؤمنين صاحب الامر ونحن العبيـد وقد اخطأنا ونسأل العفو وليس عندنا الآن من يجمع كلمتنا ونسأل ان ترسـل الى جلال الدولة ليصـعد الى بغـداد و يملك الامر و يجمع الكلمة ويخطب له فيها و يسألون أن يحلفه الرسول السائر لاحضاره لهـم فاجابهـم الخليفة الى ماسألوا وراسله هو وقوّاد الجند فى الاصعاد واليمين للخليفة والاتراك فخاف لهم وأصعد الى بغداد وانحدر الاتراك اليه فلقوه فى الطريق وأرسل الخليفة اليه القاضى أبا جعفر السمنانى فأعاد تجديد العهد عليه للخليفة والاتراك ففعل ولما وصـل الى بغداد نزل النجمى فركب الخليفة فى الطيار وانحدر يلتقيه فلما رآه جلال الدولة قبل الارض بين يديه وركب فى زبزبه ووقف قائما فأمره الخليفـة بالجلوس فخدم وجلس ودخل الى دار الملكة بعد ان مضى الى مشهد موسى بن جعفر فزار وقصد الدار فدخلهـا وأمر بضرب الطبل أوقات الصلوات الخمس فراسـله الخليفة فى منعه فقطعه غضبا حتى أذن له فى اعادته ففعل وأرسل جلال الدولة مؤيد الملك أبا على الرخجى الى الامير عنبر الخادم وهو عنـد قرواش وقد ذكرنا ذلك يعرفه اعتضاده به واعتمـاده عليه ومحبته له و يعتذر اليـه عن الاتراك فعذرهم وقال هم أولادى واخوتى

﴿ ذكر وفاة أبى القاسم بن المغربى وأبى الخطاب ﴾

اما أبو القاسم بن المغربى فتوفى فى هذه السـنة بميافارقين وكان عمره ستا وأربعين سـنة ولما أحس بالموت كتب كتبا عن نفسـه الى كل من يعرفه من الامراء والرؤساء الذين بينـه و بين الكوفة و يعرفهم ان حظيه له توفيت وانه قد سير تابوتها الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام وخاطبهم فى المراعاة لها فى صحبته وكان قصده ان لا يتعرض أحد لتابوته بمنع و ينطوى خبره فلما توفى سار به أصحابه كما أمرهم وأوصلوا الكتب فلم يعرض أحد اليه فدفن بالمشـهد ولم يعلم به أحد الا بعد دفنه ولابى القاسم شعر حسن فمنه هذه الابيات

وماطبيـة أدماء تحنو عـلى طـلا * ترى الانس وحشا وهى تأنس بالوحش
غـدت فارتعت ثم انثنت لرضاعه * فلم تلف شيأ من قوائمه الحمش
فطافت بذاك القاع وهى فصادفت * سباع الفلا ينهشنه ايما نهش
بأوجـع منـى يوم ظلت أنامـل * تودّعنى بالدر من شبك النقش
وأجمالهـم تخدى وقد خيل الهوى * كأن مطاياهم على ناظرى تمشى
وأعجب ماف الامر ان عشت بعدهم * على انهم ماخلفوا لى من بطش

وأما أبو الخطاب حمزة بن ابراهيم فانه مات بكرخ سامرا مفلوجا غريبا قد زال عنـه أمره وجاهـه وكان مولده سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ورثاه المرتضى كان سبب اتصاله ببهاء الدولة معرفة النجوم و بلغ منه منزلة لم يبلغها أمثاله فكان الوزراء يخدمونه وحمل اليه فخر الملك مائة ألف دينار فاستقلها وصار أمره الى ماصار من الضيق والفقر والغربة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السـنة سقط فى العراق جميعه برد كبار يكرين فى الواحدة رطل أو رطلان وأصغره كالبيضة فأهلك الغلات ولم يصح منها الا القليل وفيها آخر تشرين الثانى هبت ريح باردة بالعراق جمد منها الماء والخل وبطل دوران الدواليب على دجلة وفيها انقطع الحج من خراسان والعراق وفيها

اليوم والاجتماع فى جنازة من سلف قبله وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد فى الامور منها أن رجلا منهـم كان ينادى العنوا الواقف عند الشـبهات وهذا بالضـد مما جاء عـن صاحب الشريعة عليه السـلام فى ذلك وكان عظـيم من عظمائهم ومقـدم فيهم يقف موقفا بعـد موقف أمام الجنازة و ينادى بأعلى صوته

وأظلمت الدنيا لفقد محمد

وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه السلام وأنها اظلمت عنـد موت ابن حنبل كظلمتها عنـد موت الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم * وفى هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذى لم يرمثله قط وذلك فى ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة وقد كان فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض لكوكب عظيم هائل وهى الليـلة التى وقعت فيهـا القرامطـة بحاج العراق من طريق الكوفة وذلك فى ذى القعدة من سـنة ثلاث وعشرين وثلثمائة * وفى السنة التى مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافى

نقضت الدار المعزية وكان معز الدولة بن بويه بناها وعظمها وغرم عليها ألف ألف دينار وأول من شرع فى تخريبها بهاء الدولة فانه لما عمر داره بسوق الثلاثاء نقل اليها من انقاضها وأخذ سقفا منها وأراد أن ينقله الى شيراز فلم يتم ذلك فبذل فيه من يحك ذهبه ثمانية آلاف دينار ونقضت الآن وبيع انقاضها وفيها توفى هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم اللالكائى الرازى سمع الحديث الكثير وتفقه على أبى حامد الاسفرايينى وصنف كتبا وأبو القاسم طباطبا الشريف العلوى وله شعر جيد فمنه ان صديقا له كتب اليه رقعة فأجابه على ظهرها هذه الأبيات

وقرأت الذى كتبت ومازا * لنجيبى وهوذنبى وسيرى
وغدا الفال بامتزاج السطور * حاكما بامتزاج مافى الضمير
واقتران الكلام لفظا وخطا * شاهدا باقتران ودا الصدور
وتبركت باجتماع الكلامين * رجاء اجتماعنا فى سرور
وتفاءلت بالظهور على الوا * شى فصارت اجابتى فى الصدور

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين بدران وعسكر نصر الدولة﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار بدران بن المقلد العقيلى فى جمع من العرب الى نصيبين وحصرها وكانت لنصر الدولة بن مروان فخرج اليه عسكر نصر الدولة الذين بها وقاتلوه فهزمهم واستظهر عليهم وقتل جماعة من أهل نصيبين والعسكر فسير نصر الدولة عسكرا آخر نجدة لمن بنصيبين فأرسل اليهم بدران عسكرا فلقوهم فقاتلوهم وهزموهم وقتلوا أكثرهم فازعج ذلك ابن مروان وأقلقه فسير عسكرا آخر ثلاثة آلاف فارس فدخلوا نصيبين واجتمعوا بمن فيها وخرجوا الى بدران فاقتتلوا فانهزم بدران ومن معه بعد قتال شديد وقت الظهر وتبعهم عسكر ابن مروان ثم عطف عليهم بدران وأصحابه فلم يثبتوا له فأكثر فيهم القتل والاسر وغنم الاموال فعاد عسكر ابن مروان مقلولين فدخلوا نصيبين فاجتمعوا بها واقتتلوا مرة أخرى وكانوا على السواء ثم سمع بدران بان أخاه قراوش قد وصل الى الموصل فرحل خوفا منه لانهما كانا مختلفين

﴿ذكر شغب الاتراك ببغداد على جلال الدولة﴾

فى هذه السنة ثار الاتراك ببغداد على جلال الدولة وشغبوا وطالبوا الوزير أبا على بن ماكولا بما لهم من العلوفة والادرار ونهبوا داره ودور كتاب الملك وحواشيه حتى المغنين والمخنثين ونهبوا صياغات أخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم وتفرق فيهم وحصروا جلال الدولة فى داره ومنعوه الطعام والماء حتى شرب أهله ماء البئر وأكلوا ثمرة البستان فسألهم ان يمكنوه من الانحدار فاستأجر والله ولاهله واثقاله سفنا فجعل بين الدار والسفن سرادقا فاجتاز حرمه فيه لئلا يراهم العامة والاجناد فقصد بعض الاتراك السرادق فظن جلال الدولة انهم يريدون الحرم فصاح بهم يقول لهم بلغ أمركم الى الحرم وتقدم اليهم وبيده طبر فصاح صغار الغلمان والعامة جلال الدولة يا منصور ونزل أحدهم عن فرسه وأركبه اياه وقبلوا الارض بين يديه فلما رأى قواد الاتراك ذلك هربوا الى خيامهم بالرملة وخافوا على نفوسهم وكان فى الخزانة سلاح كثير فاعطاه جلال الدولة أصاغر الغلمان وجعلهم عنده ثم أرسل الى الخليفة ليصلح الامر مع أولئك القواد فارسل اليهم الخليفة القادر بالله فاصلح بينهم وبين جلال الدولة وحلفوا وقبلوا

كبار أهل العدلية وأهل الديانة من البغداديين ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين وهو رجل من همذان ووجوه قحطان والى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ومات عيسى ابن طلخ سنة خمس وأربعين ومائتين وكان من حذاقهم وأهل الديانات منهم وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ثم تنازع أصحابه فى مولده فقال قوم سنة احدى وثلاثين ومائة وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفى الحرار وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة فى وقته ممن وافقه على مذهبه وكان أبو الهذيل يذهب الى نفى التجسيم ورفع التشبيه والى ضد قول هشام فى التوحيد والامامة فقال هشام لابى الهذيل اذا زعمت أن الحركة ترى فلم لا زعمت انها تلمس قال لانها ليست بجسم فيلمس لان اللمس انما يقع على الاجسام فقال له هشام فقل أيضا انها لا ترى لان الرؤية انما تقع على الاجسام فرجع أبو الهذيل ساكتا فقال له من أين قلت ان الصفة

الارض بين يديه ورجعوا الى منازلهم فلم يمض غير أيام حتى عادوا الى الشغب فباع جلال الدولة فرشه وثيابه وخيمه وفرق ثمنها فيهم حتى سكنوا

﴿ ذكر الاختلاف بين الديلم والاتراك بالبصرة ﴾

فى هذه السنة ولى النفيس أبو الفتح محمد بن اردشير البصرة استعمله عليها جلال الدولة فلما وصل الى المشان منحدرا اليها وقع بينه وبين الديلم الذين بالمشان وقعة استظهر عليهم وقتل منهم وكانت الفتن بالبصرة بين الاتراك والديلم وبها الملك العزيز أبو منصور بن جلال الدولة فقوى الاتراك بها فاخرجوا الديلم فمضوا الى الابلة وصار وامع بختيار بن على فسار اليهم الملك العزيز بالابلة ليعيدهم ويصلح بينهم وبين الاتراك فكاشفوه وحملوا عليه وناد وا بشعار أبى كاليجار فعاد منهزما فى الماء الى البصرة ونهب بختيار نهر الدير والابلة وغيرهما من السواد واعانه الديلم ونهب الاتراك أيضا وارتكبوا المحظور ونهبوا دار بنت الاوحد بن مكرم زوجة جلال الدولة

﴿ ذكر استيلاء أبى كاليجار على البصرة ﴾

لما بلغ الملك أبا كاليجار ما كان بالبصرة سير جيشا الى بختيار وأمره ان يقصد البصرة فيأخذها فسار وا اليها وبها الملك العزيز بن جلال الدولة فقاتلهم ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فانهزم منهم وفارق البصرة وكاد يهلك هو ومن معه عطشا فمن الله عليهم بمطر جود فشربوا منه وأصعدوا الى واسط وملك عسكر أبى كاليجار البصرة ونهب الديلم أسواقها وسلم منها البعض بمال بذلوه لمن يحميهم وتتبعوا أموال أصحاب جلال الدولة من الاتراك وغيرهم فلما بلغ جلال الدولة الخبر اراد الانحدار الى واسط فلم يوافقه الجند وطلبوا منه مالا يفرق فيهم فلم يكن عنده فمديده فى مصادرات الناس وأخذ أموالهم لاسيما أرباب الاموال فصادر جماعة

﴿ ذكر وفاة صاحب كرمان واستيلاء أبى كاليجار عليها ﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان وكان قد تحهر لقصد بلاد فارس وجمع عسكرا كثيرا فادركه أجله فلما توفى نادى أصحابه بشعار الملك أبى كاليجار وأرسلوا اليه يطلبونه اليهم فسار مجدا وملك البلاد بغير حرب ولا قتال وأمن الناس معه وكانوا يكرهون عمه أبا الفوارس لظلمه وسوء سيرته وكان اذا شرب شرب أصحابه وضرب وزيره يوما مائتى مقرعة وحلفه بالطلاق انه لا يتأوه ولا يخبر بذلك أحدا فقيل انهم سموه فمات

﴿ ذكر استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الدبيسية ﴾

كان منصور بن الحسين الاسدى قد ملك الجزيرة الدبيسية وهى تجاور خوزستان ونادى بشعار جلال الدولة وأخرج صاحبها طراد بن دبيس الاسدى سنة ثمان عشرة وأربعمائة فمات طراد عن قريب فلما مات طراد سار ابنه أبو الحسن على الى بغداد يسأل ان يرسل جلال الدولة معه عسكرا الى بلده ليخرج منصورا منه ويسلمه اليه وكان منصور قد قطع خطبة جلال الدولة وخطب للملك أبى كاليجار فسير معه جلال الدولة طائفة من الاتراك فلما وصلوا الى واسط لم يقف على بن طراد حتى تجتمع معه طائفة من عسكر واسط وسار عجلا واتفق ان أبا صالح كورکير كان قد هرب من جلال الدولة وهو يريد اللحاق بابى كاليجار فسمع هذا الخبر فقال لمن معه المصلحة أننا نعين منصورا ولا نمكن عسكر جلال الدولة من اخراجه ونتخذ بهذا الفعل يدا عند أبى كاليجار فأجابوه الى ذلك فسار الى منصور واجتمع معه والتقوا هم وعسكر جلال الدولة الذين مع على بن طراد بيسبر وذ فاقتتلوا فانهزم عسكر جلال الدولة وقتل على بن طراد وجماعة كثيرة من الاتراك

غيرى لان التغاير انما أوقعه على الاجسام والاعيان القائمة بانفسها فلما لم يكن فعلى قائما بنفسه ولم يجز أن يكون فعلى انا وجب انه لا انا ولا غيرى وعلة أخرى أنت قائل بها زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة لانها عندك مما لا يجوز عليه المماسة ولا المباينة فلذلك قلت انا ان الصفة ليست أنا ولا غيرى وعلتى فى انها ليست أنا ولا غيرى علتك فى انها لا تماس ولا تباين فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جوابا * وكانت وفاة أبى موسى الفراء سنة ست وعشرين ومائتين وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ومات واصل بن عطاء ويكنى بأبى حزيفة فى سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى أمية قول المعتزلة فى الاصول الخمسة فأغنى ذلك عن اعادته

وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين فيها وأن وفاته كانت سنة أربع وأربعين ومائة

وهلك كثير من المنهزمين بالعطش واستقر ملك منصور بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة سار الدزبري وعساكر مصر الى الشام فاوقعوا بصالح بن مرداس وابن الجراح الطائي فهزمهما وقتل صالحا وابنه الاصغر وملك جميع الشام وقيل سنة عشرين وفيها توفيت أم مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وهي التي كانت تدبر المملكة وترتب الامور وفيها عزل الحسن بن علي بن جعفر أبو علي بن ماكولا من وزارة جلال الدولة وولي الوزارة بعده أبو طاهر الحسن بن طاهر ثم عزل بعد أربعين يوما وولي بعده أبو سعد بن عبد الرحيم وفيها توفي قسطنطين ملك الروم وانتقل الملك الى بنت له وقام بتدبير الملك والجيوش زوجها وهو ابن خالها وفيها توفي الوزير أبو القاسم جعفر بن محمد بن فسانجس باريق وفيها عدمت الارطاب بالعراق للبرد الذي تقدم في السنة قبلها وكان يحمل من الاماكن البعيدة الشيء اليسير منه وفيها انقطع الحج من العراق فمضى بعض حجاج خراسان الى كرمان وركبوا في البحر الى جدة وحجوا وتوفي في هذه السنة محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد أبو الحسن التاجر وهو آخر من حدث عن اسمعيل بن محمد الصفار ومحمد بن عمرو الرزاز وعمر بن الحسن الشيباني وكان له مال كثير فسافر الى مصر خوف المصادرة فاقام بها سنة ثم عاد الى بغداد فاخذ ماله في التقسيط على الكرخ الذي ذكرناه سنة ثمان عشرة وأربعمائة فافتقر فلما مات لم يوجد له كفن فارسل له القادر بالله ما يكفن فيه

﴿ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك يمين الدولة الري وبلد الجبل﴾

في هذه السنة سار يمين الدولة محمود بن سبكتكين نحو الري فانصرف منوجهر بن قابوس من بين يديه وهو صاحب جرجان وطبرستان وحمل اليه أربعمائة ألف دينار وازالا كثيرة وكان مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الري قد كاتبه يشكو اليه جنده وكان متشاغلا بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها وكانت والدته تدبر مملكته فلما توفيت طمع جنده فيه واختلفت أحواله فحين وصلت كتبه الى محمود سير اليه جيشا وجعل مقدمهم حاجبه وأمره أن يقبض على مجد الدولة فلما وصل العسكر الى الري ركب مجد الدولة يلتقيهم فقبضوا عليه وعلى أبي دلف ولده فلما انتهى الخبر الى يمين الدولة بالقبض عليه سار الى الري فوصلها في ربيع الآخر ودخلها وأخذ من الاموال ألف ألف دينار ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ستة آلاف ثوب ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى وأحضر مجد الدولة وقال له أما قرأت شاهنامه وهو تاريخ الفرس وتاريخ الطبري وهو تاريخ المسلمين قال بلى قال ما حالك حال من قرأها اما علمت بالشطرنج قال بلى قال فهل رأيت شاها يدخل على شاه قال لا قال فما حملك على ان سلمت نفسك الى من أهو أقوى منك ثم سيره الى خراسان مقبوضا ثم ملك قزوين وقلاعها ومدينة ساوة وآبه ويافت وقبض على صاحبها ولكين بن وندرين وسيره الى خراسان ولما ملك محمود الري كتب الى الخليفة القادر بالله يذكر انه وجد لمجد الدولة من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة ولد له نيفا وثلاثين ولدا ولما سئل عن ذلك قال هذه عادة ملوك وصلب من أصحابه الباطنية خلقا كثيرا ونفى المعتزلة الى خراسان وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل ونحصن منه منوجهر بن قابوس بن وشمكير بجبال حصينة وعرة المسالك فلم يشعر الا وقد أطل عليه يمين الدولة فهرب منه الى غياض حصينة وبذل خمسمائة ألف

وعلى من يلي عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ومن يلي أيامهم وعمرو يذهب الى أن الامامة اختيار من الامة في سائر الاعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد لم خلق الله لك عينين قال لانظر بهما الى ما خلق الله من السموات والارض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لي عليه فقال هشام فلم خلق الله لك سمعا قال لاسمع به التحليل والتحريم والامر والنهي فقال له هشام فلم خلق الله لك قلبا قال عمرو لتكون هذه الحواس مؤدية اليه فيكون مميزا بين منافعها ومضارها قال هشام فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدي هذه الحواس اليه قال عمرو لا فقال هشام ولم قال لان القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح له فلما لم يخلق الله فيها انبعاثا من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ما خلقت له الا يخلق القلب فيكون هو الباعث لها على ما تفعله والمميز لها بين مضارها ومنافعها ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس

اذ كانت الحواس راجعة الى القلب لا الى غيره ويكون سائر الخلق راجعين الى الامام لا الى غيره

دينارا يصلحه فاجابه الى ذلك فارسل المال اليه فسار منه الى نيسابور ثم توفى منوجهر عقيب ذلك وولى بعده ابنه أنوشروان فاقره محمود على ولايته وقرر عليه خمسمائة ألف دينار أخرى وخطب لمحمود فى أكثر بلاد الجبل الى حدود ارمينية وافتتح ابنه مسعود زنجان وابهر وخطب له علاء الدولة باصبهان وعاد محمود الى خراسان واستخلف بالرى ابنه مسعودا فقصد أصبهان وملكها من علاء الدولة وعاد عنها واستخلف بها بعض أصحابه فثار به أهلها فقتلوه فعاد اليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو خمسة آلاف قتيل وسار الى الرى فاقام بها

﴿ذكر ما فعله السالار ابراهيم بن المرزبان بعد عود يمين الدولة عن الرى﴾

هذا السالار هو ابراهيم بن المرزبان بن اسمعيل بن وهسوذان بن محمد بن مسافر الديلمى وكان له من البلاد سرجهان وزنجان وابهر وشهرزور وغيرها وهى ما استولى عليها بعد وفاة فخر الدولة ابن بويه فلما ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين الرى سير المرزبان بن الحسن بن خراسيل وهو من أولاد ملوك الديلم وكان قد التجأ الى يمين الدولة فسيره الى بلاد السالار ابراهيم ليملكها فقصدها واستمال الديلم فمال اليه بعضهم واتفق عود يمين الدولة الى خراسان فسار السالار ابراهيم الى قزوين وبها عسكر يمين الدولة فقاتلهم فاكثر القتل فيهم وهرب الباقون وأعانه أهل البلد وسار السالار ايضا الى مكان بقرب سرجهان تطيف به الانهار والجبال فتحصن به فسير مسعود بن يمين الدولة وهو بالرى بما فعل فسار مجدا الى السالار فجرى بينهما وقائع كان الاستظهار فيها للسالار ثم ان مسعودا راسل طائفة من جند السالار واستمالهم واعطاهم الاموال فمالوا اليه ودلوه على عورة السالار وحملوا طائفة من عسكره فى طريق غامضة حتى جعلوه من ورائهم وكبسوا السالار أول رمضان وقاتله مسعود من بين يديه وأولئك من خلفه فاضطرب السالار ومن معه وانهزموا وطلب كل انسان منهم مهربا واختفى السالار فى مكان فدلت عليه امرأة سوادية فاخذه مسعود وحمله الى سرجهان وبها ولده فطلب منه ان يسلمها فلم يفعل فعاد عنها وتسلم باقى قلاعه وبلاده وأخذ أمواله وقرر على ابنه المقيم بسرجهان مالا وعلى كل من جاوره من مقدمى الاكراد وعاد الى الرى

﴿ذكر ملك أبى كاليجار مدينة واسط ومسير جلال الدولة الى الاهواز ونهبها وعود واسط اليه﴾

فى هذه السنة أصعد الملك أبو كاليجار الى مدينة واسط فملكها وكان ابتداء ذلك ان نور الدولة دبيس بن على بن مزيد صاحب الحلة والنيل ولم تكن الحلة بنيت ذلك الوقت خطب لابى كاليجار فى أعماله وسببه ان أبا حسان المقلد بن أبى الاغر الحسن بن مزيد كان بينه وبين نور الدولة عداوة فاجتمع هو ومنيع أمير بنى خفاجة وأرسلا الى بغداذ يبذلان مالا يتجهز به العسكر لقتال نور الدولة فاشتد الامر على نور الدولة فخطب لابى كاليجار وراسله يطمعه فى البلاد ثم اتفق انه ملك البصرة على ما ذكرناه فقوى طمعه فسار من الاهواز الى واسط وبها الملك العزيز بن جلال الدولة ومعه جمع من الاتراك ففارقها العزيز وقصد النعمانية ففجر عليه نور الدولة البثوق من بلده فهلك كثير من اثقالهم وغرق جماعة منهم وخطب فى البطيحة لابى كاليجار ووردت اليه نور الدولة وأرسل أبو كاليجار الى قرواش صاحب الموصل وعنده الاثير عنبر يطلب منه ان يحدر الى العراق ليبقى جلال الدولة من الفريقين فانحدر الى الكحيل فمات به الاثير عنبر ولم يحدر معه قرواش وجمع جلال الدولة عساكره واستنجد أبا الشوك وغيره وانحدر الى واسط ولم يكن

الوراق ببغداد فى كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة أبى عيسى بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين وله تصنيفات كثيرة منها كتابه فى المقالات فى الامامة وغيرها من النظر وكانت وفاة أبى الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد سنة خمس ومائتين وله نحو من أربعين سنة وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا وقد ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان وفاة أرباب المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والنحل وأخبارهم ومناظراتهم وتباينهم فى مذاهبهم وكذلك فى الكتاب الاوسط الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وانما يسنح لنا ذكر بعضهم فى هذا الكتاب فنذكر لهم لمعا وكذلك غيرهم من الفقهاء وأصحاب الحديث وفيها مات ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه وكان يكتسب فى حداثته بشعره ورحل الى الملوك والامراء ومدحهم طلبا لجدواهم وذكر رجل من الكتاب

أن اسحق بن ابراهيم أخا زيد بن ابراهيم حدثه انه كان يتقلد الصيرة والسيروان وأن ابراهيم

بين العسكرين قتال وتتابعت الامطار حتى هلكوا واشتد الامر على جلال الدولة لفقره وقلة الاموال وغيرها عنده فاستشار أصحابه فيما يفعل فاشاروا ان يقصد الاهواز وينهبها ويأخذ ما بها من أموال أبي كاليجار وعسكره فسمع أبو كاليجار ذلك فاستشار أيضا أصحابه فقال بعضهم ما عدل جلال الدولة عن القتال الا لضعف فيه والرأي ان تسير الى العراق فتأخذ من أموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منا فاتفقوا على ذلك فاتاهم جاسوس من أبي الشوك يخبر بمجيء عساكر محمود بن سبكتكين الى طخرستان يريدون العراق ويشير بالصلح واجتماع الكلمة على دفعهم عن البلاد فانفذ أبو كاليجار الكتاب الى جلال الدولة وقد سار الى الاهواز وأقام ينتظر الجواب ظنا منه ان جلال الدولة يعود بالكتاب فلم يلتفت جلال الدولة ومضى الى الاهواز فنهبها وأخذ من دار الامارة مائتي ألف دينار وأخذ وأما لا يحصى ودخل الاكراد والاعراب وغيرهم الى البلد فاهلكوا الناس بالنهب والسبي وأخذت والدة أبي كاليجار وابنته وأم ولده وزوجته فماتت أمه وحمل من عداها الى بغداد ولما سمع أبو كاليجار الخبر سار لياقي جلال الدولة فتخلف عنه دبيس بن مزيد خوفا على أهله وحلله من خفاجة والتقى أبو كاليجار وجلال الدولة آخر ربيع الاول سنة احدى وعشرين فاقتتلوا ثلاثة أيام وانهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه ألفا رجل ووصل الى الاهواز باسوأ حال فأتاه العادل بن مافنة بمال فحسنت حاله وأما جلال الدولة فانه عاد واستولى على واسط وجعل ابنه العزيز بها وأصعد الى بغداد ومعه المرتضى ومهيار وغيرهما وهنوه بالظفر

﴿ذكر حال دبيس بن مزيد بعد الهزيمة﴾

لما عاد دبيس بن مزيد الاسدي وفارق أبا كاليجار وصل الى بلده وكان قد خالف عليه قوم من بني عمه ونزلوا الجامعين وأتاهم وقاتلهم فظفر بهم وأسر منهم جماعة منهم شبيب وسرايا وهب بنو حماد بن مزيد وأبو عبد الله الحسين بن أبي الغنائم بن مزيد وحملهم الى الجوسق ثم ان المقلد بن أبي الاغر بن مزيد وغيره اجتمعوا ومعهم عسكر من جلال الدولة وقصدوا دبيسا وقاتلوه فانهزم منهم وأسر من بني عمه خمسة عشر رجلا فنزل المعتقلون بالجوسق وهم شبيب وأصحابه الى حلله فحرسوها وسار دبيس منهزما الى السندية الى نجده الدولة أبي منصور كامل بن قراد فاستصحبه الى أبي سنان غريب بن حسن حتى أصلح أمره مع جلال الدولة وعسكره وتكفل به وضمن عنه عشرة آلاف دينار سابورية اذا أعيد الى ولايته فاجيب الى ذلك وخلع عليه فعرف المقلد الحال ومعه جمع من خفاجة فنهبوا مطير اباذ والنيل وسورا أقبح نهب واستاقوا مواشيها وأحرقوا منازلها وعبر المقلد دجلة الى أبي الشوك وأقام عنده الى أن أحكم أمره

﴿ذكر عصيان زناتة ومحاربتهم بافريقية﴾

في هذه السنة تجمعت زناتة وعاودت الخلاف على المعز بافريقية فبلغ ذلك المعز فجمع عساكره وسار اليهم بنفسه فالتقوا بموضع يعرف بحمديس الصابون ووقعت الحرب بين الطائفتين واشتد القتال فانهزمت زناتة وقتل منهم عدد كثير وأسر مثلهم وعاد المعز ظافرا غانما

﴿ذكر ما فعله يمين الدولة وولده بعده بالغز﴾

في هذه السنة أوقع يمين الدولة بالاتراك الغزية وفرقهم في بلاده لانهم كانوا قد أفسدوا فيها وهؤلاء كانوا أصحاب ارسلان بن سلجوق التركي وكانوا بخارا فلما عبر يمين الدولة النهر الى بخارا هرب على تكين صاحبها منه على ما ذكره وحضر ارسلان بن سلجوق عند يمين الدولة

فضل آل علي وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال فاستحسنت القصيدة فسألته أن ينفضها الى ففعل ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة وضرب الدهر من ضربه الى أن ولي ديوان الضياع بمكان موسى بن عبد الملك وكنت أحد عمال موسى وكان يجب أن يكشف أسباب موسى فعزلني وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر علي فيها وحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم للكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعني في خلال ذلك بدعا من الكلام الى أن أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت عليه فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لانك رافضي فقلت له تأذن لي في الدنو منك فأذن لي فقلت ليس مع تعريضك بهجيتي للقتل صبروها هو المتوكل ان كتبت اليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسي وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض والرافضي من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من العباس وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندي به وأخبرته بالشعر فوالله ما هو الا أن

فقبض عليه وسجنه ببلاد الهند وأسرى الى خركاهاته فقتل كثيرا من أصحابه وسلم منهم خلق كثير فهربوا منه ولحقوا بخراسان فافسدوا فيها ونهبوا هذه السنة فارسل اليهم جيشا فسبوهم وأجلوهم عن خراسان فسار منهم أهل الى خركاة فلحقوا باصبهان فكتب يمين الدولة الى علاء الدولة بانفاذهم أو انفاذ رؤسهم فامر نائبه أن يعمل طعاما ويدعوهم اليه ويقتلهم فارسل اليهم وأعلمهم أنه يريد اثبات أسمائهم ليستخدمهم وكان الديلم فى البساتين فحضر جمع كثير منهم فاقيمهم مملوك تركى لعلاء الدولة فاعلمهم الحال فعادوا فاراد نائب علاء الدولة أن يمنعهم من العود فلم يقبلوا منه فحمل ديلمى من قواد الديلم على انسان منهم فرماه التركى بسهم فقتله ووقع الصوت بذلك فخرجت الديلم وانضاف اليهم أهل البلد فجرى بينهم حرب فهزموهم فقطع الترك خركاهاتهم وساروا ولم يجتازوا على قرية الا نهبوها الى ان وصلوا الى وهسوذان باذربيجان فراعاهم وتفقدهم وبقى بخراسان أكثرهم قصد أصبهان فاتوا جبل بلجان وهو الذى عنده خوارزم القديمة فنزل كثير منهم من الجبل الى البلاد فنهبوا وأخربوا وقتلوا فجرد محمود بن سبكتكين اليهم أرسلان الجاذب أميرطوس فسار اليهم ولم يزل يتبعهم نحو سنتين فى جموع كثيرة من العساكر فاضطر محمود الى قصد خراسان بسببهم فسار يطلبهم من نيسابور الى دهستان فساروا الى جرجان ثم عاد عنهم وجعل ابنه مسعودا بالرى على ماذكرناه فاستخدم بعضهم وقدمهم ثم فلما مات محمود بن سبكتكين سار مسعود ابنه الى خراسان وهم معه فلما ملك غزنة سألوه فيمن بقى منهم بجبل بلجان فاذن لهم فى العود على شرط الطاعة والاستقامة ثم ان مسعودا قصد بلاد الهند عند عصيان أحمد ينالتكين فعاودوا الفساد فسير تاش فراش فى عسكر كثير الى الرى لاخذها من علاء الدولة فلما بلغ نيسابور ورأى سوء فعلهم دعا مقدميهم وقتل منهم نيفا وخمسين رجلا فيهم يغمر فلم ينتهوا وساروا الى الرى وبلغ مسعودا ما هم عليه من الشر والفساد فاخذ حلالهم وسيرها الى الهند وقطع أيدى كثير منهم وأرجلهم وصلبهم (هذه أخبار عشيرة أرسلان بن سلجوق) وأما أخبار طغرلبك وداود واخيهما يغو فانهم كانوا بما وراء النهر وكان من أمرهم ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى لانهم صاروا ملوكا تجىء أخبارهم على السنين ولما أوقع تاش فراش حاجب السلطان مسعود بالغز سار وا الى الرى يزعمون انهم يريدون اذربيجان واللحاق بمن مضى منهم أولا الى هناك ويسمون العراقية وكان اسم أمراء هذه الطائفة كوكتاش وبوقا وقزل ويغمر وناصغلى فوصلوا الى الدامغان فخرج اليهم عسكرها وأهل البلد ليمنعوهم عنه فلم يقدروا فصعدوا الجبل وتحصنوا به ودخل الغز البلد ونهبوه وانتقلوا الى سمنان فعلوا فيها مثل ذلك ودخلوا خوار الرى ففعلوا مثله ونهبوا اسحق آباذ ومايجاورها من القرى وساروا الى مشكويه من أعمال الرى فنهبوها وتجهز أبو سهل الحمدونى وتاش فراش وكاتبا الملك مسعودا وصاحب جرجان وطبرستان بالحال وطلبا النجدة وأخذ تاش ثلاثة آلاف فارس وما عنده من الفيلة والسلاح وسار الى الغز ليوقعهم وبلغهم خبره فتركوا نساءهم وأموالهم وما غنموا من خراسان وهذه البلاد المذكورة وساروا جريدة فالتقوا فركب تاش الفيل ووقعت الحرب بين الفريقين فكانت أولا لتاش ثم ان الغز أسروا مقدم الاكراد الذين مع تاش وأرادوا قتله فقال لهم استبقونى حتى آمر الاكراد الذين مع تاش بتركه فقالوا كم فتركوه وعاهدوه على اطلاقه فارسل الى الاكراد يقول لهم ان قاتلتم قتلت فتركوا فى القتال وحمت الغز وكانوا خمسة آلاف على تاش فراش وعسكره فانهزم الاكراد وثبت تاش وأصحابه فقتل الغز الفيل الذى تحته فسقط فقتلوه وقطعوه أخذا بثار من قتل منهم وقتل معه عدد كثير من

اليه أنك لا تطالبنى بشئ مما جرى على يدى وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لى فى حساب فخلف لى على ذلك وخرق العمل المعمول وأحضرته الدفتر فوضعه فى خفه وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة

* ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت وفصول حسان من كلامه قد جمعت قد أتينا على كثير منها فى الكتاب الاوسط فما استحسن من فصوله وان كانت كلها فى نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه وقديما غدت المعصية أبناءها فحلبت عليهم من درها مرضعة وبسطت لهم من أمانيها مطمعة وركبت فيهم مخاطرها موضعة حتى اذا رتعوا فأمنوا وركبوا فاطمأنوا وانقضى رضاع وآن فطام سقتهم سما فعجرت مجارى ألبانها منهادا وأعقبتهم من غذائها مرا وخطت بهم من معقل الى عقال ومن عز الى حسرة قتلا وأسرا وأباحة وقسرا وقل من أوضع فى الفتنة مرهجا فى لهبها ومقتحما عند ضلالها الا استقحمته آخذة بمخنقه وموهنة بالحق كيده حتى تجعله لعاجله جزرا ولآجله حطبا وللحق موعظة وللباطل حجة ذلك لهم جزاء فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد وله أشعار حسان

الخراسانية وأكابر القواد وعمو بقية الفيلة وأثقال العسكر وساروا الى الرى فاقتتلوا هم وأبو سهل الحمدونى ومن معه من الجند وأهل البلد فصعد هو ومن معه قلعة طبرك ودخل الغز البلد ونهبوا عدة محال نهبا واجتاحوا الاموال ثم اقتتلوا هم وأبو سهل فاسر منهم ابن أخت ليغمر أمير الغز وقائدا كبيرا من قوادهم فبذلوا فيهما عادة ما أخذوا من عسكر تاش واطلاق الاسرى وحمل ثلاثين ألف دينار فقال لا أفعل الا بامر السلطان وخرج الغز عن البلد ووصل عسكر من جرجان فلما قربوا من الرى سار اليهم الغز فكبسوهم وأسروا مقدمهم وأسروا معه نحو ألفى رجل وانهزم الباقون وعادوا وكان هذا سنة سبع وعشرين وأربعمائة

﴿ذكر وصول علاء الدولة الى الرى واتفاقه مع الغز وعودهم الى الخلاف عليه﴾

لما فارق الغز الرى الى اذربيجان علم علاء الدولة ذلك فسار اليها ودخلها وهو يظهر طاعة السلطان مسعود بن سبكتكين فارسل الى أبى سهل الحمدونى يطلب منه ان يقرر الذى عليه بمال يؤديه فامتنع من اجابته مخافة علاء الدولة فارسل الى الغز يستدعيهم ليعطيهم الاقطاع ويتقوى بهم على الحمدونى فعاد منهم نحو ألف وخمسمائة مقدمهم قزل وساروا الى اذربيجان فلما وصل الغز الى علاء الدولة أحسن اليهم وتمسك بهم وأقاموا عنده ثم ظهر على بعض القواد الخراسانية الذين عنده انه دعا الغز الى موافقته على الخروج عليه والعصيان فارسل اليه علاء الدولة وأحضره وقبض عليه وسجنه فى قلعة طبرك فاستوحش الغز لذلك ونفروا فاجتهد علاء الدولة فى تسكينهم فلم يفعلوا وعاودوا الفساد والنهب وقطع الطريق وعاد علاء الدولة راسل أبا سهل الحمدونى وهو بطبرستان وقرر معه أمر الرى ليكون فى طاعة مسعود فاجابه الى ذلك وسار الى نيسابور وبقى علاء الدولة بالرى

﴿ذكر ما كان من الغز الذين باذربيجان ومفارقتها﴾

قد ذكرنا ان طائفة من الغز وصلوا الى اذربيجان فاكرمهم وهسوذان وصاهرهم وجاء نصرهم وكف شرهم وكان أسماء مقدميهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا وكان ما أمله بعيدا فانهم لم يتركوا الشر والفساد والقتل والنهب وساروا الى مراغة فدخلوها سنة تسع وعشرين واحرقوا جامعها وقتلوا من عوامها مقتلة كثيرة ومن الاكراد الهذبانية كذلك وعظم الامر واشتد البلاء فلما رأى الاكراد ما حل بهم وبأهل البلاد شرعوا فى الصلح والاتفاق على دفع شرهم فاصطلح أبو الهيجاء بن ربيب الدولة وهسوذان صاحب اذربيجان واتفقت كلمتهما واجتمع معهما أهل تلك البلاد فانتصفوا من الغز فلما رأوا اجتماع أهل البلاد على حربهم انصرفوا عن أذربيجان وتعذر عليهم المقام بها ثم انهم افترقوا فسارت طائفة الى الذين على الرى ومقدمهم بوقا وسارت طائفة منهم ومقدمهم منصور وكوكتاش الى همذان فحصروها وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه فاتفق هو وأهل البلاد على قتالهم ودفعهم عن أنفسهم وبلدهم فقتل بين الفريقين جماعة كثيرة وطال مقامهم على همذان فلما رأى أبو كاليجار بن علاء الدولة ذلك وضعفه عن مقاومتهم راسل كوكتاش وصالحه وصاهره وأما الذين قصدوا الرى فانهم حصروها وبها علاء الدولة بن كاكويه واجتمع معهم فناخسرو بن مجد الدولة وكامرو الديلمى صاحب ساوة فكثر جمعهم واشتدت شوكتهم فلما رأى علاء الدولة انهم كلما جاء أمرهم ازداد قوة وضعف هو خاف على نفسه وفارق البلد فى رجب ليلا ومضى هاربا الى اصبهان واجفل أهل البلد وتمزقوا وعدلوا عن القتال الى الاحتيال الهرب وعاداهم الغز من الغد بالقتال فلم يثبتوا لهم ودخلوا

لما استحسن من شعره الذى لم يسبقه عند جماعة أهل الادب أحد من زمانه قوله

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا ... اذا انتفضت ونحن اليوم نشكوها

ويفتر عنها أرضها وسماؤها ... وقوله أولى البرية طرا ان تواسيه

فمن دونها أن تستباح دماؤنا

ومن دوننا أن يستدم دماؤها

حمى وقرى فالموت دون مرامها

وأهون خطب فى الحقوق فناؤها

وقوله

ولكن الجواد أبا هشام ... ودخلوا

وفى العهد مأمون المغيب

وقوله

ومن ذخرت زمنى ... شتأت فى الخلان

ومن ذخرت لنفسى

فعاد ذخر الزمان

لو قيل لى خذ أمانا

من أعظم الحدثان

لما أخذت أمانا

الا من الاخوان

وقوله

واذا جزى الله امرأ بفعاله ... فجزى اخا لك ماجدا اسعما

نبهته من كذبه فكأنما ... نبهت اذ نبهته صبحا

ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله

تزيده الايام ان اقبلت ... حزما وعلما بتصاريفها

كأنها فى وقت اسعافها ... تسمعه صوت تحاريفها

ومما أحسن فيه وبرز عن نظرائه قوله

سقيا ورعيا للايام لنا سلفت ... بكيت منها فصرت اليوم ابكيها

كذلك أيامنا الاشك نندبها

ودخلوا البلد ونهبوا نهبا فاحشا وسبوا النساء وبقوا كذلك خمسة أيام حتى لجأ الحرم الى الجامع وتفرق الناس فى كل مذهب ومهرب وكان السعيد من نجا بنفسه وكانت هذه الوقعة بعد التى تقدمتها مستأصلة حتى قيل ان بعض الجمع لم يكن بالجامع الا خمسين نفسا ولما فارق علاء الدولة الرى تبعه جمع من الغز فلم يدركوه فعدلوا الى كرج فنهبوها وفعلوا فيها الافاعيل القبيحة ومضى طائفة منهم ومقدمهم ناصغلى الى قزوين فقاتلهم أهلها ثم صالحوهم على سبعة آلاف دينار وصاروا فى طاعته وكان بأرمية طائفة منهم فساروا الى بلد الارمن فاوقعوا بهم واثخنوا فيهم وأكثروا القتل وغنموا وسبوا وعادوا الى ارمية واعمال أبى الهيجاء الهذبانى فقاتلهم اكرادها لما أنكروه من سوء مجاورتهم فقتل خلق كثير ونهب الغز سواد البلاد هنالك وقتلوا من الاكراد كثيرا

﴿ ذكر ملك الغز همذان ﴾

قد ذكرنا حصار الغز همذان وصلحهم مع صاحبها أبى كالنجار بن علاء الدولة بن كاكويه فلما كان الآن وملك الغز الرى عاودوا حصار همذان وساروا اليها من الرى ماعدا قزل وجماعته واجتمعوا مع من بها من الغز فلما سمع أبو كالنجار بهم علم انه لا قدرة له عليهم فسار عنها ومعه وجوه التجار وأعيان البلد وتحصن بكنكور ودخل الغز همذان سنة ثلاثين وأربعمائة واجتمع عليها من مقدميهم كوكتاش وبوقا وقزل ومعهم فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه فى عدة كثيرة من الديلم فلما دخلوها نهبوها نهبا منكرا لم يفعلوه بغيرها من البلاد غيظا منهم وحنقا عليهم حيث قاتلوهم أولا وأخذوا الحرم وضربت سراياهم الى أسداباذ وقرى الدينور واستباحوا تلك النواحى وكان الديلم أشدهم فخرج اليهم أبو الفتح بن أبى الشوك صاحب الدينور فواقعهم واستظهر عليهم وأسر منهم جماعة فراسله امراؤهم فى اطلاقهم فامتنع الا على صلح وعهود فاجابوه وصالحوه فاطلقهم ثم ان الغز همذان راسلوا أبا كالنجار بن علاء الدولة وصالحوه وطلبوا اليه أن ينزل اليهم ليدبر أمرهم ويصدرون عن رأيه وارسلوا اليه زوجته التى تزوجها منهم قزل اليهم فلما صار معهم وثبوا عليه فانهزم ونهبوا ماله وما كان معه من دواب وغيرها فسمع أبوه فخرج من اصبهان الى أعماله بالجبل ليشاهدها فوقع بطائفة كثيرة من الغز فظفر بهم وقتل منهم فاكثر واسر منهم ودخل اصبهان منصورا

﴿ ذكر قتل الغز بمدينة تبريز وفراقهم اذربيجان الى الهكارية ﴾

فى سنة اثنتين وثلاثين قتل وهسوذان بن مهلهل جمعا كثيرا من الغز بمدينة تبريز وكان سبب ذلك انه دعا جمعا كثيرا منهم لى طعام صنعه لهم فلما طعموا وشربوا قبض على ثلاثين رجلا منهم من مقدميهم فضعف الباقون فاكثر فيهم القتل فاجتمع الغز المقيمون بأرمية وساروا نحو بلاد الهكارية من أعمال الموصل فقاتلهم اكرادها وقاتلوهم قتالا عظيما فانهزم الاكراد وملك الغز حللهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم وتعلق الاكراد بالجبال والمضايق وسار الغز فى أثرهم فواقعوهم فظفروا بهم الاكراد فقتلوا منهم ألفا وخمسمائة رجل وأسروا جماعة فيهم سبعة من أمرائهم ومائة نفس من وجوههم وغنموا سلاحهم ودوابهم وما معهم من غنيمة استردوها وسلك الغز طريق الجبال فتمزقوا وتفرقوا وسمع ابن ربيب الدولة الخبر فسير فى آثارهم من يقفى باقيهم ثم توفى قزل أمير الغز المقيم بالرى وخرج ابراهيم ينال أخو السلطان طغرلبك الى الرى فلما سمع به الغز المقيمون بها اجفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل خوفا منه وقصدوا ديار بكر والموصل فى سنة ثلاث وثلاثين

لا تلمنى فان همك أن تد
رى وهمى مكارم الاخلاق
كيف يستطيع حفظ
ما جمعت كفاه من ذاق
لذة الانفاق

وقوله

أسد ضار اذا ما هيجته
وأب بر اذا ما قدرا
يعلم الاقصى اذا أثرى ولا
يعلم الادنى اذا ما افتقرا

وكان ابراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان مثل قوم علوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى التلف أبعدهم من الارتقاء وكان ابراهيم يدعى خؤولة العباس بن الاحنف الشاعر (وحكى) أبو العباس أحمد بن جعفر ابن حمدان القاضى عن سليمان بن الحسن بن مخلد عن أبيه الحسن قال انشدهم ابراهيم بن العباس قول العباس بن الاحنف

ان قال لم يفعل وان سيل لم
يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بهجرانى ولو قال لى
لا تشرب البارد لم اشرب

فقال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير ما سمعت كلاما اجزل منه فى رقة ولا اسهل فى صعوبة ولا ابلغ فى انصاف من هذا فقال له الحسن كلامك والله أحسن من شعره ومما استحسن من شعر العباس بن الاحنف قوله

تحمل عظيم الذنب عمن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم

﴿ ذكر دخول الغز ديار بكر ﴾

فى سنة ثلاث وثلاثين فارق الغز اذربيجان وسبب ذلك ان ابراهيم ينال وهو أخو طغرلبك سار الى الرى فلما سمع الغز الذين بها خبره آجفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل خوفا منه وقصدوا اذربيجان ولم يمكنهم المقام بها لما فعلوا باهلها ولان ابراهيم ينال وراءهم وكانوا يخافونه لانهم كانوا له ولاخويه طغرلبك ودوادر عية فاخذوا بعض الاكراد وعرفهم الطريق فاخذبهم فى جبال وعرة على الزوزان وخرجوا الى جزيرة ابن عمر فساروا بوقا وناصغلى وغيرهما الى ديار بكر ونهبوا قردى وبازبدى والحسنية وفيشابور وبقى منصور بن غزغلى بالجزيرة من الجانب الشرقى فراسله سليمان بن نصر الدولة بن مروان المتسيم بالجزيرة فى المصالحة والمقام باعمال الجزيرة الى ان ينكشف الشتاء ويسير مع باقى الغز الى الشام فتصالحا وتحالفا واضمر سليمان الغدر به فعمل له طعاما احتفل فيه ودعاه فلما دخل الجزيرة قبض عليه وحبسه وانصرف أصحابه متفرقين فى كل جهة فلما علم بذلك قرواش سير جيشا كثيفا اليهم واجتمع معهم الاكراد البشنوية أصحاب فنك وعسكر نصر الدولة فتبعوا الغز فلحقوهم وقاتلوهم فبذل الغز جميع ما ملكوه على ان يؤمنوهم فلم يفعلوا فقاتلوا وقتال من يخاف الموت فجرحوا من العرب كثيرا وافترقوا وكان بعض الغز قد قصد نصيبين وسنجار للغارة فعادوا الى الجزيرة وحصروها وتوجهت العرب الى العراق ليستنوا بها فاخربت الغز ديار بكر ونهبوا وقتلوا فاخذ نصر الدولة منصورا أمير الغز مع ابنه سليمان وراسل الغز وبذل لهم مالا واطلاق منصور ليفارقوا عمله فاجابوه فاطلق منصورا وأرسل بعض المال فغدروا وزادوا فى الشر وسار بعضهم الى نصيبين وسنجار والخابور فنهبوا وعادوا وسار بعضهم الى جهينة واعمال الفرج فنهبوها فدخل قرواش الموصل خوفا منهم

﴿ ذكر ملك الغز مدينة الموصل ﴾

لما خرجوا من أذربيجان الى حريرة ابن عمر وهى من اعمال نصر الدولة بن مروان سار بعضهم الى ديار بكر مع أمرائهم المذكورين وسار الباقون الى البقعاء ونزلوا برقعيد فارسل اليهم قرواش صاحب الموصل من ينظر فيهم ويخبر عليهم فلما رأوا ذلك تقدموا الى الموصل فارسل اليهم يستعطفهم ويلين لهم ويبذل لهم ثلاثة آلاف دينار فلم يقبلوا فاعاد عليهم رسلهم ثانية فطلبوا خمسة عشر ألف دينار فالتزمها واحضر أهل البلد واعلمهم الحال فبينما هم مهتمين بجمع المال وصل الغز الى الموصل ونزلوا بالحصباء فخرج اليهم قرواش واجناده والعامة فقاتلوهم عامة نهارهم وادركهم الليل فافترقوا فلما كان الغد عادوا الى القتال فانهزمت العرب وأهل البلد وهرب قرواش فى سفينة نزلها من داره وخرج من جميع ماله الا الشئ اليسير ودخل الغز البلد فنهبوا كثيرا منه ونهبوا جميع ما لقرواش من مال وجوهر وحلى وثياب وأثاث ونجا قرواش فى السفينة ومعه نفر فوصل الى السن وأقام بها وأرسل الى الملك جلال الدولة يعرفه الحال ويطلب النجدة وأرسل الى دبيس بن مزيد وغيره من امراء العرب والاكراد يستمدهم ويشكو ما نزل به وعمل الغز باهل الموصل الاعمال الشنيعة من الفتك وهتك الحريم ونهب المال وسلم عدة محال منها سكة أبى نجيح والجصاصة وجار سوك وشاطئ نهر وباب القصاب بين على مال ضمنوه فكفوا عنهم

﴿ ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم ﴾

قد ذكرنا ملك الغز الموصل فلما استقروا فيها قسطوا على أهلها عشرين ألف دينار وأخذوها ثم تتبعوا الناس وأخذوا كثيرا من أموالهم بحجة أموال العرب ثم قسطوا أربعة آلاف دينار

فطوبى لمن اغفى من الليل ساعة وذاق اغتماضا ان ذاك لناعم وقوله اصرف فؤادك يا عباس معتمدا عنها والاتمت فى حبها كمدا لو أنها من وراء الروم فى بلد ما كنت أسكن الا ذلك البلدا يا من شكا شوقه من هول غيبته اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا وقوله اغب الزيارة لما بدا له الهجر أو بعض أسبابه وماصد عنا ولكنه طريد ملالة أحبابه حدثنا أبو خليفة الفضل ابن الحباب الجمحى قال حدثنا الرياشى قال ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا اخرجنا يريد الحج فلما كنا ببعض الطريق اذا غلام واقف على المحجة وهو ينادى يا أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة قال فلنا اليه وقلنا له ما تريد قال ان مولاى لما به يريد أن يوصيكم فلنا معه فاذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت شجرة لا يحير جوابا فجلسنا حوله وأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول

يا غريب الدار عن وطنه
مفردا يبكى على شجنه
كلما جد البكاء به
دبت الاسقام فى بدنه
ثم أغمى عليه طويلا وانا لجلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يغرد ففتح الفتى

أخرى فحضر جماعة من الغز عند ابن فرغان الموصلى وطالبوا النساء بحضرته وأساؤا الادب والقول وجرى بين بعض الغز وبعض المواصلة مشاجرة فجرحه الغز وقطع شعره وكان للموصلى والدة سليطة فلطخت وجهها بالدم وأخذت الشعر بيدها وصاحت المستغاث بالله وبالمسلمين قد قتل لى ابن وهذا دمه وابنة وهذا شعرها وطافت فى الاسواق فثار الناس وجاؤا الى ابن فرغان فقتلوا من عنده من الغز وقتلوا من ظفروا به منهم ثم حصروهم فى دار فقاتلوا من سطحه فنقب الناس عليهم الدار وقتلوهم جميعهم غير سبعة أنفس منهم أبو على ومنصور فخرج منصور الى الحصباء ولحق به من سلم منهم وكان كوكتاش قد فارق الموصل فى جمع كثير فأرسلوا اليه يعلمونه الحال فعاد اليهم ودخل البلد عنوة فى الخامس والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين ووضعوا السيف فى أهله وأسروا كثيرا ونهبوا الاموال واقاموا على ذلك اثنى عشر يوما يقتلون وينهبون وسلمت سكة أبى نجح فان أهلها أحسنوا الى الامير منصور فرعى لهم ذلك والتجأ من سلم اليها وبقى القتلى فى الطريق فأنتنوا العدم من يواريهم ثم طرحوا بعد ذلك كل جماعة فى حفيرة وكانوا يخطبون للخليفة ثم اطعر لبك وما طال مقامهم بهذه البلاد وجرى منهم ما ذكرناه كتب الملك جلال الدولة بن بويه الى طغرلبك يعرفه ما يجرى منهم وكتب اليه نصير الدولة بن مروان يشكو منهم وكتب الى نصير الدولة يقول له داعى ان عبيدنا قصدوا بلادك وانك صانعتهم بمال بذلته لهم وأنت صاحب ثغر ينبغى ان تعطى ما تستعين به على قتال الكفار ويعده انه يرسل اليهم برحلهم من بلده وكانوا يقصدون بلاد الارمن ويغنمون ويسبون حتى ان الجارية الحسنا بلغت قيمتها خمسة دنانير وأما الغلمان فلا يرادون وكتب طغرلبك الى جلال الدولة يعتذر بان هؤلاء التركمان كانوا لماعبيدا وخدما ورعايا وتبعا يمتثلون الامر ويخدمون الباب ولما نهضنا التدبير خطب آل محمود بن سبكتكين وانتدبنا لكفاية أمر خوارزم انحازوا الى الرى فعاثوا فيها وأفسدوا فرحفنا بجنودنا من خراسان اليهم مقدرين انهم يلجؤن الى الامان ويلوذون بالعفو والغفران فلكتهم الهيبة وزحزحتهم الحشمة ولابد من ان نردهم الى راياتنا خاضعين ونذيقهم من بأسنا جزاء المتمردين قربوا أم بعدوا أغاروا أم أنجدوا

﴿ذكر طفرقرواش صاحب الموصل بالغز﴾

قد ذكرنا انحدار قرواش الى السن ومراسلته سائر أصحاب الاطراف فى طلب النجدة منهم فاما الملك جلال الدولة فلم ينجده لزوال طاعته عن جنده الاتراك وأما دبيس بن مزيد فسار اليه واجتمعت عليه كافة عقيل وأتته أعداد أبى الشوك وابن ورام وغيرهما فلم يدركوا الوقعة فان قرواشا لما اجتمعت عقيل ودبيس عنده سار الى الموصل وبلغ الخبر الى الغز فتأخروا الى تلعفر وبوماريه وتلك النواحى وراسلوا الغز الذين كانوا بديار بكر ومقدمهم ناصغلى وبوقا وطلبوا منهم المساعدة على العرب فساروا اليهم وسمع قرواش بوصولهم فلم يعلم أصحابه لئلا يفشلوا ويجبنوا وسار حتى نزل على البجاج وسارت الغز فنزلوا برأس الايل من الغرج وبينهما نحو فرسخين وقد طمع الغز فى العرب فتقدموا حتى شارفوا محلة العرب ووقعت الحرب فى العشرين من شهر رمضان من أول النهار فاستظهرت الغز وانهزمت العرب حتى صار القتال عند حللهم ونساؤهم يشاهدون القتال فلم يزل الظفر للغز الى الظهر ثم أنزل الله نصره على العرب وانهزمت الغز وأخذهم السيف وتفرقوا وكثر القتل فيهم فقتل ثلاثة من مقدميهم وملك العرب حلل الغز وخركاهاتهم وغنموا أموالهم فعمتهم الغنيمة وأدركهم الليل فحجز بينهم وسير قرواش

شفه ما شفنى فبكى
كلنا يبكى على سكنه
قال ثم تنفس تنفسا فاضت
نفسه منه فلم تبرح من
عنده حتى غسلناه وكفناه
وتولينا الصلاة عليه فلما
فرغنا من دفنه سألنا الغلام
عنه فقال هذا العباس بن
الاحنف وقد أخبرنا بهذا
الخبر أبو اسحق الزجاجى
النحوى عن أبى العباس
المبرد عن المازنى قال
حدثنا جماعة من أهل
البصرة عادكرناه
وكانت وفاة أبى ثور ابراهيم
ابن مخالد الكلابى سنة
أربعين ومائتين وفى سنة
اثنتين وثلاثين ومائتين
نفى المتوكل على بن الجهم
الشاعر الى خراسان وقيل
فى سنة تسع وثلاثين
ومائتين وقد أتينا على
خبره وما كان من أمره
ورجوعه بعد ذلك الى
العراق وخروجه يريد
السفر وذلك فى سنة تسع
وأربعين ومائتين فلما
صار بالشرب من حلب من
بلاد قنسرين والعواصم
بالموضع المعروف بخشاف
لقيته خيل الكلبيين
فقال فى ذلك وهو فى الشرق
أزيد فى الليل ليل
أم سال بالصبح سيل
ذكرت أهل دجيل
وأين منى دجيل
وكان على بن الجهم السامى

رؤس كثير من القتلى فى سفينه الى بغداد فلما قاربتها أخذتها الاتراك ودفنوها ولم يتركوها تصل انفة وحمية للجنس وكفى الله أهل الموصل شرهم وتبعهم قرواش الى نصيبين وعاد عنهم فقصد وادياربكر فنهبوها ثم مالوا على الارمن والروم فنهبوهم ثم قصدوا بلاد اذربيجان وكتب قرواش الى الاطراف يبشر بالظفر بهم وكتب الى ابن ربيب الدولة صاحب أرمية يذكر له انه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل فقال للرسول هذا عجب فان القوم لما اجتازوا ببلادى أقمت على فنطرة لابد لهم من عبورها فما مرت بعدهم فكانوا نيفا وثلاثين ألفا مع لفيفهم فلما عادوا بعد هزيمتهم لم يبلغوا خمسة آلاف رجل فاما ان يكونوا قتلوا أو هلكوا ومدح الشعراء قرواشا بهذا الفتح وممن مدحه ابن شبل بقصيدة منها

بابى الذى أرست تزار بيتها * فى شامخ من عزه المتخير

وهى طويلة (هذه أخبار الغز العراقيين) وانما أوردناها متتابعة لان دولتهم لم تطل حتى نذكر حوادثها فى السنين وانما كانت مصابة صيف تقشعت عن قريب وأما السلجوقية فنحن نذكر حوادثهم فى السنين ونذكر ابتداء أمرهم سنة اثنتين وثلاثين ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

وفى هذه السنة سير الظاهر جيشا من مصر مقدمهم أنوشتكين البريدى فقتل صالح بن مرداس وملك نصر بن صالح مدينة حلب وقد تقدم ذكره فى سنة اثنتين وأربعمائة وفيها سقط فى البلاد برد عظيم وكان أكثره بالعراق وارتفعت بعده ريح شديدة سوداء فقلعت كثيرا من الاشجار بالعراق فقلعت شجرا كبارا من الزيتون من شرقى النهروان وألقته على بعد من غربيها وقلعت نخلا من أصلها وحملتها الى دار بينها وبين موضع هذه الشجرة ثلاث دور وقلعت سقف مسجد الجامع ببعض القرى وفيها فى ذى القعدة تولى أبو عبد الله بن ماكولا قضاء القضاة وفيها توفى أبو الحسن على بن عيسى الربعى النحوى عن نيف وتسعين سنة وأخذ النحو عن أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى وكان فكها كثير الدعابة فمن ذلك انه كان يوما على شاطئ دجلة ببغداد والملك جلال الدولة والمرتضى والرضى كلاهما فى سمارية ومعهما عثمان بن جنى النحوى فناداه الربعى أيها الملك ما أنت صادق فى تشيعك بعلى بن أبى طالب يكون عثمان الى جانبك وعلى يعنى نفسه ههنا فامر بالسمارية فقربت الى الشاطئ وحمله معه وقيل ان هذا القول كان للشريف الرضى وأخيه المرتضى ومعهما عثمان بن جنى فقال ما أعجب أحوال الشريفين يكون عثمان معهما وعلى يمشى على الشط وفيها أيضا توفى أبو المسك عنبر الملقب بالاثير وكان قد أصعد الى الموصل مغاضبا لجلال الدولة فلقيه قرواش وأهله وقبلوا الارض بين يديه فاقام عندهم وكان خصيا لبهاء الدولة بن بويه وكان قد بلغ مبلغا عظيما لم يخل أمير ولا وزير فى دولة بنى بويه من تقبيل يده والارض بين يديه وكان قد استقر بينه وبين قرواش وأبى كاليجار قاعدة ان يصعد أبو كاليجار من واسط وينحدر الاثير وقرواش من الموصل لقصد جلال الدولة وكان الاثير قد انحدر من الموصل فلما وصل مشهد الكعيل توفى فيه وفيها انقض كوكب عظيم فى رجب اضاءت منه الارض وسمع له صوت عظيم كالرعد وتقطع أربع قطع وانقض بعده بليلتين كوكب آخر دونه وانقض بعدهما كوكب أكبر منهما وأكثر ضوأ وفيها كانت ببغداد فتنة قوى فيها أمر العيارين واللصوص فكانوا يأخذون العملات ظاهرا وفيها قطعت الجمعة من جامع براثا وسببها انه كان يخطب فيها انسان يقول فى خطبته بعد الصلاة على النبى وعلى أخيه أمير المؤمنين على

طعن من طعن على نسبه وما قال الناس فى عقب سامة بن لؤى بن غالب وقول على بن محمد ابن جعفر العلوى الشاعر وسامة منا فاما بنوه

فامرهم عندنا مظلم
أناس أتونا بانسابهم
خرافة مضطجع يحلم

وقلت لهم مثل قول النبى

وكل أقاويله محكم
اذا ما سئلت ولم تدر ما
تقول فقل ربنا أعلم

وقول العلوى فيه أيضا

لو اكتنفت النضر أو معدا
أو اتخذت البيت كفا مهدا
وزمزما شريعة وموردا
والاخشبين محضرا ومبدى
ما ازددت الا من قريش بعدا
أو كنت الا صقليا وغدا

وانما أعدنا هذا الشعر فى هذا الموضع وان كنا قد قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب لما سنح لنا من ذكر على بن الجهم فى أيام المتوكل ولما احتجنا اليه عند ذكرنا لشعر على ابن الجهم واجابته العلوى على هذا الشعر فكان ما أجاب به على بن الجهم لعلى بن محمد بن جعفر العلوى

ابن أبي طالب مكام الحجمة ومحييها البشرى الالهي مكام النتية أصحاب الكهف الى غير ذلك من الغلو المبتدع فاقام الخليفة خطيبا فرحمه العامة فانقطعت الصلاة فيه فاجتمع جماعة من أعيان الكرخ مع المرتضى واعتذروا الى الخليفة بان سفهاء لا يعرفون فعلوا ذلك وسألوا اعادة الخطبة فأجيبوا الى ما طلبوا وأعيدت الصلاة والخطبة فيه وفيها توفي ابن أبي الهبيش الزاهد المقيم بالكوفة وهو من أرباب الطبقات العالية في الزهد وقبره يزار الى الآن وقد زرته وفيها توفي منوجهر بن قابوس بن وشمكير وملك ابنه انوشروان

﴿ثم دخلت سنة احدى وعشرين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين همذان)﴾

في هذه السنة سير مسعود بن يمين الدولة محمود جيشا الى همذان فملكوها وأخرجوا نواب علاء الدولة بن كاكويه عنها وسار هو الى اصبهان فلما قاربها فارقها علاء الدولة فغنم مسعود ما كان له بها من دواب وسلاح وذخائر فان علاء الدولة أعجل عن أخذه فلم يأخذ الا بعضه وسار الى خوزستان فبلغ الى نستر ايطلب من الملك أبي كاليجار نجدة ومن الملك جلال الدولة ويعود الى بلاده يستنقذها فبقي عند أبي كاليجار مدة وهو عقيب انهزامه من جلال الدولة ضعيف ومع هذا فهو يعده النصرة وتسيير العساكر اذا اصطلح هو وجلال الدولة فبينما هو عنده اذ أتاه خبر وفاة يمين الدولة محمود ومسير مسعود الى خراسان فسار علاء الدولة الى بلاده على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿(ذكر غزوة للمسلمين الى الهند)﴾

في هذه السنة غزا أحمد بن بنالتكين النائب عن محمود بن سبكتكين بلاد الهند مدينة للهنود هي من أعظم مدنهم يقال لها نارسي ومع أحمد نحو مائة ألف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبى وخرب الاعمال وأكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينة دخل من احد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوما من بكرة الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريين حسب وباقي أهل البلد لم يعلموا بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله فخرج منه ليأمن على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة ما نهب المسلمون انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله ولا بعده فلما فارقه أراد العود اليه فلم يقدر على ذلك منعه أهله عنه

﴿(ذكر ملك بدران بن المقلد نصيبين)﴾

قد ذكرنا محاصرة بدران نصيبين وأنه رحل عنها خوفا من قرواش فلما رحل شرع في اصلاح الحال معه فاصطلحا ثم جرى بين قرواش ونصر الدولة بن مروان نفرة كان سببها ان نصر الدولة كان قد تزوج ابنة قرواش فآثر عليها غيرها فارسلت الى أبيها تشكو منه فارسل يطلبها اليه فسيرها فاقامت بالموصل ثم ان ولد مستحفظ جزيرة ابن عمرو هي لابن مروان هرب الى قرواش وأطمعه في الجزيرة فارسل الى نصر الدولة يطلب منه صداق ابنته وهو عشرون ألف دينار ويطلب الجزيرة لنفقتها ويطلب نصيبين لاخيه بدران ويحتج بما أخرج بسببها عام اول وتردد الرسل بينهما في ذلك فلم يستقر حال فسير جيشا لمحاصرة الجزيرة وجيشا مع أخيه بدران الى نصيبين فحصرها بدران وأتاه قرواش فحصرها معه فملك واحدا من البلدين وتفرق من كان معه من العرب والاكراد فلما رأى بدران تفرق الناس عن أخيه سار الى نصر الدولة بن مروان

غير أني اذا رجعت الى حـ
ـي بني هاشم بن عبد مناف
لم أجد لي الى التشفي سبيلا
بقواف ولا بغير قواف
لي نفس تأبى الدنية والاشـ
ـراف لا تعتـــدي على
الاشراف

وله في الحبس شعر معروف لم يسبقه الى معناه أحد وهو قوله

قالوا احبست فقلت ليس بضائر
حبسي وأي مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله
كبرا وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والمسك في أجحارها مخبوءة
لا تصطفى ان لم تشرها الارند
والحبس ما لم تغشه لدنية
شنعاء نعم المنزل المستورد
بيت يجد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لولم يكن في الحبس الا أنه
لا يستذل بالحجاب الاعبد

ومما أحسن فيه قوله

خليلي ما أحلى الهوى وأمره
وأعلمني بالحلو منه ومالمر
بيننا من حرمة هل رأيتما
أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفصح من عين المحب لسانه
ولا سيما ان أطلقت عبرة تجري

ومما اختير من قوله حسرت عني القناع ظلوم

شرما أنكرت تصرم عهد * لم يدم لى وأى عهد يدوم أنكرت ما رأت برأسى وقالت

ونولت ودمعها مسجوم
أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت أولاهما علمت فقالت
آية يستثيرها المهموم
هى عندى من الهموم التى يحـ
ـسن فيها العزاء والتسليم
ان أمرا أخنى على بشيب الـ
ـرأس فى ليلة لامر عظيم
ليس عندى وان تعزيت الا
طاعة حرة وقلب سليم
ومن جيد شعره
هى النفس ما حملتها تتحمل
وللدهر أيام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة
وأكمل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة
ولكن عارا أن يزول التحمل
وما المال الا حسرة ان تركته
وغنم اذا قدمته متعجل
ومما اعتذر فيه فاحسن قوله فى المتوكل
ان ذل السؤال والاعتذار
خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يوردها المر
ء ولكن سوابق الاقدار
فارض للسائل الخضوع وللقا
ئ بيسرى [illegible]
رف ذنبا بذله الاعتذار
ان تجافيت منهما كنت أولى
من تجافى عن الذنوب الكبار
أو تعاقب فانت أعرف بالله
وليس العقاب منك بعار
ومما جوده قوله لما قيد
فقلت لها والدمع شتى طريقه * ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها فلا تجزعى اما رأيت قيوده

بيما فارقين يطلب منه نصيبين فسلمها اليه وأرسل من صداق ابنة قرواش خمسة عشر ألف دينار واصطلحا

﴿ذكر ملك أبى الشوك دقوقا﴾

وفيها حصر أبو الشوك دقوقا وبها مالك بن بدران بن المقلد العقيلى فطال حصاره وكان قد أرسل اليه يقول له ان هذه المدينة كانت لابى ولا بد لى منها والصواب ان تنصرف عنها فامتنع من تسليمها فحصره بها ثم استظهر وملك البلد فطلب منه مالك الامان على نفسه وماله وأصحابه فامنه على نفسه حسب فلما خرج اليه مالك قال له أبو الشوك قد كنت سألتك ان تسلم البلد طوعا وتحقن دماء المسلمين فلم تفعل فقال لو فعلت لعيرتنى العرب وأما الآن فلا عار على فقال أبو الشوك ان من اتمام الصنيعة تسليم مالك وأصحابك اليك فاعطاه ما كان له أجمع فاخذه وعاد سالما

﴿ذكر وفاة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ومولده يوم عاشوراء سنة ستين وثلثمائة وقيل انه توفى أحد عشر صفر وكان مرضه سوء مزاج واسهالا وبقى كذلك نحو سنتين وكان قوى النفس لم يضع جنبه فى مرضه بل كان يستند الى محدثه فاشار عليه الاطباء بالراحة وكان يجلس للناس بكرة وعشية فقال أتريدون ان أعتزل الامارة فلم يزل كذلك حتى توفى قاعدا فلما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد وهو ببلخ وكان أصغر من مسعود الا انه كان معرضا عن مسعود لان أمره لم يكن عنده نافذا وسعى بينهما أصحاب الاغراض فزادوا أباه نفورا عنه فلما وصى بالملك لولده محمد توفى فخطب لمحمد من اقاصى الهند الى نيسابور وكان لقبه جلال الدولة وأرسل اليه أعيان دولة أبيه يخبرونه بموت أبيه ووصيته له بالملك ويستدعونه ويحثونه على السرعة ويخوفونه من أخيه مسعود فحين بلغه الخبر سار الى غزنة فوصلها بعد موت أبيه باربعين يوما فاجتمعت العساكر على طاعته وفرق فيهم الاموال والخلع النفيسة فاسرف فى ذلك

﴿ذكر ملك مسعود وخلع محمد﴾

لما توفى يمين الدولة كان ابنه مسعود باصبهان فلما بلغه الخبر سار الى خراسان واستخلف باصبهان بعض أصحابه فى طائفة من العسكر فخين فارقها ثار أهلها بالوالى عليهم بعده فقتلوه وقتلوا من معه من الجند وأتى مسعودا الخبر فعاد اليها وحصرها وفتحها عنوة وقتل فيها فاكثر ونهب الاموال واستخلف فيها رجلا كافيا وكتب الى أخيه محمد يعلمه بذلك وانه لا يريد من البلاد التى وصى له أبوه بها شيأ وانه يكتفى بما فتحه من بلاد طبرستان وبلاد الجبل واصبهان وغيرها ويطلب منه الموافقة وان يقدمه فى الخطبة على نفسه فاجابه محمد جوابا مغالطا وكان مسعود قد وصل الى الرى فاحسن الى أهلها وسار منها الى نيسابور ففعل مثل ذلك واما محمد فانه أخذ على عسكره العهود والمواثيق على المناصحة له والشد صه وسار فى عساكره الى أخيه [illegible] وكان بعض عساكره يميل الى أخيه مسعود لكبره وشجاعته ولانه قد اعتاد التقدم على الجيوش وفتح البلاد وبعضها يحافه لقوة نفسه وكان محمد قد جعل مقدم جيشه عمه يوسف بن سبكتكين فلما هم بالركوب فى داره بغزنة ليسير سقطت قلنسوته من رأسه فتطير الناس من ذلك وأرسل اليه التونتاش صاحب خوارزم وكان من أعيان أصحاب أبيه محمود يشير عليه بموافقة أخيه وترك مخالفته فلم يصغ الى قوله وسار فوصل الى تكيناباذ أول يوم من رمضان وأقام الى العيد فعيد هناك فلما كان ليلة الثلاثاء ثالث شوال ثار به جنده فاخذوه وقيدوه وحبسوه وكان مشغولا بالشرب واللعب عن تدبير

المملكة

المملكة والنظر فى أحوال الجند والرعايا وكان الذى سعى فى اخذ اله على خويشاوند صاحب أبيه وأعانه على ذلك عمه يوسف بن سبكتكين فلما قبضوا عليه نادوا بشعار أخيه مسعود ورفعوا محمدا الى قلعة تكناباذ وكتبوا الى مسعود بالحال فلما وصل الى هراة لقيته العساكر مع الحاجب على خويشاوند فلما لقيه الحاجب على قبض عليه وقتله وقبض بعد ذلك أيضا على عمه يوسف وهذه عاقبة الغدر وهما سعيا له فى رد الملك اليه وقبض أيضا على جماعة من أعيان القواد فى أوقات متفرقة وكان اجتماع الملك له واتفاق الكلمة عليه فى ذى القعدة وأخرج الوزير أبا القاسم أحمد ابن الحسن الميمندى الذى كان وزيرا بيه من محبسه واستوزره ورد الامر اليه وكان أبوه قد قبض عليه سنة اثنتى عشرة وأربعمائة لامور أنكرها وقيل شره فى ماله وأخذ منه لما قبض عليه مالا واعراضا بقيمة خمسة آلاف ألف دينار وكان وصول مسعود الى غزنة ثامن جمادى الآخرة من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة فلما وصل اليها وثبت ملكه بها أتته رسل الملوك من سائر الاقطار الى بابه واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والرى واصبهان وبلاد الجبل وغير ذلك وعظم سلطانه وخيف جانبه

﴿ ذكر بعض سيرة يمين الدولة ﴾

كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عالما دينا خيرا عنده علم ومعرفة وصنف له كثير من الكتب فى فنون العلوم وقصده العلماء من اقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم وكان عادلا كثير الاحسان الى رعيته والرفق بهم كثير الغزوات ملازما للجهاد وفتوحه مشهورة مذكورة وقد ذكرنا منها ما وصل الينا على بعد الدهر وفيه ما يستدل به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد ولم يكن فيه ما يعاب الا أنه كان يتوصل الى أخذ الاموال بكل طريق فى ذلك انه بلغه أن انسانا من نيسابور كثير المال عظيم الغنى فاحضره الى غزنة وقال له بلغنا انك قرمطى فقال است بقرمطى ولى مال يؤخذ منه ما يراد وانما انا من هذا الاسم فاخذ منه مالا وكتب معه كتابا بصحة اعتقاده وجدد عمارة المشهد بطوس الذى فيه قبر على بن موسى الرضا والرشيد وأحسن عمارته وكان أبو سبكتكين أخربه وكان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى المنام وهو يقول له الى متى هذا فعلم انه يريد أمر المشهد فامر بعمارته وكان ربعة مليح اللون حسن الوجه صغير العينين أحمر الشعر وكان ابنه محمد يشبهه وكان ابنه مسعود ممتلئ البدن طويلا

﴿ ذكر عود علاء الدولة الى أصبهان وغيرها وما كان منه ﴾

لما مات محمود بن سبكتكين طمع فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه فى الرى وكان قد هرب منها لما ملكها عسكر يمين الدولة محمود وقصد قصران وهى حصينه فامتنع بها فلما توفى يمين الدولة وعاد ابنه مسعود الى خراسان جمع هذا فناخسرو جمعا من الديلم والاكراد وغيرهم وقصدوا الرى فخرج اليه نائب مسعود بها ومن معه من العسكر وقاتلوه فانهزم منهم وعاد الى بلده وقتل جماعة من عسكره ثم ان علاء الدولة بن كاكويه لما بلغه وفاة يمين الدولة كان بخوزستان عند الملك أبى كاليجار كما ذكرنا وقد أيس من نصره وتفرق بعض من عنده من عسكره وأصحابه والباقون على عزم مفارقته وهو خائف من مسعود ان يسير اليه من أصبهان فلا يقوى هو وأبو كاليجار به فاتاه من الفرج بموت يمين الدولة ما لم يكن فى حسابه فلما سمع الخبر سار الى أصبهان فملكها وملك همذان وغيرها من البلاد وسار الى الرى فملكها وامتد الى أعمال انوشروان بن منوجهر بن قابوس فاخذ

وصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ثم فسد عليه وصيف فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله وكتب اليه

الحمد لله شكرا
قلوبنا فى يديه
صار الامير شفيعا
الى شفيعى اليه

وله أشعار نادرة وأمثال سائرة اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك عن غيره وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال

أريق الدمع واجتنبى الهجوعا
وصونى شمل وجدك أن يضيعا
وقولى ان كهف بنى لؤى
غدا بالشام منجدلا صريعا
عزاء يابنى جهم بن بدر
فقد لاقيتم خطبا فظيعا
أما والله لو تدرى المنايا
بما لاقيتم لبكت نجيعا
توى كهف الارامل واليتامى
ومن كان الزمان به ربيعا
فتى كان السهام على الاعادى
ولينا دون حادثة منيعا

قال وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق الى سر من رأى فكان بين خروجه منها ورجوعه اليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام وفى خروجه يقول المهابى شعرا طويلا اخترنا

منه قوله أظن الشام يشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق فان تدع العراق وساكنيها *

منه خوار الرى ودنباوند فكتب انوشروان الى مسعود يهنئه بالملك وسأله تقرير الذى عليه بحال يحمله فاجابه الى ذلك وسير اليه عسكرا من خراسان فساروا الى دنباوند فاستعادوها وساروا نحو الرى فاتاهم المدد والعساكر وممن أتاهم على بن عمران فكثر جمعهم فحصروا الرى وبها علاء الدولة فاشتد القتال فى بعض الايام قدخل العسكر الرى قهرا والقيلة معهم فقتل جماعة من أهل الرى والديلم ونهبت المدينة وانهزم علاء الدولة وتبعه بعض العسكر وجرحه فى رأسه وكتفه فالقى لهم دنانير كانت معه فاشتغلوا بها عنه فنجا وسار الى قلعة فردجان على خمسة عشر فرسخا من همذان فاقام بها الى ان برأ من جراحته وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى وخطب بالرى واعمال أنوشروان لمسعود فعظم شأنه

﴿ذكر الحرب بين عسكر جلال الدولة وابى كاليجار﴾

فى هذه السنة فى شوال سير جلال الدولة عسكرا الى المذار وبها عسكر أبى كاليجار فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر أبى كاليجار واستولى أصحاب جلال الدولة على المذار وعملوا باهلها كل محظور فلما سمع أبو كاليجار الخبر سير اليهم عسكرا كثيفا فاقتتلوا بظاهر البلد فانهزم عسكر جلال الدولة وقتل أكثرهم ونار أهل البلد بغلمانهم فقتلوهم ونهبوا أموالهم لقبيح سيرتهم كانت معهم وعاد من سلم من المعركة الى واسط

﴿ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن مقن﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى اختلف قرواش وغريب بن مقن وكان سبب ذلك ان غريبا جمع جمعا كثيرا من العرب والاكراد واستمد جلال الدولة فامده بجملة صالحة من العسكر فسار الى تكريت فحصرها وهى لابى المسيب رافع بن الحسين وكان قد توجه الى الموصل وسأل قرواشا النجدة فجمعا وحشدا وسارا منحدرين فيمن معهما فبلغا الدكة وغريب يحاصر تكريت وقد ضيق على من بها واهلها يطلبون منه الامان فلم يؤمنهم فحفظوا نفوسهم وقاتلوا أشد قتال فلما بلغه وصول قرواش ورافع سار اليهم فالتقوا بالدكة واقتتلوا فغدر بغريب بعض من معه ونهبوا سواده وسواد الاجناد الجلالية فانهزم وتبعهم قرواش ورافع ثم كفوا عنه وعن أصحابه ولم يتعرضوا الى حلته وماله فيها وحفظوا ذلك اجمع ثم انهم تراسلوا واصطلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه من الوفاق

﴿ذكر خروج ملك الروم الى الشأم وانهزامه﴾

فى هذه السنة خرج ملك الروم من القسطنطينية فى ثلثمائة ألف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغوا قريب حلب وصاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على يوم منها فلحقهم عطش شديد وكان الزمان صيفا وكان أصحابه مختلفين عليه فمنهم من يحسده ومنهم من يكرهه وممن كان معه ابن الدوقس وهو من أكابرهم وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده فقال الملك الرأى ان نقيم حتى تجىء الامطار وتكثر المياه فقبح ابن الدوقس هذا الرأى وأشار بالاسراع قصد الشر يتطرق اليه ولتدبير كان قد دبره عليه فسار ففارقه ابن الدوقس وابن لؤلؤ فى عشرة آلاف فارس وسلكوا طريقا آخر فخلا بالملك بعض أصحابه وأعلمه ان ابن الدوقس وابن لؤلؤ قد حالفا أربعين رجلا هو أحدهم على الفتك به فاستشعر من ذلك وخاف ورحل من يومه راجعا ولحقه ابن الدوقس وسأله عن السبب الذى أوجب عوده فقال له قد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا وقبض فى الحال على ابن الدوقس وابن لؤلؤ وجماعة معهما فاضطرب الناس واختلفوا ورحل الملك

وتبعهم العرب وأهل السواد حتى الاترك يقتلون وينهبون وأخذوا من الملك أربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من أمواله وخزائنه شئ البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقيل فى عوده غير ذلك وهو ان جمعا من العرب ليس بالكثير عبروا على عسكره وظن الروم انها كبسة فلم يدروا ما يفعلون حتى ان ملكهم لبس خفا أسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليعمى خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ما كان معهم

﴿ ذكر مسير أبى على بن ماكولا الى البصرة وقتله ﴾

لما استولى الملك جلال الدولة على واسط وجعل ولده فيها وسير وزيره أبا على بن ماكولا الى البطائح والبصرة ليملكهما فملك البطائح وسار الى البصرة فى الماء وأكثر من السفن والرجال وكان بالبصرة أبو منصور بختيار بن على نائبا لابى كاليجار فجهز جيشا فى أربعمائة سفينة وجعل عليهم أبا عبد الله الشرابى الذى كان صاحب البطيحة وسيره فالتقى هو والوزير أبو على فعند اللقاء والقتال هبت ريح شمال كانت على البصريين ومعونة للوزير فانهزم البصريون وعادوا الى البصرة فعزم بختيار على الهرب الى عباد ان فمنعه من سلم عنده من عسكره فاقام متجلدا وأشار جماعة على الوزير أبى على ان يعجل الانحدار ويغتنم الفرصة قبل ان يعود بختيار بجمع فلما فارقهم وهو فى ألف وثلثمائة عدد من السفن سير بختيار ما عنده من السفن وهى نحو ثلاثين قطعة وفيها المقاتلة وكان قد سير عسكرا آخر فى البر وكان له فى فم نهر أبى الخصيب نحو خمسمائة قطعة فيها ماله ولجميع عسكره من المال والاثاث والاهل فلما تقدمت سفنه صاح من فيها وأجابه من فى السفن التى فيها أهلوهم وأموالهم وورد عليهم العسكر الذين فى البر فقال الوزير لمن أشار عليه بمعاجلة بختيار ألستم زعمتم انه فى خف من العسكر وان معاجلته أولى وارى الدنيا ملوءة عساكر فهوّنوا عليه الامر فغضب وأمر باعادة السفن الى الشاطئ الى الغد ويعود الى القتال فلما أعاد سفنه ظن أصحابه انه قد انهزم فصاحوا الهزيمة وكانت هى وقيل بل لما اعاد سفنه لحقهم من فى سفن بختيار وصاحوا الهزيمة الهزيمة وأجابهم من فى البر من عسكر بختيار ومن فى سفنهم التى فيها أموالهم فانهزم أبو على حقا وتبعه أصحاب بختيار وأهل السواد ونزل بختيار فى الماء واستصرخ الناس وسار فى آثارهم يقتل ويأسر وهم يغرقون فلم يسلم من السفن كلها الا أكثر من خمسين قطعة وسار الوزير أبو على منهزما فأخذ أسيرا وأحضر عند بختيار فاكرمه وعظمه وجلس بين يديه وقال له ما الذى تشتهى ان أفعل معك قال ترسلنى الى الملك أبى كاليجار فارسله اليه فاطلقه فاتفق ان غلامه وجارية اجتمعا على فساد فعلم بهما وعرفا انه قد علم حالهما فقتلاه بعد اسره بنحو من شهر وكان قد أحدث فى ولايته رسوما جائرة وسن سننا سيئة منها جباية سوق الدقيق ومقالى الباذنجان وسمسريات المشارع ودلالة ما يباع من الامتعة وأجرا لحمالين الذين يرفعون الثمور الى السفن وبما يعطيه الذباحون لليهود فجرى فى ذلك مناوشة بين العامة والجند

﴿ ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم ﴾

لما انحدر الوزير أبو على بن ماكولا الى البصرة على ما ذكرناه لم يستصحب معه الاجناد البصريين الذين مع جلال الدولة تأنيسا للديلم الذين بالبصرة فلما أصيب على ما ذكرنا تجهز هؤلاء البصريون وانحدروا الى البصرة فوصلوا اليها وقاتلوا من بها من عسكر أبى كاليجار فانهزم عسكر أبى كاليجار ودخل عسكر جلال الدولة البصرة فى شعبان واجتمع عسكر أبى كاليجار بالابلة مع بختيار فاقاموا

ليعطيه رزقه فلا يأخذه * قال سعيد وقد كان الاتراك قدروا انهم يقتلون المتوكل بدمشق فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير فانهم دبروا فى ابعاده عنه فطرحوا فى مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها ان بغا دبر أن يقتل أمير المؤمنين والعلامة فى ذلك أن يركب فى يوم كذا فى خيله ورجله فيأخذ عليه أطراف عسكره ثم يأخذ جماعة من الغلمان الهجم يدخلون عليه فيقتلونه به فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ودخل فى قلبه من بغا كل مدخل وشكا الى الفتح ذلك وقال له فى أمر بغا والاقدام عليه وشاوره فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان الذى كتب الرقاع قد جعل للامر دلائل فى وقت بعينه من ركوب الرجل الاطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه وبعد ذلك يتبين الامر وانا أرى أن تمسك فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل وان بطل ما كتب به فالحمد لله وأقبلت الرقاع تطرح فى كل وقت على جهة النصح والصدق فلما علموا بما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الامر كتبوا رقاعا فطرحوها فى مضرب بغا يقولون فيها ان جماعة من الغلمان والاتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة فى معسكره ودبروا ذلك واتفقوا عليه وتعاقدوا على

بها يستعدون للعود وكتبوا الى أبي كاليجار يستمدونه فسير اليهم عسكرا كثيرا مع وزيره ذي السعادات أبي الفرج بن فسانجس فقدموا الى الاهلة واجتمعوا مع بختيار ووقع الشروع في قتال من بالبصرة من أصحاب جلال الدولة فسير بختيار جمعا كثيرا في عدة من السفن فقاتلوهم فنصر أصحاب جلال الدولة عليهم وهزموهم فوبخهم بختيار وسار من وقته في العدد الكثير والسفن الكثيرة فاقتتلوا واشتد القتال فانهزم بختيار وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وأخذ هو فقتل من غير قصد لقتله وأخذوا كثيرا من سفنه وعاد كل فريق الى موضعه وعزم الاتراك من أصحاب جلال الدولة على مباكرة الحرب واتمام الهزيمة وطالبوا العامل الذي على البصرة بالمال فاختلفوا وتنازعوا في الاقطاعات فاصعد ابن المعبراني صاحب البطيحة فسار اليه جماعة من الاتراك الواسطيين ليردوه فلم يرجع فتبعوه وخاف من بقي بعضهم من بعض ان لا يناصحوهم ويسلموهم عند الحرب فتفرقوا واستأمن بعضهم الى ذي السعادات وقد كان خائفا منهم فجاءه ما لم يقدره من الظفر ونادى من بقي بالبصرة بشعار أبي كاليجار فدخلها عسكره وأرادوا نهبها فمنعهم ذو السعادات

﴿ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه﴾

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من اذربيجان قد استولى عليها وملكها فاتفق أنه غزا الخزر هذه السنة فقتل منهم وسبى وغنم شيأ كثيرا فلما عاد الى بلده ابطأ في سيره وأمل الاستظهار في أمره ظنا منه انه قد دوخهم وشغلهم بما عمل بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من أصحابه والمطوعة الذين معه اكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التي أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الاسلامية وعادوا

﴿ذكر البيعة لولي العهد﴾

في هذه السنة مرض القادر بالله وأرجف بموته فجلس جلوسا عاما وأذن للخاصة والعامة فوصلوا اليه فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له باطالة البقاء وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الامير أبي جعفر ولاية العهد فقال الخليفة للناس قد اذنا في العهد له وكان أراد ان يبايع له قبل ذلك فثناه عنه أبو الحسن بن حاجب النعمان فلما عهد اليه ألقيت الستارة وقعد أبو جعفر على السرير الذي كان قائما عليه وخدمه الحاضرون وهنوه وتقدم أبو الحسن بن حاجب النعمان فقبل يده وهنأه فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال يعرض له بافساده رأي الخليفة فيه فاكب على تقبيل قدمه وتعفير خده بين يديه والاعتذار فقبل عذره ودعي له على المنابر يوم الجمعة لتسع بقين من جمادى الاولى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة استوزر جلال الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم بعد ابن ماكولا ولقبه عميد الدولة وفيها توفي أبو الحسن بن حاجب النعمان ومولده سنة أربعين وثلثمائة وكان خصيصا بالقادر بالله حاكما في دولته كلها وكتب له وللطائع أربعين سنة وفيها ظهر متلصصة ببغداد من الاكراد فكانوا يسرقون دواب الاتراك فنقل الاتراك خيامهم الى دورهم ونقل جلال الدولة دوابه الى بيت في دار المملكة وفيها توفي أبو الحسن بن عبد الوارث الفسوي النحوي بفسا وهو نسيب أبي علي الفارسي وفيها توفي أبو محمد الحسن بن يحيى العلوي النهرسابسي الملقب بالكاش وكان موته بالكوفة وفيها في

هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به فانا قد نصحنا وصدقنا واكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد في حراسة الخليفة فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن أن يكون ما كتب اليه فيها حقا مع ما كان وقع عليه من الامر قبل ذلك فلما كانت الليلة التي ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم الى المواضع التي ذكرت فاخذها على المتوكل وحرسها واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك أن ما كتب له حق فاقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به وسهر ليلته وامتنع من الاكل والشرب فلم يزل على تلك الحال الى الغداة وبغا يحرسه والامر عند المتوكل على خلاف ذلك وقد اتهم بغا واستوحش من فعله فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له يا بغا قد أبيت نفسي مكانك مني ورأيت أن أفلدك هذا الصقع واقر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب فقال أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرني بما أحببت فخلفه بالشام وانصرف فأحدث الموالي عليه ما أحدثوا فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة في ذلك الى أن تمت الحيلة * قال ولما عزم بغا الصغير

ورجب جاء فى غزنة سيل عظيم أهلك الزرع والضرع وغرق كثيرا من الناس لا يحصون وخرب الجسر الذى بناه عمرو بن الليث وكان هذا الحادث عظيما وفيها فى رمضان تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين فى غزنة بألف ألف درهم وأدر على الفقراء من العلماء والزعايا ادرارات كثيرة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين التيز ومكران)﴾

فى هذه السنة سير السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا الى التيز فملكها وما جاورها وسبب ذلك ان صاحبها مع دان توفى وخلف ولدين أبا العساكر وعيسى فاستبد عيسى بالولاية والمال فسار أبو العساكر الى خراسان وطلب من مسعود النجدة فسير معه عسكرا وأمرهم باخذ البلاد من عيسى أو الاتفاق مع أخيه على طاعته فوصلوا اليها ودعوا عيسى الى الطاعة والموافقة فابى وجمع جمعا كثيرا بلغوا ثمانية عشر ألفا وتقدم اليهم فالتقوا فاستأمن كثير من أصحاب عيسى الى أخيه أبى العساكر فانهزم عيسى ثم عاد وحمل فى نفر من أصحابه فتوسط المعركة فقتل واستولى أبو العساكر على البلاد وبها ثلاثة أيام فاجحف باهلها

﴿(ذكر ملك الروم مدينة الرها)﴾

فى هذه السنة ملك الروم مدينة الرها وكان سبب ذلك ان الرها كانت بيد نصر الدولة بن مروان كما ذكرناه فلما قتل عطير الذى كان صاحبها شفع صالح بن مرداس صاحب حلب الى نصر الدولة ليعيد الرها الى ابن عطير والى ابن شبل بينهما نصفين فقبل شفاعته وسلمها اليهما وكان له فى الرها برجان حصينان أحدهما أكبر من الآخر فتسلم ابن عطير الكبير وابن شبل الصغير وبقيت المدينة معهما الى هذه السنة فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه حصته من الرها بعشرين ألف دينار وعدة قرى من جملتها قرية تعرف الى الآن بسن ابن عطير وتسلموا البرج الذى له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد وسمع نصر الدولة الخبر فسير جيشا الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى البيعة التى لهم وهى من أكبر البيع واحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد وبقى الروم فى البرجين وسير اليهم عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم أصحاب ابن مروان من بين أيديهم ودخلوا البلد وماجاورهم من بلاد المسلمين وصالحهم ابن وثاب النميرى على حران وسروج وحمل اليهم خراجا

﴿(ذكر ملك مسعود بن محمود كرمان وعود عسكره عنها)﴾

وفيها سارت عساكر خراسان الى كرمان فملكوها وكانت للملك أبى كاليجار فاحتمى عسكره بمدينة بردسير وحصرهم الخراسانيون فيها وجرى بينهم عدة وقائع وأرسلوا الى الملك أبى كاليجار يطلبون المدد فسير اليهم العادل بهرام بن مافنة فى عسكر كثيف ثم ان الذين ببردسير خرجوا الى الخراسانية فواقعوهم واشتد القتال وصبروا لهم فاجلت الوقعة عن هزيمة الخراسانية وتبعهم الديلم حتى أبعدوا ثم عادوا الى بردسير ووصل العادل عقيب ذلك الى جيرفت وسير عسكره الى الخراسانية وهم باطراف البلاد فواقعوهم فانهزم الخراسانية ودخلوا المفازة عائدين الى خراسان وأقام العادل بكرمان الى ان أصلح أمورها وعاد الى فارس

﴿(ذكر وفاة القادر بالله وشئ من سيرته وخلافة القائم بامر الله)﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الامام القادر بالله أمير المؤمنين وعمره ست وثمانون سنة وعشرة

أهوج فقال له يا باغر أنت تعلم محبتى لك وتقديمى اياك وايثارى لك واحسانى اليك وانى قد صرت عندك فى حد من لا يعصى له أمر ولا يخرج عن محبسه وأريد أن آمرك بشئ فعرفنى كيف قلبك فيه فقال أنت تعلم كيف أفعل فقل لى ماشئت حتى أفعله قال ان ابنى فارس قد أفسد على عملى وعمل على قتلى وسفك دمى وقد صح عندى ذلك منه قال فتريد منى ماذا قال أريد أن يدخل على غدا فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتى فى الارض فاذا أنا وضعتها فى الارض فاقتله قال نعم ولكن أخاف أن يبدولك أو تجد فى نفسك على قال قد آمنك الله من ذلك فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب فلم يزل يراعى باغا أن يضع قلنسوته فلم يفعل وظن انه نسى فغمزه بعينه أى افعل قال لا فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له باغا اعلم أنى فكرت فى أنه حدث وانه ولد وقد رمت أن استخلصه هذه المرة فقال له باغر أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم ومادبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ثم قال له وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفنى كيف تريد أن تكون فيه قال له قل ماشئت حتى أفعله قال أخى وصيف قد صح عندى انه يدبر على

أشهر وخلافته احدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر وعشرون يوما وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والاتراك فلما وليها القادر بالله أعاد جدتها وجدّنا موسها وألقى الله هيبته فى قلوب الخلق فاطاعوه أحسن طاعة وأتمها وكان حليما كريما خيرا يحب الخير وأهله ويأمر به وينهى عن الشر ويبغض أهله وكان حسن الاعتقاد صنف فيه كتابا على مذهب السنة ولما توفى صلى عليه ابنه القائم بامر الله وكان القادر بالله أبيض حسن الجسم كث اللحية طويلها يخضب وكان يخرج من داره فى زى العامة ويزور قبور الصالحين كقبر معروف وغيره واذا وصل اليه حال أمر فيه بالحق قال القاضى الحسين بن هرون كان بالكرخ ملك ليتيم وكان له فيه قيمة جيدة فارسل الى ابن حاجب النعمان وهو حاجب القادر يأمرنى ان أفك عنه الحجر ليشترى بعض أصحابه ذلك الملك فلم أفعل فارسل يستدعينى فقلت لغلامه تقدمنى حتى ألحقك وخفته فقصدت قبر معروف ودعوت الله ان يكفينى شره وهناك شيخ فقال لى على من تدعو فذكرت له ذلك ووصلت الى ابن حاجب النعمان فاغلظ لى فى القول ولم يقبل عذرى فاتاه خادم برقعة ففتحها وقرأها وتغير لونه ونزل من الشدة فاعتذر الىّ ثم قال كتبت الى الخليفة قصتى فقلت لا وعلمت ان ذلك الشيخ كان الخليفة وقيل كان يقسم افطاره كل ليلة ثلاثة اقسام فقسم كان يتركه بين يديه وقسم يرسله الى جامع الرصافة وقسم يرسله الى جامع المدينة يفرق على المقيمين فيهما فاتفق ان الفراش حمل ليلة الطعام الى جامع المدينة ففرقه على الجماعة فاخذوا الاشابا فانه رده فلما صلوا المغرب خرج الشاب وتبعه الفراش فوقف على باب فاستطعم فاطعموه كسيرات فاخذها وعاد الى الجامع فقال له الفراش ويحك ألا تستحى ينفذ اليك خليفة الله بطعام حلال فترده وتخرج وتأخذ من الابواب فقال والله ما رددته الا لانك عرضته علىّ قبل المغرب وكنت غير محتاج اليه فلما احتجت طلبت فعاد الفراش فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال له راع مثل هذا واغتنم أخذه وأقم الى وقت الافطار

وقال أبو الحسن الابهرى أرسلنى بهاء الدولة الى القادر بالله فى رسالة فسمعته ينشد

سبق القضاء بكل ما هو كائن * والله يا هذا الرزق ضامن
تعنى بما يفنى وتترك ما به * تغنى كانك للحوادث آمن
أوما ترى الدنيا ومصرع أهلها * فاعمل ليوم فراقها يا خائن
واعلم بانك لا أبالك فى الذى * أصبحت تجمعه لغيرك حازن
يا عامر الدنيا أتعمر منزلا * لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شئ أنت تعلم انه * حق وأنت بذكره متهاون
ان المنية لا تؤامر من أتت * فى نفسه يوما ولا تستاذن

فقلت الحمد لله الذى وفق أمير المؤمنين لانشاد مثل هذه الابيات فقال بل لله المنة اذ ألزمنا بذكره ووفقنا لشكره ألم تسمع قول الحسن البصرى فى أهل المعاصى هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم ومناقبه كثيرة

﴿ ذكر خلافة القائم بامر الله ﴾

لما مات القادر بالله جلس فى الخلافة ابنه القائم بامر الله أبو جعفر عبد الله وجددت له البيعة وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد سنة احدى وعشرين كما ذكرناه واستقرت الخلافة له وأول من بايعه الشريف أبو القاسم المرتضى وأنشده

فاما مضى جبل وانقضى * فانك لنا جبل قد رسا

يصنع به قال افعل هذا فانه يصير الى غدا فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذى يكون معى قاعدا عليه فاذا رأيتنى نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله قال نعم فلما صار وصيف الى بغا حضر باغر وقام مقام المستعد فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف قال فقال له بغا يا باغر انى فكرت فى انه أخى وأنى قد عاقدته وحلفت له فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ووصله وأعطاه ثم انه امسك عنه مدة مديدة ودعا به فقال يا باغر قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التى قدمتها فكيف قلبك قال قلبى على ما تحب فقل ما شئت حتى أفعله فقال هذا المنتصر قد صح عندى أنه على ايقاع التدبير على وعلى غيرى حتى يقتلنا وأريد أن أقتله فكيف ترى نفسك فى ذلك ففكر باغر فى ذلك ونكس رأسه وقال هذا لا يجىء منه شئ قال وكيف قال يقتل الابن والاب باق اذا لا يستوى لكم شئ ويقتلكم أبوه كلكم به قال فما ترى عندك قال نبدأ بالاب أولا فنقتله ثم يكون أمر الصبى أيسر من ذلك فقال له ويحك وينفعل هذا ويتهيأ قال نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله فجعل يردد عليه فيقول لا تفعل غير هذا ثم قال له

وأما فجعنا بدر التمام * فقد بقيت منه شمس الضحى
لما حزن فى محل السرور * وكم ضحك فى خلال البكى
فيا صارم أغمدته يد * لنا بعدك الصارم المنتضى

وهى أكثر من هذا وأرسل القائم بامر الله قاضى القضاة أبا الحسن الماوردى الى الملك أبى كاليجار ليأخذ عليه البيعة ويخطب له فى بلاده فاجاب وبايع وخطب له فى بلاده وأرسل اليه هدايا جليلة وأموالا كثيرة

﴿ ذكر الفتنة ببغداد ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة وكان سبب ذلك ان الملقب بالمذكور أظهر العزم على الغزاة واستأذن الخليفة فى ذلك فاذن له وكتب له منشورا من دار الخلافة وأعطى علما فاجتمع له لفيف كثير فسار واجتاز بباب الشعير وطاف الحرانى وبين يديه الرجال بالسلاح فصاحوا بذكر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقالوا هذا يوم معاوى فنافرهم أهل الكرخ ورموهم وثارت الفتنة ونهبت دور اليهود لانهم قيل عنهم انهم أعانوا أهل الكرخ فلما كان الغد اجتمع السنة من الجانبين ومعهم كثير من الاتراك وقصدوا الكرخ فاحرقوا وهدموا الاسواق وأشرف أهل الكرخ على خطة عظيمة وأنكر الخليفة ذلك انكارا شديدا ونسب اليهم تخريق علامته التى مع الغزاة فركب الوزير فوقعت فى صدره آجرة فسقطت عمامته وقتل من أهل الكرخ جماعة وأحرق وخرب فى هذه الفتنة سوق العروس وسوق الصفارين وسوق الانماط وسوق الدقاقين وغيرها واشتد الامر فقتل العامة الكلالكى وكان ينظر فى المعونة واحرقوه ووقع القتال فى اصقاع البلد من جانبيه واقتتل أهل الكرخ ونهر طابق والقلائين وباب البصرة وفى الجانب الشرقى أهل سوق الثلاثاء وسوق يحيى وباب الطاق والاساكفة والزهادرة ودرب سليمان فقطع الجسر ليفرق بين الفريقين ودخل العيارون البلد وكثر الاستفتاء بها والعملات ليلا ونهارا وأظهر الجند كراهة الملك جلال الدولة وأرادوا قطع خطبته ففرق فيهم مالا وحلف لهم فسكنوا ثم عاودوا الشكوى الى الخليفة منه وطلبوا ان يأمر بقطع خطبته فلم يجبهم الى ذلك فامتنع حينئذ جلال الدولة من الجلوس وضربه النوبة أوقات الصلوات وانصرف الطبالون لانقطاع الجارى لهم ودامت هذه الحال الى عيد الفطر فلم يضرب بوق ولا طبل ولا اظهرت الزينة وزاد الاختلاط ثم حدث فى شوال فتنة بين أصحاب الاكسية وأصحاب الخلعات وهما شيعة وزاد الشر ودام الى ذى الحجة فنودى فى الكرخ باخراج العيارين فخرجوا واعترض أهل باب البصرة قوما من قم أرادوا زيارة مشهد على والحسين عليه السلام فقتلوا منهم ثلاثة نفر وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر

﴿ ذكر ملك الروم قلعة افامية ﴾

فى هذه السنة ملك الروم قلعة افامية بالشام وسبب ملكها ان الظاهر خليفة مصر سير الى الشام الدزبرى وزيره فلكه وقصد حسان بن المفرج الطائى فالح فى طلبه فهرب منه ودخل بلد الروم ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى افامية فكبسها وغنم ما فيها وسبى أهلها واسرهم وسير الدزبرى الى البلاد يستنفر الناس للغزو

﴿ ذكر الوحشة بين بارسطغان وجلال الدولة ﴾

اجتمع اصاغر الغلمان هذه السنة الى جلال الدولة وقالوا له قد هلكنا فقرا وجوعا وقد استبد

انه قاتله وتوجه له فى التدبير فى قتل المتوكل * وفى سنة سبع وأربعين توفيت شجاع أم المتوكل وصلى عليها المقتصر وذلك فى شهر ربيع الآخر ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر ليلة الاربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وقيل لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين * وكان مولده يوم الصليب حدث البحترى قال اجتمعنا ذات يوم مع الندماء فى مجلس المتوكل فتذاكرنا أمر السيوف فقال بعض من حضر بالغنى يا أمير المؤمنين انه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله فامر المتوكل بكتاب الى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بان السيف اشتراه رجل من أهل اليمن فأمر المتوكل بالبعث الى اليمن يطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك قال البحترى فبينا نحن عند المتوكل اذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه وعرفه انه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم فسر بوجوده وحمد الله على ما سهل من أمره

القوّاد بالدولة والاموال عليك وعلينا وهذا بارسطغان ويلدرك قد أفقرانا وافقرك أيضا فلما بلغهما ذلك امتنعا من الركوب الى جلال الدولة واستوحشا وأرسل اليهما الغلمان يطالبونهما بعلوفتهم فاعتذرا بضيق أيديهما عن ذلك وسارا الى المدائن فندم الاتراك على ذلك وأرسل اليهما جلال الدولة مؤيد الملك الرخجي والمرتضى وغيرهما فرجعا وزاد تسحب الغلمان على جلال الدولة الى ان نهبوا من داره فرشا وآلات ودواب وغير ذلك فركب وقت الهاجرة الى دار الخلافة ومعه نفر قليل من الركابية والغلمان وجمع كثير من العامة وهو سكران فانزعج الخليفة من حضوره فلما علم الحال أرسل اليه يأمره بالعود الى داره ويطيب قلبه فقبل قربوس سرجه ومسح حائط الدار بيده وأمرها على وجهه وعاد الى داره والعامة معه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قبل قاضي القضاة أبو عبد الله بن ماكولا شهادة أبي الفضل محمد بن عبد العزيز بن الهادي والقاضي أبي الطيب الطبري وأبي الحسين بن المهتدي وشهد عنده أبو القاسم بن بشران وكان قد ترك الشهادة قبل ذلك وفيها فوض مسعود بن محمود بن سبكتكين امارة الري وهمذان والجبال الى تاش فراش وكتب له الى عامل نيسابور بانفاق الاموال على حشمه ففعل ذلك وسار الى عمله واساء السيرة فيه وفيها في رجب اخرج الملك جلال الدولة دوابه من الاصطبل وهي خمس عشرة دابة وسيرها في الميدان بغير سائس ولا حافظ ولا علف فعل ذلك لسببين احدهما عدم العلف والثاني ان الاتراك كانوا يلتمسون دوابه ويطلبونها كثيرا فضجر منهم فاخرجها وقال هذه دوابي منها خمس لمركوبي والباقي لاصحابي ثم صرف حواشيه وفراشيه واتباعه واغلق باب داره لانقطاع الجاري له فثارت لذلك فتنة بين العامة والجند وعظم الامر وظهر العيارون وفيها عزل عميد الدولة وزير جلال الدولة ووزر بعده أبو الفتح محمد بن الفضل بن اردشير فبقي أياما ولم يستقم أمره فعزل ووزر بعده أبو اسحق ابراهيم بن أبي الحسين وهو ابن أخي أبي الحسين السهلي وزير مأمون صاحب خوارزم فبقي في الوزارة خمسة وخمسين يوما وهرب وفيها توفي عبد الوهاب بن علي بن نصر أبو نصر الفقيه المالكي بمصر وكان ببغداد فغادرها الى مصر عن صائفة فاغماه المغاربة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وثوب الاجناد بجلال الدولة واخراجه من بغداد﴾

في هذه السنة في ربيع الاول تجددت الفتنة بين جلال الدولة وبين الاتراك فاغلق بابه فجاءت الاتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتاب وأرباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا اسحق السهلي فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد وخرج جلال الدولة الى عكبرا في شهر ربيع الآخر وخطب الاتراك ببغداد للملك أبي كاليجار وأرسلوا اليه يطلبونه وهو بالاهواز فمنعه العادل بن مافنة عن الاصعاد الى ان يحضر بعض قوادهم فلما رأوا امتناعه من الوصول اليهم أعادوا خطبة جلال الدولة وسارو اليه وسألوه العود الى بغداد واعتذروا فعاد اليها بعد ثلاثة وأربعين يوما ووزر له أبو القاسم بن ماكولا ثم عزل ووزر بعده عميد الدولة أبو سعد بن عبد الرحيم فبقي وزيرا أياما ثم استتر وسبب ذلك ان جلال الدولة تقدم اليه بالقبض على أبي المعمر ابراهيم بن الحسين البساسي طمعا في ماله فقبض عليه وجعله في داره فثار الاتراك وأرادوا منعه وقصدوا دار الوزير وأخذوه وضربوه وأخرجوه من داره حافيا وعرقوا ثيابه وأخذوا عمامته وقطعوها وأخذوا خواتيمه من يده فدميت أصابعه وكان جلال الدولة في الحمام فخرج مرتاعا فركب وظهر لينظر

غلاما تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على رأسي لا يفارقني في كل يوم مادمت جالسا فاقال فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركي فقال الفتح يا أمير المؤمنين هذا باغر التركي قد وصف لي بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما أراده أمير المؤمنين فدعا به المتوكل فدفع اليه السيف وأمره بما أراد وتقدم أن يزاد في مرتبته وأن يضعف له الرزق قال البحتري فوالله ما انقضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذي دفع اليه الا في الليلة التي ضربه فيها باغر بذلك السيف قال البحتري لقد رأيت من المتوكل في الليلة التي قتل فيها عجبا وذلك انا تذاكرنا أمر الكبر وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية فجعلنا نخوض في ذلك وهو يتبرأ منه ثم حول وجهه الى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعا لله عز وجل ثم أخذ من ذلك التراب فنثره في لحيته ورأسه وقال اغا أنا عبد الله وان من صار الى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر قال البحتري فتطيرت له من ذلك وانكرت ما فعله من نثره التراب على رأسه ولحيته ثم قعد للشراب فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتا استحسنه ثم التفت الى الفتح فقال يا فتح ما

ما الخبر فاكب الوزير يقبل الارض ويذكر ما فعل به فقال جلال الدولة انا ابن بهاء الدولة وقد فعل بى أكثر من هذا ثم أخذ من البساط ألف دينار وأطلق واختفى الوزير

﴿ ذكر انهزام علاء الدولة بن كاكويه من عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين ﴾

قد ذكرنا انهزام علاء الدولة أبى جعفر من الرى ومسيره عنها فلما وصل الى قلعة فردجان أقام بها لتندمل جراحه ومعه فرهاذ بن مرداويج كان قد جاءه مدد اله وتوجهوا منها الى بروجرد فسير تاش فراش مقدم عسكر خراسان جيشا الى علاء الدولة واستعمل عليهم على بن عمران فسار يقص أثر علاء الدولة فلما قارب بروجرد صعد فرهاذ الى قلعة سليموه ومضى أبو جعفر الى سابور خواست ونزل عند الاكراد الجوزقان وملك عسكر خراسان بروجرد وراسل فرهاذ الاكراد الذين مع على ابن عمران واستمالهم فصاروا معه وأرادوا ان يفتكوا به على فبلغه الخبر فركب ليلا فى خاصته وسار نحو همذان ونزل فى الطريق بقرية تعرف بكسب وهى منيعة فاستراح فيها فلحقه فرهاذ وعسكره والاكراد الذين صاروا معه وحصروه فى القرية فاستسلم وأيقن بالهلاك فأرسل الله تعالى ذلك اليوم مطرا وثلجا فلم يمكنهم المقام عليه لانهم كانوا جريدة بغير خيام ولا آلة الشتاء فرحلوا عنه وراسل على بن عمران الامير تاش فراش يستنجده ويطلب العسكر الى همذان ثم اجتمع فرهاذ وعلاء الدولة ببروجرد واتفقا على قصد همذان وسير علاء الدولة الى اصبهان وبها ابن أخيه يطلبه وأمره باحضار السلاح والمال ففعل وسار فبلغ خبره على بن عمران فسار اليه من همذان جريدة فكبسه بحر باذقان وأسره وأسر كثيرا من عسكره وقتل منهم وغنم ما معه من سلاح ومال وغير ذلك ولما سار على عن همذان دخلها علاء الدولة وملكها اظنامه ان عليا سار منهزما وسار علاء الدولة من همذان الى كرج فأتاه خبر ابن أخيه فثنت فى عضده وكان على بن عمران قد سار بعد الوقعة الى اصبهان طامعا فى الاستيلاء عليها وعلى مال علاء الدولة وأهله فتعذر عليه ذلك ومنعه أهلها والعسكر الذى فيها فعاد عنها فلقيه علاء الدولة وفرهاذ فاقتتلوا فانهزم منهما وأخذوا امامه من الاسرى الا أبا منصور بن أخى علاء الدولة فانه كان قد سيره الى تاش فراش وسار على من المعركة منهزما نحو تاش فراش فلقيه بكرج فعاتبه على تاخره عنه واتفقا على المسير الى علاء الدولة وفرهاذ وكان قد نزل بجيل عند بروجرد متحصنا فيه فافترق تاش وعلى وقصداه من جهتين أحدهما من خلفه والآخر من الطريق المستقيم فلم يشعر الا وقد خالطه العسكر فانهزم علاء الدولة وفرهاذ وقتل كثير من رجالهما فمضى علاء الدولة الى أصبهان وصعد فرهاذ الى قلعة سليموه فتحصن بها

﴿ ذكر عده حوادث ﴾

فى هذه السنة توفى قدرخان ملك الترك بما وراء النهر وفيها ورد أحمد بن محمد المتكدرى الفقيه الشافعى رسولا من مسعود بن محمود بن سبكتكين الى القائم بامر الله معزيا له بالقادر بالله وفيها نقل تابوت القادر بالله الى المقبرة بالرصافة وشهده الخلق العظيم وحجاج خراسان وكان يوما مشهودا وفيها كان بالبلاد غلاء شديد واستسقى الناس فلم يسقوا وتبعه وباء عظيم وكان عاما فى جميع البلاد بالعراق والموصل والشام وبلاد الجبل وخراسان وغزنة والهند وغير ذلك وكثر الموت فدفن فى اصبهان فى عدة أيام أربعون ألف ميت وكثر الجدرى فى الناس فأحصى بالموصل انه مات به أربعة آلاف صبى ولم تخل دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت وممن جدر القائم بامر الله وسلم وفيها جمع نائب نصر الدولة ابن مروان بالجزيرة جمعا ينيف على عشرة آلاف رجل وغزا من يقاربه من الارمن واوقع بهم وأثخن فيهم وغنم وسبى كثيرا وعاد ظافرا منصورا وفيها كان بين أهل

ثانية فانا فى ذلك اذ أقبل خادم من خدم فتيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها اليه فتيحة فقال له الرسول يا أمير المؤمنين تقول لك فتيحة انى استعملت هذه الخلعة لامير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها قال فاذا فيه دراعة حمراء لم أر مثلها قط ومطرف خز أحمر كانه دبى من رقته قال فلبس الخلعة والتحف المطرف قال فانى على ذلك اذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة خرقه من طرفه الى طرفه قال فاخذه ولفه ودفعه الى خادم فتيحة الذى جاءه بالخلعة وقال قل لها احتفظى بهذا المطرف عندك ليكون كفنا لى عندك فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون انقضت والله المدة وسكر المتوكل سكرا شديدا قال وكان من عادته أنه اذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه قال فبينا نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل اذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الاتراك وهم متلثمون والسيوف فى أيديهم تبرق فى ضوء تلك الشمع فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير فصاح بهم الفتح ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء

تونس من افريقية خلاف فسار المعز بن باديس اليهم بنفسه فاصلح بينهم وسكن الفتنة وعاد وفيها اجتمع ناس كثير من الشيعة بافريقية وساروا الى أعمال نفطة فاستولوا على بلد منها وسكنوه فجرد اليهم المعز عسكرا فدخلوا البلاد وحاربوا الشيعة وقتلوهم أجمعين وفيها خرجت العرب على حاج البصرة ونهبوهم وحج الناس من سائر البلاد الا من العراق وفيها توفى أبو الحسن بن رضوان المصرى النحوى فى رجب وفيها قتل الملك أبو كاليجار صندلا الخصى وكان قد استولى على المملكة وليس لابى كاليجار معه غير الاسم وفيها توفى على بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن النعيمى البصرى حدث عن جماعة وكان حافظا شاعرا فقيها على مذهب الشافعى

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عود مسعود الى غزنة والفتن بالرى وبلاد الجبل ﴾

فى هذه السنة فى رجب عاد الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين من نيسابور الى غزنة وبلاد الهند وكان سبب ذلك انه لما كان قد استقر له الملك بعد أبيه أقر بما كان قد فتحه أبوه من الهند نائبا يسمى أحمد بنالتكين وقد كان أبوه محمود استنابه بها ثقة بجلده ونهضته فرست قدمه فيها وظهرت كفايته ثم ان مسعودا بعد فراغه من تقرير قواعد الملك والقبض على عمه يوسف والمخالفين له سار الى خراسان عازما على قصد العراق فلما أبعد عصى ذلك النائب بالهند فاضطر مسعود الى العود فارسل الى علاء الدولة بن كاكويه وأمره على اصبهان بقرار يؤديه كل سنة وكان علاء الدولة قد ارسل يطلب ذلك فاجابه اليه وأقر ابن قابوس بن وشمكير على جرجان وطبرستان عن مال يؤديه اليه وسير أبا سهل الحمدونى الى الرى للنظر فى أمور هذه البلاد الجبلية والقيام بحفظها وعاد الى الهند فاصلح الفاسد وأعاد المخالف الى طاعته وفتح قلعة حصينة تسمى سرستى على ما نذكره وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها ولما سار أبو سهل الى الرى أحسن الى الناس وأظهر العدل فازال الاقساط والمصادرات وكان تاش فراش قد ملأ البلاد ظلما وجورا حتى تمنى الناس الخلاص منهم ومن دولتهم وخربت البلاد وتفرق أهلها فلما ولى الحمدونى وأحسن وعدل عادت البلاد فعمرت والرعية أمنت وكان الارجاف شديدا بالعراق لما كان الملك مسعود بنيسابور فلما عاد سكن الناس واطمأنوا

﴿ ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله ﴾

فيها قبض عسكر السلطان مسعود بن محمود على شهريوش بن ولكين فامر به مسعود فقتل وصلب على سور ساوة وكان سبب ذلك ان شهريوش كان صاحب ساوة وقم وتلك النواحى فلما اشتغل مسعود بأخيه محمد بعد موت والده جمع شهريوش جمعا وسار الى الرى محاصرا لها فلم يتم ما أراده وجاءت العساكر فعاد عنها ثم هذه السنة اعترض الحجاج الواردين من خراسان وعمهم اذاه وأخذ منهم مالم تجر به عادة وأساء اليهم وبلغ ذلك الى مسعود فقدم الى تاش فراش والى أبى الطيب طاهر بن عبد الله خليفته معه يطلب شهريوش وقصده أين كان واستنفاد الوسع فى قتاله فسارت العساكر فى أثره فاحتمى بقلعة تقارب قم تسمى فستق وهى حصينة عالية المكان وثيقة البنيان فاحاطوا به وأخذوه وكتبوا الى مسعود فى أمره فامرهم بصلبه على سور ساوة

﴿ ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته ﴾

فى هذه السنة سارت عساكر جلال الدولة مع ولده الملك العزيز فدخلوا البصرة فى جمادى الاولى وكان سبب ذلك ان بختيار متولى البصرة توفى فقام بعده ظهير الدين أبو القاسم خال ولده

المتوكل وقد ضربه باعسر بالسيف الذى كان المتوكل دفعه اليه على جانبه الايمن فقده الى خاصرته ثم ثناه على جانبه الايسر ففعل مثل ذلك وأقبل الفتح يعانعهم عنه فبجه واحدا منهم بالسيف الذى كان معه فى بطنه فاخرجه من متنه وهو صابر لا يتحى ولا يزول قال البحترى فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم منه ثم طرح بنفسه على المتوكل فماتا جميعا فلفا فى البساط الذى قتلا فيه وطرحا ناحية فلم يزالا على حالتهما فى ليلتهما وعامة نهارها حتى استقرت الخلافة للمنتصر فأمر بهما فدفنا جميعا وقيل ان فتيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه وقد كان بغا الصغير توحش من المتوكل فكان المنتصر يجتذب قلوب الاتراك وكان أوتامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين الى المعتز وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر فكان المنتصر لا يبعد أحدا من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك وكثيرا من الفراعنة والاشروسية الى أن كان من الامر ما ذكرناه وهذا ما اخترناه فى هذا الموضع

لجلد كان فيه وكفاية وهو فى طاعة الملك أبى كاليجار ودام كذلك فقيل لابى كاليجار ان أبا القاسم ليس لك من طاعته غير الاسم ولو رمت عزله لتعذر عليك و بلغ ذلك أبا القاسم فاستعد للامتناع وأرسل أبو كاليجار اليه ليعزله فامتنع وأظهر طاعة جلال الدولة وخطب له وأرسل الى ابنه وهو بواسط يطلبه فانحدر اليه فى عساكر أبيه التى كانت معه بواسط ودخلوا البصرة وأقاموا بها وأخرجوا عساكر أبى كاليجار منها و بقى الملك العزيز بالبصرة مع أبى القاسم الى ان دخلت سنة خمس وعشرين وليس له معه أمر والحكم الى أبى القاسم ثم انه أراد القبض على بعض الديلم فهرب ودخل دار الملك العزيز مستجيرا فاجتمع الديلم اليه وشكوا من أبى القاسم فصادف شكواهم صدرا موغرا حانقا عليه لسوء صحبته فأجابهم الى ما أرادوه من اخراجه عن البصرة واجتمعوا وعلم ابو القاسم بذلك فامتنع بالابلة وجمع أصحابه وجرى بين الفريقين حروب كثيرة أجلت عن خروج العزيز عن البصرة وعوده الى واسط وعود أبى القاسم الى طاعة أبى كاليجار

﴿ذكر اخراج جلال الدولة من دار المملكة واعادته اليها﴾

فى هذه السنة فى رمضان شغب الجند على جلال الدولة وقبضوا عليه ثم أخرجوه من داره ثم سألوه ليعود اليها فعاد وسبب ذلك انه استقدم الوزير أبا القاسم من غير أن يعلموا فلما قدم ظنوا انه انما ورد للتعرض الى أموالهم ونعمهم فاستوحشوا واجتمعوا الى داره وهجموا عليه وأخرجوه الى مسجد هناك فوكلوا به فيه ثم انهم أسمعوه ما يكره ونهبوا بعض ما فى داره فلما وكلوا به جاء بهتر القواد فى جماعة من الجند ومن انضاف اليه من العامة والعيارين فاخرجه من المسجد وأعاده الى داره فنقل جلال الدولة ولده وحرمه وما بقى له الى الجانب الغربى وعبر هو فى الليل الى الكرخ فلقيه أهل الكرخ بالدعاء فنزل بدار المرتضى وعبر الوزير أبو القاسم معه ثم ان الجند اختلفوا فقال بعضهم نخرجه من بلادنا وقال غيره وقال بعضهم ليس من بنى بويه غيره وغير أبى كاليجار وذلك فدعاد الى بلاده ولا بد من مداراة هذا فأرسلوا اليه يقولون له نريد ان نتحدر عنا الى واسط وأنت ملكنا ونترك عندنا بعض أولادك الاصاغر فأجابهم الى ذلك وأرسل سرا الى الغلمان الاصاغر فاستمالهم والى كل واحد من الاكابر وقال انما أثق بك واسكن اليك واستمالهم أيضا فعبروا اليه وقبلوا الارض بين يديه وسألوه العود الى دار الملك فعاد وحلف لهم على اخلاص النية والاحسان اليهم وحلفوا له على المناصحة واستقر فى داره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى الوزير أحمد بن الحسن الميمندى وزير مسعود بن سبكتكين ووزر بعده أبو نصر أحمد بن على بن عبد الصمد وكان وزير هرون التونتاش صاحب خوارزم ووزر بعده لهرون ابنه عبد الجبار وفيها ثار العيارون ببغداد وأخذوا أموال الناس ظاهرا وعظم الامر على أهل البلد وطمع المفسدون الى حد ان بعض القواد الكبار أخذ أربعة من العيارين فجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة وحضر باب داره ودق عليه الباب فكلمه من داخل فقال العقيد قد أخذت من أصحابك أربعة فان أطلقت من عندك أطلقت أنا من عندى والا قتلتهم وأحرقت دارك فأطلقهم القائد وفيها تأخر الحاج من خراسان وفيها خرج حجاج البصرة بغير أمير فغدر بهم ونهبهم وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيضاوى الفقيه الشافعى من نيف وثمانين سنة وفيها فى شوال توفى أبو الحسن بن السماك القاضى عن خمس وتسعين سنة

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة﴾

هذا الكتاب ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه فى اليوم الذى قتل فيه فانه أصبح فى هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا وقال كانى أجد حركة الدم فاحتجم فى ذلك اليوم وأحضر الندماء والملهين فاشتد سروره وكثر فرحه فانقلب ذلك الفرح ترحا والسرور حزنا فمن ذا الذى يغتر بالدنيا ويسكن اليها ويأمن الغدر والنكبات فيها الا جاهل مغرور فهى دار لا يدوم نعيمها ولا يتم فيها سرور ولا يؤمن فيها محذور قد قرنت منها السراء بالضراء والشدة بالرخاء والنعيم بالبلوى ثم يتبعها الزوال فمع نعيمها البؤس ومع سرورها الحزن ومع محبوبها المكروه ومع صحتها السقم ومع حياتها الموت ومع فرحاتها الترحات ومع لذاتها الآفات عزيزها ذليل وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها مسلوب ولا يبقى الا الحى الذى لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم وفى ذلك يقول البحترى فى غدر المنتصر بأبيه وفتكه به من قصيدة له

أكان ولى العهد أضمر غدره ... فمن عجب أن ولى العهد غادره

ولا حملت ذاك الدعاء منابره ... فلا ملك الباقى تراث الذى مضى

وكانت أيام المتوكل فى

بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وأيام الشباب وقد أخذ هذا بعض الشعراء فقال

قربك أشهى موقعا عندنا
من لين السمر وأمن السبيل

ومن ليالي الحب موصولة
بطيب أيام الشباب الجميل

قال المسعودي وقد قيل انه لم تكن النفقات في عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها في أيام المتوكل ويقال انه انفق على الهاروني والجوسق الجعفري أكثر من مائة ألف ألف درهم هذا مع كثرة الموالي والجند والشاكرية ودر ورالعطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه في كل شهر من الجوائز والهبات ويقال انه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ومات وفي بيوت الاموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ولا يعلم أحد في صناعته في جد ولا هزل الا وقد حظي في دولته وسعد بايامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله

وذكر محمد بن أبي عون قال حضرت مجلس المتوكل على الله في يوم نيروز وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر فغمز المتوكل خادما على ليبذل

﴿ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلد الهند﴾

في هذه السنة فتح السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة سرستي وما جاورها من بلد الهند وكان سبب ذلك ما ذكرناه من عصيان نائبه بالهند أحمد ينالتكين عليه ومسيره اليه فلما عاد أحمد الى طاعته أقام بتلك البلاد طويلا حتى أمنت واستقرت وقصد قلعة سرستي وهي من أمنع حصون الهند وأحصنها فحصرها وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابه الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها الى مسعود من جملة القرار عليه فكتب التجار رقعة في نشابة ورموا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وانه ان صابرهم ملكها فرجع عن الصلح الى الحرب وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم وأخذ ما جاورها من البلاد وكان عازما على طول المقام والجهاد فأتاه من خراسان خبر الغز فعاد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر حصر قلعة بالهند أيضا﴾

لما ملك مسعود قلعة سرستي رحل عنها الى قلعة نغي فوصل اليها عاشر صفر وحصرها فرآها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير الا انه أقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلا وأخذت مكنسة فملتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكر المسلمين فمرض وأصبح ولا يقدر أن يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفا شديدا فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ما كان به وأقبلت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

﴿ذكر الفتنة بنيسابور﴾

لما اشتد أمر الاتراك بخراسان على ما نذكره تجمع كثير من المفسدين وأهل العيث والشر وكان أول من أثار الشر أهل ابيورد وطوس واجتمع معهم خلق كثير وساروا الى نيسابور لينهبوها وكان الوالي عليها قد سار عنها الى الملك مسعود لخافهم خوفا عظيما وأيقنوا بالهلاك فبينما هم يترقبون البوار والاستئصال وذهاب الانفس والاموال اذ وصل اليهم أمير كرمان في ثلثمائة فارس قد مم متوجها الى مسعود أيضا فاستغاث به المسلمون وسألوه ان يقيم عندهم ليكف عنهم الاذى فاقام عليهم وقاتل معهم وعظم الامر واشتدت الحرب وكان الظفر له ولاهل نيسابور فانهزم أهل طوس وابيورد ومن تبعهم وأخذتهم السيوف من كل جانب وعمل بهم أمير كرمان أعمالا عظيمة وأثخن فيهم وأسر كثيرا منهم وصلبهم على الاشجار وفي الطرق فقيل انه عدم من أهل طوس عشرون ألف رجل ثم ان أمير كرمان أحضر زعماء قرى طوس وأخذ أولادهم واخوانهم وغيرهم من أهليهم رهائن فاودعهم السجون وقال ان اعترض منكم واحد الى أهل نيسابور أو غيرهم أو قطع طريقا فاولادكم واخوانكم ورهائنكم مأخوذون بجنايتكم فسكن الناس وفرج الله عن أهل نيسابور بما لم يكن في حسابهم

﴿ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان﴾

في هذه السنة اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بن مرداويج واتفق على قتال عسكر مسعود ابن محمود بن سبكتكين وكانت العساكر قد خرجت من خراسان مع أبي سهل الحمدوني فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم انهزم علاء الدولة وقتل فرهاذ واحتمى علاء الدولة بجبال بين اصبهان وجرباذقان ونزل عسكر مسعود بكرج وأرسل أبو سهل الى علاء الدولة يقول له

ليبذل المال ويراجع الطاعة ليقره على مابقي من البلاد ويصلح حاله مع مسعود فترددت الرسل فلم يستقر بينهم أمر فسار أبو سهل الى اصبهان فملكها وانهزم علاء الدولة من بين يديه لما خاف الطلب الى ايذج وهي للملك أبي كاليجار ولما استولى أبو سهل على اصبهان نهب خزائن علاء الدولة وأمواله وكان أبو علي بن سينا في خدمة علاء الدولة فاخذت كتبه وحملت الى غزنة فجعلت في خزائن كتبها الى ان أحرقها عساكر الحسين بن الحسين الغوري على ماذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر الحرب بين نور الدولة دبيس وأخيه ثابت ﴾

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين دبيس بن علي بن مزيد وأخيه أبي قوام ثابت بن علي بن مزيد وسبب ذلك ان ثابتا كان يعتضد بالبساسيري ويتقرب اليه فلما كانت سنة أربع وعشرين واربعمائة سار البساسيري معه الى قتال أخيه دبيس فدخلوا النيل واستولوا عليه وعلى اعمال نور الدولة فسير نور الدولة اليهم طائفة من أصحابه فقتلوهم فانهزموا فلما رأى دبيس هزيمة أصحابه سار عن بلده وبقي ثابت فيه الى الآن فاجتمع دبيس وأبو المغراء غازن بن المغراء وبنو أسد وخفاجة وأعانه أبو كامل منصور بن قراد وسار واجريدة لاعادة دبيس الى بلده واعماله وتركوا حلتهم بين خصاوحربى فلما سار والقيهم ثابت عند جرجرايا وكانت بينهم حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم تراسلوا واصطلحوا ليعود دبيس الى أعماله ويقطع أخاه ثابتا قطاعا وتحالفوا على ذلك وسار البساسيري نجدة لثابت فلما وصل الى النعمانية سمع بصلحهم فعاد الى بغداد

﴿ ذكر ملك الروم قلعة بركوى ﴾

هذه قلعة متاخمة للارمن في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة ابن أخت وهسوذان بن مملان فتنافر هو وخاله فارسل خاله الى الروم فأطمعهم فيها فسير الملك اليها جمعا كثيرا فملكوها فبلغ الخبر الى الخليفة فارسل الى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة استوزر جلال الدولة عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وهي الوزارة الخامسة وكان قبله في الوزارة ابن ماكولا ففارقها وسار الى عكبرا فرده جلال الدولة الى الوزارة وعزل أبا سعد فبقي أياما ثم فارقها الى اوانا وفيها استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي ببغداد لان العيارين اشتد أمرهم وعظم فسادهم وعجز عنهم نواب السلطان فاستعملوا البساسيري لكفايته ونهضته وفيها توفي أبو سنان غريب بن محمد بن معن في شهر ربيع الآخر في كرخ سامرا وكان يلقب سيف الدولة وكان قد ضرب دراهم سماها السيفية وقام بالامر بعده ابنه أبو الريان وخلف خمسمائة ألف دينار وأمر فنودي ندأ حلالت كل من لي عنده شيء فحللوني كذلك فحللوه وكان عمره سبعين سنة وفيها توفي بدران بن المقلد وقصد ولده عمه قرواشا فاقر عليه حاله وماله وولاية نصيبين وكان بنو مزيد قد طمعوا فيها وحصروها فسار اليهم ابن بدران فدفعهم عنها وفيها توفي ارمانوس ملك الروم وملك بعده رجل صيرفي ليس من بيت الملك وانما بنت قسطنطين اخته ارنه وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام وكان اكثرها بالرملة فان أهلها فارقوا منازلهم عدة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير وفيها كان بافريقية مجاعة شديدة وغلاء وفيها قبض قرواش على البرجمي العيار وغرقه وكان سبب ذلك ان قرواشا قبض على ابن القلعي عامل عكبرا فحضر البرجمي العيار عند قرواش مخاطبا في أمره لمودة بينهما فاخذه قرواش وقبض عليه فبذل

قل فيه أبياتا فانشأ يقول

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر
من الورد يسعى في قراطيس كالورد
له عبثات عند كل تحية
بعينيه تستدعي الخلي الى الوجد
عنيت أن أسقي بعينيه شربة
تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ساعة
من الليل الا من حبيب على وعد

قال المتوكل أحسنت والله يعطى لكل بيت مائة دينار فقال محمد بن عبد الله ولقد أجاب فاسرع وذكر فأوجع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لاجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد فقال المتوكل عند ذلك يعطى لكل بيت ألف دينار قال ويروى أنه لما أتى محمد بن المغيث الى المتوكل وقد عاله بالنطع والسيف قال له يا محمد ما دعاك الى المشاقة قال الشقوة يا أمير المؤمنين وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ان لي فيك لظنين أسبقهما الى قلبي أولاهما بك وهو العفو عن عبدك وأنشأ يقول

أبى الناس الا أنك اليوم قاتلي
تضاءل ذنبي عند عفوك قلة

امام الهدى والعفو بالحر أجمل ... وهل أنا الا جبلة من خطيئة

قولك من نور النبوة يجعل

مالا كثيرا ليطلقه فلم يفعل وغرقه وكان هذا البرجى قد عظم شانه وزاد شره وكبس عدة مخازن بالجانب الشرقى وكبس دار المرتضى ودار ابن عديسة وهى مجاورة دار الوزير وثار العامة بالخطيب يوم الجمعة وقالوا اما ان تخطب للبرجى والا فلا تخطب لسلطان ولا لغيره وأهلك الناس ببغداد وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوة وله مروأة لم يعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه وفيها هبت ريح سوداء بنصيبين فقلعت من بساتينها كثيرا من الاشجار وكان فى بعض البساتين قصر مبنى بجص وآجر وكاس فقلعته من أصله وفيها كثر الموت بالجوانيق فى كثير من البلاد العراق والشام والموصل وخوزستان وغيرها حتى كانت الدار يسد بابها الموت أهلها وفيها فى ذى القعدة انقض كوكب هال منظره الناس وبعده بليلتين انقض شهاب آخر أعظم منه كانه البرق ملاصق الارض وغلب على ضوء المشاعل وسكث طويلا حتى غاب أثره وفيها توفى أبو العباس الابيوردى الفقيه الشافعى قاضى البصرة وأبو بكر محمد بن حمد بن غالب البرقانى المحدث الامام المشهور وكانت وفاته فى رجب والحسين بن عبد الله بن يحيى أبو على البندنيجى الفقيه الشافعى وهو من أصحاب أبى حامد الاسفرايينى وعبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد أبو الفرج التميمى الفقيه الحنبلى

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد)﴾

فى هذه السنة انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى أن بعض الجند خرجوا الى قرية يحيى فقيهها اكرادا فاخذوا دوابهم فعادوا الى قراح الخليفة القائم بأمر الله فنهبوا شيأ من ثمرته وقالوا للعمالين فيه أنتم عرفتم حال الاكراد ولم تعلموا مع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الاكراد لعجزه ووهنه واجتهد فى تسليم الجند الى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك فتقدم الخليفة الى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه والى الشهود بترك الشهادة والى الفقهاء بترك الفتوى فلما رأى جلال الدولة ذلك سأل أولئك الاجناد ليحيبوه الى ان يحملهم الى ديوان الخلافة ففعلوا فلما وصلوا الى دار الخلافة أطلقوا وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون الاموال ليلا ونهارا ولا مانع لهم لان الجند يحمون على السلطان ونوابه والسلطان عاجز عن قهرهم وانتشر العرب فى البلاد فنهبوا النواحى وقطعوا الطريق وبلغوا الى أطراف بغداد حتى وصلوا الى جامع المنصور وأخذوا ثياب النساء فى المقابر

﴿(ذكر اظهار أحمد ينالتكين العصيان وقتله)﴾

فى سنة خمس وعشرين عاد مسعود بن محمود من الهند لقتال الغز كما ذكرناه فعاد احمد ينالتكين الى اظهار العصيان ببلاد الهند وجمع الجموع وقصد البلاد بالاذى فسير اليه مسعود جيشا كثيفا وكانت مملوك الهند تمنعه من الدخول الى بلادهم وسد منافذها به ولما وصل الجيش المنفذ اليه قاتلهم فانهزم ومضى هاربا الى الملتان وقصد بعض ملوك الهند بمدينة بهاطية ومعه جمع كثير من عساكره الذين سلموا فلم يكن لذلك الملك قدرة على منعه وطلب منه سفنا ليعبر نهر السند فاحضر له السفن وكان فى وسط النهر جزيرة ظنها احمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر ولم يعلموا ان الماء محيط بها فتقدم ملك الهند الى أصحاب السفن بانزالهم فى الجزيرة والعود عنهم ففعلوا ذلك وبقى أحمد ومن معه فيها وليس معهم طعام الا ما معهم فبقوا بها تسعة أيام فلما زادهم وأكلوا دوابهم وضعفت قواهم فاراد وا الخوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدة الوحل فيه فعبر الهندى

فقال المتوكل أفعل خيرهما
وأمن عليك ارجع الى
منزلك قال ابن المغيث
يا أمير المؤمنين الله أعلم
حيث يجعل رسالته ولما
قتل المتوكل رثته الشعراء
فممن رثاه على بن الجهم
فقال من قصيدة له
عبيد أمير المؤمنين قتلته
وأعظم آفات الملوك
عبيدها
بنى هاشم صبرا فكل
مصيبة
سيبلى على وجه الزمان
جديدها
وفيه يقول ابن زيدا لمهلبى
من قصيدة طويلة
جاءت منيته والعين هاجعة
هلا أتته المنايا والغنا قصد
علتك أسياف من لا دونه
أحد
وليس فوقك الا الواحد
الصمد
خليفة لم ينل ما ناله أحد
ولم يصغ مثله نور ولا جسد
وفيه يقول بعض الشعراء
سرت ليلا منيته اليه
وقد خلى مناعمه وناما
فقالت قم فقام وكم أقامت
أخا ملك الى هلك فتاما
وفيه يقول الحسن بن
الضحاك الخليع
ان الليالى لم تحسن الى أحد
الا أساءت اليه بعد احسان
أما رأيت خطوب الدهر
ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

اليهم عسكره فى السفن وهم على تلك الحال فاوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم وأخذوا ولد الاحمد أسيرا فلما رآه أحمد على تلك الحال قتل نفسه واستوعب أصحابه القتل والاسر والغرق

﴿ ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان ﴾

كان الملك مسعود قد أفرد ابن منوجهر بن قابوس على جرجان وطبرستان وتزوج أيضا بابنة أبى كاليجار القوهى مقدم جيش داراو القيم بتدبير أمره استقالة فلما سار الى الهند منعوا ما كان استقر عليهم من المال وراسلوا علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجتماع على العصيان والمخالفة وقوى عزمهم على ذلك ما بلغهم من خروج الغز بخراسان فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز وهزمهم سار الى جرجان فاستولى عليها وملكها وسار الى آمل طبرستان وقد فارقها أصحابها واجتمعوا بالغياض والاشجار المتلفة الضيقة المدخل الوعرة المسالك فسار اليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل ثم راسله داراو أبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم فاجابهم الى ذلك وحملوا من الاموال ما كان عليهم وعاد الى خراسان

﴿ ذكر مسير ابن وثاب والروم الى بلد ابن مروان ﴾

فيها جمع ابن وثاب النميرى جمعا كثيرا من العرب وغيرهم واستنجد من بالرها من الروم فسار معه منهم جيش كثيف وقصد بلد نصر الدولة بن مروان ونهب وأخرب فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره وأتته الجنود من كل ناحية فلما رأى ابن وثاب ذلك وانه لا يتم له غرض عاد عن بلاده وأرسل ابن مروان الى ملك الروم يعاتبه على نقض الهدنة وفسخ الصلح الذى كان بينهما وراسل أصحاب الاطراف يستنجدهم للغزاة فكثر جمعه من الجند والمتطوعة وعزم على قصد الرها ومحاصرتها فوردت رسل ملك الروم يعتذر ويحلف انه لم يعلم بما كان وأرسل الى عسكره الذين بالرها والمقدم عليهم ينكر ذلك وأهدى الى نصر الدولة هدية سنية فترك ما كان عازما عليه من الغزو وفرق العساكر المجتمعة عنده

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيها خرج أبو سعد وزير جلال الدولة الى أبى الشوك مقارفا للوزارة ووزر بعده أبو القاسم وكثرت مطالبات الجند فهرب فاخرج وحمل الى دار الملكة مكشوف الرأس فى قميص خفيف وكانت وزارته هذه شهرين وثمانية أيام وعاد أبو سعد بن عبد الرحيم الى الوزارة وفيها فى ذى الحجة وثب الحسن بن أبى البركات بن ثمال الحفاجى بعمه على بن ثمال أمير بنى خفاجة فقتله وقام بامارة بنى خفاجة وفيها جمعت الروم وسارت الى ولاية حلب فخرج اليهم صاحبها شبل الدولة بن صالح بن مرداس فتصافوا واقتتلوا فانهزمت الروم وتبعهم الى عزاز وغنم غنائم كثيرة وعاد سالما وفيها قصدت خفاجة الكوفة ومقدمهم الحسن بن أبى البركات بن ثمال فنهبوها وأرادوا تخريبها ومنعوا النخل من الماء فهلك اكثره وفيها هرب الزكى أبو على النهرسابسى من محبسه وكان قرواش قد اعتقله بالموصل فبقى سنتين الى الآن ولم يحج هذه السنة من العراق أحد وفى هذه السنة توفى أحمد بن كليب الاديب الشاعر الاندلسى وحديثه مع أسلم بن أحمد بن سعيد مشهور وكان يهواه فقال فيه

أسلمنى فى هوا * مأسلم هذا الرشا * غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسأل عما وشى * ولو شاء ان يرتشى * على الوصل روحى ارتشى

ومات كمدا من هواه وتوفى فى جمادى الاولى منها أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الاديب

ماثتا وصيفة ووصيف وفى الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس تحسن موقعها من المتوكل وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده قال على فدخلت عليه يوما للمنادمة فلما استقر بى المجلس قام فدخل بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال ويلك يا على دخلت فرأيت قينة قد كتبت فى خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فقلت ياسيدى أنا وحدى أو أنا ومحبوبة قال لا بل أنت ومحبوبة قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتنى الى القول ثم أخذت العود فترغمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت مليا ثم قالت يا أمير المؤمنين تأذن لى فأذن لها فغنت

وكاتبة فى الخد بالمسك جعفرا
بنفسى محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت خطا من المسك خدها
لقد أودعت قلبى من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكه
مطيعا له فيما أمر وأجهرا
ويا من لعينى من رأى مثل
قال على وتغلغلت خواطرى

الاندلسى ومن شعره

ان الكريم اذا التمسه مخمصة * أبدى الى الناس شبعا وهو طيان

يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه عمر بماء البشر ملآن

وله أيضا

كتبت لها انى عاشق * على مهرق اللثم بالناظر

فردت على جواب الهوى * باحور عن مائه حائر

منعمة نطقت بالجفون * فدلت على دقة الخاطر

كأن فؤادى اذا أعرضت * تعلق فى مخلبى طائر

وفيها توفى أبو المعالى بن سمنطة العلوى النقيب بالبصرة وأبو محمد بن معية العلوى بها أيضا وأبو على الحسين بن أحمد بن شاذان المحدث الاشعرى مذهبا وكان مولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وحمزة بن يوسف الجرجانى وكان من أهل الحديث

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة

﴿ذكر وثوب الجند بجلال الدولة﴾

فى هذه السنة ثار الجند ببغداد بجلال الدولة وأرادوا اخراجه منها فاستنظرهم ثلاثة أيام فلم ينظروه ورموه بالآجر فاصابه بعضهم واجتمع الغلمان فردوهم منه فخرج من باب الطيف فى سمارية متنكرا وصعد راجلا منها الى دار المرتضى بالكرخ وخرج من دار المرتضى وسار الى رافع بن الحسين بن مقن بتكريت وكسر الاتراك أبواب داره ودخلوها ونهبوها وقلعوا كثيرا من ساجها وأبوابها فارسل الخليفة اليه وقرر أمر الجند وأعاده الى بغداد

﴿ذكر الحرب بين أبى سهل الحمدونى وعلاء الدولة﴾

فى هذه السنة سار طائفة من العساكر الخراسانية التى مع الوزير أبى سهل الحمدونى باصبهان يطلبون الميرة فوضع عليهم علاء الدولة من أطعمهم فى الامتيار من النواحى القريبة منه فساروا اليها ولا يعلمون قربه منهم فلما أتاهم خبرهم خرج اليهم وأوقع بهم وغنم ما معهم وقوى طمعه بذلك فجمع جماما من الديلم وغيرهم وسار الى اصبهان وبها أبو سهل فى عساكر مسعود بن سبكتين فخرجوا اليه وقاتلوه فغدر الاتراك بعلاء الدولة فانهزم ونهب سواده فسار الى برجرد ومنها الى الطارم فلم يقبله ابن السلار وقال لا قدرة لى على مباينة الخراسانية فتركه وسار عنه

﴿ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر﴾

فى هذه السنة فى منتصف شعبان توفى الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن على بن أبى على المنصور الحاكم الخليفة العلوى بمصر وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما وكان له مصر والشام والخطبة له بافريقية وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفا للرعية الا انه مشتغل بلذاته محب للدعة والراحة قد فوض الامور الى وزيره أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى لمعرفته بكفايته وامانته ولما مات ولى بعده ابنه أبو تميم معد ولقب المستنصر بالله ومولده بالقاهرة سنة عشر وأربعمائة وفى أيامه كانت قصة البساسيرى وخطب له ببغداد سنة خمسين وأربعمائة وكان الحاكم فى دولته بدر بن عبد الله الجمال الملقب بالافضل أمير الجيوش وكان عادلا حسن السيرة وفى سنة تسع وسبعين وصل الحسن بن الصباح الاسماعيلى فى زى تاجر الى المستنصر بالله وخاطبه فى اقامته الدعوة له بخراسان وبلاد العجم

فوالله لقد عزب عن ذهنى فلم يزل يضرب به على رأسى ويعيرنى به الى أن مات قال على ودخلت اليه أيضا لانادمه فقال لى ويلك يا على علمت انى غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول اليها وانغت من كلامها فقلت ياسيدى ان كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا وبديم الله سرورا أمير المؤمنين ويمد فى عمره قال فأطرق مليا ثم قال للندماء انصرفوا وأمر برفع الشراب فرفع فلما كان من غد دخلت اليه فقال ويلك يا على انى رأيت البارحة فى النوم أنى قد صالحتها فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه والله لقد سمعت الساعة فى مقصورتها هينمة لا أدرى ماهى فقال لى قم ويلك حتى ننظر ماهى فقام حافيا وقمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها فاذا هى تحفق عودا وترنم بشئ كأنها تصوغ لحنا ثم رمت عقيرتها وتغنت

أدور فى القصر لا أرى أحدا
أشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كأنى أتيت معصية
ليس لها توبة تخلصنى
فمن شفيع لنا الى ملك
قد زارنى فى الكرا وصالحنى
حتى اذا ما الصباح عادلنا * عاد الى هجره وصار منى

فاذن له فى ذلك فعاد ودعا اليه سرا وقال للمستنصر من امامى بعدك فقال ابنى نزار والاسماعيلية يعتقدون امامة نزار وسيرد كيف صرف الامر عنه سنة سبع وثمانين ان شاء الله تعالى

﴿(ذكر فتح السويداء وربض الرها)﴾

فى رجب من هذه السنة اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا وأمدهما نصر الدولة ابن مروان بعسكر كثيف فسار واجميعهم الى السويداء وكان الروم قد أحدثوا عمارتها فى ذلك الوقت واجتمع اليها أهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا مافيها وسبوا خلقا كثيرا وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها حتى بلغ المكوك الحنطة دينارا واشتد الامر فخرج البطريق الذى فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعادبهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنا لهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير وأسر مثلهم وأسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا البلد لنا واما قتلنا البطريق والاسرى الذين معه فتحوا البلد للعجز عن حفظه وتحصن اجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا مافيها وامتلأت أيديهم من الغنائم والسبى وأكثروا القتل وأرسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى وأقام محاصرا للقلعة ثم ان حسان بن الجراح الطائى سار فى خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقربه فسار اليه مجدا ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها من الروم الى حران فقاتلهم أهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعا فوقع على الروم فقتل منهم كثيرا وعاد المنهزمون الى الرها

﴿(ذكر غدر السناسنة وأخذ الحاج واعادة ما أخذوه)﴾

فى هذه السنة ورد خلق كثير من أذربيجان وخراسان وطبرستان وغيرها من البلاد يريدون الحج وجعلوا طريقهم على ارمينية وخلاط فوردوا الى آمى ووسطان فشاربهم الارمن من تلك البلاد وأعانهم السناسنة وهم من الارمن أيضا الا انهم لهم حصون منيعة تجاور خلاط وهم صلح مع صاحب خلاط ولم تزل هذه الحصون بايديهم منذ دين بها الا انهم متعاهدون الى سنة ثمانين وخمسمائة فملكها المسلمون منهم وأزالوهم عنها على ماذكره ان شاء الله تعالى فلما اتفقوا مع الارمن من رعية البلاد وأخذوا الحاج فقتلوا منهم كثيرا وأسروا وسبوا ونهبوا الاموال وحملوا ذلك أجمع الى الروم وطمع الارمن فى تلك البلاد فسمع نصر الدولة ابن مروان الخبر فجمع العساكر وعزم على غزوهم فلما سمعوا ذلك ورأوا جده فيه راسله ملك السناسنة وبذل اعادة جميع ما أخذ أصحابه واطلاق الاسرى والسبى فاجابهم الى الصلح وعاد عنهم لحصانة قلاعهم وكثرة المضايق فى بلادهم ولانهم بالقرب من الروم نخاف ان يستنجدوهم ويمتنعوا بهم فصالحهم

﴿(ذكر الحرب بين المعز وزناتة)﴾

فى هذه السنة اجتمعت زناتة بافريقية وزحفت فى خيلها ورجلها يريدون مدينة المنصورة فلقيهم جيوش المعز بن باديس صاحبها بموضع يقال له الجفنة قريب من القيروان فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت عساكر المعز ففارقت المعركة وهم على حامية ثم عاودوا القتال وحرض بعضهم بعضا فصبرت صنهاجة وانهزمت زناتة هزيمة قبيحة وقتل منهم عدد كثير وأسر خلق عظيم وتعرف هذه الوقعة بوقعة الجفنة وهى مشهورة لعظمها عندهم

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

ثم أخذ بيديها ورجعنا وهى ثالثتنا قال على فلما قتل المتوكل ضمت هى وكثير من الوصائف الى بغا الكبير فدخلت عليه يوما للنادمة فأمر بهتك الستارة وأمر بالقينات فأقبلن يرقلن فى الحلى والحلل وأقبلت محبوبة حاسرة من الحلى والحلل عليها بياض فجاست مطرقة منكسة فقال لها وصيف غنى قال فاعتلت عليه فقال أقسمت عليك وأمر بالعود فوضع فى حجرها فلما لم تجد بدا من القول تركت العود فى حجرها ثم غنت عليه غناء مرتجلا

أى عيش يلذنى
لا أرى فيه جعفرا
ملك قد رأيته
فى نجيع معفرا
كل من كان ذا خبا
ل وسقم فقد برا
غير محبوبة التى
لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوته
يداها التقبرا

قال فغضب عليها ووصيف وأمر بسجنها فسجنت وكان آخر العهد بها (قال المسعودى) ومات فى خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم وقلة الآثار وحفاظ الحديث منهم على بن جعفر المدنى بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهر وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها

فى هذه السنة فى رجب انقض كوكب عظيم غلب نوره على نور الشمس وشوهد فى آخرها مثل التنين يضرب الى السواد وبقى ساعة وذهب وفيها كانت ظلمة عظيمة اشتدت حتى ان الانسان كان لا يبصر جليسه وأخذ بانفاس الخلق ولون آخر فكشافها الهلاك أكثرهم وفيها قبض على الوزير أبى سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدولة وهى الوزارة السادسة وفيها فى رمضان توفى رافع بن الحسين بن مقن وكان حازما شجاعا وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة ألف دينار فملكها ابن أخيه خميس بن ثعلب وكان طريدا فى أيام عمه وحمل الى جلال الدولة ثمانين ألف دينار فاصطلح بها الجند وكانت يده قد قطعها بعض عبيد بنى عمه كان يشرب معه فجرى بينه وبين آخر خصومة وجردوا سيوفهم فقام رافع ليصلح بينهم فضرب العبد يده فقطعها فلطا ورافع فيها شعر ولم تمنعه من قتال عمل له كفا أخرى يمسك بها العنان ويقاتل وله شعر جيد من ذلك قوله

لهار يقة أستغفر الله انها * الذ وأشهى فى النفوس من الخمر
وصارم طرف لا يزايل جفنه * ولم أر سيفا قط فى جفنه يفرى
فقلت لها والعيس تجدح بالضحى * اعدى لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الاجر
أليس من الخسران ان ليا ليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وفيها فى صفر أمر القائم بامر الله بترك التعامل بالدنانير المغربية وامر الشهود أن لا يشهدوا فى كتاب ابتياع ولا غيره بذكر فيها هذا الصنف من الدهب فعدل الناس الى القادرية والسابورية والقاسانية

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

﴿ ذكر الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان ﴾

فى هذه السنة كانت الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان وهو من أكابر الامراء ويلقب حاجب الحجاب وكان سبب ذلك أن جلال الدولة نسبه الى فساد الاتراك والاتراك نسبوه الى أخذ الاموال فخاف على نفسه فالتجأ الى دار الخلافة فى رجب من السنة الحالية وترددت الرسل بين جلال الدولة والقائم بأمر الله فى أمره فدافع الخليفة عنه وبارسطغان يراسل الملك أبا كاليجار فارسل أبو كاليجار جيشا فوصلوا الى واسط واتفق معهم عسكر واسط وأخرجوا الملك العزيز ابن جلال الدولة فاصعد الى أبيه وكشف بارسطغان القناع فاستتبع أصاغر المماليك وتنادوا بشعار أبى كاليجار وأخرجوا جلال الدولة من بغداد فسار الى أوانا ومعه البساسيرى وأخرج بارسطغان الوزير أبا الفضل العباس بن الحسن بن فسانجس فنظر فى الامور نيابة عن الملك أبى كاليجار وأرسل بارسطغان الى الخليفة يطلب الخطبة لابى كاليجار فاحتج بعهود جلال الدولة فاكره الخطباء على الخطبة لابى كاليجار ففعلوا وجرى بين الفريقين مناوشات وسار الاجناد الواسطيون الى بارسطغان ببغداد فكانوا معه وتنقلت الحال بين جلال الدولة وبارسطغان فعاد جلال الدولة الى بغداد ونزل بالجانب الغربى ومعه قرواش بن المقلد العقيلى ودبيس بن على بن مزيد الاسدى وخطب لجلال الدولة به وبالجانب الشرقى لابى كاليجار وأعان أبو الشوك وأبو النوارس منصور بن الحسين بارسطغان على طاعة أبى كاليجار ثم سار جلال الدولة الى الانبار وسار قرواش الى الموصل وقبض بارسطغان على ابن فسانجس فعاد منصور بن الحسين الى بلده وأتى الخبر الى بارسطغان بعود الملك أبى كاليجار الى فارس ففارقه الديلم الذين جاؤا نجدة له فضعف أمره فدفع ماله وحرمه الى دار الخلافة وانحدر الى واسط وعاد جلال الدولة الى بغداد وأرسل البساسيرى والمرشد وبنى خفاجة فى أثره فتبعهم جلال الدولة ودبيس بن على

وفى هذه السنة مات أبو الربيع ابن الزهرى وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها يحيى بن معين فمنهم من رأى ما قدمناه فى هذا الكتاب ومنهم من رأى وهو الاكثر أنه مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ويكنى بأبى زكريا مولى بنى مرة وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة وأشهرا بالمدينة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة أبى الحسن على بن محمد المدائنى الاخبارى وقيل مات فى أيام الواثق فى سنة ثمان وعشرين ومائتين وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد واسمه عبد الملك ابن عبد العزيز * وفيها مات الحمانى الفقيه وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص ويكنى بأبى عبد الرحمن وهو من تيم قريش * وفى خلافة المتوكل مات هدبة بن خالد وسفيان بن فرج الايلى وابراهيم بن محمد الشافعى وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائتين * وفى سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسى بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد الرسى وعبيد الله بن معاذ العنبرى * وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه وبشر بن الوليد القاضى

ابن مزيد فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه فسقط عن فرسه فأخذ أسيرا وحمل الى جلال الدولة فقتله وحمل رأسه وكان عمره نحو سبعين سنة وسار جلال الدولة الى واسط فملكها وأصعد الى بغداد فضعف أمر الاتراك وطمع فيهم الاعراب واستولوا على اقطاعاتهم فلم يقدروا على كف أيديهم عنها وكانت مدة بارسطغان من حين كاشف جلال الدولة الى ان قتل ستة أشهر وعشرة أيام

﴿ ذكر الصلح بين جلال الدولة وأبى كاليجار والمصاهرة بينهما ﴾

فى هذه السنة تردد الرسل بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليجار سلطان الدولة فى الصلح والاتفاق وزوال الخلف وكان الرسل أقضى القضاة أبا الحسن الماوردى وأبا عبد الله المرودشتى وغيرهما فاتفقا على الصلح وحلف كل واحد من الملكين لصاحبه وأرسل الخليفة القائم بامر الله الى أبى كاليجار الخلع النفيسة ووقع العقد لابى منصور بن أبى كاليجار على ابنة جلال الدولة وكان الصداق خمسين ألف دينار فارسية

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيها توفى أبو القاسم على بن الحسين بن مكرم صاحب عمان وكان جوادا ممدحا وقام ابنه مقامه وفيها توفى الامير أبو عبد الله الحسين بن سلامة أمير تهامة باليمن وولى ابنه بعده فعصى عليه خادم كان لوالده وأراد ان يملك فجرى بينهما حروب كثيرة فمادت أيامهما ففارق أهل تهامة أوطانهم الى غير مملكة ولد الحسين هو بامن الشر وتفاقم الامر وفيها توفى مهيار الشاعر وكان مجوسيا فاسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصحب الشريف الرضى وقال له أبو القاسم بن برهان يا مهيار قد انتقلت باسلامك فى النار من زاوية الى زاوية قال كيف قال لانك كنت مجوسيا فصرت تسب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى شعرك وفيها توفى أبو الحسين القدورى الفقيه الحنفى والحاجب أبو الحسين هبة الله بن الحسين المعروف بابن أخت الفاضل وكان من أهل الادب وله شعر جيد وأبو على بن أبى الرياش بطبراباذ ومولده سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقد مدحه الرضى وابن نباتة وغيرهما وفيها عاود المعز بن باديس حرب زناتة بافريقية فهزمهم وأكثر القتل فيهم وخرب مساكنهم وقصورهم وفى شعبان توفى أبو على بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور صاحب التصانيف السائرة على مذاهب الفلاسفة وكان موته باصبهان وكان يخدم علاء الدولة أبا جعفر بن كاكويه ولا شك ان أبا جعفر كان فاسد الاعتقاد فلهذا أقدم بن سينا على تصانيفه فى الالحاد والرد على الشرائع فى بلده ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة

﴿ ذكر محاصرة الابخاز تفليس وعودهم عنها ﴾

فى هذه السنة حصر ملك الابخاز مدينة تفليس وامتنع أهلها عليه فاقام عليهم محاصرا ومضيقا فنفدت الاقوات وانقطعت المادة فأنفذ أهلها الى اذربيجان يستنفرون المسلمين ويسألونهم اعانتهم فلما وصل الغزاة الى أذربيجان وسمع الابخاز بقربهم وعاقفلوا بالارمن رحلوا عن تفليس مجفلين خوفا ولما رأى وهسوذان صاحب أذربيجان قوة الغز وانه لا طاقة له بهم لاطفهم وصاهرهم واستعان بهم وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ ذكر ما فعله طغرلبك بخراسان ﴾

فى هذه السنة دخل ركن الدين أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق مدينة نيسابور مالكا لها وكان سبب ذلك ان الغز السلجقية لما ظهروا بخراسان وأفسدوا ونهبوا وخربوا البلاد وسموا على ما ذكرناه وسمع الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين الخبر فسير اليهم حاجبه سباشى فى ثلاثين ألف مقاتل فسار اليهم من غزنة فلما بلغ خراسان ثقل على ما سلم من البلاد بالاقامات فخرب السالم من تخريب الغز فأقام مدة سنة على المدافعة والمطاولة لكنه كان يتبع أثرهم اذا بعدوا

تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبى شيبة الكوفى بالكوفة والصلت بن مسعود الجحدرى * وفى سنة أربعين ومائتين مات هياب بن خليفة العصفرى وعبد الواحد بن عتاب * وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقى وحميد بن مسعود الناجى وعبد الله ابن معاوية الجمحى وفيها مات يحيى بن أكثم القاضى فى الربذة ومحمد بن عبد الملك ابن أبى الشوارب * وفى سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصى وعنبسة بن اسحق ابن شمر وموسى بن عبد الملك (قال المسعودى) وللمتوكل أخبار وسير حسان غير ما ذكرنا وقد أتينا عليها على الشرح والاختصار فى كتابنا فى أخبار الزمان والله الموفق للصواب

﴿ ذكر خلافة المنتصر بالله ﴾

وبويع محمد بن جعفر المنتصر فى صبيحة الليلة التى قتل فيها المتوكل وهى ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ويكنى بأبى جعفر وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت

بيعته بالقصر المعروف بالجعفرى الذى أحدث بناءه المتوكل ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت خلافته سبعة أشهر

ويرجع عنهم اذا أقبلوا استعمالا للعاجزة واشفاقا من المحاربة حتى اذا كان في هذه السنة وهو بقرية بظاهر سرخس والغز بظاهر مرو مع طغرلبك وقد بلغهم خبره أسروا اليه وقاتلوه يوم وصلوا فلما جنهم الليل أخذ سبيل ما خف من مال وهرب في خواصه وترك خيمه ونيرانه على حالها فعل ذلك مواطأة للغز على الهزيمة فلما أسفر الصبح عرف الباقون من عسكره خبره فانهزموا واستولى الغز على ما وجدوه في معسكرهم من سوادهم وقتلوا من الهنود الذين تخلفوا مقتلة عظيمة واسر ى دارد أخو طغرلبك وهو والد السلطان ألب أرسلان الى نيسابور وسمع أبو سهل الحمدوني ومن معه بها ففارقوها ووصل داود ومن معه اليها فدخلوها بغير قتال ولم يغيروا شيأ من أمورها ووصل بعدهم طغرلبك ثم وصلت اليهم رسل الخليفة في ذلك الوقت وكان قد أرسل اليهم والى الذين بالري وهمذان وبلد الجبل ينهاهم عن النهب والقتل والاخراب ويعظهم فأكرموا الرسل وعظموهم وخدموهم وخاطب داود طغرلبك في نهب البلد فمنعه فامتنع واحتج بشهر رمضان فلما انسلخ رمضان صمم داود على نهبه فمنعه طغرلبك واحتج عليه برسل الخليفة وكتابه فلم يلتفت داود اليه وقوى عزمه على النهب فاخرج طغرلبك سكينا وقال له والله لئن نهبت شيأ لاقتلن نفسي فكف عن ذلك وعدل الى التقسيط فقسط على أهل نيسابور نحو ثلاثين ألف دينار وفرقها في أصحابه وأقام طغرلبك بدار الامارة وجلس على سرير الملك مسعود وصار يقعد للظالم يومين في الاسبوع على قاعدة ولاة خراسان وسير أخاه داود الى سرخس فملكها ثم استولوا على سائر بلاد خراسان سوى بلخ وكانوا يخطبون للملك مسعود على سبيل المغالطة وكانوا ثلاثة اخوة طغرلبك وداود ويبغو وكان يقال واسمه ابراهيم أخا طغرلبك وداود لامهما ثم خرج مسعود من غزنة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك ﴾

في هذه السنة سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله ليخاطب بملك الملوك فامتنع ثم أجاب اليه اذا افتى الفقهاء بجوازه فكتب فتوى الى الفقهاء في ذلك فأفتى القاضي أبو الطيب الطبري والقاضي أبو عبد الله الصيمري والقاضي ابن البيضاوي وأبو القاسم الكرخي بجوازه وامتنع منه قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات وخطب لجلال الدولة بملك الملوك وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد الى دار المملكة كل يوم فلما أفتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفا وأقام منقطعا من شهر رمضان الى يوم عيد النحر فاستدعاه جلال الدولة فحضر خائفا فأدخله وحده وقال له قد علم كل أحد انك من أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا وقد خالفتهم فيما خالف هواي ولم تفعل ذلك الا لعدم المحاباة منك واتباع الحق وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم وجعلت جزاء ذلك اكرامك بان أدخلتك الى وحدك وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودي الى ما تحب فشكره ودعا له وأذن لكل من حضر بالخدمة والانصراف

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة قتل شبل الدولة نصير بن صالح بن مرداس صاحب حلب قتله الدزبري وعساكر مصر وملكوا حلب وفيها أنكر العلماء على أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ما ضمنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بانه يعتقد التجسيم وحضر أبو الحسن القزويني الزاهد بجامع المنصور وتكلم في ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وفيها صالح ابن وثاب النميري صاحب حران الروم الذين بازائها الجزيرة عنهم وسلم اليهم ربض الرها وكان تسلمه على ما ذكرناه أولا فنزلوا

قتل فيه شيرويه أباه كسرى ابرويز وكان الموضع يعرف بالماخورة وكان مقام المنتصر بعد أبيه في الماخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع وحكى عن أبي العباس محمد بن سهل قال كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية في خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذا هو مفروش ببساط سوسنجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية وكنت أحسن القراءة بالفارسية واذا عن يمين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كانه ينطق وقرأت الكتابة فاذا هي صورة شيرويه القاتل لابيه ابرويز الملك ملك ستة أشهر ثم رأيت صور ملوك شتى ثم انتهى بي النظر الى صوره عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد ابن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك سنة اشهر فعجب من ذلك وانفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق

من الحصن الذى للبلد اليه وكثر الروم بها وخاف المسلمون على حران منهم وعمر الروم الرها العمارة الحسنة وحصنوها وفيها دان المستنصر بالله الخليفة العلوى صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف أسير وشرط الروم عليه ان يعمر واسعة قسامة فأرسل الملك اليها من عمرها وأخرج عليها مالا جليلا وفى هذه السنة سارت عساكر المعز بن باديس بافريقية الى بلد الزاب ففتحوا مدينة تسمى بورس وقتلوا من البربر خلقا كثيرا وفتح من بلاد زناتة قلعة تسمى كروم وفيها توفى اسحق بن ابراهيم بن مخلد أبو الفضل المعروف بابن الباقرحى فى ربيع الآخر

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وصول الملك مسعود من غزنة الى خراسان واجلاء السلجقية عنها ﴾

فى صفر من هذه السنة وصل الملك مسعود الى بلخ من غزنة وزوج ابنه من ابنة بعض ملوك الخانية كان يتقى جانبه واقطع خوارزم لشاهملك الجندى فسار اليها وبها اخوارزمشاه اسمعيل ابن النوشتاش فجمع أصحابه والتقى شاهملك وقاتله ودامت الحرب بينهما مدة شهر وانهزم اسمعيل والتجأ الى طغرلبك وأخيه داود السلجقية وملك شاهملك خوارزم وكان مسير مسعود من غزنة أول سنة ثمان وعشرين وسبب خروجه ماوصل اليه من أخبار الغز وما فعلوه بالبلاد وأهلها من الاخراب والقتل والسبى والاستيلاء وأقام ببلخ حتى أراح واستراح وفرغ من أمر خوارزم والخانية ثم أمد سباشى الحاجب بعسكر ليتقوى بهم ويهتم بامر الغز واستئصالهم فلم يكن عنده من الكفاية مايقهرهم بل أخلد الى المطاولة التى هى عادته وسار مسعود بن سبكتكين من بلخ بنفسه وقصد سرخس فتجنب الغز لقاءه وعدلوا الى المراوغة والمخاتلة وأظهروا العزم على دخول المفازة التى بين مرو وخوارزم فبينما عساكر مسعود تتبعهم وتطلبهم اذ لقوا طائفة منهم فقاتلوهم وظفروا بهم وقتلوا منهم ثم انه واقعهم بنفسه فى شعبان من هذه السنة وقعة استظهر فيها عليهم فأبعدوا عنه ثم عاودوا القرب منه بنواحى مرو فواقعهم وقعة أخرى قتل منهم نحو ألف وخمسمائة قتيل وهرب الباقون فدخلوا البرية التى يحتمون بها وثار أهل نيسابور بمن عندهم منهم فقتلوا بعضا وانهزم الباقون الى أصحابهم بالبرية وعدل مسعود الى هراة ليتأهب فى العساكر للمسير خلفهم وطلبهم أين كانوا فعاد طغرلبك الى الاطراف النائية عن مسعود فنهبها وأثخن فيها وكان الناس قد تراجعوا فملؤا أيديهم من الغنائم حينئذ سار مسعود يطلبه فلما قاربه انزاح طغرلبك من بين يديه الى استوا وأقام بها وكان الزمان شتاء ظنا منه ان الثلج والبرد يمنع عنه فطلبه مسعود اليها ففارقه طغرلبك وسلك الطريق على طوس واحتمى بجبال منيعة ومضايق صعبة المسالك فسير مسعود فى طلبه وزيره أحمد بن محمد بن عبد الصمد فى عساكر كثيرة فطوى المراحل اليه جريدة فلما رأى طغرلبك قربه منه فارق مكانه الى نواحى أبيورد وكان مسعود قد سار ليقطعه عن جهة ان أراد هافاتى طغرلبك مقدمته فواقعهم فانتصروا عليه واستأمن من أصحابه جماعة كثيرة ورأى الطلب له من كل جانب فعاود دخول المفازة الى خوارزم وأوغل فيها فلما فارق الغز خراسان قصد مسعود جبلا من جبال طوس منيعا الا برام وكان أهله قد وافقوا الغز وأفسدوا معهم فلما فارق الغز ذلك البلاد تحصن هؤلاء بجبلهم ثقة منهم بحصانته وامتناعه فسرى مسعود اليهم جريدة فلم يرعهم الا وقد خالطهم فتركوا أهلهم وأموالهم وصعدوا الى قلة الجبل واعتصموا بها وامتنعوا وغنم عسكر مسعود أموالهم وما ادخروه ثم أمر مسعود أصحابه ان يزحفوا اليهم فى قلة الجبل ويباشروهم القتال بنفسه فزحف الناس اليهم وقاتلوهم قتالا لم يروا مثله وكان الزمان شتاء والثلج على الجبل كثيرا فهلك من العسكر فى مخاوم

الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذى عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه ابروين وعاش ستة أشهر بعد ما قتلا فجزع وصيف من ذلك وقال على بابوب بن سليمان النصرانى خازن الفرش فغسل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش فى هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذى كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال سألنى أمير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزمت ان لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تغسله وتطويه فقلت خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من أثر الحادثة فقال ان الامر أشهر من ذلك يريد قتل الاتراك لابيه المتوكل فطويناه وبسطناه تحته فقال وصيف وبغا اذا قام أمير المؤمنين من مجلسه فخذه وأحرقه بالنار فلما قام أحرق بحضرة وصيف وبغا فلما كان بعد أيام قال لى المنتصر افرش ذلك

الجبل وشعابه كثير ثم انهم ظفروا باهله وأكثروا فيهم القتل والاسر وفرغوا منهم وأراحوا المسلمين من شرهم وسار مسعود الى نيسابور فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ليريح ويستريح وينتظر الربيع ليسير خلف الغز ويطلبهم فى المفاوز التى احتموا بها وكانت هذه الوقعة واجلاء الغز عن خراسان سنة احدى وثلاثين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر ملك أبى الشوك مدينة خولنجان ﴾

كان حسام الدولة أبو الشوك قد فتح فرميسين من اعمال الجبل وقبض على صاحبها وهو من الاكراد القوهية فسار أخوه الى قلعة ارنبة فاعتصم بها من أبى الشوك وجعل أصحابه فى مدينة خولنجان يحفظونها منه أيضا فلما كان الآن سير أبو الشوك عسكرا الى خولنجان فحصروها فلم يظفروا منها بشئ فأمر العسكر فعاد وأمن من فى البلد بعود العسكر عنها ثم جهز عسكرا آخر جريدة لم يعلم بهم أحد وسيرهم ليومهم وأمرهم بنهب رساتيق قلعة ارنبة وقتل من ظفروا به والاغتنام لوقتهم الى خولنجان ليسبقوا خبرهم اليها ففعلوا ذلك ووصلوا اليها ومن بها غير متأهبين فاقتتلوا شيأ من قتال ثم استسلم من بالمدينة اليهم فتسلموها وتحصن من كان بها من الاجناد فى قلعة فى وسط البلد فحصرها أصحاب أبى الشوك فملكوها فى ذى القعدة من هذه السنة

﴿ ذكر الخطبة العباسية بحران والرقة ﴾

فى هذه السنة خطب شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران والرقة للامام القائم بامر الله وقطع خطبة المستنصر بالله العلوى وكان سببها ان نصير الدولة بن مروان كان قد بلغه عن الدزبرى نائب العلويين بالشام انه يتهدده ويريد قصد بلاده فراسل قرواشا صاحب الموصل وطلب منه عسكرا وراسل شبيبا النميرى يدعوه الى الموافقة ويحذره من الغارة فأجابه الى ذلك وقطع الخطبة العلوية وأقام الخطبة العباسية فأرسل اليه الدزبرى يتهدده ثم أعاد الخطبة العلوية بحران فى ذى الحجة من السنة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيها توفى مؤيد الملك أبو على الحسين بن الحسن الرحبى وكان وزير الملوك بنى بويه ثم ترك الوزارة وكان فى عطلته يتقدم على الوزراء وفيها أيضا توفى أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة وفيها توفى الوزير أبو القاسم بن ماكولا محبوسا بهيت وكان مقامه فى الحبس سنتين وخمسة أشهر ومولده سنة خمس وستين وثلثمائة وكان وزير جلال الدولة وهو والد الامير أبى نصر مصنف كتاب الاكمال فى المؤتلف والمختلف وكان جلال الدولة سلمه الى قرواش فحبسه بهيت وفيها سقط الثلج ببغداد لست بقين من ربيع الاول فارتفع على الارض شبرا ورماه الناس عن السطوح الى الشوارع وجمد الماء ستة أيام متواليه وكان أول ذلك الثالث والعشرين من كانون الثانى وتوفى فى هذه السنة أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الاصبهانى الحافظ وأبو الرضا الفضل بن منصور بن الطريف الشارقى الامير الشاعر له ديوان حسن وشعره جيد فمنه

ومخطف الخصر مطبوع على صلف * عشقته وهو داعى البين تعشقه
وكيف اطمع منه فى مواصلة * وكل يوم لباشمل يفرقه
وقد تسامح قلبى فى مواصلتى * على السلو ولكن من يصدقه
أهابه وهو طلق الوجه مبتسم * وكيف يطمعنى فى السيف رونقه

﴿ ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ﴾

فى هذه السنة فتح الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة بخراسان كانت بيد الغز وقتل فيها جماعة

البساط الفلانى فقلت وأين ذلك البساط فقال وما الذى كان من أمره فقلت ان وصيفا وبغا أمرانى باحراقه قال فسكت ولم يعد فى أمره شيأ الى أن مات * وقد كان المنتصر طرب فى هذه الايام فدعا بينان بن الحرث العواد وكان مطربا مجيدا وقد كان غضب عليه فاحضره فغناه

لقد طال عهدى بالامام محمد
وما كنت أخشى أن يطول به عهدى
فاصبحت ذا بعد وداري قريبة
فيا عجبا من قرب داري ومن بعدى
رأيتك فى برد النبى محمد
كبدر الدجا بين العمامة والبرد

وكان ذلك ثانى يوم الاضحى وقد كان المنتصر صلى بالناس فى هذا العيد وتمام غنى به من الشعر للمنتصر فى ذلك اليوم

رأيتك فى المنام أقل بخلا
وأطوع منك فى غير المنام
فليت الصبح باد ولا نراه
وليت الليل آخر ألف عام
ولو أن النعاس يباع بيعا
لاغليت النعاس على الانام

ومن شعر المنتصر أيضا مما غنى بحضرته

منهم وكانت بينه وبينهم وقعات أجلت عن فراقهم خراسان الى البربر وقد ذكرناه سنة ثلاثين

﴿ ذكر ملك الملك أبى كاليجار البصرة ﴾

فى هذه السنة سير الملك أبو كاليجار عساكره مع العادل أبى منصور بن مافنة الى البصرة فملكها فى صفر وكانت بيد الظهير أبى القاسم وقد ذكرنا انه ولها بعد بختيار وانه عصى على أبى كاليجار مرة وصار فى طاعة جلال الدولة ثم فارق طاعته وعاد الى طاعة الملك أبى كاليجار وكان يترك محاققته ومعارضته فيما يفعله ويضمن الظهير أن يحمل الى أبى كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت أيامه وثبت قدمه وطار اسمه واتفق انه تعرض الى أملاك أبى الحسن بن أبى القاسم بن مكرم صاحب عمان وأمواله وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليجار وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار فى ضمان البصرة كل سنة وجرى الحديث فى قصد البصرة فصادف قلبا موغرا من الظهير فحصلت الاجابة وجهز الملك العساكر مع العادل أبى منصور فسار اليها وحصرها وسارت العساكر من عمان أيضا فى البحر وحصرت البصرة وملكت وأخذ الظهير وقبض عليه وأخذ جميع ماله وقرر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار يحصلها فى أحد عشر يوما بعد تسعين ألف دينار أخذت منه قبلها ووصل الملك أبو كاليجار الى البصرة فأقام بها ثم عاد الى الاهواز وجعل ولده عز الملوك فيها ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس والمسار أبو كاليجار عن البصرة أخذ معه الظهير الى الاهواز

﴿ ذكر ما جرى بعمان بعد موت أبى القاسم بن مكرم ﴾

لما توفى أبو القاسم بن مكرم خلف أربعة بنين أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير فولى بعده ابنه أبو الجيش وأقره على بن هطال المنوجانى صاحب جيش أبيه على قاعدته وأكرمه وبالغ فى احترامه فكان اذا جاءه اليه قام له فأنكر هذه الحال عليه أخوه المهذب فطعن على ابن هطال وبلغه ذلك فأضمر له سوأ واستأذن أبا الجيش فى ان يحضر أخاه المهذب لدعوة عملها له فأذن له فى ذلك فلما حضر المهذب عنده خدمه وبالغ فى خدمته فلما أكل وشرب وانتشا وعمل السكر فيه قال له ابن هطال ان أخاك أبا الجيش فيه ضعف وعجز عن الامر والرأى أنا نقوم معك وتصير أنت الامير وخدعه فمال الى هذا الحديث فأخذ ابن هطال خطه بما يفوض اليه وبما يعطيه من الاعمال اذا عمل معه هذا الامر فلما كان الغد حضر ابن هطال عند أبى الجيش وقال له ان أخاك كان قد أفسد كثيرا من أصحابك عليك وتحدث معى واستمالنى فلم أوافقه فلهذا كان يذمنى ويقع فى وهذا خطه بما استقر هذه الليلة فلما رأى خط أخيه أمره بالقبض عليه ففعل ذلك واعتقله ثم وضع عليه من خنقه وألقى جثته الى منخفض من الارض وأظهر انه سقط فمات ثم توفى أبو الجيش بعد ذلك بيسير وأراد ابن هطال ان يأخذ أخاه أبا محمد فيوليه عمان ثم يقتله فلم تخرجه اليه والدته وقالت له أنت تتولى الامور وهذا صغير لا يصلح لها ففعل ذلك وأساء السيرة وصادر التجار وأخذ الاموال وبلغ ما كان منه مع بنى مكرم الى الملك أبى كاليجار والعادل أبى منصور بن مافنة فأعظما الامر واستكبراه وشد العادل فى الامر وكاتب نائبا كان لابى القاسم بن مكرم بجبال عمان يقال له المرتضى وأمره بقصد ابن هطال وجهز العساكر من البصرة لتسير الى مساعدة المرتضى فجمع المرتضى الخلق وتسارعوا اليه وخرجوا عن طاعة ابن هطال وضعف أمره واستولى المرتضى على أكثر البلاد ثم وضعوا الحاد ما كان لابن مكرم وقد التحق بابن هطال على قتله وساعده على ذلك فراش كان له فلما سمع العادل بقتله سير الى عمان من اخرج أبا محمد بن مكرم ورتبه فى

ثم انتبهت ومعصماك كلاهما
بيدى اليمين وفى يمينك ساعدى
فظللت يومى كله متراقدا
لاراك فى نومى ولست براقد

وقد كان استوزر أحمد بن الخصيب وندم على ذلك وكان نبى عبد الله بن خاقان وذلك أن أحمد ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصة فأخرج رجله من الركاب فرزج بها فى صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض شعراء ذلك الزمان

قل للخليفة يا ابن عم محمد
اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد
مالا فعند وزيرك الاموال

(قال المسعودى) ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد ابن العباس فى وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الخصيب وذلك انه خاطبه مخاطب ذات يوم فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه والله دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من القهارمة فخاطبته فى شئ من الاموال عن رسالة المقتدر فكان مما خاطبها به ان قال * اضرطى والتقطى فأجلها ذلك فقطعها عما له فصدت

الامارة وكان قد استقر الامر لابى محمد فى هذه السنة

﴿ ذكر الحرب بين أبى الفتح بن أبى الشوك وبين عمه مهلهل ﴾

فى هذه السنة كان بين أبى الفتح بن أبى الشوك وبين عمه مهلهل حرب شديدة وكان سبب ذلك ان أبا الفتح كان نائبا عن والده فى الدينور وقد عظم محله وافتتح عدة قلاع وحمى أعماله من الغز وقتل فيهم فأعجب بنفسه وصار لا يقبل أمر والده فلما كان هذه السنة فى شعبان سار الى قلعة بلوار ليفتحها وكان فيها زوجة صاحبها وكان من الاكراد فعلمت انها تعجز عن حفظها فراسلت مهلهل بن محمد بن عناز وهو بحلوان فى نواحى الصامغان واستدعته ليتسلم اليه القلعة فسأل الرسول عن أبى الفتح هل هو بنفسه على القلعة أم عسكره فأخبره أنه عاد عنها وبقى عسكره فسار مهلهل اليها فلما وصل رأى أبا الفتح قد عاد الى القلعة فقصد موضعا يوهم أبا الفتح انه لم يرد هذه القلعة ثم رجع عائدا وتبعه أبو الفتح ولحقه وتراءت الفئتان فعاد مهلهل اليه فاقتتلوا فرأى أبو الفتح من أصحابه تغيرا لخافهم فولى منهزما وتبعه أصحابه فى الهزيمة وقتل عسكر مهلهل من كان فى عسكر أبى الفتح من الرجالة وساروا فى أثر المنهزمين يقتلون ويأسرون ووقف فرس أبى الفتح به فأسر وأحضر عند عمه مهلهل فضربه عدة مقارع وقيده وحبسه عنده وعاد ثم ان أبا الشوك جمع عساكره وسار الى شهرزور وحصرها وقصد بلاد أخيه ليخلص ابنه وحمل مهلهلا اللجاج على ان استدعى علاء الدولة بن كاكويه الى بلد أبى الفتح فدخل الدينور وقرميسين وأساء الى أهلها وظلمهم وملكها وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

﴿ ذكر شغب الاتراك على جلال الدولة ببغداد ﴾

فى هذه السنة شغب الاتراك على الملك جلال الدولة ببغداد وأخرجوا خيامهم الى ظاهر البلد ثم أوقعوا النهب فى عدة مواضع فخافهم جلال الدولة فعبر خيامه الى الجانب الغربى وتردد الرسل بينهم فى الصلح وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فراسل دبيس بن مزيد وقراواش صاحب الموصل وغيرهما وجمع عنده العساكر فاستقرت القواعد بينهم وعاد الى داره وطمع الاتراك وآذوا الناس ونهبوا وقتلوا وفسدت الامور بالكلية الى حد لا يرجى صلاحه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ولد للخليفة القائم بامر الله ولده أبو العباس وهو ذخيرة الدين وفيها توفى شبيب بن وثاب النميرى صاحب الرقة وسروج وحران وفيها توفى أبو نصر بن مشكان كاتب الانشاء لمحمود بن سبكتكين ولولده مسعود وكان من الكتاب المفلقين رأيت له كتابة فى غاية الجودة

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة ﴾

فى هذه السنة استدعى ملك السلطان طغرلبك محمد وأخيه جغرى بك داود ابنى ميكائيل بن سلجوق ابن تقاق فنذكر أولا حال آبائه ثم نذكر حاله كيف ينقلب حتى صار سلطانا على اننى قد ذكرت أكثر أخبارهم متقدمة على السنين واغا أوردناها ههنا مجموعة لترد سياقا واحدا فهى أحسن فأقول قد ما تقاق فمعناه القوس الجديد وكان شهما ذا رأى وتدبير وكان مقدم الاتراك الغز ومرجعهم اليه لا يخالفون له قولا ولا يتعدون أمرا فاتفق يوما من الايام ان ملك الترك الذى يقال له بغو جمع عساكره وأراد المسير الى بلاد الاسلام فنهاه تقاق عن ذلك وطال الخطاب بينهما

قضت من فورها الى وكان يوم طرب وسرور وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بنى العباس وكتاب بنى أمية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى الكتاب الاوسط وأخبرت عن أبى العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات قال كان أحمد بن الخصيب سيئ الرى فى والده وكان عاملا له فجاءنى مخبر من خدم الخاصة فقال ان الوزير قد ندب لاعمالكم فلانا وقد أمره فى والدك بكل مكروه وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها فقعدت وعندى بعض أصدقائى من الكتاب أبادر بالكتاب الى والدى بذلك فاشتغلت عن جليسى الكاتب فانكا على الوسادة وغفا فانتبه مرعوبا وقال انى قد رأيت رؤيا عجيبة رأيت أحمد بن الخصيب واقفا فى هذا الموضع وهو يقول يموت الخليفة المنتصر الى ثلاثة أيام قال قلت له الخليفة فى الميدان يلعب بالصولجان وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام فاستتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه وانى سألت عن سبب ذلك فقيل لى ان الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق فدخل الحمام ونام فيه

فيه فأغلظ له ملك الترك الكلام فلطمه تقاق فشج رأسه فأحاط به خدم ملك الترك وأرادوا أخذه فمانعهم وقاتلهم واجتمع معه من أصحابه من منعه فتفرقوا عنه ثم صلح الامر بينهما وأقام تقاق عنده وولده سلجوق وأما سلجوق فانه لما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم فقربه ملك الترك وقدمه ولقبه سباشى ومعناه قائد الجيش وكانت امرأة الملك تخوفه من سلجوق لما ترى من تقدمه وطاعة الناس له والانقياد اليه واغرته بقتله وبالغت فى ذلك وسمع سلجوق الخبر فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب الى دار الاسلام وسعد بالايمان ومجاوره المسلمين وازداد حاله علوا وامره وطاعة وقام بنواحى جند وأدام غزو كفار الترك وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين فى تلك الديار وطرد سلجوق عماله منها وصفت للمسلمين ثم ان بعض ملوك السامانية كان هرون بن ايلك الخان قد استولى على بعض اطراف بلاده فأرسل الى سلجوق يستمده فأمده بابنه ارسلان فى جمع من أصحابه فقوى بهم السامانى على هرون واسترد ما أخذه منه وعاد أرسلان الى أبيه وكان لسلجوق من الاولاد أرسلان وميكائيل وموسى وتوفى سلجوق بجند وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ودفن هناك وبقى أولاده فغزا ميكائيل بعض بلاد الكفار الاتراك فقاتل وباشر القتال بنفسه فاستشهد فى سبيل الله وخلف من الاولاد يغو وطغرلبك محمدا وجغرى بك داود فأطاعهم عشائرهم ووقفوا عند أمرهم ونهيهم ونزلوا بالقرب من بخارا على عشرين فرسخا منها فخافهم أمير بخارا فأساء جوارهم وأراد اهلاكهم والايقاع بهم فانتجعوا الى بغراخان ملك تركستان وأقاموا فى بلاده واحتموا به وامتنعوا واستقر الامر بين طغرلبك وأخيه داود انهما لا يجتمعان عند بغراخان اذا يحضر عنده أحدهما ويقيم الآخر فى أهله خوفا من مكره بهم فبقوا كذلك ثم ان بغراخان اجتهد فى اجتماعهما عنده فلم يفعلا فقبض على طغرلبك وأسره فثار داود فى عشائره ومن يتبعه وقصد بغراخان ليخلص أخاه فأنفذ اليه بغراخان عسكرا فاقتتلوا فانهزم عسكر بغراخان وكثر القتل فيهم وخلص أخاه من الاسر وانصرفوا الى جند وهى قريب بخارا فأقاموا هناك فلما انقرضت دولة السامانية وملك ايلك الخان بخارا عظم محل ارسلان بن سلجوق عم داود وطغرلبك بما وراء النهر وكان على تكين فى حبس ارسلان خان فهرب وهو أخو ايلك الخان ولحق ببخارا واستولى عليها واتفق مع ارسلان بن سلجوق فامتنعا واستفحل أمرهما وقصدهما ايلك أخو ارسلان خان وقاتلهما فانهزم وبقيا ببخارا وكان على تكين يكثر معارضة بين الدولة محمود بن سبكتكين فيما يجاوره فى بلاده ويقطع الطريق على رسله المترددين الى ملوك الترك فلما عبر محمود جيحون على ما ذكرناه هرب على تكين من بخارا وأما ارسلان بن سلجوق وجماعته فانهم دخلوا المفازة والرمل فاحتموا من محمود فرأى محمود قوة السلجوقية وما لهم من الشوكة وكثرة العدد وكاتب ارسلان بن سلجوق واستماله ورغبه فورد اليه فقبض بين الدولة عليه فى الحال ولم يمهله وسجنه فى قلعة ونهب خركاهاته واستشار فيما يفعل باهله وعشيرته فأشار ارسلان الجاذب وهو من أكبر خواص محمود بان يقطع أباهم لئلا يرموا بالنشاب أو يغرقوا فى جيحون فقال له ما أنت الا قاسى القلب ثم أمر بهم فعبر وانهر جيحون ففرقهم فى نواحى خراسان ووضع عليهم الخراج فجار العمال عليهم وامتدت الايدى الى أموالهم وأولادهم فانفصل منهم أكثر من ألفى رجل وساروا الى كرمان ومنها الى أصبهان وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكويه حرب قد ذكرناها فساروا من أصبهان الى اذربيجان وهؤلاء جماعة ارسلان فاما أولاد اخوته فان عليا تكين صاحب بخارا أعمل الحيل فى الظفر بهم فأرسل

وحكيم الزمان تنزل من الركوب تعبا فقد دخل الحمام ثم تخرج عرقا فقنام فى البازهنج فقال له المنتصر أتخاف أن اموت رأيت فى المنام البارحة آتيا أتانى فقال لى تعيش خمسا وعشرين سنة فعلمت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى وأنى ابقى فى الخلافة هذه المدة قال فمات فى اليوم الثالث فنظروا فاذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة * وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول ومات مع صلاة العصر لخمس ليال خلون من ربيع الآخر وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين وكان أول خليفة من بنى العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك فأذن لها وأظهرته بسامرا * وقد قيل ان الصنفورى الطبيب سمه فى مشراط حجمه به وقد كان عزم على تفريق جمع الاتراك فأخرج وصيفا فى جمع كثير الى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما الى بغا الصغير وقد أقبل فى القصر وحوله جماعة من الاتراك فاقبل على الفضل بن المأمون

فقال قتلنى الله ان لم أقتلهم وأفرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله فلما نظر الاتراك الى ما يفعل بهم وما قد عزم عليه وجدوا منه

الفرصة وقد شكا ذات يوم حرارة فأراد الحجامة فخرج له من الدم ثلثمائة درهم لما كان في المبضع وشرب شربة بعد ذلك فحلت قواه ويقال ان السم كان في مبضع الطبيب حين فصده * وقد ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الملك بن سليمان بن أبي جعفر قال رأيت في نومي المتوكل والفتح ابن خاقان وقد أحاطت بهما نار وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما فمنع الوصول ثم أقبل المتوكل علي فقال يا عبد الملك قل لمحمد بالكاس الذي سقيتنا تشرب قال فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محموما فواظبت على عيادته فسمعته في آخر علته يقول عجلنا فعوجلنا فمات من ذلك المرض * وكان المنتصر واسع الاحتمال راسخ العقل كثير المعروف راغبا في الخير سخيا أديبا عفيفا وكان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق وكثرة الانصاف وحسن المعاشرة بحالم يسبقه خليفة الى مثله وكان وزيره أحمد بن الخصيب قليل الخير كثير الشر شديد الجهل وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالذريح بالمسير الى قبر الحسين بن علي

الى يوسف بن موسى بن سلجوق وهو ابن عم طغرلبك محمد وجغري بك داود ووعده الاحسان وبالغ في استمالته وطلب منه الحضور عنده ففعل ففوض اليه على تكين التقدم على جميع الاتراك الذين في ولايته وأقطعه أقطاعا كثيرة ولقب بالامير اينانج بيغو وكان الباعث له على ما فعله به ان يستعين به وبعشيرته وأصحابه على طغرلبك وداود ابني عمه ويفرق كلمتهم ويضرب بعضهم ببعض فعلموا مراده فلم يطعه يوسف الى شئ مما أراده منه فلما رأى على تكين ان مكره لم يعمل في يوسف ولم يبلغ به غرضا أمر بقتله فقتل يوسف تولى قتله أمير من امراء على تكين اسمه ألب قرا فلما قتل عظم ذلك على طغرلبك وأخيه داود وجميع عشائرهما ولبسوا ثياب الحداد وجمعا من الاتراك من قدروا على جمعه للاخذ بثاره وجمع على تكين أيضا جيوشه وسيرها اليهم فانهزم عسكر على تكين وكان قد ولد السلطان ألب ارسلان بن داود أول محرم سنة عشرين وأربعمائة قبل الحرب فتبركوا به وتيمنوا بطلعته وقيل في مولده غير ذلك فلما كان سنة احدى وعشرين قصد طغرلبك وداود ألب قرا الذي قتل يوسف ابن عمهما فقتلاه وأوقعا بطائفة من عسكر على تكين فقتلا منهم نحو ألف رجل فجمع على تكين عسكره وقصدهم هو وأولاده ومن حمل السلاح من أصحابه وتبعهم من أهل البلاد خلق كثير فقصدوهم من كل جانب وأوقعوا بهم وقعة عظيمة قتل كثير من عساكر السلجوقية وأخذت أموالهم وأولادهم وسبوا كثيرا من نسائهم وذراريهم فالجأتهم الضرورة الى العبور الى خراسان فلما عبروا جيحون كتب اليهم خوارزمشاه هرون بن التونتاش يستدعيهم ليتفقوا معه وتكون أيديهم واحدة فسار طغرلبك وأخوه داود ويغو اليه وخيموا بظاهر خوارزم سنة ست وعشرين وتقوابه واطمأنوا اليه فغدر بهم فوضع عليهم الامير شاهملك فكبسهم ومعه عسكر من هرون فأكثر القتل فيهم والنهب والسبي وارتكب من الغدر خطة شنيعة فسار عن خوارزم بجموعهم الى مدينة نساوقصد وامرو وفي هذه السنة أيضا لم يتعرضوا لاحد بشر وبقي أولادهم وذراريهم في الاسر وكان الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين هذه السنة بطبرستان قد ملكها كما ذكرناه فراسلوه وطلبوا منه الامان وضمنوا انهم يقصدون الطائفة التي تفسد في بلاده ويدفعونهم عنها ويقاتلونهم ويكونون من أعظم اعوانه عليهم وعلى غيرهم فقبض على الرسل وجهز عسكرا جرارا اليهم مع اياتغدى حاجبه وغيرهم من الامراء الاكابر فساروا اليهم والتقوا عند نسا في شعبان من السنة واقتتلوا وعظم الامر وانهزم السلجوقية وغنمت أموالهم فجرى بين عسكر مسعود منازعة في الغنيمة أدت الى القتال واتفق في تلك الحال ان السلجوقية لما انهزموا قال لهم داود ان العسكر الآن قد نزلوا واطمأنوا وأمنوا الطلب والرأي ان نقصدهم لعلنا نبلغ منهم غرضا فعادوا فوصلوا اليهم وهم على تلك الحال من الاختلاف وقتال بعضهم بعضا فأوقعوا بهم وقتلوا منهم وأسروا واسترد وا ما أخذوا من أموالهم ورجالهم وعاد المنهزمون من العسكر الى الملك مسعود وهو بنيسابور فندم على رد طاعتهم وعلم ان هيبتهم قد تمكنت من قلوب عساكره وانهم قد طمعوا من هذه الهزيمة وتجرؤا على قتال العساكر السلطانية بعد الخوف الشديد وخاف من أخوات هذه الحادثة فارسل اليهم يتهددهم ويتوعدهم فقال طغرلبك لامام صلاته اكتب الى السلطان قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير ولا تزد على هذا فكتب ما قال فلما ورد الكتاب على مسعود أمر فكتب اليهم كتاب عملوه من المواعيد الجميلة وسير معه الخلع النفيسة وأمرهم بالرحيل الى آمل الشط وهي مدينة على جيحون

ونهاهم

ونهاهم عن الشر والفساد وأقطع دهستان لداود ونسا الطغرلبك وفراوة لبيغو ولقب كل واحد منهم بالدهقان فاستخفوا بالرسول والخلع وقالوا للرسول لو علمنا ان السلطان يبقى علينا اذا قدر لاطعناه ولكنا نعلم انه متى ظفر بنا أهلكنا لما عملناه وأسلفناه فنحن لا نطيعه ولا نثق اليه وأفسدوا ثم كفوا وتركوا ذلك فقالوا ان كان لنا قدرة على الانتصاف من السلطان والا فلا حاجة بنا الى اهلاك العالم ونهب أموالهم وأرسلوا الى مسعود يخادعونه باظهار الطاعة له والكف عن الشر ويسألونه ان يطلق عمهم ارسلان بن سلجوق من الحبس فأجابهم الى ذلك فأحضره عنده ببلخ وأمره بمراسلة بني أخيه بيغو وطغرلبك وداود يأمرهم بالاستقامة والكف عن الشر فارسل اليهم رسولا يأمرهم بذلك وأرسل معه انفى وأمره بتسليمه اليهم فلما وصل الرسول وأدى الرسالة وسلم اليهم الانفى نفروا واستوحشوا وعادوا الى أمرهم الاول فى الغارة والشر فأعاده مسعود الى محبسه وسار الى غزنة فقصد السلجوقية بلخ ونيسابور وطوس وجوزجان على ماذكرناه وأقام داود بمدينة مرو وانهزمت عساكر السلطان مسعود منهم مرة بعد مرة واستولى الرعب على أصحابه لاسيما مع بعده الى غزنة فتوالت كتب نوابه وعماله اليه يستغيثون به ويشكون اليه ويذكرون ما يفعل السلجوقية فى البلاد وهو لا يحبهم ولا يتوجه اليهم وأعرض عن خراسان والسلجوقية واشتغل بامور بلاد الهند فلما اشتد أمرهم بخراسان وعظمت حالهم اجتمع وزراء مسعود وأرباب الرأى فى دولته وقالوا له ان قلة المبالاة بخراسان من أعظم سعادة السلجوقية وبها يملكون البلاد ويستقيم لهم الملك ونحن نعلم وكل عاقل انهم اذا تركوا على هذه الحال استولوا على خراسان سريعا ثم سارو امنها الى غزنة وحينئذ لا ينفعنا حركاتنا ولا نتمكن من البطالة والاشتغال باللعب واللهو والطرب فاستيقظ من رقدتك وأبصر رشده بعد غفلته وجهز العساكر الكثيرة مع أكبر أمير عندك يعرف بسباشى وكان حاجبه وقد سيره قبل الى الغزالعراقية وقد تقدم ذكر ذلك وسير معه أميرا كبيرا اسمه مرداويج بن بشو وكان سباشى جبانا فأقام بهراة ونيسابور ثم أغار بغتة على مرو وبها داود فسار مجدا فوصل اليها فى ثلاثة أيام فأصاب جيوشه وداوبه التعب والكلال فانهزم داود بين يديه ولحقه العسكر فحمل عليه صاحب جوزجان فقتله وجهز داود فقتل صاحب جوزجان وانهزمت عساكره فعظم قتله على سباشى وكل من معه ووقعت عليهم الدلة وقويت نفوس السلجوقية وزاد طمعهم وعاد داود الى مرو فاحسن السيرة فى أهلها وخطب له فيها أول جمعة فى رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ولقب فى الخطبة بملك الملوك وسباشى يعادى الايام ويرحل من منزل الى منزل والسلجوقية يراوغونه مراوغة الثعلب فقيل انه كان يفعل ذلك جبنا وخورا وقيل بل راسله السلجوقية واستمالوه ورغبوه فتفس عنهم وتراخى فى تتبعهم والله أعلم ولما طال مقام سباشى وعساكره والسلجوقية بخراسان والبلاد منهوبة والدماء مسفوكة قلت الميرة والاقوات على العساكر خاصة فاما السلجوقية فلا يبالون بذلك لانهم يقنعون بالقليل فاضطر سباشى الى مباشرة الحرب وترك المحاجزة فسار الى داود وتقدم داود اليه فالتقوا فى شعبان سنة ثمان وعشرين على باب سرخس ولداود منجم يقال له الصوفى فأشار على داود بالقتال وضمن له الظفر وأشهد على نفسه أنه ان أخطأ فدمه مباح له فاقتتل العسكران فلم يثبت عسكر سباشى وانهزموا أقبح هزيمة وساروا أخزى مسير الى هراة فتبعهم داود وعسكره الى طوس يأخذونهم باليد وكفوا عن القتل وغنموا أموالهم فكانت هذه الوقعة هى التى ملك السلجوقية بعدها خراسان ودخلوا قصبات البلاد فدخل طغرلبك نيسابور وسكن الشاديا خ وخطب له فيها فى شعبان

على هذا القبر وكل خشى المقوبة وأحجم فتناول الذبيح مسحاة وهدم اعالى قبر الحسين فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا الى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ولم تزل الامور على ماذكرنا الى أن استخلف المنتصر فامن الناس وتقدم بالكف عن آل أبى طالب وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل أبى طالب وأمر بردد ذلك الى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقاف آل أبى طالب وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم ومن ذلك يقول البحترى من أبيات له

وان عليا الاولى بكم
وازكى يدا عندكم من عمر
وكل له فضلة والجو
لى يوم التراهين دون الغرر

وفى ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى وكان من شيعة آل أبى طالب وما كان امتحن به الشيعة فى ذلك الوقت وأغريت بهم العامة ولقد بررت الطالبية بعدما ذموا زمانا بعدها وزمانا

ورددت ألنة هاشم فرأيتهم
بعد العداوة بينهم احوانا
لرأوك أثقل من هوى ميزانا

آنست ليلهم وجدت عليهم — حتى نسوا الاحقاد والاضغانا — لو يعلم الاسلاف كيف بررتم

بالسلطان المعظم وفرقوا النواب فى النواحى وسار داود الى هراة ففارقها سباشى ومضى الى غزنة فعاتبه مسعود وحجبه وقال له ضيعت العساكر وطاولت الايام حتى قوى أمر العدو وصفا لهم مشربهم وتمكنوا من البلاد ما أرادوا فاعتذر بأن القوم تفرقوا ثلاث فرق كلما تبعت فرقة سارت بين يدى وخلفى الفريقان فى البلاد يفعلون ما أرادوا فاضطر مسعود الى المسير الى خراسان فجمع العساكر وفرق فيهم الاموال العظيمة وسار عن غزنة فى جيوش يضيق بها الفضاء ومعه من الفيلة عدد كثير فوصل الى بلخ وقصده داود اليها أيضا ونزل قريبا منها فدخلها يوما جريدة فى طائفة يسيرة على حين غفلة من العساكر فاخذ الفيل الكبير الذى على باب دار الملك مسعود وأخذ معه عدة جنائب فعظم قدره فى النفوس وازداد العسكر هيبة له ثم سار مسعود من بلخ أول شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ومعه مائة ألف فارس سوى الاتباع وسار على جوزجان فاخذ واليها الذى كان بها للسلجوقية فصلبه وسار منها فوصل الى مرو الشاهجان وسار داود الى سرخس واجتمع هو واخواه طغرلبك وبيغو فارسل مسعود اليهم رسلا فى الصلح فسار فى الجواب بيغو فاكرمه مسعود وخلع عليه وكان مضمون رسالته انا لا نثق بعصالحتك بعد ما فعلنا هذه الافعال التى سخطتها كل فعل منها موبق مهلك وآيسوه من الصلح فسار مسعود من مرو الى هراة وقصد داود مرو فامتنع أهلها عليه فحصرها سبعة أشهر وضيق عليهم وألح فى قتالهم فلكها فلما سمع مسعود هذا الخبر سقط فى يديه وسار من هراة الى نيسابور ثم منها الى سرخس وكلما تبع السلجوقية الى مكان سار وا منه الى غيره ولم يزل كذلك فاركهم الشتاء فاقاموا بنيسابور ينتظرون الربيع فلما جاء الربيع كان الملك مسعود مشغولا بلهوه وشربه فتقضى الربيع والامر كذلك فلما جاء الصيف عاتبه وزراؤه وخواصه على اهماله أمر عدوه فسار من نيسابور الى مرو يطلب السلجوقية فدخلوا البرية فدخلها وراءهم مرحلتين والعسكر الذى له قد ضجروا من طول سفرهم وبيكارهم وسئموا الشد والترحل فانهم كان لهم فى السفر نحو ثلاث سنين بعضها مع سباشى وبعضها مع الملك مسعود فلما دخل البرية نزل منزلا قليل الماء والحر شديد فلم يكف الماء للسلطان وحواشيه وكان داود فى معظم السلجوقية بازائه وغيره من عشيرته مقابل ساقة عساكره يتخطفون من تخلف منهم فاتفق لما يريده الله تعالى ان حواشى مسعود اختصموا هم وجمع من العسكر على الماء وازدحموا وجرى بينهم فتنة حتى صار بعضهم يقاتل بعضا وبعضهم ينهب بعضا فاستوحش لذلك أمراء العسكر ومشى بعضهم الى بعض فى التخلى عن مسعود فعلم داود ما هم فيه من الاختلاف فتقدم اليهم وحمل عليهم وهم فى ذلك التنازع والقتال والنهب فولوا منهزمين لا يلوى أول على آخر وكثر القتل فيهم والسلطان مسعود ووزيره ينادونهم ويأمرانهم بالعود فلا يرجعون وتمت الهزيمة على العسكر وثبت مسعود فقيل له ما تنتظر قد فارقك أصحابك وأنت فى برية مهلكة وبين يديك عدو وخلفك عدو ولا وجه للمقام فمضى منهزما ومعه نحو مائة فارس فتبعه فارس من السلجوقية فعطف عليه مسعود فقتله وصار لا يقف على شئ حتى أتى غرشستان وأما السلجوقية فانهم غنموا من العسكر المسعودى ما لا يدخل تحت الاحصاء وقسمه داود على أصحابه وآثرهم على نفسه ونزل فى سرادق مسعود وقعد على كرسيه ولم ينزل عسكره ثلاثة أيام عن ظهور دوابهم لا يفارقونها الا لما لا بد لهم منه من مأكول ومشروب وغير ذلك خوفا من عود العسكر وأطلق الاسرى وأطلق خراج سنة كاملة وسار طغرلبك الى نيسابور فلكها ودخل اليها آخر سنة احدى وثلاثين وأول سنة اثنتين وثلاثين ونهب أصحابه الناس فقيل عنه انه رأى لوزينجا فاكله

ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا وقال

لهم العهد فى كتب كتبها وشروط اشترطها وأفرد لكل واحد منهم جزأ من الاعمال رسمه له وجعل ولى عهده والتالى للملك محمدا المنتصر وتالى المنتصر وولى عهده المعتز وتالى المعتز وولى عهده ابراهيم المؤيد وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا وفرق فيها أموالا وعم الناس بالجوائز والصلات وتكلمت فى ذلك الخطباء ونطقت به الشعراء فمما اختير من قولهم فى ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة ثلاثة أملاك فاما محمد فنور هدى يهدى به الله من يهدى

وأما أبو عبد الاله فانه شبيهك فى التقوى ويجدى كما نجدى

وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة تقى وفى بالوعيد وبالوعد

فاولهم نور وثانيهم هدى وثالثهم رشد وكلهم مهدى

وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعا بالملك تعقد بعدهم للعاشر

حتى تكون امامهم وكأنهم زهر النجوم ونت لبدر زاهر

وفى بيعة المتوكل لمن

وطائر سعد جعفر بن محمد المنتصر بالله أثبت ركنه * وأكد بالمعتز قبل المؤيد وممن قال ١٦٧ في ذلك فاحسن القول وأجاد النظم

وقال هذا قطماج طيب الا انه لا يؤم فيه ورأى الغز الكافور فظنوه ملحا وقالوا هذا ملح مر ونقل عنهم أشياء من هذا كثيرا وكان العيارون قد عظم ضررهم واشتد أمرهم وزادت البلية بهم على أهل نيسابور فهم ينهبون الاموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام ويفعلون كل ما يريدونه لا يردعهم عن ذلك رادع ولا يزجرهم زاجر فلما دخل طغرلبك البلد خافه العيارون وكفوا عما كانوا يفعلون وسكن الناس واطمأنوا واستولى السلجوقية حينئذ على جميع البلاد فسار بيغو الى هراة فدخلها وسار داود الى بلخ وبها التونتاق الحاجب والي عليها المسعود فارسل اليه داود يطلب منه تسليم البلد اليه ويعرفه عجز صاحبه عن نصرته فسجن التونتاق الرسل ونازله داود وحصر المدينة فارسل التونتاق الى مسعود وهو بغزنة يعرفه الحال وما هو فيه من ضيق الحصار فجهز مسعود العساكر الكثيرة وسيرها فجاءت طائفة منهم الى الرخج وبها جمع من السلجوقية فقاتلوهم فانهزم السلجوقية وقتل منهم ثمانمائة رجل وأسر كثير وخلا ذلك الصقع منهم وسار طائفة منهم الى هراة وبها بيغو فقاتلوه ودفعوه عنها ثم ان مسعودا سير ولده مودود في عسكر كثير مددا لهذه العساكر فقتل مسعود وهو بخراسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى فساروا عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فلما قاربوا بلخ سير داود طائفة من عسكره فاوقعوا بطلائع مودود فانهزمت الطلائع وتبعهم عسكر داود فلما أحس بهم عسكر مودود رجعوا الى وراثهم وأقاموا فلما سمع التونتاق صاحب بلخ الخبر أطاع داود وسلم اليه البلد ووطئ بساطه

﴿ ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد ﴾

قد ذكرنا عود مسعود بن محمود بن سبكتكين الى غزنة من خراسان فوصلها في شوال سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقبض على سباشي وغيره من الامراء كما ذكرناه واثبت غيرهم وسير ولده مودودا الى خراسان في جيش كثيف ليمنع السلجوقية عنها فسار مودود الى بلخ ليرد عنها داود أخا طغرلبك وجعل أبوه مسعود معه وزيره أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبر الامور وكان مسيرهم من غزنة في ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وسار مسعود بعدهم بسبعة أيام يريد بلاد الهند ليشتو بها على عادة والده فلما سار أخذ معه أخاه محمدا مسمولا واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقية ثقة بعهودهم فلما عبر سيحون وهو نهر كبير نحو دجلة وعبر بعض الخزائن اجتمع أنوشتكين البلخي وجمع من الغلمان الدارية ونهبوا ما تخلف من الخزانة وأقاموا أخاه محمدا ثالث عشر ربيع الآخر وسلموا عليه بالامارة فامتنع من قبول ذلك فتهددوه واكرهوه فاجاب وبقي مسعود فيمن معه من العسكر وحفظ نفسه فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر فاقتتلوا وعظم الخطب على الطائفتين ثم انهزم عسكر مسعود وتحصن هو في رباط ماريكالة فحصره أخوه فامتنع عليه فقالت له أمه ان مكانك لا يعصمك ولان تخرج اليهم بعهد خير من ان يأخذوك قهرا فخرج اليهم فقبضوا عليه فقال له أخوه محمد والله لا قابلتك على فعلك بي ولا عاملتك الا بالجميل فانظر أين تريد ان تقيم حتى أحملك اليه ومعك أولادك وحرمك فاختار قلعة كيكي فانفذه اليها محفوظا وأمر باكرامه وصيانته وأرسل مسعود الى أخيه محمد يطلب منه مالا ينفقه فانفذ له خمسمائة درهم فبكى مسعود وقال كان بالامس حكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن واليوم لا أملك الدرهم الفرد واعطاه الرسول من ماله ألف دينار فقبلها وكانت سبب سعادة الرسول لانه لما ملك مودود بن مسعود بالغ في الاحسان اليه ثم ان محمدا فوض أمر دولته الى ولده أحمد وكان فيه خبط وهوج فاتفق هو وابن عمه يوسف بن

ادريس بن أبي حفصة ان الخلافة مالها عن جعفر نور الهدى وبنيه من تحويل
فاذا قضى منها الخليفة جعفر للناس لا فقدوه خير بديل
فبقاء ملكك وانتظار محمد خير لنا وله من التعجيل
وقد كان خرج بايام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشاري فحكم واشتد أمره فيمن انضاف اليه من الحكمة من ربيعة وغيرهم من الاكراد فسرح اليه المنتصر جيشا عليهم سيما التركي فكانت له مع الشاري حروب فاسر الشاري وأتي به المنتصر فجاد عليه بالعفو وأخذ عليه العهد وخلى سبيله (وحكى) عنه وزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجاني أنه قال حين رضي عن الشاري ان لذة العفو أعذب من لذة التشفي وأقبح أفعال المقتدر الانتقام * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال رأى بعض الكتاب في المنام في الليلة التي استخلف في صبيحتها المنتصر كأن قائلا يقول هذا الامام المنتصر
والملك الحادي عشر

أمره اذا أمر كالسيف ما لاقى بتر وطرفه اذا نظر كالدهر في خير وشر وقد كان أظهر الانصاف في الرعية فقالت

سبكتكين وابن علي نحو يشاوند على قتل مسعود ليصفو الملك له ولولده فدخل الى أبيه فطلب خاتمه ليختم به بعض الخزائن فاعطاه فسار به الى القلعة وأعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالة الى مسعود فادخلهم اليه فقتلوه فلما علم محمد بذلك ساءه وشق عليه وأنكره وقيل ان مسعودا لما حبس دخل عليه ولدا أخيه محمد واسم أحدهما عبد الرحمن والآخر عبد الرحيم فمد عبد الرحمن يده فاخذ القلنسوة من رأس عمه مسعود فمد عبد الرحيم يده وأخذ القلنسوة من أخيه وأنكر عليه ذلك وسبه وقبلها وتركها على رأس عمه فعجب بذلك عبد الرحيم من القتل والاسر لما ملك مودود بن مسعود على ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم ان محمدا أغرى ولده أحمد بقتل عمه مسعود فامر بذلك وأرسل اليه من قتله وألقاه في بئر وسد رأسها وقيل بل ألقي في بئر حيا وسد رأسها فمات والله أعلم فلما مات كتب محمد الى ابن أخيه مودود وهو بخراسان يقول ان والدك قتل قصاصا فقتله أولاد أحمد ينالتكين بلا رضا مني فاجاب مودود يقول أطال الله بقاء الامير القاسم ورزق ولده المتوه أحمد عقلا يعيش به فقد ركب أمرا عظيما وأقدم على اراقة دم ملك مثل والدي الذي لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين وستعلمون في أي حتف تورطتم وأي شر تأبطتم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وطمع جند محمد فيه وزالت عنهم هيبته فمدوا أيديهم الى أموال الرعايا فنهبوها فخربت البلاد وجلا أهلها الا سيما مدينة برشاور فانها هلك أهلها ونهبت أموالهم وكان المملوك يباع بدينار ويباع الخمر كل منا بدينار ثم رحل محمد عنها لليلتين بقيتا من رجب وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان السلطان مسعود شجاعا كريما فاضلا كثير المحبة للعلماء كثير الاحسان اليهم والتقرب لهم صنفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم وكان كثير الصدقة والاحسان الى أهل الحاجة تصدق مرة في شهر رمضان بألف ألف درهم وأكثر الادرارات والصلات وعمر كثيرا من المساجد في ممالكه وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة تسير بها الركبان مع عفة عن أموال رعاياه وأجازا الشعراء بجوائز عظيمة فأعطى شاعرا على قصيدة ألف دينار وأعطى آخر بكل بيت ألف درهم وكان يكتب خطا حسنا وكان ملكه عظيما فسيحا ملك اصبهان والري وهمذان وما يليها من البلاد وملك طبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الراون وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور والهند وملك كثيرا منها وأطاعه أهل البر والبحر ومناقبه كثيرة وقد صنفت فيها التصانيف المشهورة فلا حاجة الى الاطالة بذكرها

﴿ ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمدا ﴾

لما قتل الملك مسعود وصل الخبر الى ابنه مودود وهو بخراسان فعاد مجدا في عساكره الى غزنة فتصاف هو وعمه محمد في ثالث شعبان فانهزم محمد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده أحمد وانوشتكين الخصي البلخي وابن علي نحو يشاوند فقتلهم وقتل أولاد عمه جميعهم الا عبد الرحيم لانكاره على أخيه عبد الرحمن ما فعله بعمه مسعود وبنى موضع الوقعة قرية ورباطا وسماها فتح آباذ وقتل كل من له في القبض على والده صنع وعاد الى غزنة فدخلها في ثالث وعشري شعبان سنة اثنتين وثلاثين واستوزر أبا نصر وزير أبيه وأظهر العدل وحسن السيرة وسلك سيرة جده محمود وكان داود أخو طغرلبك قد ملك مدينة بلخ واستباحها كما ذكرناه ومودود مقابله فتجدد قتال مسعود وعاد ليقضي الله أمرا كان مفعولا فلما تجدد هذا الظفر لمودود ثار أهل

اليه قلوب الخاصة والعامة مع قال حدثنا علي بن يحيى المنجم قال ما رأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ولا تكلف لقد رآني يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب ضيعة مجاورة لضيعتي وكنت أحب شراءها فلم أزل أعمل الحيلة على مالكها حتى أجابني الى بيعها ولم يكن عندي في ذلك الوقت قيمة ثمنها فصرت الى المنتصر وأنا على تلك الحال فتبين الانكسار في وجهي وشغل القلب فقال لي ارأك مفكرا فاقض نيتك فجعلت أزوي عنه خبري وأستر قصتي فاستحلفني فصدقته عن خبر الضيعة فقال لي المنتصر فكم مبلغ ثمنها فقلت ثلاثون ألف درهم قال فكم عندك منها قلت عشرة آلاف فامسك عني ولم يجبني وتشاغل عني ساعة ثم دعا بدواة وبطاقة ثم وقع فيها بشيء لا أدري ما هو وأشار الى خادم كان على رأسه بما لم أفهم فمضى الغلام مسرعا وأقبل يشغلني بالحديث ويطاعمني الكلام الى أن أقبل الغلام فوقف بين يديه فنهض المنتصر وقال لي يا علي اذا شئت فانصرف الى منزلك وقد كنت قدرت عند مسئلته انه سيأمر لي بالثمن أو نصفه فانيت وأنا لا أعقل غما فلما وصلت الى داري استقبلني وكيلي فقال ان خادم أمير المؤمنين صار

هراة عن عندهم من الغز السلجوقية فاخرجوهم وحفظوها لمودود واستقر الامر لمودود لعزلة ولم يبق له هم الا أمر أخيه محمود فان أباه قد سيره الى الهند سنة ست وعشرين فخاف ان يخالف عليه فاتاه خبره انه قصد لهاور وملتان فلكهما وأخذ الاموال وجمع بهما العساكر وأظهر الخلاف على أخيه فندب اليه مودود جيشا ليمنعوه ويقاتلوه وعرض محمود عسكره للسير وحضر عيد الاضحى فبقى بعده ثلاثة أيام وأصبح ميتا بها ولا يدرى كيف كان موته وأطاعت البلاد باسرها مودودا ورست قدمه وثبت ملكه ولما سمعت الغز السلجوقية ذلك خافوه واستشعروا منه وراسله ملك الترك بما وراء النهر بالانقياد والمتابعة

﴿ ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل ﴾

فى هذه السنة اختلف جلال الدولة ملك العراق وقرواش بن المقلد العقيلى صاحب الموصل وكان سبب ذلك ان قرواشا كان قد أنفذ عسكرا سنة احدى وثلاثين فحصر والخميس بن ثعلب بتكريت وجرى بين الطائفتين حرب شديدة فى ذى القعدة منها فارسل خميس ولده الى الملك جلال الدولة وبذل بذولا كثيرة ليكف عنه قرواشا فاجابه الى ذلك وأرسل الى قرواش يأمره بالكف عنه فعاد ولم يفعل وسار بنفسه ونزل عليه يحاصره فتأثر جلال الدولة منه ثم انه أرسل كتبا الى الاتراك ببغداد يفسدهم وأشار عليهم بالشغب على الملك واثارة الفتنة معه فوصل خبرها الى جلال الدولة وأشياء أخر كانت هذه هى الاصل فارسل جلال الدولة أبا الحرث ارسلان الفساسيرى فى صفر من سنة اثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قرواش بالسندية فسار ومعه جماعة من الاتراك وتبعه جمع من العرب فرأى فى طريقه محالا لابنى عيسى فشرع فيها الاتراك والعرب فاخذوا منها قطعة وأوغل الاتراك فى الطلب وبلغ الخبر الى العرب وركبوا وتبعوا الاتراك وجرى بين الطائفتين حرب انهزم فيها الاتراك وأسر منهم جماعة وعاد المنهزمون فاخبروا الفساسيرى بكثرة العرب فعاد ولم يصل الى مقصده وسار طائفة من بنى عيسى فكمنوا بين صرصر وبغداد ليفسدوا فى السواد فاتفق ان وصل بعض أكابر القواد الاتراك فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من أصحابه وحملوا الى بغداد فارتج البلد واستحكمت الوحشة بين جلال الدولة وقرواش فجمع جلال الدولة العساكر وسار الى الانبار وهى لقرواش على عزم أخذها منه وغيرها من اقطاعه بالعراق فلما وصلوا الى الانبار أغلقت وقاتلهم أصحاب قرواش وسار قرواش من تكريت الى خصه على عزم القتال فلما نزل الملك جلال الدولة على الانبار رقات عليهم العلوفة فسار جماعة من العسكر والعرب الى الحديثة ليمتاروا منها فخرج عليهم عندها جمع كثير من العرب فاوقعوا بهم فانهزم بعضهم وعادوا الى العسكر ونهبت العرب ما معهم من الدواب التى تحمل الميرة وبقى المرشد أبو الوفاء وهو المقدم على العسكر الذين سار والاحضار الميرة وثبت معه جماعة ووصل الخبر الى جلال الدولة ان المرشد أبا الوفاء يقاتل وأخبر سلامته وصبره للعرب وانهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة فسار الملك اليه بعسكر فوصلوا وقد عجز العرب عن الوصول اليه وعادوا عنه بعد ان حملوا عليه وعلى من معه عدة حملات صبرها فى قلة من معه ثم اختلفت عقيل على قرواش فراسل جلال الدولة وطلب رضاه وبذل له بذلا أصلحه به وعاد الى طاعته فتحالفا وعاد كل الى مكانه

﴿ ذكر ملك أبى الشوك دقوقا ﴾

كان دقوقا لابى المجد المهلهل بن محمد بن عناز فسير اليها أخوه حسام الدولة أبو الشوك ولده سعديا فحاصرها فقاتله من بها ثم سار أبو الشوك اليها فجد فى حصارها ونقب سورها ودخلها

الفرح والسرور بما لم أملك به نفسى ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل حتى أخرج الى البدرتين فحمدت الله تعالى على ما حباه لى ووجهت فى وقتى الى صاحب الضيعة فوفيته الثمن وتشاغلت سائر يومى بتسليمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت الى المنتصر من الغد فأعاد على حرفا ولا سالنى عن شئ من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا (قال المسعودى) وذكر الفضل بن أبى طاهر فى كتابه فى أخبار المؤلفين قال حدثنى أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين قال كان المنتصر فى أيام امارته ينادمه جماعة من أصحابه وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحريرى فجرى فى مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق فقال المنتصر لبعض من فى المجلس أخبرنى عن أى شئ أعظم عند النفس فقدا وهى به أشد تفجعا قال فقد خل مشاكل وموت شكل موافق وقال آخر ممن حضر ما أشد جولة الرأى عند أهل الهوى وفطام النفس عند الصبا وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين فلوم العاذلين قرط فى آذانهم ولوعات الحب نيران فى أبدانهم مع دموع المعانى كغروب

ولمعان البرق يؤرقه والعذل يؤلمه والبعد يضله والذكر يسقمه والقرب يحييه والليل يضاعف بلاءه والرقاد يهرب منه ورسوم الدار تحرقه والوقوف على الطلول يبكيه ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولا هداه عزاء ولقد أحسن الذى يقول

وقد زعموا أن المحب اذا دنا ... يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد

فكل قال وأكثر الخطب فى ذلك فقال المنتصر لصالح ابن محمد الحريرى ياصالح هل عشقت قط قال أى والله أيها الامير وان بقايا ذلك فى صدرى قال ويلك لمن قال أيها الملك كنت آلف الرصافة فى أيام المعتصم وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج فى جواريها وتقوم فى أمرها وتلقى الناس عنها وكانت قينة تتولى أمر القصر اذ ذاك وكانت تمر بى فأحتشمها وأعاينها ثم راسلتها فطردت رسولى وهددتنى وكنت أقعد على طريقها لاكلمها فاذا رأتنى ضحكت وغمزت الجوارى بالعبث بى والهزء ثم فارقتها وفى قلبى منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر فهل لك أن أحضرها (ذكر

عنوة ونهب أصحابه بعض البلد وأخذوا سلاح الاكراد وثيابهم وأقام حسام الدولة بالبلد ليلة وعاد خوفا على البندنيجين وحلوان فان أصاه سرخاب بن محمد بن عناز كان قد أغار على عدة مواضع من ولايته وحالف أبا الفتح بن ورّام والجاوانية عليه فاشفق من ذلك وأرسل الى جلال الدولة يطلب منه نجدة فسير اليه عسكرا امتنع بهم

﴿ ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم ﴾

فى هذه السنة كانت وقعة بين عسكر المصريين سيره الدزبرى وبين الروم فظفر المسلمون وكان سبب ذلك ان ملك الروم قد هادنه المستنصر بالله العلوى صاحب مصر على ما ذكرناه فلما كان الآن شرع يراسل ابن صالح بن مرادس ويستميله ويراسله قبله صالح لينقوى به على الدزبرى خوفا ان يأخذ منه الرقة فبلغ ذلك الدزبرى فتهدد ابن صالح فاعتذر وجد ثم ان جماعة من بنى جعفر بن كلاب دخلوا ولاية قاسية فعاثوا فيها ونهبوا عدة قرى فخرج عليهم جمع من الروم فقاتلوهم وأوقعوا بهم ونكبوا فيهم وأزالوهم عن بلادهم وبلغ ذلك الناظر بحلب فاخرج من بها من تجار الفرنج وأرسل الى المولى بانطاكية يأمره باخراج من عنده من تجار المسلمين فاغلظ للرسول وأراد قتله ثم تركه فارسل الناظر بحلب الى الدزبرى يعرفه الحال وان القوم على التجهز لقصد البلاد فجهز الدزبرى جيشا وسيره على مقدمته فالتقى الجمعان فانهزم الروم وقد خرجوا بمثل ما خرج اليه هؤلاء والتقى الفريقان بين مدينة حماة وقاسية واشتد القتال بينهم ثم ان الله نصر المسلمين وأذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة وأسر ابن عم الملك بدلوا فى فدائه مالا جزيلا وعدة وافرة من أسراء المسلمين وانكف الروم عن الادى بعدها

﴿ ذكر الخلاف بين المعز وبنى حماد ﴾

فى هذه السنة خالف أولاد حماد على المعز بن باديس صاحب افريقية وعادوا الى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه فسار اليهم المعز وجمع العساكر وحشدها وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حماد وضيق عليهم وأقام عليهم نحو سنتين

﴿ ذكر صلح أبى الشوك وعلاء الدولة ﴾

وفيها سار مهلهل أخو أبى الشوك الى علاء الدولة بن كاكويه واستصرخه واستعان به على أخيه أبى الشوك فسار معه فلما بلغ قرميسين رجع أبو الشوك الى حلوان فعرف علاء الدولة رجوعه وسار يتبعه حتى بلغ المرج وقرب من أبى الشوك فعزم أبو الشوك على قصد قلعة السيروان والتحصن بها ثم تجلد وأرسل الى علاء الدولة انى لم أنصرف من بين يديك الا مراقبة لك واعظاما لقدرك واستعطافا لك فاذا اضطررتنى الى مالا أجد بدا منه كان العذر قاعدا لى فيه فان ظفرت بك طمع فيك الاعداء وان ظفرت فى سلمت فلا عجى وبلادى الى الملك جلال الدولة فاجابه علاء الدولة الى الصلح على ان يكون له الدينور وعاد فلحقه المرض فى طريقه وتوفى على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة كان بافريقية غلاء شديد وسببه عدم الامطار فسميت سنة الغبار ودام ذلك الى سنة أربع وثلاثين فخرج الناس فاستسقوا وفيها توفى قزل أمير الغز العراقية بالرى ودفن بناحيه من اعمالها وفيها توفى صاعد بن محمد أبو العلاء النيسابورى ثم الاستوائى قاضى نيسابور وكان عالما فقيها حنفيا انتهت اليه رياسة الحنفية بخراسان

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ (ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكويه) ﴾

فى هذه السنة فى المحرم توفى علاء الدولة أبو جعفر بن دشمنزيار المعروف بابن كاكويه بعد عوده من بلد أبى الشوك وانما قيل له كاكويه لانه ابن خال مجد الدولة بن بويه والخال باعتهم كاكويه وقام باصبهان ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه وهو أكبر أولاده وأطاعه الجند بها فسار ولده أبو كاليجار كرشاسف الى نهاوند فاقام بها وحفظها وضبط اعمال الجبل وأخذها لنفسه فامسك عنه أخوه أبو منصور فرامرز ثم ان مستحفظ العلاء الدولة بقلعة طنز أرسل أبو منصور اليه يطلب شيأ مما عنده من الاموال والذخائر فامتنع وأظهر العصيان فسار اليه أبو منصور وأخوه الاصغر أبو حرب ليأخذ القلعة منه كيف أمكن فصعد أبو حرب اليها ووافق المستحفظ على العصيان فعاد أبو منصور الى اصبهان وأرسل أبو حرب الى الغز السلجوقية بالرى يستنجدهم فسار طائفة منهم الى قاجان فدخلوها ونهبوها وسلموها الى أبى حرب وعادوا الى الرى فسير اليها أبو منصور عسكرا ليستنقذها من أخيه فجمع أبو حرب الاكراد وغيرهم وجعل عليهم صاحباله وسيرهم الى اصبهان ليملكوها برعمه فسير اليهم أخوه أبو منصور عسكرا فالتقوا وانهزم عسكر أبى حرب وأسر جماعة منهم وتقدم أصحاب أبى منصور فحصروا أبا حرب فلما رأى الحال وخاف نزل منها متخفيا وسار الى شيراز الى الملك أبى كاليجار صاحب فارس والعراق فحسن له قصد اصبهان وأخذها من أخيه فسار الملك اليها وحصرها وبها الامير أبو منصور فامتنع عليه وجرى بين الفريقين عده وقائع كان آخر الامر الصلح على ان يبقى أبو منصور باصبهان وتقرر عليه مال وعاد أبو حرب الى قلعة طنز واشتد الحصار عليه فارسل الى أخيه يطلب المصالحة فاصطلحا على ان يعطى أخاه بعض ما فى القلعة ويبقى بها على حاله ثم ان ابراهيم ينال خرج الى الرى على ما نذكره وأرسل الى أبى منصور فرامرز يطلب منه الموادعة فلم يجبه وسار فرامرز الى همذان وبروجرد فملكهما ثم اصطلح هو وأخوه كرشاسف وأقطعه همذان وخطب لابى منصور على منابر بلاد كرشاسف واتفقت كلمتهما وكان المدبر لامرهما الكيا أبو الفتح الحسن بن عبد الله وهو الذى سعى فى جمع كلمتهما

﴿ (ذكر ملك طغرلبك جرجان وطبرستان) ﴾

فى هذه السنة ملك طغرلبك جرجان وطبرستان وسبب ذلك ان أنوشروان بن منوجهر بن قابوس ابن وشمكير صاحبها قبض على أبى كاليجار بن ويهار القوهى صاحب جيشه وزوج أمه بمساعدة أمه عليه فعلم حينئذ طغرلبك ان البلاد لا مانع له عنها فسار اليها وقصد جرجان ومعه مرداويج بن بسو فلما نازلها فتح له المقيم بها فدخلها وقرر على أهلها مائة ألف دينار صلحا وسلمها الى مرداويج ابن بسو وقرر عليه خمسين ألف دينار كل سنة عن جميع الاعمال وعاد الى نيسابور وقصد مرداويج أنوشروان بسارية وكان بها فاصطلحا على ان ضمن أنوشروان له ثلاثين ألف دينار وأقيمت الخطبة لطغرلبك فى البلاد كلها وتزوج مرداويج بوالدة أنوشروان وبقى أنوشروان يتصرف بامر مرداويج لا يخالفه فى شىء البتة

﴿ (ذكر أحوال ملوك الروم) ﴾

نذكر ههنا أحوال الروم من عهد بسيل الى الآن فنقول من عادة ملوك الروم ان يركبوا أيام الاعياد الى البيعة المخصوصة بذلك العيد فاذا اجتاز الملك بالاسواق شاهده الناس وبايديهم المداخن يبخرون فيها فركب الدبسيل وقسطنطين فى بعض الاعياد وكان لبعض أكابر الروم

قال فدعا المنتصر باحمد ابن الخصيب وسأله أن يوجه له فى ذلك غلاما من غلمانه منفردا ويكتب معه كتابا مؤكدا الى ابراهيم بن اسحق وصالح الخادم المتولى لامر الحرم بمدينة السلام ففعل الرسول وقد كانت أعتقتها وخرجت من حد الجوارى الى حد النساء البوالغ فحملها الى المنتصر فلما حضرت نظر اليها فاذا عجوز قد حدثت وعنست وبها بقية من الجمال فقال لها تحبين أن أزوجك قالت انما أنا أمتك أيها الامير ومولاتك فافعل ما بدا لك فاحضر صالحا وأملكه بها وأمهرها ثم مزح به فاحضر حورا مرصصا وعركا محلعا فنثره عليه وأقامت مع صالح مدة طويلة ثم ملها ففارقها وقال يعقوب النمارى فى ذلك منح الله أبا الفضـ

ـل حياة لا تنغص وتولاه فقـــدنا

لغ فى الحب وأخلص عاشقا كان على التز

ويج للعقد تحرص من هوى من شعرها ايـ

ـضب بالحنا المعقص فتراه عند مابنـ

ـصل كالبرد المحرص فهى من أصلح خلق الله

فى التاج المفصص

ورزق الصبر عليها * فتأنى وتربص شيخة هام بها من * وجده شيخ مقرفص قرنصت فى عهد نوح * صاحب الفلك وقرنص

أى حظ نال لولا الشعر ١٧٣ والحور المرصص ليته قد جعل الامر اليها وتخلص فابوا الجون منها حين يدنو يتقلص

وذكر أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال كان المنتصر فى أيام امارته قد وجهنى الى مصر فى بعض أموره للسلطان فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع محسنة فى الصنعة مقبولة فى الخلقة قائمة على الوزن من المحاسن والكمال فساومت مولاها فابى أن يبيعها الا بالف دينار ولم يكن ثمنها متهيئا معى فاز عجنى السفر وقد علقها قلبى فاخذنى المقيم المقعد من حبها وندمت على ما فاتنى من شرائها فلما قدمت وفرغت مما وجهنى اليه وأديت اليه ما عملت حمد أثرى فيه وسألنى عن حاجتى وخبرى فاخبرته بمكان الجارية وكانى بها فاعرض عنى وجعل لا يزداد الا احتدة وقلبى لا يزداد الا كلفا وصبرى لا يزداد الا ضعفا وسليت نفسى عنها بغيرها وكانى أغريتها ولم تتسل عنها وجعل المنتصر كلما دخلت اليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقى اليها وتحيلت اليه بتدمانه وأهل الانس به وخاص من يحظى من جواريه وأمهات أولاده وجدته أم الخليفة أن يشتريها لى وهو لا يجيبنى الى ذلك ويعيرنى بقلة الصبر وكان قد أمر أحمد ابن الخصيب أن يكتب الى عامل مصر فى ابتياعها وحملها اليه من حيث لا أعلم فحملت اليه وصارت عنده فنظر

بنت جميلة فخرجت تشاهد الملك فلما مر بها استحسنها فامر من يسأل عنها فلما عرفها خطبها وتزوجها وأحبها وولدت منه بسيل وقسطنطين وتوفى وهما صغيران فتزوجت بعده بمدة طويلة تقفور فكره كل واحد منهما صاحبه فعملت على قتله فراسلت الشمشقيق فى ذلك فقصد قسطنطينية متخفيا فادخلته الى دار الملك واتفقا وقتلاه ليلا وأحضرت البطارقة متفرقين وأعطتهم الاموال ودعتهم الى تمليك تقفور ففعلوا ولم تصبح الا وقد فرغت مما تريد ولم يجر خلاف وتزوجت الشمشقيق وأقامت معه سنة فخافها واحتال عليها وأخرجها الى دير بعيد وحمل ولدها معها فاقامت فيه سنة ثم أحضرت راهبا وهبته مالا وأمرته بقصد قسطنطينية والمقام بكنيسة الملك والاقتصار على قدر القوت فاداوثق به الملك وأراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سما ففعل الراهب ذلك فلما كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها ووصلت قسطنطينية فى اليوم الذى توفى فيه الشمشقيق فملك ولدها بسيل ودبرت هى الامر لصغره فلما كبر بسيل قصد بلد البلغار وتوفيت وهو هناك فبلغه وفاتها فامر خادما له ان يدبر الامور فى غيبته ودام قتاله لبلغار أربعين سنة فظفر وابه فعاد مهزوما وأقام بالقسطنطينية يتجهز للعود فعاد اليهم فظفر بهم وقتل ملكهم وسبى أهله وأولاده وملك بلاده ونقل أهلها الى الروم وأسكن البلاد طائفة من الروم وهؤلاء البلغار غير الطائفة المسلمة فان هؤلاء أقرب الى بلد الروم من المسلمين بنحو شهرين وكلاهما يسمى بلغار وكان بسيل عادلا حسن السيرة ودام ملكه نيفا وسبعين سنة وتوفى ولم يخلف ولدا فملك أخوه قسطنطين وبقى الى ان توفى ولم يخلف غير ثلاث بنات فملكت الكبرى وتزوجت أرمانوس وهو من أقارب الملك وملكته فبقى مدة وهو الذى ملك الرها من المسلمين وكان لارمانوس صاحب له يخدمه قبل ملكه من أولاد بعض السيارف اسمه ميخائيل فلما ملك حكمه فى داره فمالت زوجة قسطنطين اليه وعملا الحيلة فى قتل ارمانوس فرض ارمانوس فادخلاه الى الحمام كارهها وخنقاه وأظهرا أنه مات فى الحمام وملكت زوجته ميخائيل وتزوجته على كره من الروم وعرض لميخائيل صرع لازمه ونوّم صورته فعهد الملك بعده الى ابن أخت له اسمه ميخائيل أيضا فلما توفى ملك ابن أخته وأحسن السيرة وقبض على أهل خاله واخوته وهم أخواله وضرب الدنانير فى هذه السنة وهى سنة ثلاث وثلاثين ثم أحضر زوجته بنت الملك وطلب منها ان تترهب وتنزع نفسها من الملك فابت فضربها وسيرها الى جزيرة فى البحر ثم عزم على القبض على البطرك والاستراحة من تحكمه عليه فانه كان لا يقدر على مخالفته فطلب اليه ان يعمل له طعاما فى ديرذكره بظاهر القسطنطينية ليحضر عنده فاجابه الى ذلك وخرج الى الدير ليعمل ما قال الملك فارسل الملك جماعة من الروس والبلغار ووافقهم على قتله سرا فقصدوه ليلا وحصروه فى الدير فبذل لهم مالا كثيرا وخرج متخفيا وقصد البيعة التى يسكنها وضرب الناقوس فاجتمع الروم عليه ودعاهم الى عزل الملك فاجابوه الى ذلك وحصروا الملك فى دار فارسل الملك الى زوجته وأحضرها من الجزيرة التى نفاها اليها ورغب فى ان تردّ عنه فلم تفعل وأخرجته الى بيعة يترهب فيها ثم ان البطرك والروم نزعوا زوجته من الملك وملكوا اختا لها صغيرة واسمها تذورة وجعلوا معها خدم أبيها يدبرون الملك وكحلوا ميخائيل ووقعت الحرب بالقسطنطينية بين من يتعصب له وبين من يتعصب لتذورة والبطرك فظفر أصحاب تذورة بهم ونهبوا أموالهم ثم ان الروم افتقروا الى ملك يدبرهم فكتبوا أسماء جماعة يصلحون للملك فى رقاع ووضعوها فى بنادق طين وأمروا من يخرج منها بندقة وهو لا يعرف باسم من فيها فخرج اسم قسطنطين

اليها وسمع منها فعذرني فيها ودفعها الى قيمة جواريه فاصلحت من شأنها فلما كان يوما من الايام استجلسني وأمرها أن تخرج الى الستارة فلما سمعت غناءها عرفتها وكرهت اني أعلمه أني قد عرفتها حتى ظهر في ما كتمت وغلب على صبري فقال مالك ياسعيد قلت خير أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا فاقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته أني سمعته منها وأني استحسنته من غنائها فغنته فقال أتعرف هذا الصوت قلت اى والله أيها الامير وكنت أطمع في صاحبته فاما الآن فقد أيست منها وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالجالب الحتف الى حياته فقال والله ياسعيد ما اشتريتها الا لك ويعلم الله أني ما رأيت لها وجها الا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر وخرجت من شحوبة التبذل فهي لك فدعوت له بما أمكنني من الدعاء وشكرته ثم من حضره من الجلساء وأمر بها فهيئت وحملت الي فرددت الى حياتي بعد أن أشرفت على الهلكة ولا أحد عندي أحظى منها * ومن ملاحات أحاديث الملهين المجان ماذكره أبو الفضل بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن الحرث الجراز عن أبي الحسن المدايني وأبي علي الحرمازي قالا كان بمكة سعيد يجمع بين الرجال والنساء على أطيش الريب وكان من أشراف قريش ولم يذكرا اسمه فشكا أهل مكة ذلك الى الوالي فغربه

فسطنطين فلكوه وتزوجته الملكة الكبيرة واستنزلت أختها الصغيرة تذورة عن الملك بمال بذلته لها واستقر في الملك سنة أربع وثلاثين فخرج عليه فيها خارجي من الروم اسمه أرمينا من ودعا الى نفسه فكثر جمعه حتى زادوا على عشرين ألفا وأهم قسطنطين امره وسير اليه جيشا كثيفا فظفروا بالخارجي وقتلوه وحملوا رأسه الى القسطنطينية وأسر من أعيان أصحابه مائة رجل فشهروا في البلد ثم أطلقوا وأعطوا نفقة وأمروا بالانصراف الى أي جهة أرادوا

﴿ ذكر فساد حال الدزبري بالشام وما صار الامر اليه بالبلاد ﴾

في هذه السنة فسد أمر أنوشتكين الدزبري نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام وقد كان كبيرا على مخدومه بما يراه من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه وكان الوزير أبو القاسم الجرجراي يقصده ويحسده الا انه لا يجد طريقا الى الوقيعة فيه ثم اتفق أنه سعى بكاتب للدزبري اسمه أبو سعد وقيل عنه انه يستميل صاحبه الى غير جهة المصريين فكوتب الدزبري بابعاده فلم يفعل واستوحشوا منه ووضع الجرجراي حاجب الدزبري وغيره على مخالفته ثم ان جماعة من الاجناد فسدوا مصر وشكوا الى الجرجراي منه فعرفهم سوء رأيه فيه وأعادهم الى دمشق وأمرهم بافساد الجند عليه ففعلوا ذلك وأحس الدزبري بما يجري فاظهر ما في نفسه وأحضر نائب الجرجراي عنده وأمر باهانته ونتره ثم انه أطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته أرزاقهم ومنع الباقين فحرك ما في نفوسهم وقوى طمعهم فيه بما كوتبوا به من مصر فاظهروا الشغب عليه وقصدوا قصره وهو بظاهر البلد وتبعهم من العامة من يريد النهب فاقتتلوا فهزم الدزبري ضعفه وعجزه عنهم ففارق مكانه واستصحب أربعين غلاما له وما أمكنه من الدواب والاثاث والاموال ونهب الباقي وسار الى بعلبك فدخلها وأخذ ما أمكنه أخذه من مال الدزبري وتبعه طائفة من الجند يقتفون أثره وينهبون ما يقدرون عليه وسار الى مدينة حماة فمنع عنها وقوتل وكاتب المقلد بن منقذ الكلبي الكفرطابي واستدعاه فاجابه وحضر عنده في نحو ألفي رجل من كفرطاب وغيرها فاحتمى به وسار الى حلب ودخلها وأقام بها مدة وتوفي في منتصف جمادى الاولى من هذه السنة فلما توفي فسد أمر بلاد الشام وانتشرت الامور بها وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا في نواحيه فخرج حسان بن المفرج الطائي بفلسطين وخرج معز الدولة ابن صالح الكلابي بحلب وقصدها وحصرها وملك المدينة وامتنع أصحاب الدزبري بالقلعة وكتبوا الى مصر يطلبون النجدة فلم يفعلوا واشتغل عساكر دمشق ومقدمهم الحسين بن أحمد الذي ولي أمر دمشق بعد الدزبري بحرب حسان ووقع الموت في لذين في القلعة فسلموها الى معز الدولة بالامان

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة سير الملك أبو كاليجار من فارس عسكرا في البحر الى عمان وكان قد عصى من بها فوصل العسكر الى صحار مدينة عمان فملكوها واستعاد والخارجين عن الطاعة واستقرت الامور بها وعادت العساكر الى فارس وفيها قصد أبو نصر بن الهيثم الصليحي من البطائح فملكها ونهبها ثم استقر أمرها على مال يؤديه الى جلال الدولة وفيها توفي أبو منصور بهرام بن ماقنة وهو الملقب بالعادل وزير الملك أبي كاليجار ومولده سنة ست وستين وثلاثمائة وكان حسن السيرة وبنى دار الكتب بفيروزاباد وجعل فيها سبعة آلاف مجلد فلما مات وزر بعده مهذب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوي وفيها وصل جماعة من البلغار الى بغداد يريدون الحج فاقيم لهم من الديوان الاقامات الوافرة فسئل بعضهم عن أي الامم هم البلغار فقال هم قوم تولدوا بين الترك

الى عرفات فاتخذها منزلا ودخل الى مكة مستترا فاتى بها حرفاء من الرجال والنساء فقال وما يمنعكم منى فقالوا واين بك وأنت بعرفات فقال حاربدر هين وصرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا نشهد انك لصادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وحواشيهم فعادوا بالشكية الى أميرهم فارسل اليه فاتى به فقال اى عدو الله طردتك من حرم الله فصرت الى المشعر الاعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث فقال اصلح الله الامير انهم يكذبون على ويحسدوننى فقالوا للوالى بيننا وبينه واحدة تجمع حسر المكارين وترسلها الى عرفات فان لم تقصد الى بيته لم تعودت من اتيان سفهاء والفجار فالقول اقال فقال الوالى ان فى ذالدليلا وأمر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله وأتاه أصحابه فقال مابعد هذا شئ جردوه فلما نظر الى السياط قال ولابد من ضربى قال لابد ياعدو الله قال اضرب فوالله مافى هذا شئ بأشد من أن يسخر بنا أهل العراق ويقولون أهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب قال فضحك الوالى وقال لاأضرب بك اليوم وأمر بتخلية سبيله وترك التعرض له (قال المسعودى) وللمنتصر بالله أخبار حسان وأشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها وعصوا

والصقالبة وبلدهم فى اقصى الترك وكانوا كفارا فاسلموا عن قريب وهم على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وفيها توفى ميخائيل ملك الروم وملك بعده ابن أخيه ميخائيل أيضا وفيها فى جمادى الآخرة توفى أبو الحسن محمد بن جعفر الجهرمى الشاعر وهو القائل

يا ويح قلبى من تقلبه * أبدا يحن الى معذبه
قالوا كتمت هواه عن جلد * لوان لى رمقا لصحت به
بابى حبيبا غير مكترث * عمى ويكثر من تعتبه
حسبى رضاه من الحياة وما * قاسى وموتى من تغضبه

وكان بينه وبين المطر زمهاجاة

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر ملك طغرلبك مدينة خوارزم)﴾

قد تقدم ان خوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتكين فلما توفى وملك بعده ابنه مسعود كانت له وكان فيها التونتاش حاجب أبيه محمود وهو من أكابر أمرائه يتولاها لمحمود ومسعود بعده ولما كان مسعود مشغولا بقصد أخيه محمد لاخذ الملك قصد الامير على تكين صاحب ماوراء النهر اطراف بلاده وشغلها فلما فرغ مسعود من أمر أخيه واستقر الملك له كاتب التونتاش فى سنة أربع وعشرين يقصد اعمال على تكين وأخذ بخارا وسمرقند وأمده بجيش كثيف فعبر جيحون وفتح من بلاد على تكين ما أراد وانحاز على تكين من بين يديه وأقام التونتاش بالبلاد التى فتحها فرأى دخولها الا بعد مقاساة عساكره لانه كان يريد أن يكون فى جمع كثير يمتنع بهم على الترك فكاتب مسعودا فى ذلك واستأذنه فى العود الى خوارزم فاذن له فلما عاد لحقه على تكين على غرة وكبسه فانهزم على تكين وصعد الى قلعة دبوسية فحصره التونتاش وكاد يأخذه فراسله على تكين واستعطفه وضرع اليه فرحل عنه وعاد الى خوارزم وأصاب التونتاش فى هذه الوقعة جراحة فلما عاد الى خوارزم مرض منها وتوفى وخلف من الاولاد ثلاثة بسين هرون ورشيد واسمعيل فلما توفى ضبط البلد وزيره أبو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد وحفظ الخزائن وغيرها وأعلم مسعودا الخبر فولى ابنه الاكبر هرون خوارزم وسيره اليها وكان عنده واتفق ان المهدى وزير مسعود توفى فاستحضر أبا نصر بن محمد بن عبد الصمد واستوزره فاستناب أبو نصر عند هرون ابنه عبد الجبار وجعله وزيره فجرى بينه وبين هرون منافرة أسرها هرون فى نفسه وحسن له أصحابه القبض على عبد الجبار والعصيان على مسعود فاظهر العصيان فى شهر رمضان سنة خمس وعشرين وأراد قتل عبد الجبار فاختفى منه فقال أعداء أبيه للملك مسعود ان أبا نصر قد واطأ هرون على العصيان وانما اختفى ابنه حيلة ومكرا فاستوحش منه الا انه لم يظهر ذلك له وعزم مسعود على الخروج من غزنة الى خوارزم فسار عن غزنة والزمان شتاء فلم يمكنه قصد خوارزم فسار الى جرجان طالبا أنوشروان بن منوجهر ليقاتله على ماظهر منه عند اشتغال مسعود بقتال أحمد بن التكين ببلاد الهند فلما كان ببلاد جرجان أتاه كتاب عبد الجبار بن أبى نصر يقتل هرون واعادة البلد الى طاعته وكان عبد الجبار فى يده استتاره يعمل على قتل هرون ووضع جماعة على الفتك به فقتلوه عند خروجه الى الصيد وقام عبد الجبار بحفظ البلد فلما وقف مسعود على كتاب عبد الجبار علم ان الذى قيل عن أبيه كان باطلا فاعاد الى الثقة به وبقى عبد الجبار أياما يسيرة فوثب به غلمان هرون فقتلوه وولوا البلد اسمعيل بن التونتاش وقام بامره شكر خادم أبيه

وعصوا على مسعود فكتب مسعود الى شاهملك بن على أحد أصحاب الاطراف بنواحى خوارزم يقصد خوارزم وأخذها فسار اليها فقاتله شكر واسمعيل ومنعوه عن البلد فهزمهما وملك البلد فسار الى طغرلبك وداود السلجقيين والتجأ اليهما وطلبا المعونة منهما فسارا ودفعهما الى خوارزم فلقيهم شاهملك وقاتلهم فهزمهم ولما جرى على مسعود من القتل ماجرى وملك مودود دخل شاهملك فى طاعته وصافاه وتمسك كل واحد منهما بصاحبه ثم ان طغرلبك سار الى خوارزم فحصرها ولكها واستولى عليها وانهزم شاهملك بين يديه واستصحب أمواله وذخائره ومضى فى المفازة الى دهستان ثم انتقل عنها الى طبس ثم الى اطراف كرمان ثم الى اعمال التيز ومكران فلما وصل الى هناك علم خلاصه ببعده وأمن فى نفسه فعرف خبره ارتاش اخو ابراهيم ينال وهو ابن عم طغرلبك فقصده فى أربعة آلاف فارس فأوقع به وأسره وأخذ ما معه ثم عاد به فسلمه الى داود وحصل هو وباغنم من أمواله وعاد بعد ذلك الى بادغيس المقاربة لهراة وأقام على محاربة هراة لانهم الى هذه الغاية كانوا مقيمين على الامتناع والاعتصام ببلدهم والثبات على طاعة مودود بن مسعود فقاتلهم أهل هراة وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم وانما حملهم على ذلك الحرب خوفا من الغز

﴿ذكر قصد ابراهيم ينال همذان وما كان منه﴾

قد ذكرنا خروج ابراهيم ينال من خراسان الى الرى واستيلاءه عليها فلما استقر أمرها سار عنها وملك البلاد المجاورة لها ثم انتقل الى بروجرد فملكها ثم قصد همذان وكان بها أبو كاليجار كرشاسف ابن علاء الدولة صاحبها فسار فيها الى سابور خواست ونزل ابراهيم ينال على همذان وأراد دخولها فقال له أهلها ان كنت تريد الطاعة وما يطلبه السلطان من الرعية فنحن بادلوه وداخلون تحته فاطلب أولا هذا المخالف عليك الذى كان عندنا يعنون كرشاسف فانا لا نأمن عوده الينا فاذا ملكته أودعته كما لك وكففنا عنهم وسار الى كرشاسف بعد ان أخذ من أهل البلد مالا فلما قارب سابور خواست صعد كرشاسف الى القلعة فتحصن بها وحصر ابراهيم البلد فقاتله أهله خوفا من الغز فلم يكن لهم طاقة على دفعهم فملك البلد قهرا ونهب الغز أهله وفعلوا الافاعيل القبيحة بهم ثم عاد راجعا نحو الرى فرأى طغرلبك قد ورد ها ولما فارق ابراهيم والغز همذان نزل كرشاسف اليها فاقام بها الى ان وصل طغرلبك الى الرى فسار اليه ابراهيم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر خروج طغرلبك الى الرى وملك بلد الجبل﴾

فى هذه السنة خرج طغرلبك من خراسان الى الرى بعد فراغه من خوارزم وجرجان وطبرستان فلما سمع أخوه ابراهيم ينال بقصده وهم سار اليه فلقيه وتسلم طغرلبك الرى منه وتسلم غيرها من بلد الجبل وسار ابراهيم الى سجستان وأخذ طغرلبك أيضا قلعة طبرك من مجد الدولة بن بويه وأقام عنده مكرما وأمر طغرلبك بعمارة الرى وكانت قد خربت فوجد فى دار الامارة مراكب ذهب مجوهرة وبرنيتين صينى مملوءة جوهرا ومالا كثيرا وغير ذلك وكان كامر ويهادى طغرلبك وهو بخراسان ويخدمه وخدم أخاه ابراهيم لما كان بالرى فلما حضر عنده وأهدى له هدايا كثيرة من أنواع شتى وهو يظن ان طغرلبك يزيد فى اقطاعه ويرعى له ما تقدم من خدمته له فخاب ظنه وقرر على ما بيده كل سنة سبعة وعشرين ألف دينار ثم سار الى قزوين فامتنع عليه أهلها فزحف اليهم ورماهم بالسهام والحجارة فلم يقدروا ان يقفوا على السور وقتل من أهل البلد برشق وأخذ ثلثمائة وخمسين رجلا فلما رأى كامر وومرداويج بن بسو ذلك خافوا ان يملك البلد

فى الكتاب الاوسط اذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره فى الآخر ولو كان كذلك لم يكن بينهما فرق وكان الجمع واحدا وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الاخبار ونخلله بالآداب وفنون الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ومعقبا لما تقدم من تصنيفنا ان شاء الله تعالى

﴿ذكر خلافة المستعين بالله﴾

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم فى اليوم الذى توفى فيه المنتصر وهو يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ويكنى بأبى العباس وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق وخلع نفسه وسلم الخلافة الى المعتز وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وقيل ثلاث سنين وتسعة أشهر وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

واستوزر المستعين بالله أبا موسى أوتامش وكان المتولى لامر الوزارة والقيم بها كاتبه الاوتامش يقال له

شجاع وبعد أن قتل أوتامش وكاتبه صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما قتل وصيف وبغا باغر التركى تعصبت الموالى واتحدر

عنوة و ينهب فمنعوا الناس من القتال وأصلحوا الحال على ثمانين ألف دينار وصار صاحبها فى طاعته ثم انه أرسل الى كوكتاش وبوقا وغيرهما من امراء الغز الذين تقدم خروجهم بمنهم ويدعوهم الى الحضور فى خدمته فلما وصل رسوله اليهم ساروا حتى نزلوا على نهر بنواحى زنجان ثم أعادوا رسوله وقالوا له قل له قد علمنا ان غرضك ان تجمعنا لتقبض علينا والخوف منك أبعدنا عنك وقد نزلناها هنا فان اردت تناقصدنا خراسان أو الروم ولا نجتمع بك أبدا وأرسل طغرلبك الى ملك الديلم يدعوه الى الطاعة و يطلب منه مالا ففعل ذلك وحمل اليه مالا وعروضا وأرسل أيضا الى سلار الطرم يدعوه الى خدمته و يطالبه بحمل مائتى ألف دينار فاستقر الحال بينهما على الطاعة وشئ من المال وأرسل سرية الى اصبهان و بها أبو منصور فراهرز بن علاء الدولة فأغارت على أعمالها وعادت مسالمة وخرج طغرلبك من الرى وأظهر قصد اصبهان فراسله فراهرز وصانعه بمال فعاد عنه وسار الى همذان فملكها من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة وكان قد نزل اليه وهو بالرى بعد ان راسله طغرلبك غير مرة وسار معه من الرى الى ابهر وزنجان فاخذ منه همذان وتفرق أصحابه عنه وطلب منه طغرلبك تسليم قلعة كسكور فارسل الى من بها بالتسليم فلم يفعلوا وقالوا لرسل طغرلبك قل لصاحبك والله لو قطعته قطعا ما سلمناها اليك فقال له طغرلبك ما امتنعوا الا بامرك ورأيك فاصعد اليهم واقم معهم ولا تفارق موضعك حتى آذن لك ثم عاد الى الرى واستناب بهمذان ناصرا العلوى وكان كرشاسف قد قبض عليه فاخرجه طغرلبك وولاه الرى وأمره بمساعدة من يجعله فى البلد وكان معه مهرداويج بن بسوتانيه فى جرجان وطبرستان فمات وقام ولده جستان مقامه فسار طغرلبك الى جرجان وعزل جستان عنها واستعمل على جرجان أسفار وهو من خواص منوچهر بن قابوس فلما فرغ امر جرجان و طبرستان سار الى دهستان فحصرها و بها صاحبها كاميار معتصما بالحصانتها

﴿ ذكر مسير عساكر طغرلبك الى كرمان ﴾

وسير طغرلبك طائفة من أصحابه الى كرمان مع أخيه ابراهيم ينال بعد ان دخل الرى وقيل ان ابراهيم لم يقصد كرمان و انما قصد سجستان وكان مقدم العساكر التى سارت الى كرمان غيره فلما وصلوا الى اطراف كرمان نهبوا ولم يقدموا على التوغل فيها فلم ير وا من العساكر من يكفهم فتوسطوها وملكوا عدة مواضع منها ونهبوها فبلغ الخبر الى الملك أبى كاليجار صاحبها فسير وزيره مهذب الدولة فى العساكر الكثيرة وأمره بالجد فى المسير ليدركهم قبل ان يملكوا جيرفت وكانوا يحاصرونها فطوى المراحل حتى فاربهم فرحلوا عن جيرفت ونزلوا على ستة فراسخ منها وجاء مهذب الدولة فنزلها وأرسل ليحمل الميرة الى العسكر فخرجت الغز الى الجمال والبغال والميره ليأخذوها وسمع مهذب الدولة ذلك فسير طائفة من العسكر لمنعهم فتواقعوا واقتتلوا وتكاثر الغز فسمع مهذب الدولة الخبر فسار فى العساكر الى المعركة وهم يقتتلون وقد ثبتت كل طائفة لصاحبها واشتد القتال الى حد ان بعض الغز رمى فرس بعض أصحاب أبى كاليجار بسهم فوقع فيه وطعنه صاحب الفرس برمح فاصاب فرس الغزى وحمل الغزى على صاحب الفرس فضربه ضربة قطعت يده وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة فضربه بسيفه فقطعه قطعتين وسقطا الى الارض قتيلين والفرسان قتيلين وهذه حالة لم يدوّن عن مقدمى الشجعان أحسن منها فلما وصل مهذب الدولة الى المعركة انهزم الغز وتركوا ما كانوا نهبوه ودخلوا المفازة وتبعهم الديلم الى رأس الحد وعادوا الى كرمان فاصلحوا ما فسد منها

المستعين بالله يقول بعض الشعراء

خليفة فى قفص
بين وصيف و بغا
يقول ما قالا له
كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب الى اقريطس سنة ثمان وأربعين ومائتين ونفى عبد الله بن يحيى بن خاقان الى برقة واستوزر عيسى ابن فرخانشاه وقلد سعيد ابن حميد ديوان الرسائل وكان سعيد حافظا لما يستحسن من الاخبار و يستجاد من الاشعار متصرفا فى فنون العلم ممتعا اذا حدث مفيدا اذا جولس وله أشعار كثيرة حسان فمما يستحسن و يختار من شعره قوله

وكنت أخوفه بالدعاء
وأخشى عليه من المأثم
فلما أقام على ظلمه * تركت الدعاء على الظالم

وقوله

أسيدتى مالى أراك بخيلة * مقيم على الحرمان من يستزيدها
فأصبحت كالدنيا تذم صروفها * وتتبعها اذما ونحن عبيدها

وقوله

الله يعلم والدنيا مولية
والعيش منتقل والدهر ذو دول
فالفراق وان
هاجت فجيعته * عليك أخوف فى قلبى من الاجل
وكنت أفرح بالدنيا ولذتها * واليأس يحكم للاعداء فى الامل

ذكر

﴿ ذكر الوحشة بين القائم بامر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة ﴾

فى هذه السنة افتتح الجوالى فى المحرم ببغداد فانفذ الملك جلال الدولة فاخذ ما تحصل منها وكانت العادة ان يحمل ما يحصل منها الى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك فلما فعل جلال الدولة ذلك عظم الامر فيه على القائم بامر الله واشتد عليه وأرسل مع أقضى القضاة أبى الحسن الماوردى فى ذلك وتكررت الرسائل فلم يصغ جلال الدولة لذلك وأخذ الجوالى لجمع الخليفة الهاشميين بالدار والرحالة وتقدم باصلاح الطيار والزبازب وأرسل الى أصحاب الاطراف والقضاة بما عزم عليه وأظهر العزم على مفارقة بغداد فلم يتم ذلك وحدث وحشة من الجهتين فاقتضت الحال ان الملك يترك معارضة النواب الامامية فيها فى السنة الآتية

﴿ ذكر محاصرة شهرزور وغيرها ﴾

فى هذه السنة سار أبو الشوك الى شهرزور فحصرها ونهبها وأحرقها وخرب قراها وسوادها وحصر قلعة تيرانشاه فدفعه أبو القاسم بن عياض عنها ووعده ان يخلص ولده أبا الفتح من أخيه مهلهل وان يصلح بينهما وكان مهلهل قد سار من شهرزور لما بلغه ان أخاه أبا الشوك يريد قصدها وقصد نواحى سنده وغيرها من ولايات أبى الشوك فنهبها وأحرقها وهلكت الزرعة فى الجهتين ثم ان أبا الشوك راسل أبا القاسم بن عياض ينجزه ما وعده به من تخليص ولده والشروط التى تقررت بينهما فاجابه بأن مهلهلا غير مجيب اليه فعند ذلك سار أبو الشوك من حلوان الى الصامغان ونهبها ونهب الولاية التى لمهلهل جميعها فانزاح مهلهل من بين يديه وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على دغل ودخل وعاد أبو الشوك

﴿ ذكر خروج سكين بمصر ﴾

فى هذه السنة فى رجب خرج بمصر انسان اسمه سكين كان يشبه الحاكم صاحب مصر فادعى انه الحاكم وقد رجع بعد موته فاتبعه جمع ممن يعتقد رجعة الحاكم فاغتنموا خلو ارا الخليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النهار وقد خلوا الدهليز فوثب من هناك من الجند فقال لهم أصحابه انه الحاكم فارتاعوا لذلك ثم ارتابوا به فقبضوا على سكين ووقع الصوت واقتتلوا فتراجع الجند الى القصر والحرب قائمة فقتل من أصحابه جماعة وأسر الباقون وصلبوا أحياء ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها وأسواقها وأكثر دار الامارة وسلم الامير لانه كان فى بعض البساتين فاحصى من هلك من أهل البلد فكانوا قريبا من خمسين ألفا ولبس الامير السواد والمسوح لعظم المصيبة وعزم على الصعود الى بعض قلاعه خوفا من توجه الغز السلجوقية اليه وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرقى العلوى النقيب بالموصل وفيها قتل قرواش كاتبه أبا الفتح بن المفرج صبرا وفيها توفى عبد الله بن أحمد أبو ذر الهروى الحافظ أقام بمكة وتزوج من العرب وأقام بالسروات وكان يحج كل سنة يحدث فى الموسم ويعود الى أهله وصحب القاضى أبا بكر الباقلانى وفيها توفى عمر بن ابراهيم بن سعيد الزهرى من ولد سعد بن أبى وقاص وكان فقيها شافعيا

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر اخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية ﴾

يسلى عن الدنيا اذا ما تولت

وقوله

كأن انحدار الدمع حين تحيله
على خدها الريان درّ على در

الا أن سعيدا على ما وصفنا عنه من الادب كان يتنصب ويظهر التسنن والتحيل وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده وفى ذلك يقول بعض الشعراء ما رأينا لسعيد بن حميد من شبيه

ماله يؤذى رسول الله فى شتم أخيه
انه الزنديق مستول على دين أبيه

وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس وفيه يقول بعض الشعراء وهو أبو على البصير

رأس من يدعى البلاغة منى
ومن الناس كلهم فى حر آته
وأخونا ولست أعنى سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه

وكان لسعيد بن حميد وأبى على البصير وأبى العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات وقد أتينا على ذكرها فى الكتاب الاوسط وكان أبو على البصير من

في هذه السنة أخرج ملك الروم الغرباء من المسلمين والنصارى وسائر الانواع من القسطنطينية وسبب ذلك انه وقع الخبر بالقسطنطينية ان قسطنطين قتل ابنتي الملك المتقدم اللتين قد صار الملك فيهما الآن فاجتمع أهل البلد واثاروا الفتنة وطمعوا في النهب فاشرف عليهم قسطنطين وسألهم عن السبب في ذلك فقالوا قتلت الملكتين وأفسدت الملك فقال ما قتلتهما وأخرجهما حتى رآهما الناس فسكنوا ثم انه سأل عن سبب ذلك فقيل له انه فعل الغرباء وأشاروا بابعادهم وأمر فنودي ان لا يقيم أحد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فمن أقام بعد ثلاثة أيام قتل فخرج منها أكثر من مائة ألف انسان ولم يبق بها أكثر من اثني عشر نفسا ضمنهم الروم فتركهم

﴿ ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار ﴾

في هذه السنة في سادس شعبان توفي الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ابن بويه ببغداد وكان مرضه ورمافي كبده وبقي عدة أيام مريضا وتوفي وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وملكه ببغداد ست عشرة سنة واحد عشر شهرا ودفن بداره ومن علم سيرته وضعفه واستيلاء الجند والنواب عليه ودوام ملكه الى هذه الغاية علم ان الله على كل شئ قدير يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وكان يزور الصالحين ويقرب منهم ويزار مرة مشهدي علي والحسين عليهما السلام وكان يمشي حافيا قبل ان يصل الى كل مشهد منهما نحو فرسخ يفعل ذلك تدينا ولما توفي انتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحاب الملك الاكابر الى باب المراتب وحريم دار الخلافة خوفا من نهب الاتراك والعامة دورهم فاجتمع قواد العسكر تحت دار المملكة ومنعوا الناس من نهبها ولما توفي كان ولده الاكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط على عادته فكاتبه الاجناد بالطاعة وشرطوا عليه تجميل ما جرت به العادة من حق البيعة فتردد المراسلات بينهما في مقداره وتأخيره لفقده وبلغ موته الى الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة فكاتب القواد والاجناد ورغبهم في المال وكثرته وتجميله فمالوا اليه وعدلوا عن الملك العزيز وأما الملك العزيز فانه أصعد الى بغداد لما قرب الملك أبو كاليجار منها على ما نذكره سنة ست وثلاثين عازما على قصد بغداد ومعه عسكره فلما بلغ النعمانية غدر به عسكره ورجعوا الى واسط وخطبوا لابي كاليجار فلما رأى ذلك مضى الى نور الدولة دبيس بن مزيد لانه بلغه ميل جند بغداد الى أبي كاليجار وسار من عند دبيس الى قرواش بن المقلد فاجتمع به بقرية خصة من أعمال بغداد وسار معه الى الموصل ثم فارقه وقصد أبا الشوك لانه حموه فلما وصل الى أبي الشوك غدر به وألزمه بطلاق ابنته ففعل وسار عنه الى ابراهيم ينال أخي طغرلبك وتنقلت به الاحوال حتى قدم بغداد في نفر يسير عازما على استمالة العسكر وأخذ الملك فثار به أصحاب الملك أبي كاليجار فقتل بعض من عنده وسار هو مختفيا فقصد نصر الدولة بن مروان فتوفي عنده عيافارقين وحمل الى بغداد ودفن عند أبيه بمقابر قريش في مشهد باب التبن سنة احدى وأربعين وقد ذكر الشيخ أبو الفرج بن الجوزي انه آخر ملوك بني بويه وليس كذلك فانه ملك بعده أبو كاليجار ثم الملك الرحيم بن أبي كاليجار وهو آخرهم على ما تراه وأما الملك أبو كاليجار فلم تزل الرسل تتردد بينه وبين عسكر بغداد حتى استقر الامر له وحلفوا وخطبوا له ببغداد في صفر من سنة ست وثلاثين وأربعمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر حال أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ﴾

في هذه السنة سير الملك أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا مع حاجب له الى

به غيره وكان ابن عبادة بسوء اختياره يرى انه أشعر من جرير ويحسبه مقدما على أهل عصره وهو فوق نظرائه في وقته ودون البحتري فمن مشهور شعره قوله في المعلى بن أيوب

لعمر أبيك ما نسب المعلى
الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت
وصوح نبتها رعي الهشيم

ومما استحسن له من شعره قوله

اذا ما اغتدت طلابة العلم مالها
من العلم الا ما يخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجدت عليهم
فعبر في سمعي ودفترها قلبي

ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج

خرجنا نبتغي مكة
فحجاجا وعمارا
فلما شارف الخير
ة راعى ابلي حارا
فقلت احطط بها رحلي
ولا تعبأ بن جارا
فصاد فنابها الهوا
وبستانا وخمارا
وظبيا عاقدا بين ال
نقا والخصر زنارا
فما ظنك بالحلفا
ن أشعلتها نارا

وظهر في هذه السنة وهي سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة أبو الحسن يحيى ابن عمر بن يحيى بن الحسين ابن عبد الله بن اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار وقيل ان ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه الى بغداد وصلب فضج الناس من ذلك لما

نواحى خراسان فارسل اليهم داود أخو طغرلبك وهو صاحب خراسان ولده الب أرسلان فى عسكر فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر للملك ألب أرسلان وعاد عسكر غزنة منهزما وفيها أيضا فى صفر سار جمع من الغز الى نواحى بست وفعلوا ما عرف منهم من النهب والشر فسير اليهم أبو الفتح مودود عسكرا فالتقوا بولاية بست واقتتلوا قتالا شديدا انهزم الغز فيه وظفر عسكر مودود وأكثروا فيهم القتل والاسر

﴿ذكر ملك مودود عدة حصون من بلد الهند﴾

فى هذه السنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند وقصدوا الهاورو وحصروها فجمع مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل الى صاحبه مودود يستنجده فسير اليه العساكر فاتفق ان بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران الى بلادهما فسارت العساكر الاسلامية الى أحدهما ويعرف بدوبال هرباته فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد ان يضيفوا اليه باقى حصون ذلك الملك الذى لهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ما طلبوا وتسلموا الجميع وغنم المسلمون الاموال وأطلقوا ما فى الحصون من أسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثانى واسمه تابت بالرى فتقدم اليهم والتقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الهنود وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح وأسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقى الملوك من الهند ما لقى هؤلاء أذعنوا بالطاعة وحملوا الاموال وطلبوا الامان والاقرار على بلادهم فاجيبوا الى ذلك

﴿ذكر الخلف بين الملك أبى كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة﴾

فى هذه السنة نكث الامير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه صاحب أصبهان العهد الذى بينه وبين الملك أبى كاليجار وسير عسكرا الى نواحى كرمان فملكوا منها حصنين وغنموا ما فيها فارسل الملك أبو كاليجار اليه فى اعادتهما وازالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهز عسكرا وسيره الى ابرقوه فحصرها وملكها فانزعج فرامرز لذلك وجهز عسكرا كثيرا وسيره اليهم فسمع الملك أبو كاليجار بذلك فسير عسكرا ثانيا مدد العسكر الاول والتقى العسكران فاقتتلوا وصبروا ثم انهزم عسكر أصبهان وأسر مقدمهم الامير اسحق بن ينال واسترد نواب أبى كاليجار ما كانوا أخذوه من كرمان

﴿ذكر أخبار الترك بما وراء النهر﴾

فى هذه السنة فى صفر أسلم من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الاسلام بنواحى بلاساغون وكاشغار ويغيرون ويعيثون عشرة آلاف خركاة وضحوا يوم عيد الاضحى بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرهم وكانوا يصيفون بنواحى بلغار ويشتون بنواحى بلاساغون فلما أسلموا تفرقوا فى البلاد فكان فى كل ناحية ألف خركاة وأقل وأكثر لانهم انما كانوا يجتمعون ليحمى بعضهم بعضا من المسلمين وبقى من الاتراك من لم يسلم تترى وخطاوهم بنواحى الصين وكان صاحب بلاساغون وبلاد الترك شرف الدولة وفيه دين وقد قمع من اخوته وأقاربه بالطاعة وقسم البلاد بينهم فاعطى أخاه أصلان تكين كثيرا من بلاد الترك وأعطى أخاه بغراخان

وقد رثى أبو الحسن يحيى بن عمر بأشعار كثيرة وقد أتينا على خبر مقتله ومارثى به من الشعر فى الكتاب الاوسط ومما رثى به ما قاله

والتناس وأظهر العدل والانصاف وكان ظهوره لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من الاتراك ودخل الناس الى محمد بن طاهر يهنونه بالفتح ودخل عليهم أبو هاشم الجعفرى وهو داود بن القاسم بن اسحق ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ولم يكن يعرف فى ذلك الوقت اقعد نسبا فى آل أبى طالب وسائر بنى هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة وقبره مشهور وقد أتينا على خبره ومارؤى عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم فقال لابن طاهر ابها وخرج من داره وهو يقول

يابنى طاهر البيتين وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس فامر ابن طاهر بازالته لما رأى من الناس وما هم عليه وفى ذلك يقول أبو هاشم الجعفرى

يابنى طاهر كلوه وبيا
ان لحم النبى غير مرى
ان وترا يكون طالبه الله
ه لوتر بالموت غير حرى

طراز واسبيجاب وأعطى عمه طغاخان فرغانة بأسرها وأعطى ابن علي تكين بخارا وسمرقند وغيرهما وقنع هو بالاساغون وكاشغر

﴿ ذكر أخبار الروم والقسطنطينية ﴾

في هذه السنة في صفر أيضا ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروس في البحر وراسلوا قسطنطين ملك الروم بما لم تجر به عادتهم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر وبعضهم فيها فألقى الروم في مراكبهم النار فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق وأما الذين على البر فقاتلوا وأبلوا وصبروا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم أولا استرق وسلم ومن امتنع حتى اخذ قهرا قطع الروم أيمانهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم الا اليسير مع ابن ملك الروسية وكفى الروم شرهم

﴿ ذكر طاعة المغرب افريقية للقائم بأمر الله ﴾

في هذه السنة أظهر المعز ببلاد افريقية الدعاء للدولة العباسية وخطب للامام القائم بأمر الله أمير المؤمنين وورد عليه الخلع والتقليد ببلاد افريقية وجميع ما يفتحه وفي أول الكتاب الذي مع الرسل من عبد الله وليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين الى الملك الاوحد ثقة الاسلام وشرف الامام وعمده الانام ناصر دين الله قاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين وهو طويل وأرسل اليه سيف وفرس واعلام على طريق القسطنطينية فوصل ذلك يوم الجمعة فدخل به الى الجامع والخطيب ابن الفاكاة على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الاعلام فقال هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم وأستغفر الله لي ولكم وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت وأحرقت أعلامهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة جرت حرب بين ابن الهيثم صاحب البطيحة وبين الاجناد من الغز والديلم فاحرق الجامدة وغيرها وخطب الجند للملك أبي كاليجار وفيها أرسل الخليفة القائم بأمر الله أقضى القضاة أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي الى السلطان طغرلبك قبل وفاة جلال الدولة وأمره أن يقرر الصلح بين طغرلبك والملك جلال الدولة وأبي كاليجار وسار اليه وهو بحران فلقيه طغرلبك على أربعة فراسخ اجلالا لرسالة الخليفة وعاد الماوردي سنة ست وثلاثين وأخبر عن طاعة طغرلبك للخليفة وتعظيمه لاوامره ووقوفه عندها وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الازهر أبو القاسم بن أبي الفتح الازهري الصيرفي المعروف بابن السواري شيخ الخطباء أبي بكر وكان اماما في الحديث ومن تلامذته الخطيب البغدادي

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر قتل الاسماعيلية بما وراء النهر ﴾

في هذه السنة أوقع بغراخان صاحب ما وراء النهر بجمع كثير من الاسماعيلية وكان سبب ذلك ان نفرا منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا الى طاعة المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فتبعهم جمع كثير وأظهر وامذاهب أنكرها أهل تلك البلاد وسمع ملكها بغراخان خبرهم وأراد الايقاع بهم فخاف ان يسلم منه بعض من أجابهم من أهل تلك البلاد فاظهر لبعضهم انه يميل اليهم ويريد الدخول في مذاهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من

فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم
وأضحت عروس المكرمات تضعضع
أتهجع عين بين نوم ومضجع
ولابن رسول الله في الترب مضجع
فقد أقفرت دار النبي محمد
من الدين والاسلام فالدار بلقع
وقتل آل المصطفى في خلالها
وبذ شمل منهم ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى
نفوسهم أم المنون فتتبع
بني طاهر واللؤم منكم سجية
وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم في الترك غير قواطع
ولكنها في آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم
وغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبين شرع
وفيكم رماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع في دار آل محمد
ودار كم للترك والجيش مرتع
أخلتم بان الله يرعى حقوقكم
وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجون الشفاعة عنده
وليس لمن يرميه بالوتر يشفع

فغلب مغلوب ويقتل قاتل * ويخفض مرفوع ويدني المرفع قال وكان يحيى دينا كثير التعطف والمعروف أجابهم

أجابهم الى مقالتهم فحينئذ قتل من بحضرته منهم وكتب الى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم

﴿ (ذكر الخطبة للملك أبي كاليجار واصعاده الى بغداد) ﴾

قد ذكرنا ما توفى الملك جلال الدولة ما كان من مراسلة الجند الملك أبا كاليجار والخطبة له فلما استقرت القواعد بينه وبينهم أرسل أموالا فرقت على الجند ببغداد وعلى أولادهم وأرسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة فخطب له ببغداد في صفر وخطب له أيضا أبو الشوك في بلاده ودبيس بن مزيد ببلاده ونصر الدولة بن مروان بديار بكر ولقبه الخليفة محيي الدين وسار الى بغداد في مائة فارس من أصحابه لئلا تخافه الاتراك فلما وصل الى النعمانية لقيه دبيس بن مزيد ومضى الى زيارة المشهدين بالكوفة وكربلاء ودخل الى بغداد في شهر رمضان ومعه وزيره ذو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس ووعده الخليفة القائم بأمر الله ان يستقبله فاستعفى من ذلك وأخرج عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وأخاه كمال الملك وزيري جلال الدولة من بغداد فمضى أبو سعد الى تكريت وزينت بغداد لقدومه وأمر نخلع على أصحاب الجيوش وهم البساسيري والنشاوري والهمام أبو الفداء وجرى من ولاة العرض تقديم لبعض الجند وتأخير فشغب بعضهم وقتلوا واحدا من ولاة العرض عرأى من الملك أبي كاليجار فنزل في سميرية بمنكور وانحدر خوفا من انخراق الهيبة وأصعد بنعم الصلح وفي رمضان منها توفي أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي وزير الظاهر والمستنصر الخليفتين وكان فيه كفاية وشهامة وامانة وصلى عليه المستنصر بالله

﴿ (ذكر عدة حوادث) ﴾

في هذه السنة نزل الامير أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة من كنكور وقصد همذان فملكها وأزاح عنها نواب السلطان طغرلبك وخطب للملك أبي كاليجار وصار في طاعته وفيها أمر الملك أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز فبنى وأحكم بناؤه وكان دوره اثني عشر ألف ذراع وعرضه ثمانية أذرع وله أحد عشر بابا وفرغ منه سنة أربعين وأربعمائة وفيها نقل تابوت جلال الدولة من داره الى مشهد باب التبن الى تربة له هناك وفيها استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم علي ابن عبد الله الجويني وهو أول وزير وزر له ثم وزر له بعده رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن علي ابن ميكائيل ثم وزر له بعده نظام الملك أبو محمد الحسن بن محمد الدهستاني وهو أول من لقب نظام الملك ثم وزر له بعده عميد الملك الكندري وهو أشهرهم وانما اشتهر لان طغرلبك في أيامه عظمت دولته ووصل الى العراق وخطب له بالسلطنة وسيرد من أخباره ما فيه كفاية فلا حاجة الى ذكرها هنا وفيها توفي الشريف المرتضى أبو القاسم علي أخو الرضي في آخر ربيع الاول ومولده سنة خمس وخمسين وثلثمائة وولي نقابة العلويين بعده أبو أحمد عدنان ابن أخيه الرضي وفيها توفي القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري وهو شيخ أصحاب أبي حنيفة في زمانه ومن جملة تلامذته القاضي أبو عبد الله الدامغاني ومولده سنة احدى وخمسين وثلثمائة وولي بعده قضاء الكرخ القاضي أبو الطيب الطبري مضافا الى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق وفيها توفي القاضي أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشتري قاضي خوزستان وفارس وكان شافعي المذهب وفيها أيضا توفي أبو الحسين محمد بن علي البصري المتكلم المعتزلي صاحب التصانيف المشهورة

ببرهن والتحسن عليهن لم
تظهر له زلة ولا عرفت له
خزية ولما قتل يحيى جزعت
عليه نفوس الناس جزعا
كثيرا ورثاه القريب
والبعيد وحزن عليه الصغير
والكبير وجزع لقتله الملي
والدني وفي ذلك يقول بعض
شعراء عصره ومن جزع
على فقده

بكت الخيل شجوها بعد
يحيى
وبكاه المهند المصقول
وبكته العراق شرقا وغربا
وبكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن
والحج
رحيعالهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا
يوم قالوا أخو الحسين قتيل
وبنات النبي بندب شجوا
موجعات دموعهن تسيل
ويؤبن للرزية بدرا
فقده مفظع عزيز جليل
قطعت وجهه سيوف
الاعادي
بابي وجهه الوسيم الجميل
ويحيى الفتى بقابي غليل
كيف يرضى بالجسم ذاك
العليل
قتله مذكر لقتل علي
وحسين ويوم أوذي الرسول
فصلاة الاله وقفا عليهم
ما بكى موجع وحن ثكول

وكان ممن رثاه علي بن محمد ابن جعفر العلوي الحماني الشاعر وكان ينزل بالكوفة في جمان فاضيف اليهم فقال يا بقايا السلف الصالح والتجر الربيح نحن للايام من بين قتيل وجريح

تضوع مسكا جانب القبر اذ ثوى
وما كان لولا شلوه يتضوع
مصارع فتيان كرام اعزة
اتيح ليحيى الخير منهن مصرع

وقوله

انى لقومى من أحساب قومكم
بمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة
الا وهمته أمضى من السيف

وقد كان على بن محمد بن جعفر العلوى هذا وهو أخو اسمعيل العلوى لامه لما دخل الحسن بن اسمعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذى لقى يحيى بن عمر قعد عن سلامه ولم يمض اليه ولم يخالف عن سلامه أحد من آل على بن أبى طالب الهاشميين وكان على بن محمد الحسانى مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ولم يكن أحد بالكوفة من آل على بن أبى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت فتفقده الحسن بن اسمعيل وسأل عنه وبعث بجماعة فاحضروه فانكر الحسن تخلفه فاجابه على بن محمد بجواب مستقل آيس من الحياة فقال أردت أن آتيك مهنئا بالفتح وداعيا بالظفر وأنشد شعر الا يقوم على مثله من يرغب فى الحياة

أبى

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وصول ابراهيم ينال الى همذان وبلد الجبل﴾

فى هذه السنة أمر السلطان طغرلبك أخاه ابراهيم ينال بالخروج الى بلد الجبل وملكها فسار اليها من كرمان وقصد همذان وبها كرشاسف بن علاء الدولة ففارقها خوفا ودخلها ينال فملكها والتحق كرشاسف بالاكراد الجوزقان وكان أبو الشوك حينئذ بالدينور فسار عنها الى قرميسين خوفا واشفاقا من ينال فقوى طامع ينال حينئذ فى البلاد وسار الى الدينور فملكها ورتب أمورها وسار منها يطلب قرميسين فلما سمع أبو الشوك به سار الى حلوان وترك بقرميسين من فى عسكره من الديلم والاكراد الشاذنجان ليمنعوها ويحفظوها ووافاهم ينال جريدة فقاتلوه فدفعوه عنها فانصرف عنهم وعاد بخزائنه وحلله فقاتلوه فدفعوا عنه وعجزوا عن منعه فملك البلد فى رجب عنوة وقتل من العساكر جماعة كثيرة وأخذ أموال من سلم من القتل وسلاحهم وطردهم ولحقوا بابى الشوك ونهب البلد وقتل وسبى كثيرا من أهله ولما سمع أبو الشوك ذلك سير أهله وأمواله وسلاحه من حلوان الى قلعة السيروان وأقام جريدة فى عسكره ثم ان ينال سار الى الصيمرة فى شعبان فملكها ونهبها وأوقع بالاكراد المجاورين لها من الجوزقان فانهزموا وكان كرشاسف بن علاء الدولة نازلا عندهم فسار هو وهم الى بلد شهاب الدولة أبى الفوارس منصور بن الحسين ثم ان ابراهيم ينال سار الى حلوان وقد فارقها أبو الشوك ولحق بقلعة السيروان فوصل اليها ابراهيم آخر شعبان وقد جلا أهلها عنها وتفرقوا فى البلاد فنهبها وأحرقها وأحرق دار أبى الشوك وانصرف بعد أن اجتاحها ودرسها وتوجه طائفة من الغز الى خانقين فى أثر جماعة من أهل حلوان كانوا سارو بأهلهم وأولادهم وأموالهم فادركوهم وظفروا بهم وغنموا ما معهم وانتشر الغز فى تلك النواحى فبلغوا ما يدشت وما يليها فنهبوها وأغاروا عليها فلما سمع الملك أبو كاليجار هذه الاخبار أزعجته وأقلقته وكان بخوزستان فعزم على المسير ودفع ينال ومن معه من الغز عن البلاد فأمر عساكره بالتجهز للسفر اليهم فتجهزوا عن الحركة لكثرة ما مات من دوابهم فلما تحقق ذلك سار نحو بلاد فارس فحمل العسكر اثقالهم على الحمير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى المحرم خطب للملك أبى كاليجار باصبهان وأعمالها وعاد الامير أبو منصور بن علاء الدولة الى طاعته وكان سبب ذلك انه لما عصى على الملك أبى كاليجار وقصد كرمان على ما ذكرناه والتجأ الى طاعة طغرلبك لم يبلغ ما كان يؤمله من طغرلبك فلما عاد طغرلبك الى خراسان خاف أبو منصور من الملك أبى كاليجار فراسله فى العود الى طاعته فاجابه الى ذلك واصطلحا وفيها اصطلح أبو الشوك وأخوه مهلهل وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهل أبا الفتح بن أبى الشوك ومات أبى الفتح فى سجنه فلما كان الآن وخافا من الغز راسلا فى الصلح واعتذر مهلهل وأرسل ولده أبا الغنائم الى أبى الشوك وحلف له ان أبا الفتح توفى حتف أنفه من غير قتل وقال هذا ولدى تقتله عوضه فرضى أبو الشوك واحسن الى أبى الغنائم ورده الى أبيه واصطلحا واتفقا وفيها فى جمادى الاولى خلع الخليفة على أبى القاسم على بن الحسن بن المسلمة واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء وهو ابتداء حاله وكان السبب فى ذلك ان ذا السعادات بن فسانجس وزير الملك أبى كاليجار كان يسىء الرأى فى عميد الرؤساء وزير الخليفة فطلب من الخليفة ان يعزله فعزله واستوزر رئيس الرؤساء نيابة ثم خلع عليه وجلس فى الدست وفيها فى شعبان سار سرخاب بن محمد بن عناز أخو

أبى الشوك الى البند نيجين وبها سعدى بن أبى الشوك فمارقها سعدى ولحق بابيه ونهب سرخاب بعضها وكان أبو الشوك قد أخذ بلد سرخاب ماعدا دزدبلوية وهما متباينان لذلك رفيها فى آخر رمضان توفى أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز بقلعة السيروان وكان مرض لما سار الى السيروان من حلوان ولما توفى غدر الاكراد بابنه سعدى وصاروا مع عمه مهلهل فعند ذلك مضى سعدى الى ابراهيم ينال وأتى الغز على ماذكره ان شاء الله تعالى وفيها قتل عيسى بن موسى الهذبانى صاحب اربل وكان خرج الى الصيد فقتله ابنا أخ له وسارا الى قلعة اربل فملكاها وكان سلار بن موسى اخو المقتول نازلا على قرواش بن المقلد صاحب الموصل لنفرة كانت بينه وبين أخيه فلما قتل سار قرواش مع السلار الى اربل فملكها وسلمها الى السلار وعاد قرواش الى الموصل وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وقتال اشتد قتل فيه جماعة وفيها وقع البلاء والوباء فى الخيل فهلك من عسكر الملك أبى كاليجار اثنا عشر ألف فرس وعم ذلك البلاد وفيها توفى على بن محمد ابن نصر ابو الحسن الكاتب بواسط صاحب الرسائل المشهورة

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور ﴾

فى هذه السنة ملك مهلهل بن محمد بن عناز مدينة قرميسين والدينور وسبب ذلك ان ابراهيم ينال كان قد استعمل عند عوده من حلوان على قرميسين بدر بن طاهر بن هلال فلما ملك مهلهل بعد موت أخيه أبى الشوك سار الى مايذشت ورل بها ثم توجه نحو قرميسين فانصرف عنها بدر فملكها مهلهل وسير ابنه محمدا الى الدينور وبها عساكر ينال فاقتتلوا فقتل بين الفريقين جماعة وانهزم أصحاب ينال وملك محمد البلد

﴿ ذكر اتصال سعدى بن أبى الشوك بابراهيم ينال وما كان منه ﴾

فى هذه السنة فى شهر ربيع الاول فارق سعدى بن أبى الشوك عمه مهلهلا ولحق بابراهيم ينال فصار معه وسبب ذلك ان عمه تزوج أمه وأهمل جانبه واحتقره وكذلك أيضا قصر فى مراعاة الاكراد الشاذنجان فراسل سعدى ابراهيم ينال فى اللحاق به فأذن له فى ذلك ووعده ان يملكه ما كان لابيه فسار اليه فى جماعة من الاكراد الشاذنجان فقوى بهم فأكرمه ينال وضم اليه جمعا من الغز وسيره الى حلوان فملكها وخطب له بها الابراهيم ينال فى شهر ربيع الاول وأقام بها أياما ورجع الى مايذشت فسار عمه مهلهل الى حلوان فملكها وقطع منها خطبة ينال فلما سمع سعدى بذلك سار الى حلوان ففارقها عمه مهلهل الى ناحية بلوطة وملك سعدى حلوان وسار الى عمه سرخاب فكبسه ونهب ما كان معه وسير جمعا الى البند نيجين فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سرخاب بها ونهبوا بعضها وانهزم سرخاب فصعد الى قلعة دزدبلوية ثم عاد سعدى الى قرميسين فسير عمه مهلهل ابنه بدرا الى حلوان فملكها فجمع سعدى وأكثر وعاد الى حلوان ففارقها من كان بها من أصحاب عمه الا من كان بالقلعة وملكها سعدى وكان قد صحبه كثير من الغز فسار بهم منها الى عمه مهلهل وترك بها من يحفظها فلما علم عمه بقربه منه سار بين يديه الى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور فاحتمى بها وملك الغز كثيرا من النواحى والمواشى وغنموا كثيرا من الاموال والدواب فلما رأى سعدى تحصن عمه منه خاف على من خلفه بحلوان فعاد عازما على محاصرة القلعة فمضى وحصرها وقاتله من بها من أصحاب عمه ونهب الغز حلوان وفتكوا فيها واقتضوا

فان مات تلقاه الرماح فانه * لمن معشر يشقون موت التتوف ولا نتمتوا فالقوم من بقى منهم *

ولكن الجناح اذا أهيضت قوادمه يرف على الاكام

فقال له الحسن بن اسمعيل أنت موتور فلست أنكر ما كان منك وخلع عليه وحمله الى منزله قال وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس على بن محمد العلوى لامر شنع به عليه من انه يريد الظهور فكتب اليه من الحبس

قد كان جدك عبد الله خير أب

لابنى على حسين الخير والحسن

فالكلب يوهن منها كل أغلة ما كان من أختها الاخرى من الوهن

فلما وصل هذا الشعر اليه كتل وخلى الى الكوفة وله أشعار ومراث فى أخيه اسمعيل وغيره من أهله وفى ذم الشيب قد أتينا على كثير من ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان عند ذكر أخبار الطالبيين وفى كتاب مزاهر الاخبار وظرائف الآثار فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم * ومما رثى به على بن محمد أيضا أبا الحسن يحيى ابن عمر وأجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله

لعمرى لئن سرت قريش بهلكه لما كان وقافا غداة التوقف على سنن منهم مقام المخالف

الابكار واحرقوا المساكن وتفرق الناس وفعلوا فى تلك النواحى جميعها أقبح فعل ولما سمع أصحاب الملك أبى كاليجار ووزيره هذه الاخبار ندبوا العساكر الى الخروج الى مهالهل ومساعدته على ابن أخيه ودفعه عن هذه الاعمال فلم يفعلوا ثم ان سعدى أقطع أبا الفتح بن ورام البندنيجين واتفقا واجتمعا على قصد عمه سرخاب بن محمد بن عناز وحصره بقلعة دزدبلوية فسار افيمن معهما من العساكر فلما قاربوا القلعة دخلوا فى مضيق هناك من غيران يجعلوا لهم طليعة طمعا فيه وادلالا بقوتهم وكان سرخاب قد جعل على رأس الجبل على فم المضيق جمعا من الاكراد فلما دخلوا المضيق لقيهم سرخاب وكان قد نزل من القلعة فاقتتلوا وعاد واليخرجوا من المضيق فتقطرت بهم خيلهم فسقطوا عنها ورماهم الاكراد الذين على الجبل فوهنوا وأسر سعدى وأبو الفتح بن ورام وغيرهما من الرؤس وتفرق الغز والاكراد من تلك النواحى بعد ان كانوا قد وطنوها وملكوها

﴿ ذكر حصار طغرلبك أصبهان ﴾

فى هذه السنة حصر طغرلبك مدينة أصبهان وبها صاحبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فضيق عليه ولم يظفر من البلد بطائل ثم اصطلحوا على مال يحمله فرامرز بن علاء الدوله لطغرلبك وخطب له بأصبهان وأعمالها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة خرج من الترك من بلد القبت خلق لا يحصون كثرة فراسلوا أرسلان خان صاحب بلاساغون يشكرونه على حسن سيرته فى رعيته ولم يكن منهم تعرض الى مملكته ولكنهم أقاموا بها وراسلهم ودعاهم الى الاسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه وفيها توفى أبو الحسن الخيذى الضوى فى ذى الحجة وله نيف وتسعون سنة وفيها انحدر علاء الدين أبو الغنائم بن الوزير ذى السعادات الى البطائح وحصرها وبها صاحبها أبو نصر بن الهيثم وضيق عليه واجتمع مع جمع كثير وفيها فى ذى القعدة توفى عبد الله بن يوسف أبو محمد الجوينى والد امام الحرمين أبى المعالى وكان اماما فى الشافعية تفقه على أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى وكان عالما بالادب وغيره من العلوم وهو من بنى سنبس بطن من طى

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر صلح الملك أبى كاليجار والسلطان طغرلبك ﴾

فى هذه السنة أرسل الملك أبو كاليجار الى السلطان ركن الدين طغرلبك فى الصلح فاجابه اليه واصطلحا وكتب طغرلبك الى أخيه ينال يأمره بالكف عما وراء مايده واستقر الحال بينهما ان يتزوج طغرلبك بابنة أبى كاليجار ويتزوج الامير أبو منصور بن أبى كاليجار بابنة الملك داود أخى طغرلبك وجرى العقد فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة

﴿ ذكر القبض على سرخاب أخى أبى الشوك ﴾

فى هذه السنة قبض الاكراد الذريه وجماعة من عسكر سرخاب عليه لانه أساء السيرة معهم وترهم فقبضوا عليه وحملوه الى ابراهيم ينال فقلع احدى عينيه وطالبه باطلاق سعدى بن أبى الشوك فلم يفعل وكان أبو العسكر بن سرخاب قد غاضبه لما قبض على سعدى واعتزله كراهية لفعله فلما أسر أبو سرخاب سار الى القلعة وأخرج سعدى ابن عمه وفك قيوده وأحسن اليه وأطلقه وأخذ عليه بطرح ما مضى والسعى فى خلاص والده سرخاب فسار سعدى واجتمع عليه خلق كثير من الاكراد ووصل الى ابراهيم ينال فلم يجد عنده الذى أراد ففارقه وعاد الى الدسكرة

لهم معكم اما جدعتم انوفكم * مقامات ما بين الصفا والمعرّف ١٨٤ تراث لهم من آدم ومحمد * الى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضا فى الشيب

قد كان حين علا الشباب به
يقق السوالف حالك الشعر
وكانه فرتمنطق فى
افق السماء بدارة البدر
يا ابن الذى جعلت فضائله
فلك العلا وقلائد السور
من اسرة جعلت مخايلهم
للعالمين مخايل النظر
تهيب الاقدار قدرهم
فكانهم قدر على قدر
والموت لا تسوى رميته
فلك العلا ومواضع الغرر
ومن مراثيه المستحسنة فى أخيه
هذا ابن أمى عديل الروح
فى جسدى
شق الزمان به قلبى الى كبدى
فاليوم لم يبق شئ أستريح به
الا تفتت أعضائى من الكمد
أو مقلة بحياة الهم باكية
أو بيت مرثية تبقى على الابد
ترى أناجيك فيها بالدموع وقد
نام الخلىّ ولم أهجع ولم أكد
من لى بمثلك يا نور الحياة ويا
يمنى يدىّ التى شلت من العضد
من لى بمثلك أدعوه لحادثة
تشكى اليه ولا أشكو الى أحد
قد ذقت أنواع ثكل كنت أبلغها
على القلوب وأجناها على كبد
قل للردى لا تغادر بعده أحدا
وللمنية من أحببت فاعتمدى
ان الزمان تقضى بعد فرقته * والعيش آذن بالتفريق والنكد وكانت وفاة محمد العلوى فى خلافة وكاتب

وكاتب الخليفة ونواب الملك أبى كالبجار بالعود الى الطاعة وأقام بها

﴿ ذكر ملك ابراهيم بنال قلعة كنكور وغيرها ﴾

فى هذه السنة سار ابراهيم بنال الى قلعة كنكور وبها عكبر بن فارس صاحب كرشاسف بن علاء الدولة يحفظها له فامتنع عكبر بها الى ان فنيت ذخائره وكانت قليلة فلما نفدت الذخائر عمد الى بيوت الطعام التى فى القلعة وملأها ترابا وحجارة وسد أبوابها وتأخر من داخل الابواب شيأ من طعام وعلى رأس التراب والحجارة كذلك أيضا وراسل ابراهيم فى تسليم القلعة اليه على ان يؤمنه على من بها من الرجال وما بها من الاموال فارسل اليه ابراهيم يمتنع عليه من ترك المال فاخذ عكبر رسول ابراهيم فطوفه على البيوت التى فيها الطعام وفتح مواضع من المسدود فرآها مملوأة فظنها طعاما وقال له عكبر ما راسلت صاحبك خوفا من المطاولة ولا اشفاقا من نفاد الميرة لكننى أحببت الدخول فى طاعته فان بذل لى الامان على ما طلبته لى وللامير كرشاسف وأمواله وإلا بالقلعة سلمت اليه وكفيته مؤنة المقام فلما عاد الرسول الى ابراهيم وأخبره أجابه الى ما طلب ونزل عكبر وتسلمها ابراهيم فلما صعد الى القلعة انكشفت الحيلة وسار عكبر بمن معه الى قلعة سرماح وصعد اليها واما ملك بنال كنكور عاد الى همذان فسير جيشا الاخذ قلاع سرخاب واستعمل عليهم نسيبا له اسمه أحمد وسلم اليه سرخابا ليفتح به قلاعه فسار به الى قلعة كلكان فامتنعت عليه فسار وا الى قلعة دزدبلو به فحصروها وامتدت طائفة منهم الى البندنيجين فنهبوها فى جمادى الآخرة وعملوا الافاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الاموال فمات منهم جماعة لشدة الضرب وسارت طائفة منهم الى أبى الفتح بن ورام فانصرف عنهم خوفا منهم وترك حلله بحالها وقصدان يشتغلوا بنهب حلله فيعود عليهم فلم يعرجوا على النهب وتبعوه فشدد خوفه ان يظفروا به ويأخذوه فاتاهم فظفر بهم وقتل وأسر جماعة منهم وغنم ما معهم ورجع الباقون وأرسل الى بغداد يطلب نجدة خوفا من عودهم فلم ينجدوه لعدم الهيبة وقلة امساك الامر فعبر بنو ورام دجلة الى الجانب الغربى ثم ان العز أسروا الى سعدى بن أبى الشوك فى رجب وهو نازل على فرسخين من باجسرى وكبسوه فانهزم هو ومن معه لا يلوى الاح على أخيه ولا الوالد على ولده فقتل منهم خلق كثير وغنم العز أموالهم ونهبوا تلك الاعمال وكان سعدى قد أنزل ما لا من قلعة السيروان فوصله تلك الليلة فعبر العز الا قليلا منه سلم معه ونجا سعدى من الوقعة بجريمة الذقن ونهب العز الدسكرة وباجسرى والهارونية وقصر سابور وجميع تلك الاعمال ووصل الخبر الى بغداد بان ابراهيم بنال عازم على قصد بغداد فارتاع الناس واجتمع الامراء والقواد الى الامير أبى منصور بن الملك أبى كالبجار ليجتمعوا ويسيروا اليه ويمنعوه واتفقوا على ذلك فلم يخرج غير خيم الامير أبى منصور والوزير ونفر يسير وتخلف الباقون وهلك من أهل تلك النواحى المنهوبة خلق كثير فمنهم من قتل ومنهم من غرق ومنهم من قتله البرد ونوصل سعدى الى ديالى ثم سار منها الى أبى الاغر دبيس بن مزيد فاقام عنده ثم ان ابراهيم بنال سار الى السيروان فحصر القلعة وضيق على من بها وأرسل سرية نهبت البلاد وانتهت الى مكان بينه وبين تكريت عشرة فراسخ ودخل بغداد من أهل طريق خراسان خلق كثير وذكروا من حالهم ما أبكى العيون ثم سلمها اليه مستحفظها بعد ان أمنه على نفسه وماله وأخذ منها بنال من بقايا ما خلف سعدى شيأ كثيرا ولما قصها استخلف فيها مقدما كبيرا من أصحابه يقال له سخت كمان وانصرف الى حلوان وعاد منها الى همذان ومعه بدر ومالك ابنا مهلهل فاكرمهما ثم ان

ابن محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد ومازالت فى يده الى أن مات سنة سبعين ومائتين وخلفه أخوه محمد ابن زيد فيها الى أن حاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد الى الديلم فى سنة سبع وسبعين ومائتين فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصار فى جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته وكان الحسن ابن زيد ومحمد بن زيد يدعوان الى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان وهو الحسن ابن على الحسنى المعروف بالاطروش وولده ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله التتار بطبرستان وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا أخبار

وانما نذكر فى
هذا من سائر
لئلا يخلو هذ

صاحب قلعة سرماج توفي وهو من ولد بدر بن حسنويه وملكت القلعة بعده الى ابراهيم بنال وسير ابراهيم بنال وزيره الى شهرزور فاخذه وملكها فهرب منه اهل قابعد في الهرب ثم نزل أحمد على قلعة تيرانشاه وحاصرها ونقب عليها عدة نقوب ثم ان مهلهلا راسل أهل شهرزور بعدهم بالمسير اليهم في جمع كثير ويأمرهم بالوثوب بمن عندهم من الغز فعلوا وقتلوا منهم وسمع أحمد بن طاهر فعاد اليهم واوقع بهم ونهبهم وقتل كثيرا منهم ثم ان الغز المقيمين بالبند نيجين ومن معهم ساروا الى برازالروز وتقدموا الى نهر السليل فاقتتلوا هم وأبو دلف القاسم بن محمد الجاوانى قتالا شديدا فظفر فيها أبو دلف وانهزم الغز وأخذ امعهم وسار فى ذى الحجة جمع من الغز الى بلد على بن القاسم الكردى فاغاروا وعاثوا فاخذ عليهم المضيق وأوقع بهم وقتل كثيرا منهم وارتجع ما غنموه من بلده

﴿ذكر استيلاء أبي كاليجار على البطيحة﴾

فى هذه السنة اشتد الحصار من عسكر الملك أبي كاليجار على أبي نصر بن الهيثم صاحب البطيحة فجنح الى الصلح فاشترط عليه أبو الغنائم بن الوزير ذى السعادات ثم استأمن نفر من أصحاب أبي نصر وملاحيه الى أبي الغنائم وأخبروه بضعف أبي نصر وعزمه على الانتقال من مكانه فحفظ الطرق عليه فلما كان خامس صفر جرت وقعة كبيرة بين الفريقين واشتد القتال فظفر أبو الغنائم وقتل من البطائحيين جماعة كثيرة وغرق منهم سفن كثيرة وتفرق الآجام ومضى ابن الهيثم ناجيا بنفسه فى زبزب وملكت داره وجميع ما فيها

﴿ذكر ظهور الاصفر وأسره﴾

فى هذه السنة ظهر الاصفر الغلمى برأس عين وادعى انه من المذكورين فى الكتب واستغوى قوما من الخارجية وضعفها وجمع جمعا وغزا نواحى الروم فظفر وغنم وعاد وظهر حديثه وقوى ناموسه وعاود الغزو فى عدد أكثر من العدد الاول ودخل نواحى الروم وأوغل وغنم أضعاف ما غنمه أولا حتى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البخس وتسامع الناس به فقصدوه وكثر جمعه واشتدت شوكته وثقلت على الروم وطأته فارسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان يقول له انك عالم بما بيننا من الموادعة وقد فعل هذا الرجل هذه الافاعيل فان كنت قد رجعت عن المهادنة فعرفنا لنتدبر أمرنا بحسبه واتفق فى ذلك الوقت ان وصل رسول من الاصفر الى نصر الدولة أيضا ينكر عليه ترك الغزو والميل الى الدعة فساءه ذلك وأيضا استدعى قوما من بنى غير وقال لهم ان هذا الرجل قد اثار الروم علينا ولا قدرة لنا عليهم وبذل لهم بذلا على الفتك به فساروا اليه فقربهم ولازموه فركب يوما غير متحرز فابعدوا هم معه فعطفوا عليه وأخذوه وحملوه الى نصر الدولة بن مروان فاعتقله وتلافى أمر الروم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تجددت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة وفيها كان ببغداد والموصل وسائر البلاد العراقية والجزرية غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة وتبعه وباء شديد مات فيه كثير من الناس حتى خلت الاسواق وزادت أثمان ما يحتاج اليه المرضى حتى بيع المن من الشراب بنصف دينار ومن اللوز بخمسة عشر قيراطا والرمانة بقيراطين والخيارة بقيراط واشباه ذلك وفيها جمع الامير أبو كاليجار فنا خسرو بن مجد الدولة ابن بويه جمعا وسار الى آمد فدخلها وساعده أهلها وأوقع بمن كان فيها من أصحاب طغرلبك فقتل

محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى مجلسه بنيسابور وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على بن الحسين ابن على بن أبي طالب ودعا الى الرضى من آل محمد وحارب محمد بن طاهر وكان بالرى فانهزم عنها وسار الى مدينة السلام فدخلها العلوى وفى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين طاهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله ابن على بن الحسين بن على ابن أبي طالب رضى الله عنهم وهو من ولد الاوسط وقيل ان اسم الكركى الحسن ابن أحمد بن محمد بن اسمعيل ابن محمد بن عبد الله بن على ابن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم فحاربه موسى وبغا وصار الكركى الى الديلم ثم وقع الى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله وظهر بالكوفة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبي طالب فسرح اليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبى واختفى لترك أصحابه له وتخلفهم عنه وكان ذلك فى سنة احدى وخمسين ومائتين وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فاخرها الصغر سنه وأمر

وأسر وعرف طغرلبك ذلك فسار عن الرى قاصدا اليه ومتوجها الى قتاله وفيها توفى عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر فى ذى القعدة وله شعر حسن وورر لجلال الدولة عدة دفعات وفيها سير المعز بن باديس صاحب افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد وفيها اقتتلت طوائف من تلكانة قاتل بعضهم بعضا وكان بينهم حرب صبروا فيها فقتل منهم خلق كثير وفيها قبض الملك أبو كاليجار على وزيره محمد بن جعفر بن أبى الفرج الملقب بذى السعادات بن فسانجس وسجنه وهرب ولده ابو الغنائم وبقى الوزير مسجونا الى ان مات فى شهر رمضان سنه أربعين وقيل أرسل اليه أبو كاليجار من قتله وعمره احدى وخمسون سنة وللوزير ذى السعادات مكاتبات حسنة وشعر جيد منه

أودعكم والى ذوا كئاب * وارحل عنكم والقلب آبى
وان فراقكم فى كل حال * لأوحش من مفارقة الشباب
أسير ومادمت لكم جوارا * ولا مات منارلكم ركابى
وأشكر كلما أوطنت دارا * لياليها القصار لا اجتناب
وأذكركم اذا هبت جنوب * فتذكرنى تمرارات العصابى
لكم منى المودة فى اعتراب * وأنتم الف نفسى فى اغترابى

وهو أطول من هذا وأما بيض دو السعادات استوزره أبو كاليجار قال الملك أبا المعالى بن عبد الرحيم وفيها توفى أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المعروف بالمطرز الشاعر وله شعر جيد فى قوله فى الزهد

يا عبد كم لك من ذنب ومعصية * ان كنت ناسيها فالله أحصاها
لا بد يا عبد من يوم تقوم به * ووقفة لك يدمى القلب ذكراها
اذا عرضت على قلبى تذكرها * وساءنى فتلت استغفر الله

وفيها مات أبو الخطاب الحيلى الشاعر ومضى الى الشام ولقى المعرى وعاد نضيرا وله شعر منه قوله

ما حكم الحب فهو ممتثل * وما جناه الحبيب محتمل
تهوى وتشكو الهوى وكل هوى * لا يحمل الجسم فهو منفصل

وفيها توفى أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ ومولده سنه اثنتين وخمسين وثلثمائة سمع أبا بكر القطيعى وغيره ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ وفيها قتل الفقيه أحمد الولوالجى وهو من أعيان الفقهاء الحنفية الا انه كان يكثر الوقيعة فى الائمة والعلماء وسلك طريق الرياضة وفسد دماغه فقتل بين مرو وسرخس فى ذى الحجة

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

﴿ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه ونهوضه الى شهرزور﴾

قد ذكرنا فى السنة المتقدمة استيلاء أحمد بن الظاهر وزير ينال على شهرزور ومحاصرته قلعه تيرانشاه ولم يزل يحاصرها الى الآن فوقع فى عسكره الوباء وكثر الموت فأرسل الى صاحبه ينال يستمده ويطلب انجاده يعرفه كثرة الوباء عنده فأمره بالرحيل عنها فسار الى مايدشت فلما سمع مهلهل ذلك سير أحد أولاده الى شهرزور فقتلها وانزعج الغز الذين بالسير وان وحافوا ثم سار جمع من عسكر بغداد الى حلوان وحصروا قلعتها فلم يظفروا بها فمضوا لذلك الاعمال وتواعلى

بالطعام ثم قال لى صف لى الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل قلت أيكون ذلك منثورا أو منظوما قال لا بل منثورا

يقول فيها

بك الله حاط الدين وانتاش أهله
من الموقف الدحض الذى مثله يردى
فول ابنك العباس عهدك انه
له موضع واكتب الى الناس بالعهد
فان خلفته السن فالعقل بالغ
به رتبة الشيخ الموفق للرشد
فقد كان يحيى أوتى العلم قبله
صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

وقال أبو العباس المكى كنت أنادم محمد بن ظاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين فصار أيته فى وقت من الاوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل ظهور العلوى بالرى وذلك فى سنة خمسين ومائتين ولقد كنت عنده ليلة نتحدث والخمير واقدو الستر مسبل اذ قال كأنى أشتهى الطعام فما آكل قلت صدر دراج أو قطعة من جدى بارده قال ياغلام هات رغيفا وخلا وملحا فاكل من ذلك فلما كان فى الليلة الثانية قال يا أبا العباس كأنى جائع فما ترى أن آكل قلت ما أكلت له بارحة فقال أنت لا تعرف فرق ما بين الكلامين قلت البارحة كأنى أشتهى الطعام وقلت الليلة كأنى جائع وبينهما فرق فدعا

ماتخاف من الغز فخربت الاعمال بالكلية وسار بها هل ومعه أهله وأمواله الى بغداد فانزلهم بباب المراتب بدار الخلافة خوفا من الغز وعاد الى حلله وبينه وبين بغداد ستة فراسخ وسار جمع من عسكر بغداد الى البندنيجين وبها جمع من الغز مع عكبر بن أحمد بن عياض فتواقعوا واقتتلوا فانهزم عسكر بغداد وقتل منهم جماعة وأسر جماعة قتلوا أيضا صبرا

﴿ذكر غزو ابراهيم ينال الروم﴾

فى هذه السنة غزا ابراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك ان خلقا كثيرا من الغز عبروا وراء النهر قد مواعليه فقال لهم بلادى تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون اليه والرأى ان تمضوا الى غزو الروم وتجاهدوا فى سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعد لكم على أمركم ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا الى ملازكرد وأردن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحى كلها ولقيهم عسكر عظيم للروم والابخاز يبلغون خمسين ألفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فاكثروا القتل فى الروم وهزموهم وأسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم ومن أسر قاريط ملك الابخاز فبذل فى نفسه ثلثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجبه الى ذلك ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها الى ان بقى بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحى فنهبوها وغنموا ما فيها وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال مالا يقع عليه الاحصاء وقيل ان الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة وان فى جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع وكان قد دخل بلد الروم جمع من الغز يقدمهم انسان نسيب طغرلبك فلم يؤثر كبير أثر وقتل من أصحابه جماعة وعاد ودخل بعده ابراهيم ينال ففعل هذا الذى ذكرناه

﴿ذكر موت الملك أبى كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم﴾

فى هذه السنة توفى الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه رابع جمادى الاولى بمدينة جنابة من كرمان وكان سبب مسيره اليها انه كان قد عول فى ولاية كرمان حربا وخرابا على بهرام بن اشكرستان الديلمى وقرر عليه مالا فتراخى بهرام فى تحرير الامر وأخله الى المغالطة والمدافعة فشرع حينئذ أبو كاليجار فى اعمال الحيلة عليه وأخذ قلعة بردسير من يده وهى معقله الذى يحتمى به ويعول عليه فراسل بعض من بها من الاجناد وأفسدهم فعلم بهم بهرام فقتلهم وزاد نفوره واستشعاره وأظهر ذلك فسار اليه الملك أبو كاليجار فى ربيع الآخر فبلغ قصر مجاشع فوجد فى حلقه خشونة فلم يبال بها وشرب وتصيد وأكل من كبد غزال مشوى واشتدت علته ولحقه حمى وضعف عن الركوب ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل فحمل فى محفة على أعناق الرجال الى مدينة جنابة فتوفى بها وكان عمره أربعين سنة وشهورا وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرين وتيفا وعشرين يوما ولما توفى نهب الاتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدواب وانتقل ولده أبو منصور فرهاد ستون الى مخيم الوزير أبى منصور وكانت منفردة عن العسكر فاقام عنده وأراد الاتراك نهب الوزير والاسير فمنعهم الديلم وعادوا الى شيراز فملكها الامير أبو منصور واستشعر الوزير فصعد الى قلعة حرمة فامتنع بها فلما وصل خبر وفاته الى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز أحضر الجند واستحلفهم وراسل الخليفة القائم بأمر الله فى معنى الخطبة له وتلقيبه بالملك الرحيم

قلت أطيب الطعام ما لقى الجوع بطعم وافق شهوة قال فما أطيب الشراب قلت كأس مدام تبرد بها غليلك وتعافى بها خليلك قال فأى السماع أفضل قلت أوتار أربعة وجارية مترعة غناؤها عجيب وصوتها مصيب قال فأى الطيب أطيب قلت ريح حبيبة تحبه وقرب ولد تربه قال فأى النساء أشهى قلت من تخرج من عندها كارها وترجع اليها والها قال فأى الخيل أفره قلت الاشدق الاعين الذى اذا طلب سبق واذا طلب لحق قال أحسنت يا بشر أعطه مائة دينار قلت وأين تقع منى مائتا دينار قال أوقد زدت نفسك مائة دينار يا غلام أعطه المائة كما ذكرنا والمائة الاخرى لحسن ظنه بنا فانصرفت بمائتى دينار فما كان بين هذا الحديث وبين تنحيه من الرى الا جمعة * وكان المستعين حسن المعرفة بأيام الناس وأخبارهم لهجا باخبار الماضين (وحدث) محمد بن الحسن ابن دريد قال أخبرنى أبو البيضاء مولى جعفر الطيار وكان طيب الحديث قال وفدنا فى أيام المستعين من المدينة الى سامرا وفينا جماعة من آل أبى طالب وغيرهم من الانصار فالقنا ببابه نحوا من شهر ثم وصلنا اليه فكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس وابتدأ بذكر المدينة ومكة وأخبارهما وكنت اعرف الجماعة بما شرع فيه فقلت ايأذن أمير المؤمنين وترددت

وترددت الرسل بينهم فى ذلك الى ان أجيب الى ملتمسه سوى الملك الرحيم فان الخليفة امتنع من اجابته وقال لا يجوز ان يلقب بأخص صفات الله تعالى واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة وكان بابه مأوى أخوه أبو على بن أبى كاليجار وخلف أبو كاليجار ثلاثة الاولاد الملك الرحيم والامير أبا منصور فولاستون وأبا طالب كامرو وأبا المظفر بهرام وأبا على كيخسرو وأبا سعد خسروشاه وثلاثة بنين أصاغر فاستولى ابنه أبو منصور على شيراز فسير اليه الملك الرحيم أخاه أبا سعد فى عسكر فملكوا شيراز وخطبوا للملك الرحيم وقبضوا على الامير أبى منصور ووالدته وكان ذلك فى شوال

﴿ ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب ﴾

فى جمادى الآخرة وصلت عساكر مصر الى حلب فى جمع كثير فحصروها وبها معز الدولة أبو على وان ثمال بن صالح الكلابى فجمع جمعا كثيرا بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل فلما نزلوا على حلب خرج اليهم ثمال وقاتلهم قتالا شديدا صبر فيه لهم الى الليل ثم دخل البلد فلما كان الغد اقتتلوا الى آخر النهار وصبر أيضا ثمال وكذلك أيضا اليوم الثالث فلما رأى المصريون صبر ثمال وكانوا ظنوا أن احدا لا يقوم بين أيديهم رحلوا عن البلد فاتفق ان تلك الليلة جاء مطر عظيم لم ير الناس مثله فجاءت المدود الى منزلهم فبلغ الماء ما يقارب قامتين ولو لم يرحلوا لغرقوا ثم رحلوا الى الشام الاعلى

﴿ ذكر الخلف بين قرواش والاكراد الحميدية والهذبانية ﴾

فى هذه السنة اختلف قرواش والاكراد الحميدية والهذبانية وكان للحميدية عدة حصون تجاور الموصل منها العقر وما قاربها وللهذبانية قلعة اربل وأعمالها وكان صاحب العقر حينئذ أبا الحسن بن عيسكان الحميدى وصاحب اربل أبو الحسن بن موسك الهذبانى وله أخ اسمه أبو على بن موسك فاعانه الحميدى على أخذ اربل من أخيه أبى الحسن فملكها منه وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيرا وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل بالعراق مشغولين فلما عادا الى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها وأرسل قرواش يطلب من الحميدى والهذبانى نجدة له على نصر الدولة بن مروان فاما أبو الحسن الحميدى فسار اليه بنفسه وأما أبو على الهذبانى فارسل أخاه واصطلح قرواش ونصر الدولة وقبض على ابى الحسن الحميدى ثم صانعه على اطلاق أبى الحسن الهذبانى الذى كان صاحب اربل وأخذ اربل من أخيه أبى على وتسليمها اليه فان امتنع أبو على كان عونا عليه فاجاب الى ذلك ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه الى ان يتسلم اربل وأطلق من الحبس وكان أخ له قد استولى على قلاعه فخرج اليها وأخذها منه وعاد الى قرواش وأخيه زعيم الدولة فوثقا به وأطلقا أهله ثم انه راسل أبا على صاحب اربل فى تسليمها فاجاب الى ذلك وحضر بالموصل ليسلم اربل الى أخيه أبى الحسن فقال الحميدى لقرواش وأخيه انى قد وفيت بعهدى فتسلما الى حصونى فسلما اليه قلاعه وسار هو وأبو الحسن وأبو على الهذبانى الى اربل ليسلماها الى أبى الحسن فغدر به فى الطريق وكان قد أحس بالشر فتخلف عنهما وسير معهما أصحابه ليتسلموا اربل فقبضا على أصحابه وطلبوه ليقبضوه فهرب الى الموصل وتأكدت الوحشة حينئذ بين الاكراد وقرواش وأخيه وتقاطعوا واضمر كل منهم الشر لصاحبه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

انصرفنا وافيم لنا الا نزال
والا قصال فلما كان فى أول
الليل أتانا خادم ومعه عدة
من الاتراك فرسان تحمات
على جنيبة كانت معهم
وأتى بى الى المستعين فاذا
هو جالس فى الجوسق
فقربنى وأدنانى ثم أخذ بعد
آن أنسنى فى أخبار
العرب وأيامها وأهل
التقدم فانتهى بنا الكلام
الى أخبار العذريين
والمتيمين فقال ما عندك
من أخبار عروة بن حزام
وما كان منه مع عفراء فقلت
يا أمير المؤمنين ان عروة بن
حزام لما انصرف من عند
عفراء بنت عقال توفى
وجدابها وصبابة اليها
فمر به ركب فعرفوه فلما
انتهوا الى منزل عفراء صاح
صائح منهم
ألا أيها القصر المغفل اهله
نعينا اليكم عروة بن حزام
ففهمت صوته وأشرفت
عليه وقالت
ألا أيها الركب المجدون
و يحكم
بحق نعيتم عروة بن حزام
فأجابها رجل من القوم فقال
نعم قد تركناه بارض بعيدة
مقيما بها فى سبسب واكام
فقالت لهم
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا
بان قد نعيتم بدر كل ظلام
ولا فرحت من بعده بغلام

فلا لاقى الفتيان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام ولا وضعت أنثى شريفا كمثله

في هذه السنة سار الملك الرحيم من بغداد الى خوزستان يلقيه من بها من الجند وأطاعوه فيهم كرشاسف بن علاء الدولة الذى كان صاحب همذان وكنكور فانه كان انتقل الى الملك أبى كاليجار بعد ان استولى بنال على أعماله ولما مات أبو كاليجار سار الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة الى البصرة طمعا فى ملكها فلقيه من بها من الجند وقاتلوه وهزموه فعاد عنها وكان قبل ذلك عند قرواش ثم عند بنال ولما استقام باستقامة الامور للملك الرحيم انقطع امله ولما سار الملك الرحيم عن بغداد كثرت الفتن بها ودامت بين أهل باب الازج والاساكنة وهم السنية فاحرقوا عقارا كثيرا وفيها سار سعدى بن أبى الشوك من حلة دبيس بن مزيد الى ابراهيم بنال بعد ان راسله ووثق منه وتقرر بينهما انه كل ما يملكه سعدى مما ليس بيد بنال ونوابه فهو له فسار سعدى الى الدسكرة وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداد حرب انهزموا منه وملكها وما يليها وسير اليها عسكرتان من بغداد فقتل مقدمهم وهزمهم وسار من الدسكرة وتوسط تلك الاعمال بالسرب من بعقوبا ونهب أصحابه البلاد وخطبوا لابراهيم بنال وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قرواش بن المقلد وبين أخيه زعيم الدولة أبى كامل بن المقلد فانضاف قرواش بن بدران ابن المقلد الى عمه قرواش وجمع جمعا وقاتل عمه أبا كامل فظفر ونصر وانهزم أبو كامل ولم يزل قريش يغرى قرواشا باخيه حتى تأكدت الوحشة وتفاقم الشر بينهما وفيها خطب للامير أبى العباس محمد بن القائم بامر الله بولاية العهد ولقب ذخيرة الدين وولى عهد المسلمين وفيها فى رمضان قتل الامير أقسنقر بهمذان قتله الباطنية لانه كان كثير الغزو اليهم والقتل فيهم والنهب لاموالهم والتخريب لبلادهم فلما كان الآن قصد انسانا من الزهاد ليقتله فوثب عليه جماعة من الاسماعيلية فقتلوه وفيها توفى أبو الحسن محمد بن الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله وكان من الصالحين ورواة الحديث وأوصى ان يدفن بجوار أحمد بن حنبل ومولده سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأبو طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز ومولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة روى عن أبى بكر الشافعى وغيره وتوفى فى شوال وهو راوى الاحاديث المعروفة بالغيلانيات التى خرجها الدارقطنى له وهى من أعلى الحديث واحسنه وعبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان بو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ومولده سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وفيها كان الغلاء وطوبه عاما فى البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد وفيها قبض بمصر على الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف وقتل وكان أول أمره يهوديا فاسلم واتصل بالدزبرى وخدمه بالشام ثم خافه فعاد الى مصر وخدم الجرجرائى الوزير ونمى عليه فلما توفى الجرجرائى استوزره المستنصر الى الآن ثم قتله واستوزر القاضى أبا الحسن بن عبد الرحمن اليازورى فى ذى القعدة

ثم دخلت سنة احدى وأربعين وأربعمائة

ذكر ظهور الخلاف بين قرواش وأخيه أبى كامل وصلحهما

فى هذه السنة ظهر الخلاف بين معتمد الدولة قرواش وبين أخيه زعيم الدولة أبى كامل ظهورا آل الى المحاربة وقد تقدم سبب ذلك فلما اشتد الامر وفسد الحال فساد لا يمكن اصلاحه جمع كل منهما جمعا لمحاربة صاحبه وصار قرواش فى المحرم وعبر دجلة بنواحى بلد وجاءه سليمان بن نصر الدولة بن مروان وأبو الحسن بن عيسكان الحميدى وغيرهما من الاكراد وساروا الى معلثايا فاخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمغيثة وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيب فنزلوا

ولا لا بالغتم حيث وجهتم له
قالت أنزلونى فانى أريد
قضاء حاجة فأنزلوها
فانسلت الى قبره فاكبت
عليه فصاروا عهم الاصوتها
فلما سمعوه بادروا اليها
فاذا هى ممتدة على القبر
قد حرجت نفسها فدفنوها
الى جانب قبره قال فقال لى
فهل عندك من خبره غير
ماذكرت قلت نعم يا أمير
المؤمنين هذا ما أخبرنا به
مالك بن الصباح العدوى
عن الهيثم بن عدى بن
عروة عن أبيه قال بعثنى
عثمان بن عفان مصدقا
بنى عذرة فى بلادهم فاتى
يقال لهم بنو منبذه فاذا
ببيت جديد مضاش عن
الحى فاتيت اليه فاذا بشاب
قائم فى ظل البيت واذا
عجوز جالسة فى كسر البيت
فلما رآنى ترنم بصوت
ضعيف يقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجدان هما شفيانى
فقالا نعم نشفى من الداء كله
وفاما مع العوادى يبتدران
فحاتر كلى رقية يعرفانها
ولا شربة الا بها سقيانى
وقالا نشدك الله والله مالنا
بما حملت منك الضلوع يدان
فلهفى على عفراء لهفا كانه
على الخمر والاحشاء حدثان
فعفراء أحظى الناس عندى
مودة وعفراء فى المعرض المتدانى وانى لاهوى الحشر ادقيل اننى

كفراء يوم الحشر متقيان بمرج

يمرج بانيتا وبين الطائفتين نحو فرسخ واقتتلوا يوم السبت ثانى عشر المحرم وافترقوا من غير ظهر ثم اقتتلوا يوم الاحد كذلك ولم يلابس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحية ووافقه أبو الحسن الحميدى وساروا عن قرواش وفارقه جمع من العرب وقصدوا أخاه فضعف أمر قرواش وبقى فى حلقه وليس معه الا نفر يسير فركبت العرب من أصحاب أبى كامل لتصدهم فعبروا نهر الصمح يوم الاثنين وقد تسرع بعضهم وذهب بعضهم من عرب قرواش وجاء أبو كامل الى قرواش واجتمع به ونقله الى حلقه واحسن عشرته ثم انفذه الى المرصل محجورا عليه وجعل معه بعض زوجاته فى دار وكان مما فات فى عضد قرواش وأضعف نفسه انه كان قد قبض على قوم من الصيادين بالانبار لسوء طريقهم وفسادهم فهرب الباقون منهم وبقى بعضهم بالسندية فلما كان الآن سار جماعة منهم الى الانبار وتسلقوا السور ليلة خامس المحرم من هذه السنة وقتلوا حارسا وفتحوا الباب وناد وا بشعار أبى كامل فانضاف اليهم اهلوهم واصدقاؤهم ومن له هوى فى أبى كامل فكثروا وثاروا بهم أصحاب قرواش فافتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدولة قرواش جماعة وهرب الباقون فبلغه خبر استيلاء أحيد ولم يبلغه عود أصحابه ثم ان المير وامراء العرب كلموا أبا كامل يحجزعنه و شنطوا عليه فخاف ان يزل الامر بهم الى طاعة قرواش واعادته الى مملكته بمادرهم اليه وقبل يده وقال له انى وان كنت أخاك فانى عبدك وما جرى هذا الا بسبب من أعتمد رأيك فى واشمرك الوحشة منى والآن فانت الامير وأنا لك طائع لامرك والتابع لك فقال له قرواش بل أنت الاخ والامير لك مسلم فأنت أقوم به منى وصلح الحال بينهما وعاد قرواش الى التصرف على حكم اختياره وكان أبو كامل قد أقطع بلال بن غريب بن مقن حربى وأوانا فلما اصطلح بو كامل وقرواش ارسلا الى حربى من منع بلالا عنهما فقاطاهر بلال بالخلاف عليهما وجمع الى نفسه جمعا وقاتل أصحاب قرواش أحد حربى وأوانا بغير اختيارهما فحذر قرواش من الوصول اليها وحصرها واخذها

﴿ذكر مسير الملك الرحيم الى شيراز وعوده عنها﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار الملك الرحيم من الاهواز الى بلاد فارس فوصلها وخرج عسكر شيراز الى خدمته ونزل بالقرب من شيراز ليدخل البلد ثم ان الاتراك الشيرازيين والبغداديين اختلفوا وجرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداديون وعادوا الى العراق فاضطر الملك الرحيم الى المسير معهم لانه لم يكن يثق الى الاتراك الشيرازية وكان ديلم بلاد فارس قد مالوا الى أخيه قولاستون وهو بقلعة اصطخر فهو أيضا منحرف عنهم فاضطر الى صحبة البغداديين فعاد فى ربيع الاول من هذه السنة الى الاهواز وقام بها واستخلف بارجان أخويه أبا سعد وأبا طالب ووقع الخلف بفارس فان الامير أبا منصور قولاستون كان قد خلص وصار بقلعة اصطخر واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر الفارسى فلما عاد الملك الرحيم الى الاهواز انبسط فى البلاد وقصده كثير من العساكر واستولى على بلاد فارس ثم سار الى أرجان عازما على قصد الاهواز وأخذها

﴿ذكر الحرب بين البساسيرى وعقيل﴾

فى هذه السنة سار جمع من بنى عقيل الى بلد البهم من أعمال العراق وبادوريا فنهبوها وأخذوا من الاموال الكثير وكانا فى اقطاع البساسيرى فسار من بغداد بعد عوده من فارس اليهم فالتقوا هم وزعيم الدولة أبو كامل بن المقلد واقتتلوا قتالا شديدا أبلى الفريقان فيه بلاء حسنا وصبرا جميلا وقتل جماعة من الفريقين

ألا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت فى وجهه فاذا هو قد مات فقلت

أيتها العجوز ما أظن هذا نائم بفناء بيتك لانقدمات قالت وأنا والله أظن ذلك فنظرت فى وجهه وقالت فاض ورب الكعبة فقلت من هذا فقالت عروة بن حزام العذرى وأنا أمه والله ما سمعت له أنة من سنة الا فى صدر يومى هذا فانى سمعته يقول

من كان من أمهات باكيا أبدا فاليوم انى أرانى فيه مقبوصا تسمعيه فانى غير سامعه اذا علوت رقاب القوم مغروضا

قال فأقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه قال فقلت لعثمان وما دعاك الى ذلك قال اكتساب الاجر فيه والله قال فوصل الجماعة وفصلنى عليهم فى الجائزة (قال المسعودى) ولمن سلف من المتيمين أخبار عجيبة وأشعار حسان فمن ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى القاضى قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى قال أخبرنى أبو الهياج بن سابق العبدى ثم الثقفى قال خرجت الى أرض بنى عامر لاشئ الا للقاء المجنون فاذا أبوه شيخ كبير واذا اخوته رجال واذا نعم ظاهرة وخير كثير فسألتهم عن المجنون فاستعبروا وقال الشيخ كان والله أبر هو لاء عندى فهوى امرأة من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله فلما عرف أمره وأمرها كره أبوها أن

فرقى هذه الفيافى يذهب اليه فى كل يوم بطعامه فيوضع له بحيث يراه فاذا عاينه جاء فأكل واذا خلقت ثيابه جاؤه بثياب فوضعت بحيث يراها فسألتهم أن يدلونى عليه فدلونى على فتى من الحى وقالوا انه لم يزل صديقا له وليس يأنس بأحد سواه فسألته أن يدانى عليه فقال ان كنت تريد شعره فكل شعره عندى الى أمس وأنا ذاهب اليه غدا فان كان قد ذكر شيأ أتيتك به قلت أريد أن تدانى عليه قال ان رآك يفر منك وأخاف أن يذهب منى فيما بعد فيذهب شعره فأبيت الا أن يدانى فقال اطلبه فى هذه الصحراء فاذا رأيته فادن منه مستأنسا فانه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشئ فى يده فاجلس كأنك لا تنظر اليه والحظه فاذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن الذريح شيأ فانه معجب به قال فخرجت اليه يوما فوجدته بعد العصر جالسا على تل يخط باصبعه خططا فدنوت منه غير منقبض ففروا لله كما يفر الوحش من الانسان والى جانبه أحجار فتناول منها واحدا فأقبلت حتى جلست قريبا منه فمكثت ساعة وهو كأنه نافر فلما طال جلوسى سكن وأقبل يعبث بأصبعه فنظرت اليه وقلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول عارضه

﴿ (ذكر الوحشة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال) ﴾

فى هذه السنة استوحش ابراهيم ينال من أخيه السلطان طغرلبك وكان سبب ذلك ان طغرلبك طلب من ابراهيم ينال ان يسلم اليه مدينة همذان والقلاع التى بيده من بلد الجبل فامتنع من ذلك واتهم وزيره أبا على بالسعى بينهما فى الفساد فقبض عليه وأمر به فضرب بين يديه وسمل احدى عينيه وقطع شفتيه وسار عن طغرلبك وجمع جمعا من عسكره والتقيا وكان بين العسكرين قتال شديد انهزم فيه ينال وعاد منهزما فسار طغرلبك فى أثره فملك قلاعه وبلاده جميعها وتحصن ابراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه فحصره طغرلبك فيها وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر وقاتله فملكها فى أربعة أيام وهى من أحصن القلاع وأمنعها واستنزل ينال منها مقهورا وأرسل الى نصر الدولة بن مروان يطلب منه اقامة الخطبة له فى بلاده فاطاعه وخطب له فى سائر ديار بكر وراسل ملك الروم طغرلبك وأرسل اليه هدية عظيمة وطلب منه المعاهدة فاجابه الى ذلك وأرسل ملك الروم الى ابن مروان يسأله ان يسعى فى فداء ملك الابخاز المقدم ذكره فارسل نصر الدولة شيخ الاسلام أبا عبد الله بن مروان فى المعنى الى السلطان طغرلبك فاطلقه بغير فداء فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم وأرسل عوضه من الهدايا شيأ كثيرا وعمر وا مسجد القسطنطينية وأقاموا فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك ودان حينئذ الناس كلهم له وعظم شأنه وتمكن ملكه وثبت ولما نزل ينال الى طغرلبك أكرمه وأحسن اليه وردد عليه كثيرا مما أخذ منه وخيره بين ان يقطعه بلادا يسيرا اليها وبين ان يقيم معه فاختار المقام معه

﴿ (ذكر الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط) ﴾

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين نور الدولة دبيس بن مزيد وبين الاتراك الواسطيين وسبب ذلك ان الملك الرحيم أقطع نور الدولة حماية نهر الصلة ونهر الفضل وهما من اقطاع الواسطيين فسار اليها وواليها فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوه واجتمعوا وساروا الى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنها وأرسلوا اليه يتهددونه فأعاد الجواب يقول ان الملك اقطعنى هذا فنرسل اليه أنتم فبأى شئ أمر رضينا به فسبوه وساروا مجدين اليه فارسل الى طريقهم طائفة من عسكره فلقوهم وكمن لهم فلما التقوا استجرهم العرب الى ان جاوزوا الكمين وخرج عليهم الكمين فاوقعوا بهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وأسروا كثيرا وجرح مثلهم وتمت الهزيمة على الواسطيين وغنم نور الدولة أموالهم ودوابهم وساروا الى واسط فنزلوا بالقرب منها وأرسل الواسطيون الى بغداد يستنجدون جندها ويبذلون للبساسيرى ان يدفع عنهم نور الدولة ويأخذ نهر الصلة ونهر الفضل لنفسه

﴿ (ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبد الرشيد) ﴾

فى هذه السنة فى العشرين من رجب توفى أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وعمره تسع وعشرون سنة وملكه تسع سنين وعشرة أشهر وكان موته بغزنة وكان قد كاتب أصحاب الاطراف فى سائر البلاد ودعاهم الى نصرته وامداده بالعساكر وبذل لهم الاموال الكثيرة وتفويض أعمال خراسان ونواحيها اليهم على قدر مراتبهم فاجابوا الى ذلك منهم أبو كاليجار صاحب اصبهان فانه جمع عساكره وسار فى المفازة فهلك كثير من عسكره ومرض وعاد ومنهم خاقان ملك الترك فانه سار الى ترمذ ونهب وخرب وصادر أهل تلك الاعمال وسارت طائفة أخرى تحت أمره الى خوارزم وسار مودود من غزنة فلم يسر غير مرحلة واحدة حتى

عارضه قولنج اشتد عليه فعاد الى غزنة مريضا وسير وزيره أبا الفتح عبد الرزاق بن أحمد الميندى الى سجستان فى جيش كثيف لاخذها من الغز واشتدت العلة بمودود فتوفى وقام فى الملك بعده ولده فبقى خمسة أيام ثم عدل الناس عنه الى عمه على بن مسعود وكان مودود لما ملك قبض على عمه عبد الرشيد بن محمود وسجنه فى قلعة ميدين بطريق بست فلما توفى كان وزيره قد قارب هذه القلعة فنزل عبد الرشيد الى العسكر ودعاهم الى طاعته فاجابوه وعاد معه الى غزنة فلما قاربها هرب عنها على بن مسعود وملك عبد الرشيد واستقر الامر له ولقب شمس دين الله سيف الدولة وقيل جمال الدولة ودفع الله شر مودود عن داود وهذه السعادة التى تقتل الاعداء بغير سلاح ولا أجناد

﴿ذكر استيلاء البساسيرى على الانبار﴾

فى هذه السنة أيضا فى ذى القعدة ملك البساسيرى الانبار ودخلها أصحابه وكان سبب ملكها ان قروانا أساء السيرة فى أهلها ومتديه الى أموالهم فسار جماعة من أهلها الى البساسيرى ببغداد وسألوه ان ينفذ معهم عسكرا يسلمون اليه الانبار فاجابهم الى ذلك وسير معهم جيشا فتسلموا الانبار ولحقهم البساسيرى وأحسن الى أهلها وعدل فيهم ولم يمكن أحدا من أصحابه ان يأخذ الرطل الخبز بغير ثمنه وأقام فيها الى أن أصلح حالها وقرر قواعدها وعاد الى بغداد

﴿ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس﴾

فى هذه السنة عاد الملك الرحيم من الاهواز الى رامهرمز فى ذى القعدة فلما وصل الى وادى الملح لقيه عسكر فارس واقتتلوا قتالا شديدا فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره وانهزم هو وجميع العسكر ووصل الى بصنى ومعه اخواه أبو سعد وأبو طالب وسار منها الى واسط وسار عسكر فارس الى الاهواز فملكوها وخيموا بظاهرها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها وصل عسكر من مصر الى حلب وبها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس فخافهم لكثرتهم فانصرف عنها فملكها المصريون وفيها فى ذى القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلا فزادت ظلمتها على ظلمة الليل وظهر فى جوانب السماء كالنار المضطرمة وهبت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة وشاهد الناس من ذلك ما أزعجهم وخوفهم فلزموا الدعاء والتضرع فانكشفت فى باقى الليل وفيها فى شعبان سار البساسيرى من بغداد الى طريق خراسان وقصد ناحية الدزدار وملكها وغنم ما فيها وكان سعدى بن أبى الشوك قد ملكها وقد عمل لها سورا وحصنها وجعلها معقلا يتحصن فيه ويدخر بها كل ما يغنمه فاخذه البساسيرى جميعه وفيها منع أهل الكرخ من النوح وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشر بينهم حتى عبر الاتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ ثم شرع أهل الكرخ فى بناء سور على الكرخ فلما رآهم السنية من القلائين ومن يجرى مجراهم شرعوا فى بناء سور على سوق القلائين وأخرج الطائفتان فى العمارة مالا جليلا وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الاسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى فاقاموا به وتقدم الخليفة الى أبى محمد بن النسوى بالعبور واصلاح الحال وكف الشر فمنع أهل الجانب الغربى ذلك فاجتمع السنية والشيعة على

وما كنت أخشى أن تكون منيتى
بكفى الا أن ما حان حائن
قال فبكى والله حتى سالت دموعه ثم قال أنا والله أشعر منه حيث أقول
أبى القلب الا حبها عامرية
لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها
وينبت فى اطرافها الورق الخضر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة
ويا سلوة الايام موعدك الحشر
قال ثم نهض فانصرفت ثم عدت من الغد فاصبته فعملت فعلى بالامس وفعل مثل فعله فلما أنس قلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول قال ماذا قلت
هبونى امرأ ان تحسنوا فهو شاكر
لذاك وان لم تحسنوا فهو صافح
فان يك قوم قد أشاروا بهجرنا
فان الذى بينى وبينك صالح
قال فبكى وقال أنا والله أشعر منه حيث أقول
وأدنيتنى حتى اذا ما سبيتنى
بقول يحل العصم سهل الاباطح
ثم ظهرت لنا طيبة فوثب

تجافيت عنى حيث مالى حيلة *وخلفت ما خلفت بين الجوانح

في أثرها فانصرفت ثم عدت في اليوم الثالث فلم أصادفه فرجعت فاخبرتهم فوجهوا الذي كان يذهب بطعامه فرجع وأخبرهم ان الطعام على حاله ثم غدوت مع اخوته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا أصبناه في وادكثيرا لحارة وادا هو ميت فاحتملناه اخوته ورجعت الى بلدي (قال) وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا الكبير التركي وقد نيف على التسعين سنة وقد كان باشر من الحروب مالم يباشره أحد فما أصابته جراحة قط وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده وضم اليه أصحابه وجعلت له قيادته وكان بغا دينا بين الاتراك وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه فيخرج منها سالما ويقول الاجل جوشن ولم يكن يلبس على بدنه شيأ من الحديد فعذل في ذلك فقال رأيت في نومي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه فقال لي يا بغا أحسنت الى رجل من أمتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك قال فقلت يارسول الله ومن ذلك الرجل قال الذي خلصته من السباع فقلت يارسول الله سل ربك أن يطيل عمري فرفع يديه نحو السماء وقال اللهم أطل عمره وأنم أجله فقلت يارسول الله خمس وتسعون سنة فقال رجل كان بين يديه ويوفى من الآفات فقلت للرجل من أنت قال أنا علي بن أبي طالب فاستيقظت في

المنع منه وأدنوا في الفلائين وغيرها يحي على خير العمل وأدنوا في الكرخ الصلاة خير من النوم وأظهروا الترحم على الصحابة فطال عموره وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري الحافظ كان اماما صحب عبد الغني بن سعيد وتخرج به ومن تلامذته الخطيب أبو بكر وفيها توفي الملك العزيز أبو بكر منصور بن جلال الدولة وقد ذكرنا تنقل الاحوال به فيما تقدم وله شعر حسن وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن العتيقي نسب الى جده لانه يسمى عتيقا ومولده سنة سبع وستين وثلثمائة وفيها توفي أبو القاسم عبد الوهاب بن القاضي أبي الحسن الماوردي وكانت شهادته سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقبلها القاضي في بيت النوبة ولم يفعل ذلك مع غيره وانما فعل معه هذا احتراما لابيه

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك طغرلبك اصبهان﴾

كان أبو منصور بن علاء الدولة صاحب اصبهان غير ثابت على طريقة واحدة مع السلطان طغرلبك كان يكثر التلون معه تارة يطيعه ويحاز اليه وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرحيم فاضمر له طغرلبك سوأ فلما عاد هذه الدفعة من خراسان لاخذ البلاد الجبلية من أخيه ابراهيم ينال واستولى عليها على ماذكرناه عدل الى اصبهان عازما على أخذها من أبي منصور فسمع ذلك فتحصن ببلده واحتمى باسواره ونازله طغرلبك في المحرم وأقام على محاصرته نحو سنة وكثرت الحروب بينهما الان طغرلبك قد استولى على سواد البلد وأرسل سرية من عسكره نحو فارس فبلغوا الى البيضاء فاغاروا على السواد هناك وعادوا غانمين ولما طال الحصار على اصبهان وأخرب أعمالها ضاق الامر بصاحبها وأهلها وأرسلوا اليه يبذلون له الطاعة والمال فلم يجبهم الى ذلك ولم يقنع منهم الا بتسليم البلد فصبروا حتى نفدت الاقوات وامتنع الصبر وانقطعت المواد واضطر الناس حتى نقضوا الجامع وأخذوا أخشابه لشدة الحاجة الى الحطب فحينئذ بلغ بهم الحال الى هذا الحد خضعوا له واستكانوا وسلموا البلد اليه فدخله وأخرج أجناده منه وأقطعهم في بلاد الجبل وأحسن الى الرعية وأقطع صاحبها أبا المنصور باحيتي يزدوابرقوية وتمكن من اصبهان ودخلها في المحرم من سنة ثلاث وأربعين واستطابها ونقل ما كان له بالري من مال وذخائر وسلاح اليها وجعلها دار مقامه وخرب قطعة من سورها وقال انما يحتاج الى الاسوار من تضعف قوته فاما من حصنه عساكره وسيفه فلا حاجة له اليها

﴿ذكر عود عساكر فارس من الاهواز وعود الرحيم اليها﴾

في هذه السنة في المحرم عادت عساكر فارس التي مع الامير أبي منصور صاحبها عن الاهواز الى فارس وسبب هذا العود ان الاجناد اختلفوا وشغبوا واستطالوا وعاد بعضهم الى فارس بغير أمر صاحبهم وأقام بعضهم معه وسار بعضهم الى الملك الرحيم وهو بالاهواز يطلبونه ليعود اليهم فعاد فيمن عنده من العساكر وأرسل الى بغداد يأمر العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم الى فارس فلما وصل الى الاهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة وأخبروه بطاعة عساكر فارس وانهم ينتظرون قدومه فدخل الاهواز في شهر ربيع الآخر فتوقف بالاهواز ينتظر عساكر بغداد ثم سار عنها الى عسكر مكرم فملكها وأقام بها

﴿ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى استولى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش وحجر عليه ومنعه من التصرف على اختياره وسبب ذلك ان قرواشا كان قد انف من تحكم أخيه في البلاد وانه قد صار لا حكم له فعمل على الانحدار الى بغداد ومفارقة أخيه وسار على الموصل فشق ذلك على بركة وعظم عنده ثم أرسل اليه نفرا من أعيان أصحابه يشيرون عليه بالعود واجتماع الكلمة ويحذرونه من الفرقة والاختلاف فلما بلغوه ذلك امتنع عليهم فقالوا أنت ممنوع عن فعلك والرأي لك القبول والعود ما دامت الرغبة اليك فعلم حينئذ انه يمنع قهرا فاجاب الى العود على شرط ان يسكن دار الامارة بالموصل وسار معهم فلما قارب حلة أخيه زعيم الدولة لقيه وأنزله عنده فهرب أصحابه وأهله خوفا فامنهم زعيم الدولة وحضر عنده وخدمه وأظهر له الخدمة وجعل عليه من يمنعه من التصرف على اختياره

﴿ ذكر استيلاء المعز على مدينة فسا ﴾

وفيها في جمادى الاولى سار الملك ألب ارسلان بن داود أخي طغرلبك من مدينة مرو بخراسان وقصد بلاد فارس في المفازة فلم يعلم به أحد ولا أعلم عمه طغرلبك فوصل الى مدينة فسا فانصرف النائب بها من بين يديه ودخلها ألب ارسلان فقتل من الديلم بها ألف رجل وعددا كثيرا من العامة ونهبوا ما قدره ألف ألف دينار وأسروا ثلاثة آلاف انسان وكان الامر عظيما فلما فرغوا من ذلك عادوا الى خراسان ولم يلبثوا خوفا من طغرلبك ان يرسل اليهم ويأخذ ما غنموه منهم

﴿ ذكر استيلاء الخوارج على عمان ﴾

في هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عمان على مدينة تلك الولاية وسبب ذلك ان صاحبها الامير أبا المظفر ابن الملك أبي كاليجار كان مقيما بها ومعه خادم له قد استولى على الامور وحكم على البلاد وأساء السيرة في أهلها فاخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه وعرف انسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصد المدينة فخرج اليه الامير أبو المظفر في عساكره فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا الى موضعهم وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ثم سار ثانيا وقاتله الديلم فاعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم فانهزم الديلم وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيرا من الديلم وقبض على الامير أبي المظفر وسيره الى جباله مستظهرا عليه وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الاعمال وأخرب دار الامارة وقال هذه أحق دار بالخراب وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على رفع عشر ما يرد اليهم وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولبس الصوف وبنى موضعا على شكل مسجد وقد كان هذا الرجل تعرك أيضا أيام أبي القاسم بن مكرم فسير اليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه

﴿ ذكر دخول العرب الى افريقية ﴾

في هذه السنة دخلت العرب الى افريقية وسبب ذلك ان المعز بن باديس كان خطب للقائم بامر الله الخليفة العباسي وقطع خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة فلما فعل ذلك كتب اليه المستنصر العلوي يتهدده فاغلظ المعز في الجواب ثم ان المستنصر استوزر الحسن بن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة انما كان من أهل النباتة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوري بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع الى ما يحب فاكثر الوقيعة في المعز وأغرى به المستنصر وشرع في

من نومي وأنا أقول علي بن أبي طالب وكان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له من كان ذلك الرجل الذي خلصته من السباع قال كان أتى المعتصم برجل قد رمى ببدعة فحبرت بينهم في الليل مخاطبة في خلوة فقال لي المعتصم خذه وألقه الى السباع فاتيت بالرجل الى السباع لالقيه اليها وأنا مغتاظ عليه فسمعته يقول اللهم انك تعلم ما تكلمت الا فيك ولم أرد بذلك غيرك وتقربا اليك بطاعتك واقامة الحق على من خالفك أفتسلمني قال فارتعدت ودخلتني له رقة وملئ قلبي له رعبا فجذبته عن طرف بركة السباع وقد كدت أن أزج به فيها وأتيت به حجرتي فاخفيته فيها وأتيت المعتصم فقال هيه قلت ألقيته قال فما سمعته يقول قلت انا عجمي وهو يتكلم بكلام عربي ما أدري ما يقول وقد كان الرجل اغلظ فلما كان في السحر قلت للرجل قد فتحت الابواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسي ووقيتك بروحي فاجهد أن لا تظهر في أيام المعتصم قال نعم قلت فما خبرك قال هجم رجل من عماله في بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور وامانة الحق ونصر الباطل فسرى ذلك الى فساد الشريعة وهدم التوحيد فلم أجد عليه ناصرا فوثبت عليه في ليلة فقتلته لان جرمه كان يستحق به في الشريعة أن يفعل به ذلك (قال المسعودي) ولما انحدر المستعين

ارسال العرب الى العرب فاصلحوا بنى زغبة ورياح وكان بينهم حروب وحقود وأعطوهم مالا وأمروهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد فدخلت العرب الى افريقية وكتب الياز ورى الى المعز أما بعد فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا فلما حلوا أرض برقة وماوالاها وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الاهل لان زناتة كانوا أهلها فابادهم المعز فاقامت العرب بها واستوطنتها وعاثوا فى اطراف البلاد و بلغ ذلك المعز فاحتقرهم وكان المعز لما رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد وأوسع لهم فى العطاء فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك وكانت العرب زغبة قد ملكت مدينة طرابلس سنة ست وأربعين فتتابعت رياح والاسبج و بنو عدى الى افريقية وقطعوا السبيل وعاثوا فى الارض وأرادوا الوصول الى القيروان فقال مؤنس بن يحيى المرادى ليس المبادرة عندى برأى فقالوا كيف تحب ان تصنع فاخذ بساطا فبسطه ثم قال لهم من يدخل الى وسط البساط من غير أن يمشى عليه قالوا لا نقدر على ذلك قال فهكذا القيروان خذوا شيأ فشيأ حتى لا يبقى الا القيروان فخذوها حينئذ فقالوا انك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمرا دونك ثم قدم امراء العرب الى المعز فاكرمهم و بذل لهم شيأ كثيرا فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الاحسان بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الامر وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم وزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط فحينئذ احتفل المعز وجمع عساكره فكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلها رجالة وسار حتى أتى جندران وهو جبل بينه و بين القيروان ثلاثة أيام وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم فقال لهم مؤنس بن يحيى ما هذا يوم فرار فقالوا أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكدادات والمغافر قال فى أعينهم فسمى ذلك اليوم يوم العين والتحم القتال واشتدت الحرب فانهزمت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم و يقتل أكثرهم فعند ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجة وثبت العبيد مع المعز فكثر القتل فيهم قتل منهم خلق كثير وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة وقتل من صنهاجة أمة عظيمة ودخل المعز القيروان مهزوما على كثرة من معه وأخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره وفيه يقول بعض الشعراء

وان ابن باديس لافضل مالك * ولكن لعمرى ما لديه رجال
ثلاثون ألفا منهم غلبتهم * ثلاث آلاف ان ذا لمحال

ولما كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعز سبعة وعشرين ألف فارس وسار الى العرب جريدة وسبق خبره وهجم عليهم وهم فى صلاة العيد فركبت العرب خيولهم وحملت فانهزمت صنهاجة فقتل منهم عالم كثير ثم جمع المعز وخرج بنفسه فى صنهاجة وزناتة فى جمع كثير فلما أشرف على بيوت العرب وهو قبلى جبل جندران انتشب القتال واشتعلت نيران الحرب وكانت العرب سبعة آلاف فارس فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم الى منزله وانهزمت زناتة وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتا عظيما لم يسمع بمثله ثم انهزم وعاد الى المنصورية وأحصى من قتل من صنهاجة ذلك اليوم فكانوا ثلاثة آلاف وثلثمائة ثم أقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان

يسألونه الرجوع الى دار ملكه فصار اليه عدة من وجوه الموالى ومعهم البرد والقضيب و بعض الخزائن ومائتا ألف دينار و يسألونه الرجوع الى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطئهم وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم الى شئ من ذلك مما أنكره عليهم وتذللوا وخضعوا فاجيبوا بما يكرهون وانصرفوا الى سر من رأى فاعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم وايأسهم من رجوع الخليفة وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدرا الى بغداد ولم يأخذهما معه وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فأخذه معه ثم انه هرب منه مع رجال الحرب فاجمع الموالى على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد فأنزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين وركب من ذلك اليوم الى دار العامة فأخذ البيعة على الناس وخلع على أخيه المؤيد وعقد له عقدين اسود وأبيض فكان الاسود لولاية العهد بعده والابيض لولاية الحرمين وتقلدهما وانبثت ووقعت

ووقعت الحرب فقتل من المنصورية وزقادة خلق كثير فلما رأى ذلك المعز أباحهم دخول القيروان لما يحتاجون اليه من بيع وشراء فلما دخلوا استطالت عليهم العامة ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين انسان عربى وآخر عامى وكانت الغلبة للعرب وفى سنة أربع وأربعين بنى سور زويلة والقيروان وفى سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة وأشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب وشرعت العرب فى هدم الحصون والقصور وقطعوا الثمار وخربوا الانهار وأقام المعز والناس ينتقلون الى المهدية الى سنة تسع وأربعين فعندها انتقل المعز الى المهدية فى شعبان فتلقاه ابنه تميم ومشى بين يديه وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة خمس وأربعين فاقام بها الى ان قدم أبوه الا ان وفى رمضان من سنة تسع وأربعين نهبت العرب القيروان وفى سنة خمسين خرج بلكين ومعه من العرب لحرب زناتة فقاتلهم فانهزمت زناتة وقتل منها عدد كثير وفى سنة ثلاث وخمسين وقعت الحرب بين العرب وهوارة فانهزمت هوارة وقتل منها الكثير وفى سنة ثلاث وخمسين قتل أهل نفيوس من العرب مائتين وخمسين رجلا وسبب ذلك ان العرب دخلت المدينة متسوقة فقتل رجل من العرب رجلا متقدما من أهل البلد لانه سمعه يثنى على المعز ويدعوله فلما قتل ثار أهل البلد بالعرب فقتلوا منهم العدد المذكور وكان ينبغى ان يأتى كل شئ من ذلك فى السنة التى حدث فيها وانما أوردناه متتابعا ليكون أحسن بسياقته فانه اذا انقطع وتخللته الحوادث فى السنين لم يفهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها سار المهلهل بن محمد بن عناز أخو أبى الشوك الى السلطان طغرلبك فاحسن اليه وأقره على اقطاعه ومن جملته السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان وشفعه فى أخيه سرخاب بن محمد بن عناز وكان محبوسا عند طغرلبك وسار سرخاب الى قلعة الماهكى وهى له وأقطع سعدى بن أبى الشوك الراوندين وفيها قبض المستنصر بمصر على أبى البركات عم أبى القاسم الجرجرائى واستوزر القاضى أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازورى ويازور من أعمال الرملة وفيها توفى محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله أبو الحسين ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفيها فى شعبان توفى أبو الحسن على بن عمر القزوينى الزاهد وكان من الصالحين روى الحديث والحكايات والاشعار وروى عن ابن نباتة شيأ من شعره فمن ذلك قال ابن نباتة

واذا عجزت عن العدو فداره * واعرج له ان المزاج وفاق
فالنار بالماء الذى هو ضدها * تعطى النضاج وطبعها الاحراق

وفيها فى ذى القعدة توفى أبو القاسم عمر بن ثابت النحوى الضرير المعروف بالثمانينى

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز﴾

فيها فى المحرم اجتمع جمع كثير من العرب والاكراد وقصدوا سرق من خوزستان ونهبوها ونهبوا دورق ومقدمهم مطاردبن منصور ومذكور بن نزار فارسل اليهم الملك الرحيم جيشا ولقوهم بين سرق ودورق فاقتتلوا فقتل مطاردوأسر ولده وكثر القتل فيهم واستنقذوا ما نهبوه ونجا الباقون على أقبح صورة من الجراح والنهب فلما تم هذا الفتح للملك الرحيم انتقل من عسكر مكرم متقدما الى قنطرة اربق ومعه دبيس بن مزيد والبساسيرى وغيرهما ثم ان الامير أبا منصور

عدة من الموالى لحرب المستعين الى بغداد فنزل عليها فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين وهرب محمد بن الواثق الى المعتز بالله ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى وحالة المستعين تضعف والفتنة عامة فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح اليه ومال الى الصلح على خلع المستعين وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين ثارت منكرة لذلك متحيزة الى المستعين ناصرة له فاظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره فخاطبته العامة وعليه البردة فاذكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد الله بن طاهر ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على أن له الامان ولاهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيأ من ذلك فالله ورسوله منه برآء والناس فى حل من بيعته وعهوده وأطول ذكرها

صاحب فارس وهزارسب بن بغكير ومنصور بن الحسين الاسدى ومن معهما من الديلم والاتراك سار وامن أرجان يطلبون تستر فسبقهم الرحيم اليها ونال بينهم وبينها واقتت الطلائع فكان الظفر لعسكر الرحيم ثم ان الارجاف وقع فى عسكر هزارسب بوفاة الامير أبى منصور ابن الملك أبى كاليجار بمدينة شيراز فسقط فى أيديهم وعادوا وتصدكثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه فسير قطعة من الجيش الى رامهرمز وبها أصحاب هزارسب وقد أفسدوا فى تلك الاعمال فلما وصل اليها عسكر الرحيم خرج أولئك الى قتالهم فاقتتلوا قتالا شديدا أكثر فيه القتل والجراح ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحصروا فيه ثم ملك البلد عنوة ونهب وأسر جماعة من العساكر التى فيه وهرب كثير منهم الى هزارسب وهو بايذج وملك الملك الرحيم البلد فى ربيع الاول من هذه السنة

﴿ ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز ﴾

فى هذه السنة سير الملك الرحيم أخاه الامير أبا سعد فى جيش الى بلاد فارس وكان سبب ذلك ان المقيم فى قلعة اصطخر وهو أبو صبر بن خسرو كان له اخوان قبض عليهما هزارسب بن بغكير بأمر الامير أبى منصور فكتب الى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة ويطلب ان يسير اليه أخا ليملكه بلاد فارس فسير اليه أخاه أبا سعد فى جيش فوصل الى دولتاباذ فاتاه كثير من عساكر فارس الديلم والترك والعرب والاكراد وسار منها الى قلعة اصطخر فنزل اليه صاحبها أبو صبر فقبله وأصعده الى القلعة وحمل له وللعساكر التى معه الاقامات والخلع وغيرها ثم سار وامنها الى قلعة بهندر فحصروها وأتاه كتب بعض مستحفظى البلاد الفارسية بالطاعة منها مستحفظ دارابجرد وغيرها ثم سار الى شيراز فملكها فى رمضان فلما سمع أخوه الامير أبو منصور وهزارسب ومنصور بن الحسين الاسدى ذلك سار وا فى عسكرهم الى الملك الرحيم فهزموه على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفارق الاهواز الى واسط ثم عطفوا من الاهواز الى شيراز لاجلاء الامير أبى سعد عنها فلما قاربوها لقيهم أبو سعد وقاتلهم فهزمهم فالتجؤا الى جبل قلعة بهندر وتكررت الحروب بين الطائفتين الى منتصف شوال فتقدمت طائفة من عسكر أبى سعد فاقتتلوا عامة النهار ثم عادوا فلما كان الغد التقى العسكران جميعا واقتتلوا فانهزم عسكر الامير أبى منصور وظفر أبو سعد وقتل منهم خلقا كثيرا واستأمن اليه كثير منهم وصعد أبو منصور الى قلعة بهندر واحتمى بها وأقام الى ان عاد الى ملكه على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولما فارق الامير أبو منصور الاهواز أعيدت الخطبة للملك الرحيم وأرسل من بها من الجند يستدعونه اليهم

﴿ ذكر انهزام الملك الرحيم بالاهواز ﴾

لما انصرف الامير أبو منصور وهزارسب ومن معهم من منزلهم قريب تستر على ما ذكرناه مضوا الى أيذج وأقاموا فيها وحافوا الملك الرحيم واستضعفوا نفوسهم عن مقاومته فاتفق رأيهم على ان راسلوا السلطان طغرلبك وبذلوا له الطاعة وطلبوا منه المساعدة فارسل اليهم عسكرا كبيرا وكان قد ملك أصبهان وفرغ باله منها وعرف الملك الرحيم ذلك وقد فارقه كثير من عسكره منهم البساسيرى ونور الدولة دبيس بن مزيد والعرب والاكراد وبقى فى الديلم الاهوازية وطائفة قليلة من الاتراك البغداديين كانوا وصلوا اليه أخيرا فقرر رأيه على ان عاد من عسكر مكرم الى الاهواز لانها أحصن وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر ورأى أن يرسل أخاه الامير أبا سعد الى

وقد خذل المعتز بعد ذلك لمخالفتها حين عالج فى نقضها فخلع المستعين نفسه من الخلافة وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له منذ وافى مدينة السلام الى أن خلع سنة كاملة وكانت خلافته منذ تقلد الامر على ما بيناه آنفا الى أن زال عنه ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على ما ذكرناه من الخلاف وأحدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد وجمع بينه وبين أهله وولده ثم أحدر الى واسط وقد وكل به أحمد ابن طولون التركى وذلك قبل ولايته مصر وعلم عجز محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بامر المستعين حين استجار به وخذلانه اياه وميله الى المعتز بالله وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد

أطافت بنا الاتراك حولا محرما
ومابرحت فى حجرها أم عامر
أقامت على ذل بها ومهانة
فلما بدت ابدت لنا اللؤم عادر
ولم ترع حق المستعين فاصبحت
تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤما وخبثا وذلة
وأبقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الامر ما قدمناه من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد الى سامرا فخلع عليه المعتز وتوج ووشح بوشاحين وخلع على من كان معه من قواده وقدم على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبرد

فارس حيث طلب الى اصطخر على ما ذكرناه وسير معه جماعة من العساكر ظنا منه ان أخاه اذا وصل الى فارس وملكت قلعة اصطخر انزعج الامير أبو منصور وهزارسب ومن معهما واشتغلوا بتلك النواحي عنه فازداد قلقا وضعفا فلم يلتفت أولئك الى الامير أبي سعد بل ساروا مجدين الى الاهواز فوصلوها أواخر ربيع الآخر ووقعت الحرب بين الفريقين يومين متتابعين كثر فيهما القتال واشتد فانهزم الملك الرحيم وسار في نفر قليل الى واسط ولقي في طريقه مشقة وسلم واستقر بواسط فيمن لحق به من المنهزمين ونهبت الاهواز وأحرق فيها عدة محال وفقد في الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي بن عبد الرحيم وزير الملك الرحيم فلم يعرف له خبر

﴿ذكر الفتنة بين العامة ببغداد واحراق المشهد على ساكنيه السلام﴾

في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديما فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون لانتقاض ما في الصدور من الاحن وكان سبب هذه الفتنة ان أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجا كتبوا عليها بالذهب محمد وعلي خير البشر وأنكر السنة ذلك وادعوا ان المكتوب محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فارسل الخليفة القائم بامر الله أبا غالب نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن لرشي لكشف الحال وانهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيين فامر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم كف القتال فلم يقبلوا وانتدب ابن المذهب الشافعي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الاغراق في الفتنة فامسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظا من رئيس الرؤساء لميله الى الحنابلة وسمع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة الى الكرخ وكان نهر عيسى قد انفتح بشقه فنظم الامر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الطروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل فاغروا بهم السنة وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فحوا خير البشر وكتبوا عليهما السلام فقالت السنة لا نرضى الا ان يقلع الآجر الذي عليه محمد وعلي وان لا يؤذن حي على خير العمل وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال الى ثالث ربيع الاول وقتل فيه رجل هاشمي من السنة فحمله أهله على نعش وطافوا به في الحريمة وباب البصرة وسائر محال السنة واستفزوا الناس للاخذ بثاره ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ما تقدم فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فاغلق بابه فنقبوا في سوره وتهددوا البواب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ونهبوا ما في التربة والدور وأدركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع التربة والاواج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجواروا قبتان الساجة اللتان عليهما واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معز الدولة وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور وقبر الامين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الامر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما الى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر الى جانبه وسمع أبو غالب نقيب

رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما كان في شهر رمضان من هذه السنة وهي سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين وقد كان في جملة من حمله من واسط فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته مقساة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة * وكانت وفاة المستعين بالله يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة على ما قدمنا في صدر هذا الباب

* وذكر شاهك الخادم قال كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له الى سامرا ونحن في عمادية فلما وصل الى القاطول تلقاه جيش كثير فقال ياشاهك انظر من رئيس القوم فان كان سعيدا الحاجب فقد هلكت فلما عاينته قلت هو والله سعيد فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي وجعل يبكي فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ثم اضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه وحمله على ما ذكرنا واستقامت الامور للمعتز واجتمعت الكلمة عليه

العباسيين وغيره من الهاشميين والسنة الخبر فجاؤا ومنعوا عن ذلك وقصد أهل الكرخ الى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي وأحرقوا الخان ودور الفقهاء ونعدت الفتنة الى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق يحيى والاساكفة وغيرهم ولما انتهى خبر احراق المشهد الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لانه وأهل بيته وسائر اعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت في أعماله خطبة الامام القائم بامر الله فرسل في ذلك وعاتب فاعتذر بان أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة الى حالها

﴿ ذكر عصيان بني قرة على المستنصر بالله بمصر ﴾

في هذه السنة في شعبان عصى بنو قرة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلوي وكان سبب ذلك انه أمر عليهم رجلا منهم يقال له المقرب وقدمه فمقروا من ذلك وكرهوه واستعفوا منه فلم يعزله عنهم فكاشفوا بالخلاف والعصيان وأقاموا بالجيزة مقابل مصر وتظاهروا بالفساد فعبر اليهم المستنصر بالله جيشا يقاتلهم ويكفهم فقاتلهم بنو قرة فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم فانتقل بنو قرة الى طرف البر فعظم الامر على المستنصر بالله وجمع العرب من طيئ وكلب وغيرهما من العساكر وسيرهم في أثر بني قرة فادركوهم بالبحيرة فواقعوهم في ذي القعدة واشتد القتال وكثر القتل في بني قرة وانهزموا وعاد العسكر الى مصر وتركوا في مقابل بني قرة طائفة منهم لترد بني قرة ان أرادوا التعرض الى البلاد وكفى الله شرهم

﴿ ذكر وفاة زعيم الدولة وامارة قريش بن بدران ﴾

في هذه السنة في شهر رمضان توفي زعيم الدولة أبو كامل بركات بن المقلد بتكريت وكان انحدر اليها في حاله قاصدا نحو العراق لينازع النواب به عن الملك الرحيم وينهب البلاد فلما بلغها انتقض عليه جرح كان اصابه من الغز لما ملكوا الموصل فتوفي ودفن بمشهد الخضر بتكريت واجتمعت العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران بن المقلد فعاد بالحال والعرب الى الموصل وأرسل الى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال يعلمه بوفاة زعيم الدولة وقيامه بالامارة وانه يتصرف على اختياره ويقوم بالامر نيابة عنه فلما وصل قريش الى الموصل جرى بينه وبين عمه قرواش منازعة ضعف فيها قرواش وقوي ابن أخيه ومالت العرب اليه واستقرت الامارة له وعاد عمه الى ما كان عليه من الاعتقال الجميل والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة ثم نقله الى قلعة الجراحية من أعمال الموصل فاعتقل بها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

ظهر ببغداد يوم الاربعاء سابع صفر وقت العصر كوكب غلب نوره على نور الشمس له ذؤابة نحو ذراعين وسار سيرا بطيئا ثم انقض والناس يشاهدونه وفيها في رمضان ورد رسل السلطان طغرلبك الى الخليفة جوابا عن رسالة الخليفة اليه وشكر الانعام الخليفة عليه بالخلع والالقاب وأرسل معه طغرلبك الى الخليفة عشرة آلاف دينار عينا وأعلاقا نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية وألفي دينار لرئيس الرؤساء وأنزل الخليفة الرسل بباب المراتب وأمر باكرامهم ولما جاء العيد أظهر أجناد بغداد الزينة الرائقة والخيول النفيسة والتجافيف الحسنة وأرادوا الاظهار فقوتهم عند الرسل وفيها عاد الغز أصحاب الملك داود أخي

وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه ٣٠٠ في هذا الكتاب وأوردناه في هذا الباب قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا ما أوردنا في هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عزب عنا فهمها فالحمد لله لم نترك شيئا من أخبار الناس وسيرهم وما جرى في أيامهم الا وقد ذكرناه وأوردنا في كتبنا أحسنه وفوق كل ذي علم عليم والله الموفق للصواب

﴿ ذكر خلافة المعتز بالله ﴾

بويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل وأمه أم ولد يقال لها فتيحة ويكنى أبا عبد الله وله يومئذ ثماني عشرة سنة بعد خلع المستعين لنفسه وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ما قدمنا وبايعه القواد والموالي والشاكرية وأهل بغداد وخطب له في المسجد الجامع ببغداد في الجانبين ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ودفن بسامرا الجملة أيامه متنقلا بويع بسامرا قبل خلع المستعين الى اليوم الذي خلع فيه أربع سنين وستة أشهر وأياما ومتنقلا بويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر وتوفي وله أربع وعشرون سنة

طغرلبك عن كرمان وسبب عودهم ان عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة سار عنها الى خراسان فالتقى هو والملك داود واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم داود فاقتضى الحال عود أصحابه عن كرمان وفيها أيضا عاد السلطان طغرلبك عن أصبهان الى الرى وفيها توفى أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه بالاهواز وكان قد استخلفه بها الامير أبو منصور عند عوده عنها الى شيراز فلما توفى خطب للملك الرحيم بالاهواز وفيها توفى أبو عبد الله الحسين بن المرتضى الموسوى وفيها فى ربيع الاول توفى أبو الحسن محمد بن محمد البصروى الشاعر وهو منسوب الى قرية تسمى بصرى قريب عكبرا وكان صاحب نادرة قال له رجل شربت البارحة ماء كثيرا فاحتجت الى القيام كل ساعة كابى جدى فقال له لم تصغر نفسك (ومن شعره)

ترى الدنيا وزينتها فتصبو * ومايخلو من الشهوات قلب
فضول العيش أكثرها هموم * وأكثر مايضرك ماتحب
فلا يغررك زخرف ماتراه * وعيش لين الاعطاف رطب
اذا ما بلغة جاءتك عفوا * فخذها فالغنى مرعى وشرب
اذا اتفق القليل وفيه سلم * فلا ترد الكثير وفيه حرب

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخ زاد ﴾

فى هذه السنة قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان سبب ذلك ان حاجبا لمودود ابن أخيه مسعود اسمه طغرل وكان مودود قد قدمه ونوه باسمه وزوجه أخته فلما توفى مودود وملك عبد الرشيد أجرى طغرل على عادته فى تقدمه وجعله حاجب حجابه فاشار عليه طغرل بقصد الغزو اجلائهم من خراسان فتوقف استبعادا لذلك فالح عليه طغرل فسيره فى ألف فارس فسار نحو سجستان وبها أبو الفضل نائبا عن يغو فاقام طغرل على حصار قلعة طاق وأرسل الى أبى الفضل يدعوه الى طاعة عبد الرشيد فقال له انى نائب عن يغو وليس من الدين والمروءة خيانته فاقصده فاذا فرغت منه سلمت اليك فاقام على حصار طاق أربعين يوما فلم يتهيأ له فتحها وكتب أبو الفضل الى يغو يعرفه حال طغرل فسار الى سجستان ليمنع عنها طغرل ثم ان طغرل ضجر من مقامه على حصار طاق فسار نحو مدينة سجستان فلما كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد لعله يجدها وفرصة ينتهزها فسمع أصوات دبادب وبوقات فخرج وسأل بعض من على الطريق فاخبره ان يغو قد وصل فعاد الى أصحابه وأخبرهم وقال لهم ليس لنا الا أن نلقى القوم ونموت تحت السيوف أعزة فانه لا سبيل لنا الى الهرب لكثرتهم وقلتنا فخرجوا من مكمنهم فلما رآهم يغو سأل أبا الفضل عنهم فاخبره انه طغرل فاستقل من معه وسير طائفة من أصحابه لقتالهم فلما رآهم طغرل لم يعرج عليهم بل ألحم فرسه نهر اهناك فعبره وقصد يغو ومن معه فقاتلهم وهزمهم طغرل وغنم ما معهم ثم عطف على الفريق الآخر فصنع بهم مثل ذلك وأسر يغو وأبو الفضل نحو هراة وتبعهم طغرل نحو فرسخين وعاد الى المدينة فملكها وكتب الى عبد الرشيد بما كان منه ويطلب الامداد ليسير الى خراسان فامده بعدة كثيرة من الفرسان فوصلوا اليه فاشتد بهم وأقام مدة ثم حدثته نفسه بالعود الى غزنة والاستيلاء عليها فاعلم أصحابه ذلك وأحسن اليهم واستوثق منهم ورحل الى غزنة طاويا الليل راحل كاتما أمره فلما صار على خمسة فراسخ من

أشهد على نفسه انه قد برئ من الخلافة وانه لا يصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس فى حل من بيعته قالت فى ذلك الشعراء فاكثرت ووصفته فى شعرها فاغرقت فقال فى ذلك البحترى من قصيدة طويلة

الى واسط خاب الدجاج ولم يكن
لينفث فى لحم الدجاج مخالب

وفى ذلك يقول الشاعر المعروف بالكاتى من قصيدة

انى أراك من الفراق جزوعا
أمسى الامام مسيرا مخلوعا
وغدا الخليفة أحمد بن محمد
بعد الخلافة والبهاء خليعا
كانت به الايام تضحك زهرة
وهو الربيع لمن أراد ربيعا
فأزاله المقدور من رتب العلا
فثوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم * ومات فى خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم أبو هاشم محمد بن زيد الرفاعى وأيوب بن محمد الوراق وأبو بكر محمد بن العلاء الهمدانى بالكوفة وأحمد بن صالح المصرى وأبو الوليد السرى الدمشقى وعيسى بن حماد زغبة المصرى بمصر ويكنى أبا موسى وأبو جعفر بن سوار الكوفى

 وذلك فى سنة ثمان واربعين ومائتين * وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة تسع وأربعين ومائتين

غزنة أرسل الى عبد الرشيد مخادعا له يعلمه ان العسكر خالف هواه ليه وطلبوا الزيادة فى العطاء وانهم عادوا بقلوب متغيرة مستوحشة فلما وقف على ذلك جمع أصحابه وأهل ثقته وأعلمهم الخبر فحذروه منه وقالوا له ان الامر قد أعجل عن الاستعداد وليس غير الصعود الى القلعة والتحصن بها فصعد الى قلعة غزنة وامتنع بها ووافى طغرل من الغد الى البلد ونزل فى دار الامارة وراسل المقيمين بالقلعة فى تسليم عبد الرشيد ووعدهم ورغبهم ان فعلوا وتهددهم ان امتنعوا فسلموه اليه فاخذه طغرل فقتله واستولى على البلد وتزوج ابنة مسعود كرها وكان فى الاعمال الهندية أمير يسمى خرخيز ومعه عسكر كثير فلما قتل طغرل عبد الرشيد واستولى على الامر كتب اليه ودعاه الى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الاعمال من أيدى الغز ووعده على ذلك وبذل البذول الكثيرة فلم يرض فعله وأنكره وامتعض منه وأغلظ له فى الجواب وكتب الى ابنة مسعود بن محمود زوجة طغرل ووجوه القواد ينكر ذلك عليهم ويوبخهم على اغضائهم وصبرهم على ما فعله طغرل من قتل ملكهم وابن ملكهم وبحثهم على الاخذ بثاره فلما وقفوا على كتبه عرفوا غلطهم ودخل جماعة منهم على طغرل ووقفوا بين يديه فضربه أحدهم بسيفه وتبعه الباقون فقتلوه وورد خرخيز الحاجب بعد خمسة أيام وأظهر الحزن على عبد الرشيد وذم طغرل ومن تابعه على فعله وجمع وجوه القواد وأعيان أهل البلد وقال لهم قد عرفتم ما جرى مما خولت به الديانة والامانة وأنا تابع ولا بد للامر من سائس فاذكروا ما عندكم من ذلك فاختاروا بولاية فرخزاد بن مسعود بن محمود وكان محبوسا فى بعض القلاع فاحضروه وأجلس بدار الامارة وأقام خرخيز بين يديه يدبر الامور وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله فلما سمع داود أخو طغرل بذلك صاحب خراسان قتل عبد الرشيد جمع عساكره وسار الى غزنة فخرج اليه خرخيز ومنعه وقاتله فانهزم داود وغنم ما كان معه ولما استقر ملك فرخزاد وثبت قدمه جهز جيشا جرارا الى خراسان فاستقبلهم الامير كلسارغ وهو من أعظم الامراء فقاتلهم وصبر لهم فظفروا به وانهزم أصحابه عنه وأخذ أسيرا وأسر معه كثير من عسكر خراسان ووجوههم وأمرائهم فجمع الب ارسلان عسكرا كثيرا وسير والده داود فى ذلك العسكر الى الجيش الذى أسروا كلسارغ فقاتلهم وهزمهم وأسر جماعة من أعيان العسكر فاطلق فرخزاد الاسرى وخلع على كلسارغ وأطلقه

﴿ذكر وصول الغز الى فارس وانهزامهم عنها﴾

فى هذه السنة وصل أصحاب السلطان طغرلبك الى فارس وبلغوا الى شيراز ونزلوا بالبيضاء واجتمع معهم العادل أبو منصور الذى كان وزير الامير أبى منصور الملك أبى كاليجار ودبر أمرهم فقبضوا عليه وأخذوا منه ثلاث قلاع وهى قلعة كبزة وقلعة جويم وقلعة بهندر فاقاموا بها وسار من الغز نحو مائتى رجل الى الامير أبى سعد أخى الملك الرحيم وصار معه وراسل أبو سعد الذين بالقلاع المذكورة فاتمالهم فاطاعوه وسلموا القلاع اليه وصاروا فى خدمته واجتمع العسكر الشيرازى وعليهم الظهير أبو نصر وأوقعوا بالغز بباب شيراز فانهزم الغز وأسر تاج الدين نصر بن هبة الله بن أحمد وكان من المقدمين عند الغز فلما انهزم الغز سار العسكر الشيرازى الى فسا وكان قد تغلب عليها بعض السفل وقوى أمره لاشتغال العساكر بالغز فازالوا المتغلب عليها واستعادوها

﴿ذكر الحرب بين قريش وأخيه المقلد﴾

الجهنى بالمصيصة والحسن ابن محمد بن طالوت وأبو جعفر الصيرفى بسامرا ومحمد بن زنبور المكى بمكة وسليمان بن أبى طيبة وموسى بن عبد الرحمن البرقى * وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة خمسين ومائتين مات ابراهيم بن محمد التميمى قاضى البصرة ومحمود بن خداش وأبو مسلم أحمد بن شعيب الحرانى والحرث بن مسكين المصرى وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقلة الآثار ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فى سنة ست من كتابنا المترجم بالاوسط وانما نذكر لمعا من وفاة من ذكرنا لئلا نخلى هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج الى ذكره على قدر الطالب له وقد كان المستعين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فصا ياقوت أحمر يعرف بالحلى وكانت الملوك تصونه وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ونقش عليه اسمه أحمد ووضع ذلك الفص فى اصبعه فتحدث الناس بذلك وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الاكاسرة وقد نقش فى قديم الزمان وذكر أنه لم ينقشه ملك

فى هذه السنة جرى خلاف بين علم الدين قريش بن بدران وبين أخيه المقلد وكان قريش قد نقل عمه فرواشا الى قلعة الجراحية من اعمال الموصل وسجنه بها وارتحل يطلب العراق فجرى بينه وبين أخيه المقلد منازعة أدت الى الاختلاف فسار المقلد الى نور الدولة دبيس بن مزيد ملتجئا اليه فحمل أخاه الغيظ منه على ان نهب حلته وعاد الى الموصل واختلت أحواله واختلفت العرب عليه وأخرج نواب الملك الرحيم ببغداد الى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقى من عكبرا والعلث وغيرهما من قبض غلته وسلم الجانب الغربى من اوانا ونهر بيطر الى أبى الهندى بلال بن غريب ثم ان قريشا استمال العرب وأصلحهم فاذعنوا له بعد وفاه عمه فرواش فانه توفى هذه الايام وانحدر الى العراق ليستعيد ما أخذ منه فوصل الى الصالحية وسير بعض أصحابه الى ناحية الحظيرة وماوالاها فنهبوا ماهنالك وعادوا فلقوا كامل بن محمد بن المسيب صاحب الحظيرة فاوقع بهم وقاتلهم فارسلوا الى قريش يعرفونه الحال فسار اليهم فى عدة كثيرة من العرب والاكراد فهزم كامل وتبعه قريش فلم يلحقه فقصد حال بلال بن غريب وهى خالية من الرجال فنهبها وقاتله بلال وأبلى بلاء حسنا فجرح ثم انهزم وراسل قريش نواب الملك الرحيم يبذل الطاعة ويطلب تقرير ما كان له عليه فاجابوه الى ذلك على كره لقوته وضعفهم واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم فاستقر أمره وقوى شأنه

﴿ ذكر وفاة فرواش ﴾

فى هذه السنة مستهل رجب توفى معتمد الدولة أبو المنيع فرواش بن المقلد العقيلى الذى كان صاحب الموصل محبوسا بقلعة الجراحية من أعمال الموصل على ماذكرناه قبل وحمل ميتا الى الموصل ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقى الموصل وكان من رجال العرب وذوى العقل منهم وله شعر حسن فمن ذلك ما ذكره أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى فى دمية القصر من شعره

لله در النائبات فانها * صدأ النفوس وصيقل الاحرار
ما كنت الا زبرة فطبعتنى * سيفا وأطلق شفرتى وغرارى

وذكر له أيضا

من كان يحمد أو يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده
انى امرؤ لله شكر وحده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده
لى أشقر سمح العنان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده
ومثقف لدن السنان كانما * أم المنايا ركبت فى عوده
وبذا حويت المال الا أننى * سلطت جودى على تبديده

قيل انه جمع بين أختين فى نكاحه فقيل له ان الشريعة تحرم هذا فقال وأى شئ عندنا تجيزه الشريعة وقال مرة ما فى رقبتى غير خمسة اوسته من البادية قتلتهم واما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم

﴿ ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة ﴾

فى هذه السنة فى شعبان سير الملك الرحيم جيشا مع الوزير البساسيرى الى البصرة وبها أخوه أبو على بن أبى كاليجار فحصروه بها فاخرج عسكره فى السفن لقتالهم فاقتتلوا عدة أيام ثم انهزم البصريون فى الماء الى البصرة واستولى عسكر الرحيم على دجلة والانهر جميعا وسارت العساكر

النادر من الملوك فينقشه وكان ياقوتا أحمر يضئ بالليل كضياء المصباح اذا وضع فى بيت لا مصباح فيه أشرف ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح وله خبر طويل ظريف قد ذكرناه فى كتابنا أخبار الزمان فى ذكر خواتم ملوك الفرس وقد كان هذا الفص ظهر فى أيام المقتدر ثم خفى أثره بعد ذلك وقد كان جماعة من الشعراء قالوا فى المعتز حين استتم له الامر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين أقوالا كثيرة فمن ذلك قول مروان ابن أبى الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الى المعتز قد رجعت
والمستعين الى حالاته رجعا

قد كان يعلم أن الملك ليس له وأنه للك لكن نفسه خدعا

وفى ذلك يقول رجل من أهل سامرا وقد قيل انه البحترى

لله در عصابة تركية
ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد
وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فاصبح ملكنا متقسما
واما منا فيه شبيه الضيف

وفى المعتز رجوع الامر اليه واتفاق الكلمة عليه

يقول أبو على البصير * آب أمر الاسلام خيرما آبه * وغدا الملك ثابتا فى نصابه * مستقرا قراره مطمئنا * آهلا بعد نأيه واغترابه

على البر من المنزلة عطارا الى البصره فلما قاربوها لقيهم رسل مضر وربيعة يطلبون الامان فاجابوهم الى ذلك وكذلك بذلوا الامان لسائر أهلها ودخلها الملك الرحيم فسر به أهلها وبذل لهم الاحسان فلما دخل البصرة وردت اليه رسل الديلم بخوزستان يبذلون الطاعة ويذكرون انهم مازالوا عليها فشكرهم على ذلك وأقام بالبصرة ليصلح أمرها واما أخوه أبو على صاحب البصرة فانه مضى الى شط عثمان فتحصن به وحفر الخندق فمضى الملك الرحيم اليه وقاتلهم فلك الموضع ومضى أبو على ووالدته الى عبادان وركبوا البحر الى مهروبان وخرجوا من البحر واكتروا دواب وساروا الى ارجان عازمين على قصد السلطان طغرلبك وأخرج الملك الرحيم كل من بالبصرة من الديلم أجناد أخيه وأقام غيرهم ثم ان الامير أبا على وصل الى السلطان طغرلبك وهو باصبهان فاكرمه وأحسن اليه وحمل اليه مالا وزوجه امرأة من أهله وأقطعه اقطاعا من أعمال جرباذقان وسلم اليه قلعتين من تلك الاعمال أيضا وسلم الملك الرحيم البصرة الى البساسيري ومضى الى الاهواز وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزارسب حتى اصطلحوا وسار ارجان وتستر للملك الرحيم

﴿ذكر ورود سعدى العراق﴾

وفيها فى ذى القعدة ورد سعدى بن أبى الشوك فى جيش من عند السلطان طغرلبك الى نواحى العراق فنزل مايدشت وسار منها جريدة فيمن معه من الغز الى أبى دلف الجوانى فنذر به أبو دلف وانصرف من بين يديه ولحقه سعدى فنهبه وأخذ ماله وأفلت أبو دلف بحشاشة نفسه ونهب أصحاب سعدى البلاد حتى بلغوا النعمانية فاسروا فى النهب والغارة وفتكوا فى البلاد وافتضوا الابكار فاخذوا الاموال والاثاث فلم يتركوا شيأ وقصد البندنيجين وبلغ خبره الى خاله خالد بن عمر وهو نازل على الزريز ومطر ابنى على بن مقن العقيليين فارسل اليه ولده مع أولاد الزريز ومطر يشكون اليه ماعاملهم به عمه مهلهل وقريش بن بدران فلقوه بحلوان وشكوا اليه حالهم فوعدهم المسير اليهم وانقاذهم ممن قصدهم فعادوا من عنده فلقيهم نفر من أصحاب مهلهل فواقعوهم فظفروا بهم العقيليون وأسروهم وبلغ الخبر مهلهلا فسار الى حلل الزريز ومطر فى نحو خمسمائة فارس فأوقع بهم على تل عكبرا ونهبهم وانهزم الرجال فلقى خالد ومطر والزريز سعدى بن أبى الشوك على تامرا فاعلموه الحال وحملوه على قتال عمه فتقدم الى طريقه والتقى القوم وكان سعدى فى جمع كثير فظفر بعمه وأسره وانهزم أصحابه فى كل جهة وأسر أيضا مالك بن عمه مهلهل وأعاد الغنائم التى كانت معهم على أصحابها وعاد الى حلوان ووصل الخبر الى بغداد فارتج الناس بها وخافوا وبرز عسكر الملك الرحيم ليقصد حلوان لمحاربة سعدى ووصل اليهم أبو الاغر دبيس ابن مزيد الاسدى ولم يصنعوا شيأ

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قبض عيسى بن خميس بن مقن على أخيه أبى غشام صاحب تكريت بها وسجنه فى سرداب بالقلعة واستولى على تكريت وفيها زلزلت خوزستان وارجان وايذج وغيرها من البلاد زلازل كثيرة وكان معظمها بارجان فخرب كثير من بلادها وديارها وانفرج جبل كبير قريب من ارجان وانصدع فظهر فى وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت فى الجبل فتعجب الناس من ذلك وكان بخراسان أيضا زلزلة عظيمة خربت كثيرا وهلك بسببها كثير وكان أشدها

الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كأنه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى خلافة المعتز بالله وذلك فى يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن اثنتين وأربعين وقيل أكثر من ذلك وسمع فى جنازته جارية تقول ماذا لقينا فى يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله فى شارع أبى أحمد فى داره بسامرا ودفن هناك حدثنا أبو الازهر قال حدثنى القاسم ابن عباد قال حدثنى يحيى بن هرثمة قال وجهنى المتوكل الى المدينة لاشخاص على ابن محمد بن على بن موسى ابن جعفر لشئ بلغه عنه فلما صرت اليه ضج أهلها وعجوا ضجيجا وعجيجا ماسمعت مثله فجعلت اسكنهم واحلف لهم انى لم أومر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه الا مصحفا ودعاء وما أشبه ذلك فاشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته فبينا أنا نائم يوما من الايام والسماء صاحية والشمس طالعة اذ ركب وعليه ممطر وقد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فارخت عزاليها ونالنا من

بمدينة بهق فاتى الخراب عليها وخرب سورها ومساجدها ولم يزل سورها خرابا الى سنة أربع وستين وأربعمائة فأمر نظام الملك ببنائه فبنى ثم خربه ارسلان ارغو بعد موت السلطان ملكشاه وقد ذكرناه ثم عمره محمد الملك البلاساني وفيها عمل محضر ببغداد يتضمن القدح فى نسب العلويين أصحاب مصر وانهم كاذبون فى ادعائهم النسب الى علي عليه السلام وعزوهم فيه الى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود وعمل به عدة نسخ وسير فى البلاد وشيع بين الحاضر والبادي وفيها شهد الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ مصنف الشامل عند قاضي القضاة أبي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا وفيها احدثت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد وامتنع الضبط وانتشر العيارون وتسلطوا وحبوا الاسواق وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الاعمال وكان مقدمهم الطقطقي والزيبق وأعاد الشيعة الاذان بحي على خير العمل وكتبوا على مساجدهم محمد وعلي خير البشر وجرى القتال بينهم وعظم الشر وفيها زوج نور الدولة دبيس بن مزيد ابنه بهاء الدولة منصورا بابنة أبي البركات بن المساسيري وفيها فى ربيع الاول توفى القاساني أبو جعفر السمناني بالموصل وكان اماما فى الفقه على مذهب أبي حنيفة والاصول على مذهب الاشعري وروى الحديث عن الدارقطني وغيره وفى هذا الشهر توفى أيضا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب الواعظ وهو راوي مسند أحمد بن حنبل

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد﴾

فى هذه السنة فى المحرم زادت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من السنية وكان ابتداؤها أواخر سنة أربع وأربعين فلما كان الآن عظم الشر واطرحت المراقبة للسلطان واختلط بالفريقين طوائف من الاتراك فلما اشتد الامر اجتمع القواد واتفقوا على الركوب الى المحال واقامة السياسة بأهل الشر والفساد وأخذوا من الكرخ انسانا لوطيا وقتلوه فثار نساؤه ونشرن شعورهن واستغثن فتبعهن العامة من أهل الكرخ وجرى بينهم وبين القواد ومن معهم من العامة قتال شديد وطرح الاتراك النار فى أسواق الكرخ فاحترق كثير منها وألحقتها بالارض وانتقل كثير من الكرخ الى غيرها من المحال وندم القواد على ما فعلوه وأنكر الامام القائم بأمر الله ذلك وصلح الحال وعاد الناس الى الكرخ بعد ان استقرت القاعدة بالديوان بكف الاتراك أيديهم عنهم

﴿ذكر استيلاء الملك الرحيم على ارجان ونواحيها﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى استولى الملك الرحيم على مدينة ارجان وأطاعه من كان بها من الجند وكان المقدم عليهم فولاذ بن خسرو الديلمي وكان قد تغلب على ما جاورهما من البلاد انسان متغلب يسمى خشنام فأنفذ اليه فولاذ جيشا فاوقعوا به وأجلوه عن تلك النواحي واستضافوا الى طاعة الرحيم وخاف هزارسب بن بنكير من ذلك لانه كان مباينا للملك الرحيم على ما ذكرناه فأرسل يتضرع ويتقرب ويسأل التقدم الى فولاذ باحسان مجاورته فأجيب الى ذلك

﴿ذكر مرض السلطان طغرلبك﴾

فى هذه السنة وصل السلطان طغرلبك الى اصبهان مريضا وقوى الارجاف عليه بالموت ثم عوفى

علمه وليس ذلك كما ظننت ولكن نشأت بالبادية فانا أعرف الرياح التى يكون فى عقبها المطر فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتأهبت لذلك فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق بن ابراهيم الطاهري وكان على بغداد فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك فقلت والله ما وقفت له الا على كل أمر جميل فصرت الى سامرا فبدأت بوصيف التركي وكنت من أصحابه فقال والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري فعجبت من قولهما وعرفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه فأحسن جائزته وأظهر بره وتكرمته وحدثني محمد بن الفرج بمدينة حرجان فى المحلة المعروفة بسراي غسان قال حدثني أبو عامة قال أتيت علي بن محمد بن علي ابن موسى عائدا فى علته التى كانت وفاته منها فى هذه السنة فلما هممت بالانصراف قال لي يا أبا دعامة قد وجب حقك أولا أحدثك بحديث تسر به قال فقلت له ما أحوجني الى ذلك يا ابن رسول الله قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن

قال حدثني أبي الحسين بن علي قال حدثني أبي علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب قال قلت وما اكتب قال لي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ماوقر به القلوب وصدقته الاعمال والاسلام ماجرى به اللسان وحلت به المناكحة قال أبو دعامة فقلت يا ابن رسول الله ما أدري والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد فقال انها الصحيفة بخط علي بن أبي طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نتوارثها اصاغرا عن كابر (قال المسعودي) وقد ذكرنا خبر علي بن محمد ابن موسى رضي الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ونزوله الى بركة السباع وتدللها له ورجوع زينب عما ادعته من انها ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها الى ذلك الوقت في كتابنا أخبار الزمان وقيل انه مات مسموما عليه السلام (قال المسعودي) وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين وذلك في خلافة المعتز مات محمد بن عبد الله بن طاهر للنصف من ذي القعدة بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما والقمر مكسوف وكان من الجود والكرم وغزارة الادب وكثرة الحفظ وحسن الاشارة ثم

ووصل اليه الامير أبو علي بن الملك أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة ووصل اليه أيضا هزارسب بن بنكير بن عياض صاحب ايذج فانه كان قد خاف الملك الرحيم لما استولى على البصرة وارجان فأكرمهما طغرلبك وأحسن ضيافتهما ووعدهما النصرة والمعونة

﴿ذكر عود سعدي بن أبي الشوك الى طاعة الرحيم﴾

قد ذكرنا سنة أربع وأربعين وصول سعدي الى العراق وأسره عمه فلما أسره سار ولده بدر بن المهلهل الى السلطان طغرلبك وتحدث معه في مراسلة سعدي ليطلق أباه فسلم اليه طغرلبك ولدا كان لسعدي عنده رهينة وأرسل معه رسولا يقول فيه ان أردت فدية عن أسيرك فهذا ولدك قد رددته عليك وان أبيت الا المخالفة ومفارقة الجماعة قابلناك على فعلك فلما وصل بدر والرسول الى همذان تخلف بدر وسار الرسول اليه فامتعض من قوله وخالف طغرلبك وسار الى حلوان وأراد أخذها فلم يمكنه وتردد بين روشنقباذ والبردان وكاتب الملك الرحيم وصار في طاعته فسار اليه ابراهيم بن اسحق وسخت كمان وهما من أعيان عسكر طغرلبك في عسكر مع بدر بن المهلهل فاوقعوا به فانهزم هو وأصحابه وعاد الغز عنهم الى حلوان وسار بدر الى شهرزور وفي طائفة من الغز ومضى سعدي الى قلعة روشنقباذ

﴿ذكر عود الامير أبي منصور الى شيراز﴾

في هذه السنة في شوال عاد الامير أبو منصور فولاستون بن الملك أبي كاليجار الى شيراز مستوليا عليها وفارقها أخوه الامير أبو سعد وكان سبب ذلك أن الامير أبا سعد كان قد تقدم معه في دولته انسان يعرف بعميد الدين أبي نصر بن الطهير فحكم معه واطرح الاجناد واستخف بهم وأوحش أبا نصر بن خسرو صاحب قلعة اصطخر الذي كان قد استدعى الامير أبا سعد وملكه فلما فعل ذلك اجتمعوا على مخالفته وتألبوا عليه وأحضر أبو نصر بن خسرو الامير أبا منصور بن أبي كاليجار اليه وسعى في اجتماع الكلمة عليه فأجابه كثير من الاجناد لكراهتهم لعميد الدين فقبضوا عليه ونادوا بشعار الامير أبي منصور وأطهروا طاعته وأخرجوا الامير أبا سعد عنهم فعاد الى الاهواز في نفر يسير ودخل الامير أبو منصور الى شيراز ملكا لها مستوليا عليها وخطب فيها لطغرلبك وللملك الرحيم ولنفسه بعدهما

﴿ذكر ابتداع البساسيري بالاكراد والاعراب﴾

وفيها في شوال وصل الخبر الى بغداد بان جمعا من الاكراد وجمعا من الاعراب قد أفسدوا في البلاد وقطعوا الطريق ونهبوا القرى طمعا في السلطنة بسبب الغز فسار اليهم البساسيري جريدة وتبعهم الى البوازيج فاوقع بطوائف كثيرة منهم وقتل فيهم وغنم أموالهم وانهزم بعضهم فعبروا الزاب عند البوازيج فلم يدركهم وأراد العبور اليهم وهم بالجانب الآخر وكان الماء زائدا فلم يتمكن من عبوره فنجوا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة توفي الشريف أبو تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي نقيب النقباء وقام بعده في النقابة ابنه أبو علي وفيها توفي أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن أحمد البرمكي وكان مكثرا من الحديث سمع ابن مالك القطيعي وغيره وانما قيل البرمكي لانه سكن محلة ببغداد تعرف بالبرامكة وقيل كان من قرية عند البصرة تعرف بالبرمكية

﴿ (ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة) ﴾

﴿ (ذكر فتنة الاتراك ببغداد) ﴾

فى هذه السنة فى المحرم كانت فتنة الاتراك ببغداد وكان سببها انهم تخلف لهم على الوزير الذى للملك الرحيم مبلغ كثير من رسومهم فطالبوه وألحوا عليه فاختفى فى دار الخلافة فحضر الاتراك بالديوان وطالبوه وشكوا ما يلقونه منه من المطال بحالهم فلم يجابوا الى اظهاره فعدلوا عن الشكوى منه الى الشكوى من الديوان وقالوا ان أرباب المعاملات قد سكنوا بالحريم وأخذوا الاموال وادا طلبناهم بها يمتنعون بالمقام بالحريم وانتصب الوزير والخليفة لمنعنا عنهم وقد هلكنا فتردد الخطاب منهم والجواب عنه فقاموا نافرين فلما كان الغد ظهر الخبر انهم على عزم حصر دار الخلافة فانزعج الناس لذلك وأخفوا أموالهم وحضر البساسيرى دار الخلافة وتوصل الى معرفة خبر الوزير فلم يظهر له على خبر فطلب من داره ودوره من تهم به وكبست الدور فلم يظهر وا له على خبر وركب جماعة من الاتراك الى دار الروم فنهبوها وأحرقوا البيع والقلايات ونهبوا فى دار أبى الحسن بن عبيد وزير البساسيرى وقام أهل نهر المعلى وباب الازج وغيرهما من المحال فى مناقد الدروب لمنع الاتراك وانخرق الامر ونهب الاتراك كل من ورد الى بغداد فغلت الاسعار وعدمت الاقوات وأرسل اليهم الخليفة ينهاهم فلم ينتهوا فاظهر أنه يريد الانتقال عن بغداد فلم يرجعوا هذا جميعه والبساسيرى غير راض بفعلهم وهم معهم بدار الخليفة وتردد الامر الى ان ظهر لوزير وقام لهم بالباقى من مالهم من ماله وثمان دوابه وغيرها ولم يزالوا فى خبط وعسف فعاد طمع الاكراد والاعراب أشد منه أولا وعاودوا الغارة والنهب والقتل فخربت البلاد وتفرق أهلها واتعدر أصحاب قريش بن بدران من الموصل طامعين فكبسوا حلل كامل بن محمد ابن المسيب وهى بالبردان فنهبوها وبها دواب وجمال بحالى البساسيرى فاخذوا الجميع ووصل الخبر الى بغداد فازداد خوف الناس من العامة والاتراك وعظم انحلال أمر السلطنة بالكلية وهذا من ضرر الخلاف

﴿ (ذكر استيلاء طغرلبك على اذربيجان وغزو الروم) ﴾

فى هذه السنة سار طغرلبك الى اذربيجان فقصد تبريز وصاحبها الامير أبو منصور وهسوذان ابن محمد الروادى فاطاعه وخطب له وحمل اليه ما أرضاه به وأعطاه ولده رهينة فسار طغرلبك عنه الى الامير أبى الاسوار صاحب جنزة فاطاعه أيضا وخطب له وكذلك سائر تلك النواحى ارسلوا اليه يبذلون الطاعة والخطبة وانقاد العساكر اليه فابقى بلادهم عليهم وأخذ رهائنهم وسار الى ارمينية وقصد ملازكرد وهى للروم فحصرها وضيق على أهلها ونهب ماحاورها من البلاد وأخرجها وهى مدينة حصينة فارسل اليه نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر الهدايا الكثيرة والعساكر وقد كان خطب له قبل هذا الوقت وأطاعه وأثر السلطان طغرلبك فى غزو الروم آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيأ كثيرا وبلغ فى غزوته هذه الى ارزن الروم وعاد الى اذربيجان لما هجم الشتاء من غير ان يملك ملازكرد وأظهر انه يقيم الى ان ينقضى الشتاء ويعود يتم غزاته ثم توجه الى الرى فاقام بها الى ان دخلت سنة سبع وأربعين وعاد نحو العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ (ذكر محاربة بنى خفاجة وهزيمتهم) ﴾

كسف البدر والامير جميعا
فانجلى البدر والامير غميد
عاود البدر نوره فانجلى
ه ونور الامير ليس يعود
يا كسوفين ليلة الاحد النحـ
س أحلتكما هناك السعود
واحد كان حده مثل حد ال
سيف والنار شب فيها الوقود

(وذكر) أبو العباس المبرد قال ارتاح محمد بن عبد الله ابن طاهر يوما للمنادمة وقد حضره ابن طالوت وكان وزيره وأخص الناس به واحضرهم لخلواته فأقبل عليه وقال لابد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به المعاشرة وتلذ عنادمته المؤانسة فمن ترى أن يكون وأعفنا أن يكون شريرا الاخلاق أو دنس الاعراق أو ظاهر الامراق قال فأعملت الفكر وقلت أيها الامير خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته من مؤنة وقد برئ من ابرام المجالس وخلا من ثقل المؤانس خفيف الوطأة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أردت قال ومن ذلك قلت مانى الموسوس قال أحسنت والله فليتقدم الى أصحاب الثمانية والعشرين الرابع فى طلبه برفعه رفعة فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الكرخ فصار به الى باب الامير فأخذ وحذف ونطف وأدخل الحمام والبس ثيابا نظافا وأدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال محمد وعليك السلام

في هذه السنة في رجب قصد بنو خفاجة الجامعين وأعمال نور الدولة دبيس ونهبوا وفتكوا في أهل تلك الاعمال وكان نور الدولة شرقي الفرات وخفاجة غربيها فارسل نور الدولة الى البساسيري يستنجده فسار اليه فلما وصل عبر الفرات من ساعته وقاتل خفاجة واجلاهم عن الجامعين فانهزموا منه ودخلوا البر فلم يتبعهم وعاد عنهم فرجعوا الى الفساد فاستعد لملوك البر خلفهم أين قصدوا وعطف نحوهم قاصدا حربهم فدخلوا البر أيضا فتبعهم فلحقهم بخفان وهو حصن بالبر وقع بهم وقتل منهم ونهب أموالهم وجمالهم وعبيدهم واماءهم وشردهم كل مشرد وحصر خفان ففتحه وخربه وأراد تخريب القائم به وهو بناء من آجر وكلس وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مطاع بمال بذله فتركه وعاد الى البلاد وهذا القائم قيل انه كان علما يهتدي به السفن لما كان البحر يجيء الى النجف ودخل بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلا من خفاجة عليهم البرانس وقد شدهم بالحبال الى الجمال وقتل منهم جماعة وصاب جماعة وتوجه الى حربى فحصرها وقرر على أهلها تسعة آلاف دينار وأمنهم

﴿ ذكر استيلاء قريش بن بدران على الانبار والخطبة لطغرلبك بأعماله ﴾

في شعبان من هذه السنة حصر الامير أبو المعالي قريش بن بدران صاحب الموصل مدينة الانبار وفتحها وخطب لطغرلبك فيها وفي سائر أعماله ونهب ما كان فيها للبساسيري وغيره ونهب حلل أصحابه بالحاص وفتحوا بثوقه فامتعض البساسيري من ذلك وجمع جموعا كثيرة وقصد الانبار وحربى فاستعادهما على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده ﴾

في هذه السنة في رجب توفي القائد بن حماد وأوصى الى ولده محسن وأوصاه بالاحسان الى عمومته فلما مات خالف ما أمره به وأراد عزل جميعهم فلما سمع عمه يوسف بن حماد عزم عليه خالفه وجمع جمعا عظيما وبنى قلعة في جبل منيع وسماها الطيارة ثم ان محسنا قتل من عمومته أربعة فازداد يوسف نفورا وكان ابن عمه بلكين بن محمد في بلده افريون فكتب اليه محسن يستدعيه فسار اليه فلما قرب منه أمر محسن رجالا من العرب ان يقتلوه فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن ان بلكين لم يزل محسنا الينا فكيف نقتله فاعلموه ما أمرهم به محسن فقال له خليفة لا تخف وان كنت تريد قتل محسن فانا أقتله لك فاستعد بلكين لقتاله وسار اليه فلما علم محسن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هاربا اليها فادركه بلكين فقتله وملك القلعة وولى الامر وكان ملكه القلعة سنة سبع وأربعين وأربعمائة

﴿ ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيري والخليفة ﴾

في شهر رمضان من هذه السنة ابتدأت الوحشة بين الخليفة والبساسيري وسبب ذلك ان أبا الغنائم وأبا سعد ابني المحلبان صاحبي قريش بن بدران وصلا الى بغداد سرا فامتعض البساسيري من ذلك وقال هؤلاء وصاحبهم كبسوا حلل أصحابي ونهبوا وفتحوا البثوق وأمروا في اهلاك الناس وأراد أخذهم فلم يمكن منهم فمضى الى حربى وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته فنسب ذلك الى رئيس الرؤساء واجتازت به سفينة لبعض أقارب رئيس الرؤساء فمنعها وطالب بالضريبة التي عليها وأسقط مشاهرات الخليفة من مطار الضرب وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء وحواشي الدار وأراد هدم دور بني المحلبان فمنع منه فقال ما أشكو الا من رئيس

يامانى أما آن لك أن تزورنا على حين توفان منا اليك ومنازعة قلوب منا نحوك فقال مانى الشوق شديد والحب عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو سهل لنا فى الاذن لسهلت علينا الزيارة فقال ألطفت فى الاستئذان فليلطف ذلك فى الاذن لا يمنع مانى أى وقت ورد من ليل أو نهار ثم اذن له فى الجلوس فجلس ودعا بالطعام فأكل ثم غسل يديه وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من مؤنسة جارية بنت المهدى فأحضرت وكان أول ما غنت به

ولست بناس اذ غدوا فتحملوا
دموعى على الاحباب من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم
بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال مانى أحسنت وبحق الامير الا ما رددت فيه

وقفت أناجى الفكر والدمع جائر
بقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدنى هذا الامير بغيرة
على ظالم قد لج فى الهجر والصد

فاندفعت تغنيه فقال له محمد أعاشق أنت يامانى فاستحى وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشئ فيسقط من عينيه فقال مبلغ طرب وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت

حجبوها عن الرياح لانى
قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن * منعوها عن الرياح الكلاما

الرؤساء

ففتنته فطرب محمود وعابر طل فشرب فقال مانى ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه فتنعست ثم قلت لطيفى * آه ان زرت طيفها الماما
خصه بالسلام منى فأحيى * يمنعوها الشقوتى أن تناما لكان أنقب لزند الصبابة ٣٠٩ بين الاحشاء وأشد تغلغلا الى

الرؤساء الذى قد خرب البلاد وأطمع الغز وكاتبهم ودام ذلك الى ذى الحجة فسار البساسيرى الى الانبار وأحرق ناحيتى دمما والفلوجة وكان أبو الغنائم بن المحلبان بالانبار قد أتاها من بغداد وورد نور الدولة دبيس الى البساسيرى معاونا له على حصرها ونصب البساسيرى عليها المجانيق فهدم برجا ورماهم بالنفط فاحرق أشياء كان قد أعدها أهل البلد لقتاله ودخلها قهرا فاسر مائة نفس من بنى خفاجة وأسر أبا الغنائم بن المحلبان فاخذوه وقد ألقى نفسه فى الفرات ونهب الانبار وأسر من أهلها خمسمائة رجل وعاد الى بغداد وبين يديه أبو الغنائم على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه برنس وفى رجليه قيد وأراد صلبه وصلب من معه من الاسرى فسأله نور الدولة ان يؤخر ذلك حتى يعود وأتى البساسيرى الى مقابل التاج فقبل الارض وعاد الى منزله وترك أبا الغنائم لم يصلبه وصلب جماعة من الاسرى فكان هذا أول الوحشة

﴿ذكر وصول الغز الى الدسكرة وغيرها﴾

فى شوال من هذه السنة وصل ابراهيم بن اسحق وهو من الامراء الغزية السلجوقية الى الدسكرة وكان مقيما بحلوان فلما وصل اليها قاتله أهلها ثم ضعفوا وعجزوا وهربوا متفرقين ودخل الغز البلد فنهبوه أقبح نهب وضربوا النساء وأولادهن فاستخرجوا بذلك أموالا كثيرة وساروا الى روشنقباذ فافتحها وهى بيد سعدى وأمواله فيها وفى قلعة البردان وكان سعدى قد فارق طاعة السلطان طغرلبك على ما ذكرناه فلم يفتحها وأجلى أهل تلك البلاد وخربت القرى ونهبت أموال أهلها وسار طائفة أخرى من الغز الى نواحى الاهواز وأعمالها فنهبوها واجتاحوا أهلها وقوى طمع الغز فى البلاد وانخذل الديلم ومن معهم من الاتراك وضعفت نفوسهم ثم سير طغرلبك الامير أبا على بن الملك أبى كاليجار الذى كان صاحب البصرة فى جيش من الغز الى خوزستان ليملكها فوصل سابور خواست وكاتب الديلم الذين بالاهواز يدعوهم الى طاعته ويعدهم الاحسان ان أجابوا والعقوبة ان امتنعوا فمنهم من أطاع ومنهم من خالف فسار الى الاهواز فملكها واستولى عليها ولم يعرض لاحد فى مال ولا غيره فلم يوافقه الغز على ذلك ومدوا أيديهم الى النهب والغارة والمصادرة ولقى الناس منهم عنتا وشدة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كثرت الصراصر ببغداد حتى كان يسمع لها بالليل دوى كدوى الجراد اذا طار وفيها فى ذى الحجة توفى أبو حسان المهلبى بدران أخو قريش بن بدران صاحب الموصل وفيها فى شوال توفى قسطنطين ملك الروم زوج تدورة بنت قسطنطين الموسومة بالملك وانما ملك قسطنطين هذا حيث تزوجها وفيها توفى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الاصبهانى المعروف بابن اللبان الفقيه الشافعى وهو من أصحاب أبى حامد الاسفرايينى وروى الحديث عن ابن المقرى والمخلص وغيرهما وتوفى فيها أحمد بن عمر بن روح أبو الحسن النهروانى وله شعر جيد فمنه انه سمع رجلا يتغنى وهو يقول

وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

فاستوقفه وقال له اضف اليه

على قلبى الاحبة بالتمادى فى الهوى غلبوا
وبالهجران من عينى طيب النوم قد سلبوا

الكبد الصدى من زلال الماء مع حسن تأليف نظمه والانتهاء بالمعنى الى نهاية تمامه فقال محمد أحسنت يا مانى ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الاولين والغناء بهما ففعلت ثم غنت بهذين البيتين

يا خليلى ساعة لا تريما
وعلى ذى صبابة فأقيما
ما مر زنابد ارز ينب الا
هتك الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى لولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب فيصدران الا عن استحسان لهما فقال محمد يا مانى الرغبة فى حسن ما تأتى به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

طبية كالهلال لو تلحظ الصخ
ر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ايما
ض بروق اولؤلؤا منظوما

فقال أحسنت يا مانى فأجز هذا الشعر

لم تطب اللذات الا بعن
طابت بها اللذات مأنوسه
غنت بصوت أطلقت عبرة
كانت بسجن الصبر محبوسه

فقال مانى

وكيف صبر النفس عن غادة
أظلمها ان قلت طاووسه

٣٧ ابن الاثير تاسع وجرت ان سميتها بانة * فى جنة الفردوس مغروسه وغير عدل ان عدلنا بها *
جوهرة فى البحر مغموسه ثم سكت فقال محمد ما عداك فى وصفها فقال مانى جلت عن الوصف فافكرة * تلحقها بالنعت محسوسه

فقال محمد أحسنت فقالت مؤنسة وجب شكرك يا مانى فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله يديم لنا ذلك

ببقاء من به اجتمع شملنا فقال لها مانى عند قولها وعطف عليك الفلك مجيبا

وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طغرلبك فيها)﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار قائد كبير من الديلم يسمى فولاذ وهو صاحب قلعة اصطخر الى شيراز فدخلها وأخرج عنها الامير أبا منصور ولاستون ابن الملك أبى كاليجار فقصد فيروزاباذ وأقام بها وقطع فولاذ خطبة السلطان طغرلبك فى شيراز وخطب للملك الرحيم ولاخيه أبى سعد وكاتبهما يظهر لهما الطاعة فعلما انه يخدعهما بذلك فسار اليه أبو سعد وكان بارجان ومعه عساكر كثيرة واجتمع هو وأخوه الامير أبو منصور على قصد شيراز ومحاصرتها على قاعدة استقرت بينهما من طاعة أخيهما الملك الرحيم فتوجها نحوهما فيمن معهما من العساكر وحصرا فولاذ فيها وطال الحصار الى ان عدم القوت فيها وبلغ السعر سبعة ارطال حنطة بدينار ومات أهلها جوعا وكان من بقى فيها نحو ألف انسان وتعذر المقام فى البلد على فولاذ فخرج هاربا مع من فى صحبته من الديلم الى نواحى البيضاء وقلعة اصطخر ودخل الامير أبو سعد والامير أبو منصور شيراز وعساكرهما وملكوها وأقاموا بها

﴿(ذكر قتل أبى حرب بن مروان صاحب الجزيرة)﴾

فى هذه السنة قتل الامير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان وكان والده قد سلم اليه الجزيرة وتلك النواحى ليقيم بها ويحفظها وكان شجاعا مقداما فاستبد بالامر واستولى عليها فجرى بينه وبين الامير موسك بن المجلى بن زعيم الاكراد البختية وله حصون منيعة شرقى الجزيرة نفرة ثم راسله أبو حرب واستماله وسعى ان يزوجه ابنة الامير أبى طاهر البشنوى صاحب قلعة فنك وغيرها من الحصون وكان أبو طاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان فيخالف أبو طاهر صاحب فنك أبا حرب فى الذى أشار به من تزويج الامير موسك فزوجه ابنته ونقلها اليه فاطمأن حينئذ موسك وسار الى سليمان فغدر به وقبض عليه وحبسه ووصل السلطان طغرلبك الى تلك الاعمال لما توجه الى غزو الروم على ما ذكرناه فارسل الى نصر الدولة يشفع فى موسك فاظهر أنه توفى فشق ذلك على حميه أبى طاهر البشنوى وأرسل الى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لهما حيث أردتما قتله فلم جعلتما ابنتى طريقا الى ذلك وقلدتمونى العار وتنكر لهما وخافه أبو حرب فوضع عليه من سقاه سما فقتله وولى بعده ابنه عبيد الله فاظهر له أبو حرب المودة استصلاحا له وتبرأ اليه من كل ما قيل عنه واستقر الامر بينهما على الاجتماع وتجديد الايمان فنزلوا من فنك وخرج اليهم أبو حرب من الجزيرة فى نفر قليل فقتلوه وعرف والده ذلك فاقلقه وأزعجه وأرسل ابنه نصرا الى الجزيرة ليحفظ تلك النواحى ويأخذ ثأر أخيه وسير معه جيشا كثيفا وكان الامير قريش بن بدران صاحب الموصل لما سمع قتل أبى حرب انتهز الفرصة وسار الى الجزيرة ليملكها وكاتب البختية والبشنوية واستمالهم فنزلوا اليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى وصبر الفريقان فكانت الغلبة أخيرا لابن مروان وجرح قريش جراحة قوية بزوبين رمى به وعاد عنه وثبت أمر ابن مروان بالجزيرة وعاد ومراسلة البشنوية والبختية واستمالهم لعله يجد فيهم طمعا فلم يطيعوه

ليس لى الف فيعطفنى
فارقت نفسى الاباطيل
أنا موصول بنعمة من
حمله بالمجد موصول
أنا مغبوط بنعمة من
طبعه بالمجد مأمول
فأومأ اليه ابن طالوت
بالقيام فنهض وهو يقول
ملك قل النظير له
زانه الفرد البهاليل
طاهرى فى مواكبه
عرفه فى الناس مبذول
دم من يشقى بصارمه
مع هبوب الريح مطلول
يا أبا العباس صن أدبا
حده بالدهر مفلول
فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ثم أقبل على ابن طالوت فقال ليست خساسة المرء ولا اتضاع الدهر ولا نبو العين عن الظاهر بمذهب جوهرية الادب المركب فى الانسان وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول
لا يحجبنك من يصون ثيابه
خوف الغبار وعرضه مبذول
فلربما افتقر الفتى فرأيته
دنس الثياب وعرضه مغسول
قال ابن طالوت فما رأيت احضر ذهنا منه اذ تقول الجارية عطف عليك الفلك وانشاده عند قولها ذلك ليس لى الف فيعطفنى فارقت نفسى الاباطيل قال فلم يزل محمد مجريا عليه ذكر رزقه حتى توفى * ونعى الى المعتز المؤيد برعليه وأنه قد استمال جماعة من الموالى فحبس المؤيد وأبا أحمد وهما لاب وأم وطولب

المؤيد بأن يخلع نفسه من ولاية العهد فضرب أربعين عصا الى أن أجاب وأشهد على نفسه بذلك ثم اتصل بالمعتز أن جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على اخراج المؤيد من حبسه فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتا وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر فيه فيقال انه أدرج في لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه وضيق حبس أبي أحمد فكان بين ادخوله سر من رأى ومالقي بها من الاكرام وبين حبسه سنة أشهر وثلاثة أيام ثم أشخص الى البصرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوما ورتب اسمعيل بن قتيحة وهو أخو المعتز لابيه وأمه مكان المؤيد في ولاية العهد واجتمع قواد الموالي الى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف وبغا فاجابهم الى ذلك * وفي هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر * وقد كان يوسف بن اسمعيل العلوي غلب على مكة فمات في هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف وكان أسن منه بعشرين سنة فقال الناس في هذه السنة جهد شديد فبعث المعتز ابن الساج الاشروسي الى الحجاز فهرب محمد بن يوسف وقتل خلق من أصحابه * وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسيني بسليمان بن عبد الله بن طاهر فاخرجه عن طبرستان * وفي هذه السنة قدم الى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيباني من مصر ومعه مال كثير وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبي طالب من ولد علي وجعفر وعقيل كانوا خرجوا من الحجاز خوف

﴿ ذكر وثوب الاتراك ببغداد بأهل البساسيري والقبض عليه ونهب دوره وأملاكه وتأكد الوحشة بينه وبين رئيس الرؤساء ﴾

في هذه السنة ثارت فتنة ببغداد بالجانب الشرقي بين العامة وثار جماعة من أهل السنة وأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحضروا الديوان وطلبوا ان يؤذن لهم في ذلك وان يتقدم الى أصحاب الديوان بمساعدتهم فأجيبوا الى ذلك وحدث من ذلك شر كثير ثم ان أبا سعد النصراني صاحب البساسيري حمل في سفينة ستمائة جرة خمرا ليصدرها الى البساسيري بواسط في ربيع الآخر فحضر ابن سكرة الهاشمي وغيره من الاعيان في هذا الباب وتبعهم خلق كثير وحاجب باب المراتب من قبل الديوان وقصدوا السفينة وكسروا جرار الخمر وأراقوه وبلغ ذلك البساسيري فعظم عليه ونسبه الى رئيس الرؤساء وتجددت الوحشة فكتب فتاوى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفية بان الذي فعل من كسر الجرار واراقة الخمر تعد غير واجب وهي ملك رجل نصراني لا يجوز وتردد القول في هذا المعنى فتأكدت الوحشة من الجانبين ووضع رئيس الرؤساء الاتراك البغداديين على ثلب البساسيري والذم له ونسب كل ما يجري عليهم من نقض اليه فطمعوا فيه وسلكوا في هذا المعنى زيادة على ما أراد رئيس الرؤساء وتمادت الايام الى رمضان فحضر وادار الخليفة واستأذنوا في قصد دور البساسيري ونهبها فاذن لهم في ذلك فقصدوها ونهبوها وأحرقوها ونكبوا بنسائه وأهله ونوابه ونهبوا دوابه وجميع ما يملكه ببغداد وأطلق رئيس الرؤساء لسانه في البساسيري وذمه ونسبه الى مكاتبة المستنصر صاحب مصر وأفسد الحال مع الخليفة الى حد لا يرجى صلاحه وأرسل الى الملك الرحيم يأمره بابعاد البساسيري فابعده وكانت هذه الحالة من أعظم الاسباب في ملك السلطان طغرلبك العراق وقبض الملك الرحيم وسيرد من ذلك ما تراه ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر وصول طغرلبك الى بغداد والخطبة له بها ﴾

قد ذكرنا قبل مسير طغرلبك الى الري بعد عوده من غزو الروم للنظر في ذلك الطرف فلما فرغ من الري عاد الى همذان في المحرم من هذه السنة وأظهر أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها وكاتب أصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها فامرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد وقوي في أعصاد الناس وشغب الاتراك ببغداد وقصدوا ديوان الخلافة ووصل السلطان طغرلبك الى حلوان وانتشر أصحابه في طريق خراسان فاجفل الناس الى غربي بغداد وأخرج الاتراك خيامهم الى ظاهر بغداد وسمع الملك الرحيم بقرب طغرلبك من بغداد فاصعد من واسط اليها وفارقه البساسيري في الطريق لمراسلة وردت من القائم في معناه الى الملك الرحيم ان البساسيري خلع الطاعة وكاتب الاعداء يعني المصريين وان الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها فان آثره فقد قطع ما بينهما وان أبعده وأصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره فقال الملك الرحيم ومن معه نحن لا وامر الديوان متبعون وعنه منفصلون وكان سبب ذلك ما ذكر وسار البساسيري الى بلد نور الدولة دبيس ابن مزيد لمصاهرة بينهما وأصعد الملك الرحيم الى بغداد وأرسل طغرلبك رسولا الى الخليفة يبالغ في اظهار الطاعة والعبودية والى الاتراك البغداديين يعدهم الجميل والاحسان فانكر الاتراك

فى حبس سامرا * وفى هذه السنة قتل أهل كرخ سامرا من الفراعنة والاتراك لوصيف التركى وتخلص بغا منهم واشتد أمر شاور الشارى ورتب صالح بن وصيف فى موضع وصيف * وفى سنة أربع وخمسين ومائتين خرج بغا من سامرا الى ناحية الموصل فانتهبت الموالى داره وانفض من كان معه من الجيش وانحدر فى زورق فوقع به بعض المغاربة بجسر سامرا فقتل ونصب رأسه بسامرا وهو بغا الصغير ثم أخذ الرأس الى مدينة السلام فنصب على الجسر وكان المعتز فى حياة بغا لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا فى ليل ولا فى نهار خوفا من بغا وقال لا أزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا أسى أو رأسه لى وكان يقول انى لاخاف أن ينزل على بغا من السماء أو يخرج على من الارض وقد كان بغا عزم على أن يحدر سرا فيصل الى سامرا فى الليل ويصرف الاتراك عن المعتز ويفيض فيهم الاموال فكان من أمره ما وصفنا ولما رأى الاتراك من اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واعماله الحيلة فى فنائهم وانه قد اصطنع المغاربة والفراعنة دونهم صاروا اليه باجمعهم وذلك لاربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وجعلوا يقرعونه بذنوبه ونقل

ذلك وراسلوا الخليفة فى المعنى وقالوا انا فعلنا بالبساسيرى ما فعلنا وهو كبيرنا ومقدمنا بتقدم أمير المؤمنين ووعدنا أمير المؤمنين بابعاده هذا الخصم عنا ونراه قد قرب منا ولم يمنع من المجىء وسألوا التقدم عليه فى العود فغولطوا فى الجواب وكان رئيس الرؤساء يؤثر مجيئه ويختار انقراض الدولة الديلمية ثم ان الملك الرحيم وصل الى بغداد منتصف رمضان وأرسل الى الخليفة يظهر له العبودية وانه قد سلم أمره اليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه فى تقرير القواعد مع السلطان طغرلبك وكذلك قال من معه الرحيم من الامراء فاجيبوا بان المصلحة أن يدخل الاجناد خيامهم من ظاهر بغداد وينصبوها بالحريم ويرسلوا رسولا الى طغرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة فاجابوا الى ذلك وفعلوه وارسلوا رسلا اليه فاجابهم الى ما طلبوا ووعدهم الاحسان اليهم وتقدم الخليفة الى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من السنة وأرسل طغرلبك يستأذن الخليفة فى دخول بغداد فأذن له فوصل الى النهروان وخرج الوزير رئيس الرؤساء الى لقائه فى موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه أعيان الامراء من عسكر الرحيم فلما علم طغرلبك بهم أرسل الى طريقهم الامراء ووزيره أبا نصر الكندرى فلما وصل رئيس الرؤساء الى السلطان أبلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وامراء الاجناد وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من الشهر ونزل بباب الشماسية ووصل اليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان فى طاعته قبل هذا الوقت على ما ذكرناه

﴿ ذكر وثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم ﴾

لما وصل السلطان طغرلبك بغداد دخل عسكره البلد للاختيار وشراء ما يريدونه من أهلها وأحسنوا معاملتهم فلما كان الغد وهو يوم الثلاثاء جاء بعض العسكر الى باب الازج وأخذ واحدا من أهله ليطالب منه تبنا وهو لا يفهم ما يريدون فاستغاث عليهم وصاح العامة بهم ورجموهم وهاجوا عليهم وسمع الناس الصياح فظنوا أن الملك الرحيم وعسكره قد غزوهم على قتال طغرلبك فارتج البلد من اقطاره وأقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغز من وجد فى محال بغداد الا أهل الكرخ فانهم لم يتعرضوا الى الغز بل جمعوهم وحفظوهم وبلغ السلطان طغرلبك ما فعله أهل الكرخ من حماية أصحابه فامر باحسان معاملتهم فارسل عميد الملك الوزير الى عدنان ابن الرضى نقيب العلويين يأمره بالحضور فحضر فشكره عن السلطان وترك عنده خيلا باسم السلطان تحرسه وتحرس المحلة وأما عامة بغداد فلم يقنعوا بما عملوا حتى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر الى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطانى فلما رآهم الملك الرحيم وعسكره لبعضهم ما أرادوا لكن تخلفوا ودخل أعيان أصحابه الى دار الخلافة وأقاموا بها نفيا للتهمة عن أنفسهم ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وأما عسكر طغرلبك فلما رآوا فعل العامة وظهورهم من البلد قاتلوهم فقتل بين الفريقين جمع كثير وانهزمت العامة وجرح فيهم وأسر كثير ونهب الغز درب يحيى ودرب سليم وبه دور رئيس الرؤساء ودور أهله فنهب الجميع ونهبت الرصافة وترب الخلفاء وأخذ منها من الاموال ما لا يحصى لان أهل تلك الاصقاع نقلوا اليها أموالهم اعتقادا منهم أنها محترمة ووصل النهب الى اطراف نهر المعلى واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف

ونقل الناس أموالهم الى باب النوبى وباب العامة وجامع القصر فتعطلت الجمعات لكثرة الزحمة وأرسل طغرلبك من الغد الى الخليفة يعتب و ينسب ماجرى الى الملك الرحيم وأجناده و يقول ان حضروا برئت ساحتهم وان تأخروا عن الحضور أيقنت ان ماجرى انما كان بوضع منهم وأرسل للملك الرحيم وأعيان أصحابه أمانا لهم فتقدم اليهم الخليفة بقصده فركبوا اليه وأرسل الخليفة معهم رسولا يبرئهم مما خامر خاطر السلطان فلما وصلوا الى خيامه نهبوا الغزوز وارسل الخليفة معهم وأخذوا ما لهم وثيابهم ولما دخل الملك الرحيم الى خيمة السلطان أمر بالقبض عليه وعلى من معه فقبضوا كلهم آخر شهر رمضان وحبسوا ثم حمل الرحيم الى قلعة السيروان وكانت ولاية الملك الرحيم على بغداد ست سنين وعشرة أيام ونهب أيضا قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب ونجا مسلوبا فاحتمى بخيمة بدر بن المهلهل فالقوا عليه الزلالى حتى أخفوه بها عن الغز ثم علم السلطان ذلك فارسل اليه وخلع عليه وأمره بالعود الى أصحابه وحلله بسكيماله وأرسل الخليفة الى السلطان يذكر ماجرى من قبض الرحيم وأصحابه ونهب بغداد ويقول انهم انما خرجوا اليك بأمري وأماني فان أطلقتهم والا فانا أفارق بغداد فانى انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني ان تعظيم الاوامر الشريفة يزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الامر بالضد فاطلق بعضهم وأخذ جميع اقطاعات عسكر الرحيم وأمرهم بالسعي في أرزاق يحصلونها لانفسهم فتوجه كثير منهم الى البساسيري ولزموه فكثر جمعه ونفق سوقه وأمر طغرلبك بأخذ أموال الاتراك البغداديين وأرسل الى نور الدولة دبيس يأمره بايعاد البساسيري عنه ففعل فسار الى رحبة مالك بالشام على ماذكره وكاتب المستنصر صاحب مصر بالدخول في طاعته وخطب نور الدولة لطغرلبك في بلاده وانتشر الغز السلجوقية في سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت الى النيل ومن الشرقي الى النهروانات وأسافل الاعمال وأسرفوا في النهب حتى بلغ ثمن الثور ببغداد خمسة مراريط الى عشرة والحمار بقيراطين الى خمسة وخرب السواد وأجلى أهله عنه وضمن السلطان طغرلبك البصرة والاهواز من هزارسب ابن بنكير بن عياض بثلثمائة ألف وستين ألف دينار وأقطعه ارجان وأمره ان يخطب لنفسه بالاهواز دون الاعمال التي ضمنها وأقطع الامير أبا علي بن أبي كاليجار الملك قرميسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ ان يؤذنوا في مساجدهم سحر الصلاة خير من النوم وأمر بعمارة دار المملكة فعمرت وزيد فيها وانتقل اليها في شوال

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد ومقدم الحنابلة أبو علي بن الفراء ابن التميمي وتبعهم من العامة الجم الغفير وأنكروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعوا من الترجيع في الاذان والقنوت في الفجر ووصلوا الى ديوان الخليفة ولم يتفصل حال وأتى الحنابلة الى مسجد باب الشعير فنهوا امامه عن الجهر بالبسملة فاحرج مصحفا وقال أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها وفيها كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربي ثم بعد وجوده فاشرف الناس والحجاج على الهلاك فارسل الله تعالى عليهم من الجراد ما ملأ الارض فتقوص الناس به ثم عاد الحاج فسهل الامر على أهل مكة وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر على العادة فلم يحمل منها الطعام الى مكة وفيها ظهر باليمن انسان يعرف بابي

واعتقله فيها فاتى به في يوم وليلة الى سامرا فتلقاه الاولياء في الطريق ودخل الى الجوسق وأجاب المعتز الى الخلع على أن يعطوه الامان أن لا يقتل وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز و يسمع كلامه فاتى بالمعتز وعليه قميص مدنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد بن الواثق وثب اليه فعانقه وجلسا جميعا على السرير فقال له محمد بن الواثق يا أخي ما هذا الامر قال المعتز أمر لا أطيقه ولا أقوم به ولا أصلح له فاراد المهتدي أن يتوسط أمره ويصلح الحال بينه و بين الاتراك فقال المعتز لا حاجة لي فيها ولا يرضوني لها قال المهتدي فانا في حل من بيعتك قال انت في حل وسعة فلما جعله في حل من بيعته حول وجهه عنه فأقيم عن حضرته ورد الى محبسه فقتل في محبسه بعد أن خلع بستة أيام على ما قدمنا في صدر هذا الباب

* وقد قالت الشعراء في خلع المعتز وقتله فاكثرت ورثته فأحسنت في ذلك قول بعض اهل ذلك العصر من قصيدة له عين لا تبخلي بسفح الدموع * واندبي خير فاجع مفجوع حامه الناصح السفيه ونالته أكف الردى بخلف سريع بكر الترك ناقمين عليه * خلعته افديه من مخلوع قتلوه ظلما وجورا فالفوه كريم الاخلاق غير جزوع

كان يمشي بحسنه بهجة البد * رفتلقاه مظهر للخضوع ونرى الشمس تستكين فلا تشـ ـرق اما رأته وقت الطلوع لم يهابوا جيشا ولا رهبوا السيـ ـف ٢١٤ فلهم في على القتيل الخليع أصبح الترك مالكي الامر والعا * لم ما بين سامع ومطيع

وترى الله فيهم ما لك الامـ

رسيجزيهم بمثل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة

أصبحت مقلتي بدمع سفوحا
حين قالوا أضحى الامام ذبيحا
قتلوه ظلما وجورا وغدرا
حين أهدوا اليه حتفا مريحا
نضر الله ذلك الوجه وجها
وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون للدهـ
رسيوفا لا تستبل الجريحا
فاستعدوا للسيف عاقبة الامـ
ـر فقد جئتم فعالا قبيحا

وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا

أصبحت مقلتي تسح الدموعا
اذ رأت سيد الانام خليعا
لهف نفسي عليه ما كان أملا
ه واسراه تابعا متبوعا
ألزموه ذنبا على غير جرم
فشوى فيهم قتيلا صريعا
وبنو عمه وعم أبيه
أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا
ما بهذا يصح ملك ولا يغـ
ـزى عدو ولا نكون جميعا

وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بني أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق وقتل واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في فعل ذلك * وكذلك المستعين قبله أحدث لبس

كامل علي بن محمد الصليحي واستولى على اليمن وكان معلما فجمع الى نفسه جمعا وانتمى الى صاحب مصر وتظاهر بطاعته فكثر جمعه وتبعه واستولى على البلاد وقوى على ابن سامل وابن الكريدي المقيمين بها على طاعة القائم بأمر الله وكان يتظاهر بمذهب الباطنية وفيها خطب محمود الخفاجي للمستنصر العلوي صاحب مصر بشفاتا والعين وصار في طاعته وفيها في شوال توفي قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا ومولده سنة ثمان وستين وثلثمائة وبقي في القضاء سبعا وعشرين سنة وكان شافعيا ورعا زاهدا أمينا وولي بعده أبو عبد الله محمد بن علي بن الدامغاني الحنفي وفيها في ذي القعدة توفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد ابن أمير المؤمنين ومولده في جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وفيها قبض الملك الرحيم قبل وصول طغرلبك الى بغداد على الوزير أبي عبد الله عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحيم وطرح في بئر في دار المملكة وسلم عليه وكان وزيرا متحكما في دولته وفيها في المحرم توفي القاضي أبو القاسم علي بن الحسن بن علي التنوخي ومولده بالبصرة سنة خمس وستين وثلثمائة وخلف ولدا صغيرا وهو أبو الحسن محمد ابن علي ثم توفي في شوال سنه أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته بموته قال القاضي أبو عبد الله ابن الدامغاني دخلت على أبي القاسم قبل موته بقليل فاخرج الي ولده هذا من جاريته وبكى فقلت تعيش ان شاء الله وتربيه فقال هيهات والله ما يتربى الا يتيما وأنشد

أرى ولد الفتى كلا عليه * لقد سعد الذي أمسى عقيما
فاما ان تربيه عدوا * واما ان تخلفه يتيما

فتربى يتيما كما قال وفي جمادى الاولى توفي أبو محمد الحسن بن رجاء الدهان اللغوي وفي جمادى الآخرة فيها توفي أبو القاسم منصور بن حمزة بن ابراهيم الكرخي من كرخ حدان الفقيه الشافعي وفي رجب توفي أبو نصر أحمد بن محمد الثابتي الفقيه الشافعي وهما من شيوخ أصحاب أبي حامد الاسفرايني وفي شعبان توفي أبو البركات حسين بن علي بن عيسى الربعي النحوي وكان ينوب عن الوزير ببغداد ﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخي طغرلبك﴾

في هذه السنة في المحرم جلس أمير المؤمنين القائم بأمر الله جلوسا عاما وحضر عميد الملك الكندري وزير طغرلبك وجماعة من الامراء منهم أبو علي بن الملك أبي كاليجار وهزارسب بن بنكير ابن عياض الكردي وابن أبي الشوك وغيرهم من الامراء الاتراك من عسكر طغرلبك وقام عميد الملك وزير طغرلبك وبيده دبوس ثم خطب رئيس الرؤساء وعقد العقد على ارسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخي السلطان طغرلبك وقبل الخليفة بنفسه النكاح وحضر العقد نقيب النقباء أبو علي بن أبي تمام وعدنان ابن الشريف الرضي نقيب العلويين وأقضى القضاة الماوردي وغيرهم واهديت خاتون الى الخليفة في هذه السنة أيضا في شعبان وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلا وتسلمتها وأحضرتها الى الدار

﴿ذكر الحرب بين عبيد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم﴾

في هذه السنة وقعت الحرب بين عبيد المعز المقيمين بالمهدية وعبيد ابنه تميم بسبب منازعة ادت الى المقاتلة فقامت عامة زويلة وسائر من بها من رجال الاسطول مع عبيد تميم فاخرجوا عبيد المعز

الاكام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالا كاقماع القضاة العلوى فسرح اليهما المعتز

* وفى سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة على بن زيد وعيسى بن جعفر سعيد بن صالح المعروف بالحاجب فى جيش عظيم فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاه اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن محمد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وما ناله أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز فى أيامه من الجهد والضيق وما كان من أمر أخيه بعد وفاة محمد بن يوسف مع أبى الساج وحربه اياه ولما انكشف من بين يدى أبى الساج سار الى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبة المعروف ببنى الاخيضر الى اليوم وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان سائر أخبار من ظهر من آل أبى طالب ومن مات منهم فى الحبس وبالسم وغير ذلك من أنواع القتل منهم عبد الله بن محمد بن على ابن أبى طالب وهو أبو هاشم سقاه عبد الملك بن مروان السم ومحمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حمله سعيد الحاجب من البصرة فحبس حتى مات وكان معه ابنه على فلما مات الاب خلى عنه وذلك فى أيام المستعين وقيل غير ذلك وجعفر بن اسمعيل بن موسى بن جعفر قتله ابن الاغلب

وقتل منهم كثير ومضى الباقون منهم يريدون المسير الى القيروان فوضع عليهم تميم العرب فقتلوا منهم جماعة غفيرا وهذه النوبة هى سبب قتل تميم من قتل من عبيد ابيه لما ملك

(ذكر ابتداء الدولة الملثمين)

فى هذه السنة كان ابتداء أمر الملثمين وهم عدة قبائل ينسبون الى حمير أشهرها المتونة ومنها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وحد الله ولطفه وكان أول مسيرهم من اليمن أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فسيرهم الى الشام وانتقلوا الى مصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق الى طنجة فاحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها الى هذه الغاية فلما كان هذه السنة توجه رجل منهم اسمه الجوهر من قبيلة جدالة الى افريقية طالبا للحج وكان محبا للدين وأهله فرر بفقيه بالقيروان وعنده جماعة يتفقهون قيل هو أبو عمران الفاسى فى غالب الظن فاصغى الجوهر اليه وأعجبه حالهم فلما انصرف من الحج قال للفقيه ما عندنا فى الصحراء من هذا شئ غير الشهادتين والصلاة فى بعض الخاصة فابعث معى من يعلمهم شرائع الاسلام فارسل معه رجلا اسمه عبد الله بن يس الكرولى وكان فقيها صالحا شهما فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جمله وأخذ بزمام جمل عبد الله بن يس تعظيما لشريعة الاسلام فاقبلوا الى الجوهر يهنئونه بالسلامة وسألوه عن الفقيه فقال هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم يعلمكم ما يلزم فى دين الاسلام فرحبوا بهما وأنزلوهما وقالوا تذكر لنا شريعة الاسلام فعرفهم عقائد الاسلام وفرائضه فقالوا أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب وأما قولك من قتل يقتل ومن سرق يقطع ومن زنى يجلد أو يرجم فامر لا نلتزمه اذهب الى غيرنا فرحلا عنهم فنظر اليهما شيخ كبير فقال لابد وان يكون لهذا الجمل فى هذه الصحراء شأن يذكر فى العالم فانتهى الجوهر والفقيه الى جدالة قبيل الجوهر فدعاهم عبد الله بن يس والقبائل الذين يجاورونهم الى حكم الشريعة فمنهم من أطاع ومنهم من أعرض وعصى ثم ان المخالفين لهم تحيروا وتجمعوا وقال ابن يس للذين أطاعوا قد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين نابذوا الحق وأنكروا شرائع الاسلام واستعدوا للقتال فاقيموا لكم راية وقدموا عليكم أميرا فقال له الجوهر أنت الامير فقال لا انما أنا حامل أمانة الشريعة ولكن أنت الامير فقال الجوهر لو فعلت هذا تسلط قبيلى على الناس ويكون وزر ذلك على فقال له ابن يس الرأى ان تولى ذلك أبا بكر بن عمر رأس لمتونة وكبيرها وهو رجل سيد مشكور الطريقة مطاع فى قومه ففعل ويستجيب لنا لحب الرياسة وتتبعه قبيلته فتتقوى بهم فاتيا أبا بكر بن عمر وعرضا ذلك عليه فاجاب فعقدوا له البيعة وسماه ابن يس أمير المسلمين وعادوا الى جدالة وجمعوا اليهم من حسن اسلامه وحرضهم عبد الله بن يس على الجهاد فى سبيل الله وسماهم مرابطين وتجمع عليهم من خالفهم فلم يفاتهم المرابطون بل استعان ابن يس وأبو بكر بن عمر على أولئك الاشرار بالمصلحين من قبائلهم فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم نحو الفى رجل من أهل البغى والفساد فتركوهم فى مكان وخندقوا عليهم وحفظوهم ثم أخرجوهم قوما بعد قوم فقتلوهم فحينئذ دانت لهم اكثر قبائل الصحراء وهابوهم فقويت شوكة المرابطين هذا وعبد الله بن يس مشتغل بالعلم وقد صار عنده منهم جماعة يتفقهون ولما استبد بالامر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجدالى وبقى لا حكم له تداخله

الحاجب من المدينة موسى ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان من النسك والزهد في نهاية الوصف وكان معه ادريس بن موسى فلما صار سعيد بناحية زبالة من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بني فزارة وغيرهم لاخذ موسى من يده فسمه فمات هنالك وخلصت بنو فزارة ابنه ادريس بن موسى * وفي خلافة المعتز في سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدو الفتنة بين الملالية والسعدية بالبصرة وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج * وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وبالله التوفيق

﴿ ذكر خلافة المهتدي بالله ﴾

وبويع المهتدي محمد بن هرون الواثق قبل الظهر من يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها قرب ويكنى بابي عبد الله وله يومئذ سبع وثلاثون سنة وقيل تسع وثلاثون سنة وانه قتل ولم يستكمل الاربعين سنة في سنة ست وخمسين ومائتين فكانت ولايته أحد عشر شهرا ودفن بسامرا وقيل ان مولده كان في سنة ثماني عشرة ومائتين

الحسد وشرع سرا في فساد الامر فلم يذلك منه وعقد له مجلس وثبت عليه ما نقل عنه فحكم عليه بالقتل لانه نكث البيعة وشق العصا وأراد محاربة أهل الحق فقتل بعد ان صلى ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلبا للقاء الله تعالى فاجتمعت القبائل على طاعتهم ومن خالفهم قتلوه فلما كان سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلادهم فامر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج الى السوس وأخذ الزكاة فخرج منهم نحو تسعمائة رجل فقدموا سجلماسة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيأ له قدر وعادوا ثم ان الصحراء ضاقت عليهم وأرادوا اظهار كلمة الحق والعبور الى الاندلس ليجاهدوا الكفار فخرجوا الى السوس الاقصى فجمع لهم أهل السوس وقاتلوهم فانهزم المرابطون وقتل عبد الله بن ياسين الفقيه فعاد أبو بكر بن عمر فجمع جيشا وخرج الى السوس في ألفي راكب فاجتمع من بلاد السوس وزناتة اثنا عشر ألف فارس فارسل اليهم وقال افتحوا لنا الطريق لنجوز الى الاندلس ونجاهد أعداء الاسلام فابوا من ذلك فصلى أبو بكر ودعا الله تعالى وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا والا فارحنا من هذه الدنيا ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال فنصرهم الله تعالى وهزم أهل السوس ومن معهم وأكثر القتل فيهم وغنم المرابطون أموالهم واسلابهم وقويت نفسه ونفوس أصحابه وساروا الى سجلماسة فنزلوا عليها وطلبوا من أهلها الزكاة فامتنعوا عليهم وسار اليهم صاحب سجلماسة فقاتلهم فهزموه وقتلوا ودخلوا سجلماسة واستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

﴿ ذكر ولاية يوسف بن تاشفين ﴾

لما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني وهو من بني عمه الاقربين ورجع الى الصحراء فاحسن يوسف السيرة في الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة فاقام بالصحراء مدة ثم عاد أبو بكر بن عمر الى سجلماسة فاقام بها سنة والخطبة والامر والنهي له واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن ابراهيم بن عمر وجهز مع يوسف بن تاشفين جيشا من المرابطين الى السوس وصح الى يديه وكان يوسف رجلا دينا خيرا حازما داهيا مجربا وبقوا كذلك الى سنة اثنتين وستين واربعمائة وتوفي أبو بكر بن عمر بالصحراء فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه أمير المسلمين وكانت الدولة في بلاد المغرب لزناتة الذين ثاروا في أيام المعتز وهي دولة ردية مذمومة سيئة السيرة لا سياسة ولا ديانة وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج لسنة واتباع الشريعة فاستغاث به أهل المغرب فسار اليها وافتتحها حصنا حصنا وبلدا بلدا بايسر سعي فاحبه الرعايا وصلحت أحوالهم ثم انه قصد موضع مدينة مراكش وهو قاع صفصف لا عمارة فيه وهو موضع متوسط في بلاد المغرب كالقيروان في افريقية ومراكش تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة وأمنعهم معقلا فاختط هنالك مدينة مراكش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال ان هموا بفتنة واتخذها مقرا فلم يتحرك أحد بفتنة وملك البلاد المتصلة بالمجار مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها وكثرت عساكره وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم وضيقوا حينئذ لثامهم وكانوا قبل ان يملكوا يتلثمون في الصحراء من الحر والبرد كما يفعل العرب والغالب على ألوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام وقيل كان سبب اللثام لهم ان طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه

انه العدو أمروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبس السلاح فعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا فقال هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهن فنال الموت والرأى ان نسوق النعم ونمضي فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم في جمع النعم من المراعي اذ قد أقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو فاكثروا وكان من قتل النساء أكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا ومما قيل في اللثام

قوم لهم درك العلا في حمير * وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

ونذكر باقي اخبار أمير المسلمين في مواضعها ان شاء الله تعالى

﴿ذكر تبييض أبي الغنائم بن المحلبان﴾

في هذه السنة بيض علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان بواسط وخطب فيها للعلويين المصريين وكان سبب ذلك ان رئيس الرؤساء سعى له في النظر على واسط واعمالها فاجيب الى ذلك فانحدر اليها فصار عنده جماعة من أعيانها وجند جماعة عظيمة وتقوى بالبطائحيين وسفر على الجانب الغربي من واسط خندقا وبنى عليه سورا واتخذ ضريبة من سفن اصعدت للخليفة فسير لحربه عميد العراق أبو نصر فاقتتلوا فانهزم ابن المحلبان وأسر من أصحابه عدد كثير ووصل أبو نصر الى السور فقاتله العامة من على السور ثم تسلم البلد وأمر أهله بطم الخندق وتخريب السور ثم اصعد الى بغداد فلما قاربها اعاد اليها ابن فسانجس ونهب قرية عبد الله وقتل كل أعمى رآه بواسط واعاد خطبة المصريين وأمر أهل كل محلة عمارة ما يليهم من السور ومضى منصور بن الحسين الى المدار وأرسل الى بغداد يطلب المدد فكتب اليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يأمره انه ان يقصد واسطا هو وابن الهيثم وان يحاصراها فاقبلا اليها فيمن معهما وحصروها في الماء والبر وكان هذا الحصار سنة تسع وأربعين فاشتد فيها الغلاء حتى بيع التمر والخبز وكروش البقر كل خمسة ارطال بدينار واذا وجد الخبازي باعوه كل عشرين رطلا بدينار ثم ضعفوا وضجروا من الحصار فخرج ابن فسانجس ليقاتل فلم يثبت وقتل جماعة من أصحابه وانهزموا الى سور البلد واستأمن جماعة من الواسطيين الى منصور بن الحسين وفارق ابن فسانجس واسطا ومضى الى قصر ابن أخضر وسار اليه طائفة من العسكر ليقاتلوه فادركوه بقرب النيل فأسروه وأهله وحمل الى بغداد فدخلها في صفر سنة تسع وأربعين وشهر على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه طرطور بودع وصلب

﴿ذكر الوقعة بين البساسيري وقريش﴾

في هذه السنة سلخ شوال كانت وقعة بين البساسيري ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد وبين قريش ابن بدران صاحب الموصل ومعه قتلمش وهو ابن عم السلطان طغرلبك وهو جد هؤلاء الملوك أولاد قلج ارسلان ومعه أيضا سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو وكانت الحرب عند سنجار فاقتتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم قريش وقتلمش وقتل من أصحابهما الكثير وبقي قتلمش من أهل سنجار العنت

بالله على ما قدمناه من التاريخ خلف أنفه ومنهم من ذكر أنه منع في حبسه من الطعام والشراب فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى

وبالغوا فى أذاه وأذى أصحابه وجرح قريش بن بدران وأتى الى نور الدولة جريحا فاعطاه خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار فى جملتهم وساروا الى الموصل وخطبوا للخليفة بمصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصرى بطاعتهم فارسل اليهم الخلع من مصر للبساسيرى ولنور الدولة دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشب ولمقبل بن بدران أخى قريش ولابى الفتح بن ورام ونصير بن عمر وأبى الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد وانضاف اليهم قريش بن بدران

﴿ ذكر مسير السلطان طغرلبك الى الموصل ﴾

لما طال مقام السلطان طغرلبك ببغداد وعم الخلق ضرر عسكره وضاقت عليهم مساكنهم فان العساكر نزلوا فيها وغلبوهم على أقواتهم وارتكبوا منهم كل محظور أمر الخليفة القائم بأمر الله وزيره رئيس الرؤساء ان يكتب الى عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك يستحضره فاذا حضر قال له عن الخليفة ليعرف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم ويعظه ويذكره فان أزال ذلك وفعل ما أمر الله به والا فيساعد الخليفة على الانتزاح عن بغداد ليبعد عن المنكرات فكتب رئيس الرؤساء الى الكندرى يستدعيه فحضر فابلغه ما أمر به الخليفة فخرج توقيع من الخليفة الى السلطان فيه مواعظ فمضى الى السلطان وعرفه الحال فاعتذر بكثرة العساكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم وأمر عميد الملك ان يكتب الجواب الى رئيس الرؤساء ويعتذر بما ذكره فلما كان تلك الليلة رأى السلطان فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وكانه يسلم على النبى وهو معرض عنه فلم يلتفت اليه وقال له يحكمك الله فى بلاده وعباده ولا ترافيه فيهم ولا تستحى من جلاله عز وجل فى سوء معاملتهم وتغتر بامهاله عند الجور عليهم فاستيقظ فزعا وأحضر عميد الملك وحدثه بما رأى وأرسله الى الخليفة يعرفه انه يقابل ما رسم به بالسمع والطاعة وأخرج الجند من دور العامة وأمر ان يظهر من كان مختفيا وأزال التوكيل عمن كان وكل به فبينما هو على ذلك وقد عزم على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن أهلها وهو يتردد فيه اذ أتاه الخبر بهذه الوقعة المتقدمة فتجهز وسار عن بغداد عاشر ذى القعدة ومعه خزائن السلاح والمنجنيقات وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهرا وايا ما لم يلق الخليفة فيها فلما بلغوا أوانا نهبا العسكر ونهبوا عكبرا وغيرها ووصل الى تكريت فحصرها وبها صاحبها نصر بن على بن خميس فنصب على قلعة عملها أسود وبذل مالا فقبله السلطان ورحل عنه الى البوازيج ينتظر جمع العساكر ليسير الى الموصل فلما رحل عن تكريت توفى صاحبها وكانت أمه أميرة بنت غريب بن مقن فخافت ان يملك البلدة أخوه أبو الغشام فقتلته وسارت الى الموصل فنزلت على دبيس بن مزيد فتزوجها قريش بن بدران ولما رحلت عن تكريت استخلفت بها أبا الغنائم بن المحلبان فراسل رئيس الرؤساء واستعطفه فصلح ما بينهما وسلم تكريت الى السلطان ورحل الى بغداد وأقام السلطان بالبوازيج الى ان دخلت سنة تسع وأربعين فاتاه أخوه ياقوتى فى العساكر فسار بهم الى الموصل وأقطع مدينة بلد لهزارسب بن بنكير فاجفل أهل البلاد الى بلد فاراد العسكر نهبهم فمنعهم السلطان وقال لا يجوز ان تعرضوا الى بلد هزارسب فلجوا وقالوا نريد الاقامة فقال السلطان لهزارسب ان هؤلاء قد احتجوا بالاقامة فاخرج أهل البلد الى معسكرك لتحفظ نفوسهم ففعل ذلك وأخرجهم اليه فصار البلد بعد ساعة قفرا وفرق فيهم هزارسب مالا وأركب من يعجز عن

فمن أجل ذلك حين أخرج الى الناس وجدوا جوقه وارماوا الاشهر فى الاخبار بين ممن عنى بأخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره فى دخوله اياه وكان الحمام محما ومنع الخروج منه ثم تنازع هؤلاء فمنهم من قال انه ترك فى الحمام حتى فاضت نفسه ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ثم سقى شربة ماء مقراة بثلج فنشرت الكبد وغيره فحمد من فوره وذلك ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار فى كتابنا أخبار الزمان ولما اتصل بالمهتدى مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالمقام فى موضعه وأن لا يحل عن مركزه للحاجة اليه فأبى موسى بن بغا الا اغذاذ المسير والسرعة فيه حتى وافى سامرا ودلك فى سنة ست وخمسين ومائتين وصالح بن وصيف يدبر الامر مع المهتدى فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة فى مواضعها والغوغاء فى طرقاتها يا فرعون قد جاء موسى وكان صالح ابن وصيف قد نفر عن المهتدى حين علم بمواطاة موسى وقال ان المهتدى راسل موسى فى السر فى المسير الى سامرا والتخوص اليها وكاتبه فى ظاهر الامر وراسله أن لا يقدم وكان رجل من قواد الاتراك يقال له بايكبال قد غلب على الامر أيضا وترأس فدخل موسى سامرا حتى انتهى الى مجلس المهتدى وهو جالس للمظالم والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس المشى

والطبر زينات والسف فضجت العامة فقام المهتدى منكرا عليهم فعلهم بن فى الدار فلم يرجعوا عما هم عليه فتغيظ مغضبا فقدم اليه فرس وقد استشعر منهم الغدر فمضى به الى دار مارجوج وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهتدى لما نظر الى ضجة العامة فيها فنزل تلك الدار فسير بالمهتدى اليها فاقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا وكان فيه ديانة وتقشف حتى ان الجند تأسوا به ولم يكن يشرب النبيذ وكان المهتدى فى أخلاقه شراسة فنافر موسى وكاد الامر أن ينفرج والحال أن يتسع غيران موسى تعطف عليه وأعمل الحيلة فى قتل صالح بن وصيف وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه فبث فى طلبه العيون حتى وقع عليه فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به الى موسى بن بغا ومنهم من رأى أنه أحمى له حمام وادخل اليه فمات على حسب ما فعل بالمعتز وقوى أمر شاور الشارى ودنا فى عسكره من سامرا وعم الناس بالاذى وانقطعت السابلة وظهرت الاعراب فأخرج المهتدى بالله موسى ابن بغا وبايكال الى حرب الشارى وخرج معهما فشيعهما ثم قفلا من غير أن يلقيا شرا فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من المعاية والعراعنه وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكال فانصرف موسى على طهر سامرا متحرجا فقال المهتدى فكانت بين المهتدى وبين بايكال حرب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بايكال واستظهر المهتدى عليه فخرج كمين بايكال على

المشى وسيرهم الى الموصل ليأمنوا وتوجه السلطان الى نصيبين فقال له هزارسب قد تمادت الايام ورأى ان اختار من العسكر ألف فارس أسيرهم الى البرية فلعلى أنال من العرب غرضا فاذن له فى ذلك فسار اليهم فلما قاربهم كمن لهم كمينين وتقدم الى الحلل فلما رأوه قاتلوه فصبر لهم ساعة ثم انزاح بين أيديهم كالمنهزم فتبعوه فخرج الكمينان فانهزمت العرب وكثر فيهم القتل والاسر وكان قد انضاف اليهم جماعة من بنى غير أصحاب حران والرقة وتلك الاعمال وحمل الاسرى الى السلطان فلما أحضروا بين يديه قال لهم هل وطئت لكم أرضا وأخذت لكم بلدا قالوا لا قال فلم أتيتم لحربى وأحضر الفيل فقتلهم الا صبيا أمرد فلما امتنع الفيل من قتله عفا عنه السلطان

﴿ ذكر عود نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران الى طاعة طغرلبك ﴾

لما ظفر هزارسب بالعرب وعاد الى السلطان طغرلبك أرسل اليه نور الدولة وقريش يسألانه ان يتوسط حالهما عند السلطان ويصلح أمرهما معه فسعى فى ذلك واستعطف السلطان عليهما فقال اما هما فقد عفوت عنهما واما البساسيرى فذنبه الى الخليفة ونحن متبعون أمر الخليفة فيه فرحل البساسيرى عند ذلك الى الرحبة وتبعه الاتراك البغداديون ومقبل بن المقلد وجماعة من عقيل وطلب دبيس وقريش ان يرسل طغرلبك اليهما أبا الفتح بن وارام فارسله فعادا من عندهما وأخبرا بطاعتهما وانهما يطلبان ان يمضى هزارسب اليهما ليحلفهما فامره السلطان بالمضى اليهما فسار واجتمع بهما وأشار عليهما بالحضور عند السلطان فخافا وامتنعا فانفذ قريش أبا السداد هبة الله ابن جعفر وأنفذ دبيس ابنه بهاء الدولة منصورا فانزلهما السلطان وأكرمهما وكتب لهما باعمالهما وكان لقريش نهر الملك وبادوريا والانبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا وأوانا وتكريت والموصل ونصيبين وأعاد الرسل الى أصحابهم

﴿ ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار ﴾

لما فرغ طغرلبك من العرب سار الى ديار بكر التى هى لابن مروان وكان ابن مروان يرسل اليه كل يوم الهدايا والملح فسار السلطان الى جزيرة ابن عمر فحصرها وهى لابن مروان فأرسل اليه ابن مروان يبذل له مالا يصلح حاله به ويذكره ما هو بصدده من حفظ ثغور المسلمين وما يعانيه من جهاد الكفار ولما كان السلطان يحاسر الجزيرة سار جماعة من الجيش الى عمر اكمن وفيه اربعمائة راهب فذبحوا منهم مائة وعشرين راهبا وافتدى الباقون أنفسهم بستة مكاكيك ذهبا وفضة ووصل ابراهيم ينال آخو السلطان اليه فلقيه الامراء والناس كلهم وحملوا اليه الهدايا وقال لعميد الملك الوزير من هؤلاء العرب حتى تجعلهم نظراء السلطان وتصلح بينهم فقال مع حضورك يكون ما تريد فانت نائب السلطان ولما وصل ابراهيم ينال أرسل هزارسب الى نور الدولة بن مزيد وقريش يعرفهما وصوله ويحذرهما منه فسارا من جبل سنجار الى الرحبة فلم يلتفت البساسيرى اليهما فانحدر نور الدولة الى بلده بالعراق وأقام قريش عند البساسيرى بالرحبة ومعه ابنه مسلم بن قريش وشكا قتلمش ابن عم السلطان اليه ما لقى من أهل سنجار فى العام الماضى لما انهزم وانهم قتلوا رجالا فسير العساكر اليهم فاحاطت بهم وصعد أهلها على السور وسبوا وأخرجوا جاجم من كانوا قتلوا وقلانسهم وتركوها على رؤس القصب فنحوا

المهتدى وفيه مارجوج التركى فولى المهتدى وأصحابه ودخل سامر امستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح فى الاسواق فلا مغيث وقد امه اناس من الانصار فمضى ٢٢٠ مؤيسا من النصر الى دار ابن خيمونة بسامر امختفيا فهجموا عليه وعزلوه وحملوه منها الى دار مارجوج وقيل له أتريد أن تحمل الناس على سيرة عطيفة لم يعرفوها فقال أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين فقيل له الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم وأنت انما رجالك تركى وجزرى ومغربى وغير ذلك من أنواع الاعاجم لا يعلمون مايجب عليهم من أمر آخرتهم وانما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا وكيف تحملهم على ماذكرت من الواضحة فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة فى هذا المعنى واشباهه ثم انقادوا اليه على حسب ماظهر للناس من ذلك فلما كاد الامر ان يتم قام فيهم سليمان ابن وهب الكاتب وقيل غيره وقال هذا سوء رأى منكم وخطأ فى تدبيركم ان أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا قال وسيأتى عليكم جميعا ويفرق جمعكم فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاؤه بالخناجر فكان أول من جرحه ابن عم لبابيكال جرحه بخنجر فى أوداجه وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه وأقبل يمص الدم حتى روى منه والتركى سكران فلما روى من دم يوم المهتدى قام قائما وقدمات المهتدى فقال ياأصحابنا قد رويت من دم المهتدى كما رويت فى هذا اليوم من الخمر وقد تنوزع

السلطان عنوة وقتل أميرها محلى بن مرجا وخلقا كثيرا من رجالها وسبى نساءهم وخربت وسأل ابراهيم بنال فى الباقين فتركهم فسلمها هى والموصل والبلاد الى ابراهيم بنال ونادى فى عسكره من تعرض لنهب صلبته فكفوا عنهم وعاد السلطان الى بغداد على ماذكره وكان ينبغى ان نذكر هذه الحادثة سنة تسع وأربعين وانما ذكرناها هذه السنة لان الابتداء بها كان فيها فاتبعنا بعضها بعضا وذكرنا انها كانت سنة تسع وأربعين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب فغلت الاسعار وكثر الغلاء وتمذرت الاقوات وغيرها من كل شئ وأكل الناس الميتة ولحقهم وباء عظيم فكثر الموت حتى دفن الموتى بغير غسل ولا تكفين فبيع رطل لحم بقيراط وأربع دجاجات بدينار ورطلان شراباً بدينار وسفرجلة بدينار ورمانة بدينار وكل شئ كذلك وكان بمصر أيضا وباء شديد فكان يموت فى اليوم ألف نفس ثم عم ذلك سائر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها وفيها فى جمادى الاولى ولدت جارية ذخيرة الدين بن الخليفة الذى ذكرنا وفاته قبل ولد اذكر اسمى عبد الله وكنى أبا القاسم وهو المقتدى وفيها فى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر فى السماء ذؤابة بيضاء طولها نحو عشرة أذرع فى رأى العين وعرضها ذراع وبقيت كذلك الى نصف رجب واضمحلت وفيها أمر الخليفة بان يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرها الصلاة خير من النوم وان يتركوا حى على خير العمل ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها وفيها توفى على بن أحمد بن على أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالى من أهل مدينة فالة بالقرب من ايذج روى الحديث والادب وله شعر حسن فمنه قوله

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وفى هذه السنة توفى محمد بن الحسين بن محمد بن سعدون أبو طاهر البزاز الموصلى ولد بالموصل ونشأ ببغداد وروى عن ابن حبابة والدارقطنى وابن بطة وغيرهم وكان مولده بمصر وفيها توفى أميرك الكاتب البيهقى فى شوال وكان من رجال الدنيا ومحمد بن عبد الواحد بن عمر بن الميمون الدارمى الفقيه الشافعى

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عود السلطان طغرلبك الى بغداد ﴾

لما سلم السلطان طغرلبك الموصل وأعمالها الى أخيه ابراهيم بنال عاد الى بغداد فلما وصل الى القفص خرج رئيس الرؤساء الى لقائه فلما قارب القفص لقيه عميد الملك وزير السلطان فى جماعة من الامراء وجاء رئيس الرؤساء الى السلطان فابلغه سلام الخليفة واستيحاشه فقبل الارض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر وألبسه فرجية جاءت معه من عند الخليفة ووضع العمامة على محفته فخدم السلطان وقبل الارض ووصل الى بغداد ولم يمكن أحدا من النزول فى دور الناس وطلب السلطان الاجتماع بالخليفة وأذن له فى ذلك وجلس الخليفة

فيما ذكرنا من قتل المهتدي والاشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات ومنهم من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال الى أن مات وقيل خنقا وقيل كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات فلما مات دار به ينوحون ويبكون عليه وندموا على ما كان منهم من قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وقيل ان ذلك كان يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان موسى بن بغا ومارجوج التركي غير داخلين في فعل الاتراك وكان حنق الاتراك على المهتدي بسبب قتله بايكال وذلك أن بايكال وقع يد المهتدي فضرب عنقه ورمى به الى اصحابه ومنهم من رأى انه قتل في الحرب المتقدم ذكرها في الموضع المعروف بجسر سامرا وقد كان المهتدي لما أفضت الخلافة اليه أخرج أحمد بن اسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب الى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا وذلك لامور كانت منهما استحقاها عند المهتدي فيما يجب في حكم الشريعة أن يفعل بهما ذلك وقتل المهتدي وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات وقد كان المهتدي ولى أحمد بن

يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان في الماء وأصحابه حوله في السميريات فلما خرج من السميرية أركب فرسا من مراكب الخليفة فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب الخيزران فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء قل له ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده وورد عليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية فقبل الارض وأمر الخليفة بافاضة الخلع عليه فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب وأعطى العهد وخرج وأرسل الى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا أتراكا من أجود ما يكون ومعهم خيولهم وسلاحهم الى غير ذلك من الثياب وغيرها

﴿ ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ ﴾

كان السلطان قد ضم من هزارسب بن بنكير بن عياض البصرة وارجان وخوزستان وشيراز فتجرد رسول تكين ابن عم السلطان ومعه فولاذ لهزارسب وقصد أرجان ونهبها وكان هزارسب مع طغرلبك بالموصل والجزيرة فلما فرغ السلطان من تلك الناحية رد هزارسب الى بلاده وأمره بقتال رسول تكين وفولاذ فسار الى البصرة وصادر بها تاج الدين بن محفظة العلوي وابن سمعا اليهودي بمائة ألف وعشرين ألف دينار وسار منها الى قتال فولاذ ورسول تكين فلقيهما وقاتلهما قتالا شديدا فقتل فولاذ وأسر رسول تكين ابن عم السلطان وأبقى عليه هزارسب فسأل رسول تكين هزارسب ليرسله الى دار الخلافة ليشفع فيه الخليفة ففعل ذلك ووصل بغداد مع أصحاب هزارسب فاجتاز بدار رئيس الرؤساء فهجم ودخلها واستدعى طعاما ايجازا للحرمة فأمر الخليفة باحضار عميد الملك واعلامه بحال رسول تكين ليخاطب السلطان في أمره فلما حضر عميد الملك وقيل له ذلك قال ان السلطان يقول ان هذا لاحرمة له يستحق بها المراعاة وقد قابل احساني بالعصيان ويجب تسليمه ليتحقق الناس منزلتي وتتضاعف هيبتي فاستقر الامر بعد مراجعة على ان يقيده وخرج توقيع الخليفة ان منزلة ركن الدين يعني طغرلبك عندنا اقتضت مالم نفعله مع غيره لانه لم تجر العادة بتقييد أحد في الدار العزيزة ولابد ان يكون الرضا في جواب ما فعل فراسله رئيس الرؤساء حتى رضي وقد كانت دار الخلافة أيام بني بويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك في الايام السلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شيء فعلوه هذا

﴿ ذكر القبض على الوزير الياروري بمصر ﴾

في هذه السنة في ذي الحجة قبض بمصر على الوزير أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن الياروري وقرر عليه أموال عظيمة منه ومن أصحابه ووجد له مكاتبات الى بغداد وكان في ابتداء أمره قد حج فلما قضى حجه أتى المدينة وزار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط على منكبيه قطعة من الخلوق الذي على حائط الحجرة فقال له أحد القوام أيها الشيخ اني أبشرك ولي الحباء والكرامة اذا

المدبر خراج فلسطين وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وأخبار ابن المدبر لما وصل الى فلسطين وما حمل الى سامرا وقيل ان المعتز بالله كان أخرجه الى الشام ولاحمد بن المدبر أخبار حسان ولابراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب

لعشرته وأخذهم لمدامته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره وكان طفيلى يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم فى كل ملحة افتنانا فلم يزل يحتال الى أن عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء فتزيا فى زى ندمائه ودخل فى جملتهم وظن حاجبه أن ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ولم ينكر شيأ من حاله وخرج أحمد ابن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه اذهب الى ذلك الرجل فقل له ألك حاجة فسقط فى يد الحاجب وعلم أن الحيلة قد تمت عليه وأن ابن المدبر لا يرضى فى عقوبته الا بقتله فمر وهو يجر برجليه فقال له الاستاذ يقول لك ألك حاجة فقال قل له لا فقال له ارجع اليه فقل له ماجلوسك فقال الساعة جلسنا يا غيض فقال ارجع اليه فقل له أى شئ أنت فقال قل له طفيلى يرحمك الله فقال له ابن المدبر أنت طفيلى قال نعم أعزك الله قال ان الطفيلى يحتمل على دخوله بيوت الناس وافساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض فى أسرارهم لحصال منها أن يكون لاعبا بالشطرنج او بالنرد او صاريا بالعود أو الطنبور فقال أيدك الله أنا أحسن هذه الاشياء كلها قال وفى أى وظيفة أنت منها قال فى الغلمان من جميعها قال اليه

بلغته انك تلى ولاية عظيمة وهذا الخلوق دليل على ذلك فلم يحل عليه الحول حتى ولى الوزارة وأحسن الى ذلك الرجل وراعاه وكان يتفقه على مذهب أبى حنيفة وكان قاضيا بالرملة يكرم العلماء ويحسن اليهم ويجالسهم وكان ابتداء أمره كابتداء أمر رئيس الرؤساء الشهاد فى القضاء وكانت سعادتهما متفقة ونهايتهما متقاربة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة زاد الغلاء ببغداد والعراق حتى بيعت الكارة الدقيق السميذ بثلاثة عشر دينارا والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها وكثر الوباء حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة فى الحفيرة وفيها فى ربيع الاول توفى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى الاديب وله نحو ست وثمانين سنة وعلمه أشهر من ان يذكر الا أن أكثر الناس يرمونه بالزندقة وفى شعره ما يدل على ذلك (حكى) انه قال يوما لابى يوسف القزوينى ما هجوت أحدا فقال له القزوينى هجوت الانبياء فتغير وجهه وقال ما أحاف أحدا سواك (وحكى عنه) القزوينى انه قال ما رأيت شعرا فى مرثية الحسين بن على يساوى ان يحفظ فقال القزوينى بلى قد قال بعض أهل سوادنا

رأس ابن بنت محمد ووصيه * للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع * لا جازع منهم ولا متفجع
ايقظت احقادا وكنت لها كرى * واغث عيالم تكن بك تهجع
كحلت بصرعك العيون عماية * رأسم نعيك كل أذن تسمع
ما روضة الا تمنت انها * لك مضجع ولحط قبرك موضع

وفيها اصطلح دبيس بن على بن مزيد ومحمود بن الاخرم الحفاجى حالهما مع السلطان فعاد دبيس الى بلاده فوجدها خرابا لكثرة من مات بها من الوباء الجارف ليس بها أحد وفيها كثر الوباء بخارا حتى قيل انه مات فى يوم واحد ثمانية عشر ألف انسان من أعمال بخارا وهلك فى هذه الولاية فى مدة الوباء ألف ألف وستمائة وخمسون ألفا وكان بسمرقند مثل ذلك ووجد ميت وقد دخل تركى يأخذ لحافا عليه فمات التركى وطرف اللحاف بيده وبقيت أموال الناس سائبة وفيها نهبت دار أبى جعفر الطوسى بالكرخ وهو فقيه الامامية وأخذ ما فيها وكان قد فارقها الى المشهد الغربى وفيها فى صفر توفى أبو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن الصابونى مقدم أصحاب الحديث بخراسان وكان فقيها خطيبا اماما فى عدة علوم وفيها فى ربيع الاول توفى ايازبن ايماق أبو النجم غلام محمود بن سبكتكين وأخباره معه مشهورة وفيها مات أبو أحمد عدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين وفيها توفى أبو الحسين عبد الوهاب بن أحمد بن هرون الغسانى المعروف بابن الجندى

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة﴾

﴿ذكر مفارقة ابراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيرى عليها وأخذها منه﴾

فى هذه السنة فارق ابراهيم ينال الموصل نحو بلاد الجبل فنسب السلطان طغرلبك رحيله الى العصيان فارسل اليه رسولا يستدعيه وصحبته العرجيه التى خلعها عليه الخليفة وكتب الخليفة

اليه أيضا كتابا فى المعنى فرجع ابراهيم الى السلطان وهو ببغداد فخرج الوزير الكندرى لاستقباله وأرسل الخليفة اليه الخلع ولما فارق ابراهيم الموصل قصدها البساسيرى وقرشر ابن بدران وحاصرها فملكا البلد ليومه وبقيت القامة وبها الخازن وارد م وجماعة من العسكر فحاصراها أربعة أشهر حتى أكل من فيها دوابهم فخاطب ابن موسك صاحب اربل قريشا حتى امنهم فخرجوا فهدم البساسيرى القلعة وعفى أثرها وكان السلطان قد فرق عسكره فى النوروز وبقى جريدة فى ألفى فارس حين بلغه الخبر فسار الى الموصل فلم يجدها أحدا كان قريش والبساسيرى قد فارقاها فسار السلطان الى نصيبين ليتتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ففارقه أخوه ابراهيم ينال وسار نحو همذان فوصلها فى السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيرى قد استمالاه وأطمعه فى السلطنة والبلاد فلما عاد الى همذان سار السلطان فى أثره

﴿ ذكر الخطبة بالعراق للعلوى المصرى وما كان الى قتل البساسيرى ﴾

لما عاد ابراهيم ينال الى همذان سار طغرلبك خلفه ورد وزيره عميد الملك الكندرى وزوجته الى بغداد وكان مسيره من نصيبين فى منتصف شهر رمضان ووصل الى همذان وتحصن بالبلد وقاتله بها بين يديه وأرسل الى الخاتون زوجته وعميد الملك الكندرى يأمرهما باللحاق به فمنعهم الخليفة من ذلك فمكثا بهما وفرق عمال كثيرة فى الناس وسار من كان ببغداد من الاتراك الى السلطان بهمذان وسار عميد الملك الى دبيس بن مزيد فاحترمه وعظمه ثم سار من عنده الى هزارسب وسارت خاتون الى السلطان بهمذان فارسل الخليفة الى نور الدولة دبيس بن مزيد يأمره بالوصول الى بغداد فورد اليها فى مائة فارس ونزل فى النجمى ثم عبر الى الاتابين وقوى الارجاف بوصول البساسيرى فلما تحقق الخليفة وصوله الى هيت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى فارسل دبيس بن مزيد الى الخليفة والى رئيس الرؤساء يقول الرأى عندى خروجكما من البلد معى فانى اجتمع أنا وهزارسب فانه يواسط على دفع عدو كما فأجيب ابن مزيد بان يقيم حتى يقع العسكر فى ذلك فقال العرب لا تطيعنى على المقام وأنا أتقدم الى ديالى فاذا انحدرتم سرت فى خدمتكم وسار وأقام بديالى ينتظرهما ولم يرد لذلك اثرا فسار الى بلاده ثم ان البساسيرى وصل الى بغداد يوم الاحد ثامن ذى القعدة ومعه أربعمائة غلام على غاية الضر والفقر وكان معه أبو الحسن بن عبد الرحيم الوزير فنزل البساسيرى بشرعة الرواياو برل قريش ابن بدران وهو فى مائتى فارس عند مشرعة باب البصرة وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا بازاء عسكر البساسيرى وعاد واوخطب البساسيرى بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوى صاحب مصر وأمر فاذن بحى على خير العمل وعقد الجسر وعبر عسكره الى الزاهر وخيموا فيه وخطب فى الجمعة من وصوله بجامع الرصافة للمصرى وجرى بين الطائفتين حروب فى أثناء الاسبوع وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقف عن المناجزة ويرى المحاجزة ومطاولة الايام انتظارا لما يكون من السلطان ولما يراه من المصلحة بسبب ميل العامة الى البساسيرى أما الشيعة فللمذهب وأما السنية فلما فعل بهم الاتراك وكان رئيس الرؤساء لقلة معرفته بالحرب ولما عنده من البساسيرى يرى المبادرة الى الحرب فاتفق ان فى بعض الايام حضر

فلما فعل الطغبلى ومد يده ليأخذ الدراهم فقال الحاجب لينفق عن نفسه بعض ما رقم فيه أمر الله الاستاذ انه زعم أنه فى الطبقة العليا وابن فلان غلامك يغلبه فأحضر الغلام فغلب الطغبلى فقال له انصرف فقال أحضروا النرد فأحضرت فلعب فغلب فقال الحاجب ولا هذا ياسيدى فى الطبقة العليا من النرد ولكن توانا ولان يغلبه فأحضر البواب فغلب الطغبلى فقال له اخرج فقال ياسيدى فأعود فاتى بالعود فضرب فاصاب وغنى فأطرب فقال الحاجب ياسيدى فى جوارنا شيخ هاشمى يعلم القيان أحذق منه فأحضر الشيخ وكان أطرب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فأعطى طنبورا فضرب ضربا لم ير الناس أحسن منه وغنى غناء فى النهاية فقال الحاجب أعز الله الاستاذ فلان المحتكر فى جوارنا أحذق منه فأحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب فقال له ابن المدبر قد تقصينا لك بكل جهد فأبيت حرفتك الا طردك عن منزلنا فقال ياسيدى بقيت معى بابة حسنة قال ما هى قال تأمر لى بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص وتقام هذا الحاجب على أربع وأرميه فى دبره بهن وان أخطأت بواحدة منهن ضربت رقبتى فضحك الحاجب من ذلك ووجد ابن المدبر فى ذلك شفاء لنفسه

وعقوبة ومكافأة له على ما فرط منه فى ادخال الطفيلى الى مجلسه فأمر بإكافين فأحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما وأمر بالقوس والبندق فدفع الى الطفيلى فرمى به فما أخطأه وخلى عن الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلى أعلى باب الاستاذ من يحسن مثل هذا فقال يا فرنان مادام البرجاس استى فلا وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلى مع المتوكل فى اللوزينج وما ابتدأ من العدد من الواحد الى مافوقه من القران ولغيره منهم ماقد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط على الشرح والتمام والكمال وانما نورد فى هذا الكتاب لما عما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا فى هذا المعنى وقد كان المهتدى بالله ذهب فى أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يا بنى هاشم دعونى حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التى كانت فى المجالس فحيت وذبح الكباش التى كان يناطح بها بين يدى الخلفاء والدببة وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها فى كل يوم عشرة آلاف درهم فازال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنه فى كل يوم نحو مائة درهم

القاضى الهمذانى عند رئيس الرؤساء واستأذنه فى الحرب وضمن له قتل البساسيرى فأذن له من غير علم عميد العراق فخرج ومعه الخدم والهاشميون والعجم والعوام الى الحلبة وأبعدوا والبساسيرى يستجرهم فلما أبعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين وقتل منهم جماعة ومات فى الزحمة جماعة من الاعيان ونهب باب الازج وكان رئيس الرؤساء واقفا دون الباب فدخل الدار وهرب كل من فى الحريم ولما بلغ عميد العراق فعل رئيس الرؤساء لطم على وجهه كيف استبد برأيه ولا معرفة له بالحرب ورجع البساسيرى الى معسكره واستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحريم فلم يرعهم الا الزعقات وقد نهب الحريم وقد دخلوا بباب النوبى فركب الخليفة لابسا السواد وعلى كتفه البردة وبيده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة فرأى النهب قد وصل الى باب الفردوس من داره فرجع الى ورائه ومضى نحو عميد العراق فوجده قد استأمن الى قريش فعاد وصعد المنظرة وصاح رئيس الرؤساء يا علم الدين يعنى قريشا أمير المؤمنين يستدنيك فدنا منه فقال رئيس الرؤساء قد أتاك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستدم منك على نفسه وأهله وأصحابه بدمام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه وسلم وذمام العربية فقال قد أذم الله تعالى له قال ولى وان معه قال نعم وخلع قلنسوته فاعطاها الخليفة وأعطى مخصرته رئيس الرؤساء فما فعل اليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحلبة وصار امعه فارسل اليه البساسيرى أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ماعاهدنا عليه فقال قريش لا وكانا قد تعاهدا على المشاركة فى الذى يحصل لهما وان لا يستبد أحدهما دون الآخر بشئ فاتفقا على ان يسلم قريش رئيس الرؤساء الى البساسيرى لانه عدوه ويترك الخليفة عنده فارسل قريش رئيس الرؤساء الى البساسيرى فلما رآه قال مرحبا بهلاك الدول ومخرب البلاد فقال العفو عند المقدرة فقال البساسيرى فقد قدرت فما عفوت وأنت صاحب طيلسان وركبت الافعال الشنيعة مع حرمى واطفالى فكيف أعفو أنا وأنا صاحب سيف وأما الخليفة فانه حمله قريش راكبا الى معسكره وعليه السواد والبردة وبيده السيف وعلى رأسه اللواء وانزله فى خيمة وأخذ ارسلان خاتون زوجة الخليفة وهى ابنة أخى السلطان طغرلبك فسلمها الى أبى عبد الله بن جردة ليقوم بخدمتها ونهبت دار الخلافة وحريمها أياما وسلم قريش الخليفة الى ابن عمه مهارش بن المجلى وهو رجل فيه دين وله مروءة فحمله فى هودج وساربه الى حديثة عانة فتركه بها وسار من كان مع الخليفة من خدمه وأصحابه الى السلطان طغرلبك مستنفرين فلما وصل الخليفة الى الانبار شكا البرد فانفذ الى مقدمها يطلب منه مايلبسه فارسل له جبة فيها قطن ولحافا وأما البساسيرى فانه ركب يوم عيد النحر وعبر الى المصلى بالجانب الشرقى وعلى رأسه الالوية المصرية فاحسن الى الناس واجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب وافرد لوالدة الخليفة القائم بامر الله دارا وكانت قد قاربت تسعين سنة واعطاها جاريتين من جواريه للخدمة واجرى لها الجراية واخرج محمود بن الاخرم الى الكوفة وسقى الفرات أميرا وامار رئيس الرؤساء فاخرجه البساسيرى آخر ذى الحجة من محبسه بالحريم الطاهرى مقيدا وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفى رقبته

وكان يواصل الصيام وقيل انه لما قتل أخرج رجل من الموضع الذى كان يأوى اليه فأصيب له سفط مقفل فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل وقيل جبة شعر فسألوا من كان يخدمه فقال كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه وكان يركع ويسجد الى أن يدركه الصباح وانه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم وانه سمعه بعض من كان يأنس اليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من افطاره وهو يقول اللهم انه قد

رقبته مخنقة جلود بعير وهو يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية وبصق أهل الكرخ فى وجهه عند اجتيازهم لانه كان يتعصب عليهم وشهر الى حد النجمى وأعيد الى معسكر البساسيرى وقد نصبت له خشبة وأنزل عن الجمل وألبس جلد ثور وجعلت قرونه على رأسه وجعل فى فكيه كلابان من حديد وصلب فبقى يضطرب الى آخر النهار ومات وكان مولده فى شعبان سنة سبعين وثلثمائة وكانت شهادته عند ابن ماكولا سنة أربع عشرة وأربعمائة وكان حسن التلاوة للقرآن جيد المعرفة بالنحو وأما عميد العراق فقتله البساسيرى وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ ولما خطب البساسيرى للمستنصر العلوى بالعراق أرسل اليه بمصر يعرفه ما فعل وكان الوزير هناك أبا الفرج ابن أخى أبى القاسم المغربى وهو ممن هرب من البساسيرى وفى نفسه مافيها فوقع فيه وبرد فعله وخوف عاقبته فتركت أجوبته مدة ثم عادت بغير الذى أمله ورجاه وسار البساسيرى من بغداد الى واسط والبصرة فملكهما وأراد قصد الاهواز فانتدب صاحبها هزارسب بن بنكير الى دبيس بن مزيد يطلب منه أن يصلح الامر على مال يحمله اليه فلم يجب البساسيرى الى ذلك وقال لابد من الخطبة للمستنصر والسكة باسمه فلم يفعل هزارسب ذلك ورأى البساسيرى ان طغرلبك يمد هزارسب بالعساكر فصالحه وأصعد الى واسط فى مستهل شعبان من سنة احدى وخمسين وفارقه صدقة ابن منصور بن الحسين الاسدى ولحق بهزارسب وكان قد ولى بعد أبيه على ماتذكره وأما أحوال السلطان طغرلبك وابراهيم ينال فان السلطان كان فى قلة من العسكر كما ذكرناه وكان ابراهيم قد اجتمع معه كثير من الاتراك وحلف لهم انه لا يصالح أخاه طغرلبك ولا يكلفهم المسير الى العراق وكانوا يكرهونه لطول مقامهم وكثرة اخراجاتهم فلم يقو به طغرلبك وأتى الى ابراهيم محمد وأحمد ابنا أخيه ارتاش فى خلق كثير فازداد بهم قوة وازداد طغرلبك ضعفا فانزاح من بين يديه الى الرى وكاتب الب ارسلان وياقوتى وقاورت بك أولاد أخيه داود وكان داود قد مات على ماتذكره سنة احدى

صح عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله دعوة الامام العادل وقد أجهدت نفسى فى العدل على رعيتى ودعوة المظلوم وأنا مظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر وأنا صائم وجعل يدعو عليهم وأن يكفى شرهم (وذكر صالح) بن على الهاشمى قال حضرت يوما من الايام جلوس المهتدى للمظالم فرأيت من سهولة الوصول اليه ونفوذ الكتب عنه الى النواحى فيما يتظلم به اليه ما استحسنته فأقبلت أرمقه ببصرى اذ نظر فى القصص فاذا رفع طرفه الى أطرقت فكأنه علم ما فى نفسى فقال ياصالح احسب أن فى نفسك شيأ تحب أن تذكره قلت نعم ياأمير المؤمنين فامسك فلما فرغ من جلوسه أمرنى أن لا أبرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعانى فدخلت اليه وهو على حصير الصلاة فقال لى ياصالح أتحدثنى بما فى نفسك أو أحدثك به قلت بل هو من أمير المؤمنين أحسن فقال كأنى بك قد استحسنت ما رأيت من مجلسنا فقلت أى خليفة ان لم يكن يقول بخلق القرآن فقلت نعم فقال قد كنت على ذلك برهة من

الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامى مقيد طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ودعا له وجزفرأيت الحياء منه فى حماليق عين الواثق والرحمة له فقال له ياشيخ أجب أباعبد الله أحمد بن أبى دواد فيما يسألك عنه فقال ياأمير المؤمنين أحمد يقل ويضعف عن المناظرة فرأيت الواثق قد صار فى مكان الرقة والرحمة له غضبا فقال له أبو عبد الله يضعف عن المناظرة فقال له هون عليك ياأمير المؤمنين أنا أذن فى كلامه فقال له الواثق قد أذنت لك فأقبل الشيخ على أحمد فقال

له يا أحمد الى ماذا دعوت الناس اليه فقال الى القول بخلق القرآن فقال الشيخ مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن داخلة في الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها قال نعم قال الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس اليها أو تركهم قال تركهم قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمها قال علمها قال فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم منه فأمسك أحمد فقال الشيخ يا أمير المؤمنين هذه واحدة ثم قال له بعد ساعة يا أحمد قال الله في كتابه العزيز اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فأخبرت أنت لا يكون الدين تاما الا بقالتكم بخلق القرآن فالله أصدق في اكماله واتمامه أو أنت في نقصانك فأمسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ثم قال له بعد ساعة أخبرني يا أحمد عن قول الله عز وجل في كتابه يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية فقالتك هذه التي دعوت الناس اليها مما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا فأمسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثالثة ثم قال بعد ساعة أخبرني يا أحمد ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها والى القول بها من خلق القرآن أوسعه أن أمسك عنهم أم لا قال أحمد بل اتسع له ذلك فقال وكذلك لابي بكر وعمر وكذلك لعثمان وكذلك لعلي رضي الله عنهم قال ثم صرف وجهه الى الواثق وقال يا أمير المؤمنين اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فلا وسع الله علينا فقال الواثق نعم لا وسع الله علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ثم قال الواثق اقطعوا قيده فلما فكوا قيده جاذب عليه فقال الواثق دعوه ثم قال للشيخ لم جاذبت عليه قال لاني عقدت في نيتي أن أجاذب عليه فاذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفني وبدني حتى أقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدني ظلما وأراع في أهلي فبكى الواثق وبكى الشيخ وكل من حضر ثم قال له الواثق يا شيخ اجعلني في حل فقال يا أمير المؤمنين ما خرجت من منزلي حتى جعلتك في حل اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابتك منه فتهلل وجه الواثق وسره ثم قال له أقم عندي آنس بك فقال

وخمسين ان شاء الله تعالى وملك خراسان بعده ابنه الب ارسلان فارسل اليهم طغرلبك يستدعيهم اليه فجاؤا بالعساكر الكثيرة فلقي ابراهيم بالقرب من الري فانهزم ابراهيم ومن معه وأخذ أسيرا هو ومحمد وأحمد ولدا أخيه فامر به فخنق بوتر قوسه تاسع جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين وقتل ولدا أخيه معه وكان ابراهيم قد خرج على طغرلبك مرارا فعفا عنه وانما قتله في هذه الدفعة لانه علم ان جميع ما جرى على الخليفة كان بسببه فلهذا لم يعف عنه ولما قتل ابراهيم أرسل طغرلبك الى هزارسب بالاهواز يعرفه ذلك وعنده عميد الملك الكندري فسار الى السلطان فجهزه هزارسب تجهيز مثله

﴿ذكر عود الخليفة الى بغداد﴾

لما فرغ السلطان من أمر أخيه ابراهيم بنال عاد يطلب العراق ليس له هم الا اعادة القائم بامر الله الى داره فارسل الى البساسيري وقريش في اعادة الخليفة الى داره على ان لا يدخل طغرلبك العراق و يقنع بالخطبة والسكة فلم يجب البساسيري الى ذلك فرحل طغرلبك الى العراق فوصلت مقدمته الى قصر شيرين فوصل الخبر الى بغداد فانحدر حرم البساسيري وأولاده ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم في دجلة وعلى الظهر ونهب بنو شيبان الناس وقتلوا كثيرا منهم وكان دخول البساسيري وأولاده بغداد سادس ذي القعدة سنة خمسين وخرجوا منها سادس ذي القعدة سنة احدى وخمسين ونار أهل باب البصرة الى الكرخ فنهبوه وأحرقوا دار الزعفران وهو من أحسن الدروب وأعمرها ووصل طغرلبك الى بغداد وكان قد أرسل من الطريق الامام أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك الى قريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة وحفظه على صيانته ابنة أخيه امرأة الخليفة و يعرفه أنه قد أرسل أبا بكر بن فورك للقيام بخدمة الخليفة واحضاره واحضار ارسلان خاتون ابنة أخيه امرأة الخليفة ولما سمع قريش بقصد طغرلبك العراق أرسل الى مهارش يقول له أودعنا الخليفة عندك ثقة بامانتك لينكف بلاء الغز عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك فارحل أنت

مكانى فى ذلك الثغر أنفع أنا شيخ كبير ولى حاجة قال سل ما بدا لك قال يأذن أمير المؤمنين لى فى الرجوع الى الموضع الذى أخرجنى
منه هذا الظالم قال قد أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها فرجعت من ذلك الوقت وأحسب أن الواثق رجع عنها * قال وعرض على
المهتدى يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب منها هذه الابيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهى انى عرفت علاج الطب
من وجعى * وما عرفت علاج الحب والخدع جزعت للحب والحمى صبرت لها ٢٢٧ * انى لاعجب من صبرى ومن جزعى

من كان يشغله عن الفه وجع
فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
وما أمل حبيبى ليتنى أبدا
مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فعطب وجه المهتدى بالله وقال حدث وسلطان الشباب وكان المهتدى كثيرا ما ينشد البيت الاول من هذا الشعر * وكان محمد ابن على الربعى ممن يكثر ملازمة المهتدى فقال قال لى ذات ليلة أتعرف خبر نوف الذى حكاه عن على بن أبى طالب حين كان يأتيه قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر نوف قال رأيت عليا رضى الله عنه قد أكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لى يا نوف أنائم أنت قال قلت بل رامق أرمق بعينى منذ الليلة يا أمير المؤمنين فقال لى يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها مهادا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يا نوف ان الله تعالى أوحى الى عبده عيسى عليه السلام

وأهلك الى البرية فانهم اذا علموا أن الخليفة عندنا فى البرية لم يقصدوا العراق ونحكم عليهم بما نريد فقال مهارش كان بينى وبين البساسيرى عهود ومواثيق نقضها وان الخليفة قد استحلفنى بعهود ومواثيق لا مخلص منها وسار مهارش ومعه الخليفة حادى عشر ذى القعدة سنة احدى وخمسين وأربعمائة الى العراق وجعلا طريقهما على بلد بدر بن مهلهل ليأمنا من يقصدهما ووصل ابن فورك الى حلة بدر بن مهلهل وطلب منه ان يوصله الى مهارش فجاءه انسان سوادى الى بدر وأخبره أنه رأى الخليفة ومهارشا بتل عكبرا فسر بذلك بدر ورحل ومعه ابن فورك وخدماه وحمل له بدر شيأ كثيرا وأوصل اليه ابن فورك رسالة طغرلبك وهدايا كثيرة أرسلها معه ولما سمع طغرلبك بوصول الخليفة الى بلد بدر أرسل وزيره الكندرى والامراء والحجاب وأصحبهم الخيام العظيمة والسرادقات والتحف من الخيل بالمراكب الذهب وغير ذلك فوصلوا الى الخليفة وخدموه ورحلوا ووصل الخليفة الى النهروان فى الرابع والعشرين من ذى القعدة وخرج السلطان الى خدمته فاجتمع به وقبل الارض بين يديه وهنأه بالسلامة وأظهر الفرح بسلامته واعتذر من تأخره بعصيان ابراهيم وانه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العباسية وبوفاة أخيه داود بخراسان وانه اضطر الى التريث حتى يرتب أولاده بعده فى المملكة وقال أنا أمضى خلف هذا الكلب يعنى البساسيرى وأقصد الشام وافعل فى حق صاحب مصر ما أجازى به فعله وقلده الخليفة بيده سيفا وقال لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك به أمير المؤمنين فكشف غشاء الخركاه حتى رآه الامراء فخدموا وانصرفوا ولم يبق ببغداد من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضى أبى عبد الله الدامغانى وثلاثة نفر من الشهود وتقدم السلطان فى المسير فوصل الى بغداد وجلس فى باب النوبى مكان الحاجب ووصل الخليفة فقام طغرلبك وأخذ بلجام بغلته حتى صار على باب حجرته وكان وصوله يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة سنة احدى وخمسين وعبر السلطان الى معسكره وكانت السنة مجدبة ولم ير الناس فيها مطرا فجاءه تلك الليلة وهنأ

أن قل لبنى اسرائيل أن لا يدخلوا الى الا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكف نقية واعلم انى لا أجيب لاحد منهم دعوة ولا لاحد من خلقى قبلهم مظلمة قال محمد بن على الربعى فوالله لقد كتب المهتدى هذا الخبر بخطه ولقد كنت أسمعه فى جوف الليل وقد خلا به فى بيت كان لخلوته وهو يبكى ويقول يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ويمر فى الخبر الى أن كان من أمره ما كان مع الاتراك وقتلهم اياه * قال محمد بن على فات للمهتدى ذات يوم ونحن خلوت به وقد أكثر ناس ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انحرف عنها يا أمير المؤمنين ما للانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وروالها وغرورها

لطلابها يحبها ويأنس اليها قال المهتدى حق ذلك له منها خلق فهى أمه وفيها نشأ فهى عيشه ومنها قدر رزقه فهى حياته وفيها يعاد فهى كفته وفيها اكتسب الجنة فهى مبدأ سعادته والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لايحب طريقا أخذ بسالكها الى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا ان كان من أهلها وقيل ان هذا الكلام فى جواب على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجاب به سائلا سأله عن ذلك وهو ماخوذ ٢٢٨ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حين مدح الدنيا وذم

الشعراء الخليفة والسلطان بهذا الامر ودام البرد بعد قدوم الخليفة نيفا وثلاثين يوما ومات بالجوع والعقوبة عدد لايحصى وكان أبو على بن شبل ممن هرب من طائفة من الغز فوقع به غيرهم وأخذوا ماله فقال

خرجنا من قضاء الله خوفا * فكان فرارنا منه اليه
وأشقى الناس ذو عزم توالت * مصائبه عليه من يديه
تضيق عليه طرق العذر منها * ويقسو قلب راحمه عليه

﴿(ذكر قتل البساسيرى)﴾

أنفذ السلطان بعد استقرار الخليفة فى داره جيشا عليهم خمارتكين الطغرائى فى ألفى فارس نحو الكوفة فاضاف اليهم سرايا ابن منيع الخفاجى وكان قد قال للسلطان أرسل معى هذه العدة حتى أمضى الى الكوفة وأمنع البساسيرى من الاصعاد الى الشام وسار السلطان طغرلبك فى أثرهم فلم يشعر دبيس بن مزيد والبساسيرى الا والسرية قد وصلت اليهم ثامن ذى الحجة من طريق الكوفة بعد ان نهبوها وأخذ نور الدولة دبيس رحله جميعه وأحدره الى البطيحة وجعل أصحاب نور الدولة دبيس يرحلون باهليهم فيتبعهم الاتراك فتقدم نور الدولة ليرد العرب الى القتال فلم يرجعوا فمضى ووقف البساسيرى فى جماعته وحمل عليه الجيش فاسر من اصحابه أبو الفتح ابن ورام وأسر منصور وبدران وحماد بنو نور الدولة دبيس وضرب فرس البساسيرى بنشابة وأراد قطع تجنافه لتسهل عليه النجاة فلم ينقطع وسقط عن الفرس ووقع فى وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرحى فاخذه كشتكين دوتى عميد الملك الكندرى وقتله وحمل رأسه الى السلطان ودخل الجند فى الطعن فساقوه جميعه وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيرى مع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم وأمر السلطان بحمل رأس البساسيرى الى دار الخلافة فحمل اليها فوصل منتصف ذى الحجة سنة احدى وخمسين فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبى وكان فى أسر البساسيرى جماعة من النساء

الذام لها على حسب ماقدمناه فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده وأخباره (قال المسعودى) وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة فى خلافة المهتدى وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان يزعم انه على بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وأكثر الناس يقول انه دعى آل أبى طالب وكان من أهل قرية من أعمال الرى يقال لها ورزنين وظهر من فعله مادل على تصديق مارمى به انه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج لان أفعاله فى قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفانى وغيره ممن لايستحق القتل يشهد بذلك عليه وله خطبة يقول فى أولها الله أكبر الله أكبر لااله الا الله والله أكبر ألا لاحكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا وكان أنصاره الزنج وكان ظهوره ببر نيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة فى ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وقيل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد على الله وقد صنف الناس فى أخباره وحروبه وما كان من أمره كتبا كثيرة وكان أول من

المتعلقات

صنف أخباره وما كان من بدو أمره ووقوعه الى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الاعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل صاحب المأمون وهو الرجل الذى كان من أمره مع المعتضد بالله ماقد ذكرناه واشتهر قبل ذلك فى الناس وما كان من أمره الى أن جعله كدجاج على النار وجلده ينتفخ ويتقرقع * وقد ذكر الناس صاحب الزنج فى أخبار المبيضة وكتبهم وقد أتينا على جميع خبره وبدو خبر البلالية والسعدية بالبصرة فى الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته وانما أوردنا

فى هذا الكتاب فى الموضع المستحق له لما من ذكره وما كان من أمره فى مقتله (قال المسعودى) وفى هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة فى المحرم ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه مع قوله بالعثمانية وقد كان أبو الحسن المدائنى كثير الكتب الا أن أبا الحسن المدائنى كان يؤدى ما سمع وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور يتجاوز حد الاذهان ويتكشف واضح البرهان لانه ٢٢٩ نظمها أحسن نظم ووصفها أحسن وصف وكساها من كلامه أجزل لفظ وكان اذا تخوف سآمة القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة طريفة وله كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها لانه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار ويليغ الخطب مالوا قتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان وكتاب الطفيليين والبخلاء وسائر كتبه فى نهاية الكمال مالم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق ولا يعلم من سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه وكان غلام ابراهيم بن يسار النظام وعنه أخذ ومنه تعلم (وحدث يموت بن المزرع) وكان الجاحظ خاله قال دخل الى خالى أناس من البصرة من أصدقائه فى العلة التى مات فيها فسألوه عن حاله فقال عليل من مكانين من الاسقام والدين ثم قال أنا فى هذه العلة المتناقضة التى يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة يعنى عمره قال يموت ابن المزرع وكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرص بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده قال بن المزرع وعمته يقول رأيت رجلا يروح ويغدو فى حوائج الناس فقلت له قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك وأحجفت بذونك وقتلت غلامك فما لك راحة ولا قرار فلو اقتصدت بعض الاقتصاد قال سمعت تغريد الاطيار فما طربت طربى لنغمة شكر أوليته معروفا أو سعيت له فى حاجة وكان يموت لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وله أخبار حسان وأشعار جياد وقد كان سكن طبرية من بلاد الاردن من الشأم فمات بها وذلك بعد الثلثمائة وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل وله ولد يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع

المتعة فات بدار الخلافة وأخذ من وأكرم وحمل الى بغداد ومضى نور الدولة دبيس الى البطيحة وصعد زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم وكان من حق هذه الحوادث المتأخرة ان تذكر سنة احدى وخمسين وانما ذكرناها ههنا لانها كالحادثة الواحدة ليتلو بعضها بعضا وكان البساسيرى مملوكا تركيا من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة تقلبت به الامور حتى بلغ هذا المقام المشهور واسمه ارسلان وكنيته أبو الحرث وهو منسوب الى بساما مدينة بفارس والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فساوا النسبة اليها فساوى ومنها أبو على الفارسى النحوى وكان سيد هذا المملوك أولا من بسا فقيل له البساسيرى لذلك وجعل العرب الباء فاء فقيل فساسيرى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أقر السلطان طغرلبك محمد بن وهسوذان بن محمد على ولاية أبيه باذربيجان وفيها مات شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الاسدى صاحب الجزيرة عند خوزستان واجتمعت عشيرته على ولده صدقة وفيها توفى الملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه بقلعة الرى وكان طغرلبك سجنه أولا بقلعة السيروان ثم نقله الى قلعة الرى فتوفى بها وفيها عصى أبو على بن أبى الجبر بالبطائح وكان متقدم بعض نواحيها فارسل اليه طغرلبك جيشا مع عميد العراق أبى نصر فهزمهم أبو على وفيها يوم النوروز أرسل السلطان مع وزيره عميد الملك الى الخليفة عشرة آلاف دينار سوى ما اضيف اليها من الاعلاق النفيسة وفيها فى صفر توفى أبو الفتح بن شيطا القارئ الشاهد وكانت شهادته سنة خمس وأربعين وأربعمائة وفيها فى شهر ربيع الاول توفى القاضى أبو الطيب الطبرى الفقيه الشافعى وله مائة سنة وسنتان وكان صحيح السمع والبصر سليم الاعضاء يناظر ويفتى ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك جنازته ودفن عند قبر أحمد وله شعر حسن وفى سلخه توفى قاضى القضاة أبو الحسين على بن محمد بن حبيب الماوردى الفقيه الشافعى وكان اماما وله تصانيف كثيرة منها الحاوى وغيره فى علوم كثيرة وكان عمره ستا

وثمانين سنة وفى آخر هذه السنة توفى أبو عبد الله الحسين بن على الرفا الضرير الفرضى وكان اماما فقيها على مذهب الشافعى وفيها فى شوال كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل ووصلت الى همذان ولبثت ساعة فخربت كثيرا من الدور وهلك فيها الجم الغفير

وفيها توفى أبو محمد عبد الله بن على بن عياض المعروف بابن أبى عقيل

وكان قد سمع الكثير من الحديث ورواه وتوفى أيضا

القاضى أبو الحسن على بن هندى قاضى

حمص وكان وافر العلم

والادب

﴿تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر وأوله ثم دخلت سنة احدى وخمسين وأربعمائة﴾

وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبو بموت بن المزرع

مهلا هل قد حلبت شطور دهر
فكا فخنى بها الزمن العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع
فعادت الحبالة والذموت
فأوجع ما أجن عليه قلبى
كريم عضه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذى وداع
وابقاء العتيد لها النعوت
وقد أسهرت عينى بعد غمض
مخافة أن يضيع اذا فنيت
وفى لطف المهيمن لى عزاء
بمثلك ان فنيت وان بقيت
وان يشتد عظمك بعد موتى
فلا تقطعك جائحة سيوت
وقل بالعلم كان أبى جوادا
يقال ومن أبوك فقل بموت
تقر لك الاباعد والادانى
بعلم ليس يجحده البهوت

وللمهتدى أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق